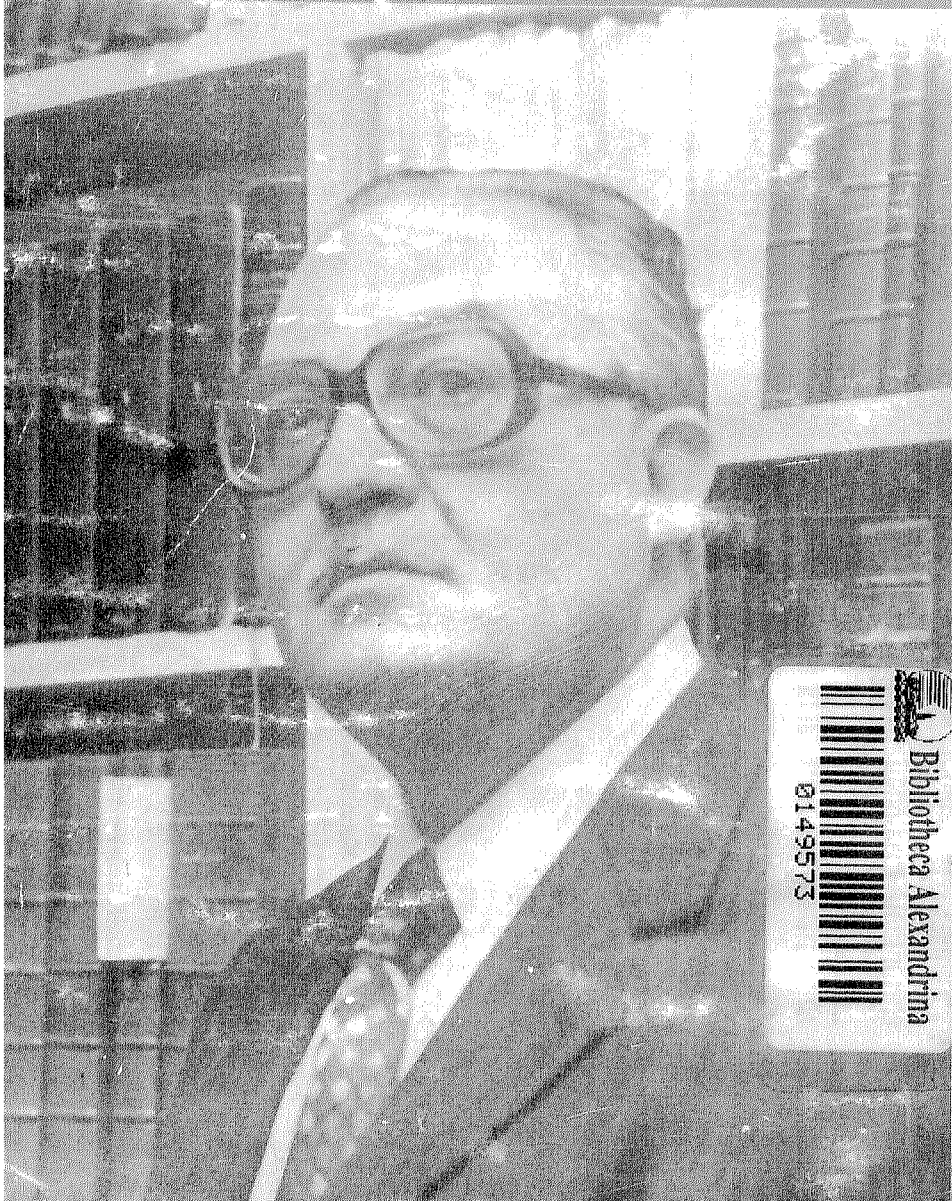


مؤلفات ثروت أبطحة

٦



الغفران
خشوع
ذكريات لامذكرات
لؤلؤ وأصدافنا
الحياة لنا
حياة الحياة
من أقاصيص العرب

Bibliotheca Alexandrina
0149573

مؤلفات شروت أبخاظة

٦



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Aboloblet Al-Alexandria

- الغفران
- خشوع
- ذكريات لامذكرات
- لؤلؤ وأصداف
- الحياة لنا
- حياة الحياة
- من أقاصيص العرب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الغفران

(١)

حين الزمان غرير ، والأيام آفاق عريضة من الابتسامات ، والناس يسدرون عن طيبة خالصة ، والضماير نقاء صاف ، والحب يختلسه المحبون فيما يحسبون أنهم بنجاء من العيون الرواصد . بينما أمرهم علن مهموس وحديث دائر كلما اجتمع من الأسرة اثنان . . .

أحب صابر عبد المعين ابنة خاله وداد الرحمانى .

كان صابر عبد المعين فى المدرسة الثانوية موشكاً أن ينال شهادة البكالوريا ، وكانت وداد قد تركت المدارس وبقيت فى البيت . . .

وحين نال صابر البكالوريا خفقت بقلب وداد وعشقات الأمل . وتماوجت بين جوانحها ألوان من الفرح شتى تنتمى - وإن كثرت إشكالها - لأب فرد هو الحب .

وذهب مفيد الرحمانى ليهنئ ابن أخته بالشهادة التى نالها ، وذهبت فى رفقة زوجته ألفت وابنتهما وداد .

واجتمعت الأسرة فى بيت عبد المعين حماد تظلم من السعادة سحابة حبيبية ، فقد كان ذلك العهد يعيش فى وفرة من المودة والصفاء الذى لا يعرف الحقد أو الحسد أو البغضاء .

وكان ابن الأخت ابناً لخاله أيضاً وابن الأخت ابناً لعمه ، وأبنا لكل من فى عمر الأب من الأقارب أو ممن ينتسب الى الأسرة بأصرة نسب أو وشيجة صداقة .

وقال عبد المعين :

- يا مفيد قل يا رحمن يا كريم .

وقال مفيد وقد أدرك بحاسته الى أين سيذهب الحديث :

- سيمحانه جل شأنه ..

- أنت تعرف أننا ناس من الفلاحين ، من الأرض نعيش وعليها بعد
الله اعتمادنا ..

وقال مفيد محاولا التسلسل الى جدية الحديث بشيء من الندى :

- كأنى أعرفك اليوم .. لقد تزوجت أختى من عشرين سنة وأعرف
تماما كيف تعيش ..

وقال عبد المعين مستجيبا لمحاولة مفيد :

- بل انك تعرف عنى ما لا أعرف ، والبركة فى أختك التى لا يبيل
فى لسانها فولة .. المهم ..

- تعال الى المهم ..

- المهم أن صابر لن يدخل المدارس العالية .. أنا أحتاج اليه فى
الأرض ، وأنا أريد وداد لصابر ..

وامتقع وجه وداد من الفرح وطغيت السعادة على وجه ألفت ، وقال
مفيد بعد هنيهة صمت كان لا بد منها :

- ابنى يخطب ابنتى ، وأنت كبير عائلتنا ولك أن تتصرف فيها كيف
تشاء ..

- يعنى موافق ..

- كلامك يا عبد المعين أمر فى كل بيتى ، فكيف اذا كان فى موضوع
يسعدنى كما يسعدك ؟ ..

وقال عبد المعين فى لهجة مفعمة بالسعادة :

- قم يا صابر قبيل يد حماك ..

وبفرائص مرتعدة من الفرح قام صابر يقبل يده خاله ، ثم قامت
أمه تهانى فقبلت أخاها وقبلت سيلفتها ألفت ، ثم التفتت الى وداد
وقالت لها :

- أما أنت فتعالى أشبعك من القبل ..

ثم أطلقت زغرودة أعلنت بها الى الجيران والأزمان ، خطبة وداد الى
صابر ..

وفى صخب هذه العواطف التفت النظرات من وداد وصابر .. وقالت

العيون ما لم يقله حديث وما لم تستطع القبلة المتبادلة بين الأهل أن
يحمل معانيه وما تنوء به زغاريد العالم كله بعظمته وإبعاده .

كان عبد المعين مؤفورا الثروة ، وكان العثور على بيت أمرا يسيرا ،
فما أسرع ما اشترى الأب لابنه بيتا من طابقتين بحي الحلمية ، وما أسرع
ما جهزت تهناني بيت العرس . . فما مر شهران حتى كانت العروس في
حضان زوجها .

وبعد تسعة أشهر كان عبد المعين يحمل الحفيد الأول له من ابنه . .

— بسم الله ما شاء الله ! اللهم اجعل خلقه رخصيا وحبيب فيه خلقك . .
ابسمعي يا بنتي يا وداد ! سأقول لك سرا لم أقله لأحد . . كنت أتمنى
أن يكون اسمي عبد الكريم أو عبد الغني أو عبد الله . . الشاملة لكل صفاته
سبحانه وتعالى ، ولم أكن أتمنى أن يكون اسمي عبد المعين . . سبحانه
هو العون ومنه العون ، ولكن العبد لا يحتاج الى العون الا حين يضيق به
الامر وتحوم حوله الشدائد ، فلا تسميا الولد باسمي .

وتبتنسم وداد تقول :

— اسمك بركة يا عمي

— سمياه عبد الغني ، عسى الله أن يغنيه بالقناعة وهي الغنى

الكامل

ويقول صابر :

— فاسمه اذن عبد الغني على بركة الله . .

ويمر عام وشهران ، وينجب صابر ووداد ابنتها الثاني ويسميه
جده عبد الودود .

ولا ينتظر الجد حتى يرى حفيديه يسعيان في مناحي الحياة ، بل
يختاره الله الى جواره وعبد الودود في الخامسة من عمره . .

وما هو الا عام وثلاثة أشهر حتى تلحق به زوجته ، ويحس صابر
بفراغ هائل يشمله ويحيط بأيامه . كان شجرة خضراء غضة تعتمد في
صعودها على الخبرة من أبيه وعلى الحنان من أمه . وقد كان أبوه غالما

بأصول الزراعة كل العلم ، وكان محبا للناس يدرى كل الدراية كيف يتألف قلوبهم . وكان يعطى من ماله عند ضيق وعند فرج ، فيكسب حب الناس له واجلالهم وتقديرهم . وكان من هؤلاء القلة الذين وهب الله لهم تلك الموهبة القليلة التي تجعلهم كبارا بين قومهم وإن لم تعل بهم السن . . هؤلاء الناس الموهوبون ملكة حب الناس ، والقدرة على جعل الناس يحبونهم ويضعونهم بينهم فى مكان الصدارة .

هؤلاء الناس الذين خلقهم الله كبارا فى تصرفاتهم وفى أقوالهم وفى أعمالهم . لا يقربون الدنيا ، ويجعلون أيديهم هى العليا ، ويعطون فلا يخل فى المعطاء ، وكأنما هى لهؤلاء الناس حق عندهم يرذونه الى أصحابه . .

وهكذا يجعلهم عشيرتهم رؤساء لهم وإن لم يطلبوا . وقد لازم صابر أباه عبد المعين حياته جميعا . . وعرف كيف يكون مثله . . وأكرمه الله بأن وهب له ما وهب لأبيه من الكبرياء بغير تكبر . . ومن الحب للناس من غير تعاطف . . يعطى ويلين للناس بالحديث والتراحم والأخوة . . اذا صفت الأخوة برئت من جشع أو طمع أو حقد أو تحاسن .

لم يكن صابر مقبلا على الزراعة اقبال أبيه ، ولكنه كان يعرف كيف يعامل الناس الذين يزرعون فأغدقت عليه الأرض . . وقد ترك له أبوه مائة فدان خالصة من أجداد أرض . . مع أموال سائلة تغنيه كل الغناء .

وفى السنوات التى عاشها الجد استطاع أن يرى حفيديه كليهما بيدان التعليم فى مدارس الروضة الحكومية بالقاهرة ، وكان يقسم وقته بين القاهرة وبين القرية وكذلك كان يفعل صابر . وكان الطفلان يصاحبان الأب والجد الى البلدة كلما ذهب اليها ، ولم تنقطع هذه العادة الا حين بدأ تعليمهما فى القاهرة . وأحسن عبد المعين فى فرح أن عبد الغنى - ومثله عبد الودود - مقبلان كل الاقبال على القرية . . وأن كليهما دائم السؤال عما تنتجه الأرض وعما يساويه هذا الانتاج من مال . . وكان عبد المعين فى صفائه ورضى خلقه يسعد بهذا ، لعل الله أن يرضح حب الأرض فى الحفيدين ما دام لم يستطع الابن أن يحب الزراعة .

وحين مضى عبد المعين للقاء ربه كان قرير العين بهذه الخاطرة ، فأبناء الدنيا يرون الخير والشر من ثقب ضيق لا يتيح لهم أن يتعرفوا أين يكمن خبئهم الحق ، وأين يتربص بهم الشر . .

كان صابر فى زهرة الشباب حين صعد أبوه الى جوار ربه ، ولم تستطع أسرته المحبة له الجانية عليه أن تعوضه عما فقدت صوت أبيه . . وقد ازداد لوعة بفقدان أمه أيضا .

ولكن الحياة استطاعت أن تشغله بشواغلها ، وما لبثت الأيام أن اجتذبتة الى دفاعها .. ولكنه دائما كان يتجسس الجرح الغائر في حنايا نفسه بموت أبويه ..

وكان الوقت شتاء .. وكانت أسرة صابر كلها في القرية فقد كان التلاميذ في اجازة نصف السنة .. كانت الرياح خارج البيت عاصفة .. واجتمعت الأسرة في حجرة واحدة من الطابق الأعلى من البيت الأنيق الذي كان عبد المعين قد بناه على أحدث طراز من فن ذلك الزمان .. كان البيت يحتوى على أربع غرف في الطابق الأعلى ، وعلى مثلها في الطابق الأول .. أما الطابق الأعلى فكان مخصصا للنوم ، وكان عبد الغنى وعبد الودود ينامان في غرفة واحدة ، فقد كانا متحابين كل الحب ، متلازمين في كل لحظة من لحظات حياتهما لا يفرق بينهما الا فصول الدراسة .. وقد أرادت وداد أن تخصص لكل منهما حجرة فأبى كلاهما ذلك .

وكانت هناك غرفة صابري ووداد .. وجعلت وداد غرفة مخصصة للجلوس فيها وقضاء اليوم ، وخُصصت الرابعة للطعام .

أما الطابق الأول فقد كان جميعه لاستقبال الضيوف .

كانت الأسرة جالسة في غرفة المعيشة وقد أشعلوا موقدا وراحوا يسمرون بما يعين لهم ، وقد سرى الدفء في أوصالهم ..

وفجأة انقض عليهم صوت عالي الضجيج غلب على صوت الرياح ، فملأهم الذعر وارتدى الطفلان في حضن أمهما .. وأدرك صابر أن بناء قد تهدم ، فسارع الى بماءته فأحكم لها حول جسمه واندفع كالسهم خارجا .. ودون أن تدبر ما هي فاعلة ، تخلصت وداد من الطفلين وحذرتهما من الخروج واندفعت الى الخارج وراء زوجها ، وانكمش الطفلان متلاصقين في كرسي واحد ..

ونزل صابر فوجد رهطا من رجال العزبة قد سبقه الى حظيرة المواشي التي تحطمت أعراقها الخشبية من شدة الرياح وانهار سقفا فأصاب بقرة من ثمان بقرات وجاموسة من ست جواميس .. وراح الرجال يخرجون البهائم من الحظيرة ، وراح بعضهم يقول لصابر :

— الحمد لله قدر وطف ..

وراح هو يردد دون وعي :

— الحمد لله .. الحمد لله .. ادفنوا البقرة والجاموسة وضعوا البهائم الأخرى في حظائركم حتى الصباح ..

والتفت بوحى مفاجيء من ضميره الى حيث كانت وداد ، فرآها في
ملابس البيت واقفة على مبعدة من الرجال فسارع اليها ..

- لماذا جئت يا وداد ؟

- خفت عليك ..

- ارجعى .. اسرعى الى البيت .. لقد كنا فى حجرة دافئة وخرجت
الى هذا البرد القارس بلا معطف عليك .. ارجعى أنت .. الخمد لله ..
لم يحدث شيء .. حاجة بسيطة ..

ورجعت وداد ..

وقال الرجال لصابر :

- لقد كنت تتوقع هذا ..

- نعم ، ولهذا بدأت أبني الحظيرة الجديدة .. ولكننى كنت أتمنى
أن تنتظر هذه حتى أتم بناء الحظيرة الأخرى ..

وقال أحد الرجال :

- له فى ذلك حكم ..

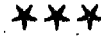
- سبحانه .. كله بأمره ..

★ ★ ★

ما أهون الخسارة التى منى بها صابر. التى انحصرت فى بهائمته .
رجع الى البيت راضيا .. فقد كان من ذلك النوع من الانسان الذى يظل
خائفا من المجهول ، حتى اذا وقعت خسارة أو ألم به مكروه حمد الله أنها
أقل مما كان ينتظر .. لقد أصبح منذ وفاة أمه وأبيه من ذلك النوع الذى
يتوقع من المصائب أفدحها ، ومن الكوارث أشدها عنفا .. حتى اذا وقعت
حادثة كهذه التى أصابت بهيمته اعتبرها نعمة لا نقمة .. لأنه كان يتوقع
من سير الأيام وتقلبها ما لا طاقة له به .. فاذا انكمش هذا التوقع المروع
الى فقدان بهيمتين وسقف حظيرة فما أهون الأمر وما أضاله ! .. فقد كان
مع هذا القلق من الدنيا متفائلا يقدر أن الأيام اذا عاجت يوما فى طريقها
اعتدلت بعد ذلك أياما طوالا ..

مسكين ذلك الانسان ! .. يعيش من دنياه فى هلع دائم .. يتربص
باللحظات عالما أنها تتربص به .. وعجيب ذلك الانسان .. يحب الحياة
رغم ذلك .. ولو كان عاقلا لكفاه التهديد الدائم الذى يلح على مشاعره

حتى يكرهها ، ويتمنى أن ينتقل الى الأمان السرمدي هناك مع الرفرف
الخضر والطمأنينة الخالدة .



أصبح الصباح فاذا وداد تعاني من حرارة شديدة يتوقد لها جسمها
جبيعا ، وينفصد لها جبينها بل كل جارحة فيها وتوشك أن تهذى من وقدة
الحمى . . ويسارع صابر الى الطبيب يستدعيه . . انه التهاب رئوى خاد .
ويبدأ العلاج وتزداد بها الحمى سعارا . . ويأتي طبيب . . وآخر . . ثم
آخر . . وتموت وداد .

(٢)

زوج يحب زوجته ولم يحب غيرها طوال حياته . . وهي قد فاضت
عليه بالحب خالصا صافيا لا يرثقه كدر ولا ينغصه حرج أو تصرف يضييق
به . . ووهبت له البنين ، وتضاعف الحب بين الزوجين بالتقاء قلبيهما
حول ولديهما . .

وفجأة وقبل أن تسعى بهما الحياة في مدارجها . . وقبل أن تمسك
بيد طفليها وهما في خطوات العمر الأولى . . تموت الزوجة فتنزول الطامة
بالشباب المؤمن نزول الصاعقة . . وتعصف به أنواء الخوف والدعر من
المستقبل . . وتصبح نظراته الى اولاده كلها ألم وحذر وحيرة واشفاق . .
بعد أن كانت حيا وتعاطفا وحنينا مع قريهما اليه ، وتفانيا حتى لقد كان
يتمنى أن يصبح بعضا من كيانهما . . أو يصبحا بعضا من كيانه . . فكياه
اليوم ممزق . . ونظرته الى أبنائه فرق وخوف يطحن ، وحيرة مع المستقبل
في شأنهما . .

كان كل يوم يمر يقترب به من بؤرة الدوامة ، حتى لقد أوشك أن
يفقد اتزانه وقدزته على الحياة . .

وفي الهامة ربانية يصحب ابنه الى حج بيت الله . .

وفي لييك اللهم لييك ارتدت اليه نفسه وعاد الى رشده وكانما
أجابه أستار الكعبة أن وداد في ظلال وريقة في الملكوت الأعلى . . وتغلب
جبه لها على جزعه لفقدها ، ووجد الأبناء في حضن أبيهما أما بعد فزع .
وطمأنينة بعد حيرة وهلع . . وأصبح صابر منذ وقوفه أمام البيت انسانا
آخر . . لقد رأى هناك أن الدنيا جميعا ما هي الا طريق الى الخلود عند
صاحب النفوس وخالقها وقابضها . . وهكذا عاد الى مصر وقد امتلأت

نفسه بحب العبادة والتفاني في ذكر الله وفي الزكاة .. والعجيب من أمره أنه أصبح محبا للزراعة وحريصا على اتقانها .. مرتقيا أن الله حين يهب انسانا نعمة فانه ينبغي على العبد أن يشكر ما أنعم به الله ، ولا يكون ذلك الا برعاية ما وهبه سبحانه لعبده .. وكان أول ما صنعه أن بنى مكان الحظيرة التي تهدمت مسجدا غاية في الفخامة وأسماه مسجد الوداد ، وراح يوزع نفسه بين أرضه وبنيه ، وكان يلجا الى حماته ألفت هانم أن ترعى ولديه وتمر بهما كلما اضطرت ظروف العمل أن يترك الطفلين . وقد صحب لهما من القرية نبوية البوهي التي توفى عنها زوجها الخفير صالح عوض وهي في ريعان الشباب ورفضت بعده أن تتزوج .. ولم تكن نبوية بذات بنين أو بنات فأفرغت حنان الأمومة الرباني على عبد الغني وعبد الودود ..

وتمشي الحياة وهي دائما تمشي لا يقف بها شيء ، وانما تشرق شمس الأيام من أجواف الظلمات ، ثم يسقط الليل على النهار فيغيبه . وكما يولد في كل مطلع شمس يوم جديد . فانه ما يلبث أن يموت بخطوات الظلام الى الشمس .. وتصبح الحياة كلها حياة وفناء . ومن الحياة يأتي الفناء ، ومن الفناء تختلج الحياة ، وتصبح هكذا سنة الحياة جميعا في كل لحظة من لحظاتها حياة وفناء ! ومع مولد طفل في كل لحظة ، يموت حياة في نفس اللحظة . وقد يكون الفقيد طفلا أو شابا أو عجوزا ولكنه يموت . وهل ميلاد طفل الا هدية يقدمها الغيب الى الموت في مواعده الموقوت .. لا يستقدمون عنه ولا يستأخرون .. أو ليس هو مخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ؟ أو لا يصدق هذا على كل حياة في الأرض من انسان أو نبات أو حيوان ؟ وتمضي الحياة مهما يكن الميت عزيزا على آله ، ومهما يكن أثرا عندهم ، ومهما يكن في ريعان الفتوة وزهوه الشباب . تمضي الحياة ففي الفاظ حروفها معنى الموت ، وان كانت جملة الحروف تقول حياة . ولكن هل هناك حياة بغير موت ؟ أو هل هناك موت بغير حياة ؟ حتى يرث الله الأرض وما عليها فتكف الحياة عن لعبتها المتواصلة ويفرض الله الخلود ، ويحيى النفوس التي أنشأها هو أول مرة ، ويكون الحساب عند الحق الذي لا يضيع لديه أجر من أحسن عملا ، وتصبح حروف الحياة وقد فقدت معنى الفناء واكتسبت صفة الخلود . فتلك اذن هي الحياة الحق ، وما هذه التي نحيها الا طريق اليها نقتطعه شننا أو أيننا . وعند نهايته ندري أضللا كان سعينا أم كان على هدى ؟ وننطوي في ظل الجلالة العليا محبتين آمنين . ولو لم نجد في رعيته الا الأمن وحده لكان في ذلك حسنا غاية الحسب .. وهل بعد الأمن نعيم ؟ ..

تمر الأيام بحلوها ومرها على الأسرة الميتورة ، ويصبح عبد الغني في الثانوية العامة ويصبح عبد الودود في السنة السابقة لها ، فقد كان

الولدان ينجحان في كل عام في غير تفوق ، وإنما هو نجاح متواضع هزيل
 •• ولكنه نجاح •

وصابر طوال هذه السنوات حريص على فرض الله • وحريص أيضا
 على القيام بواجباته في الزراعة يكاد لا يزور الا بيت خاله مفيد •

وكانت ألفت هائم تستقبله أحسن استقبال ، فقد كانت تقدر انه
 أكرم ابنتها غاية الاكرام ، ولم يجبس عنها كرمه طول حياتها ••

وكان كثيرا ما يجد في بيت ألفت أختها رحيمة •• قد أنس اليها
 ووجد فيها سيدة طيبة النفس لا خبث فيها ولا دخل • تكثر من الحديث
 عن سحرة مواتية ، وتذكر خاصة شئونها وكأنها أمور عامة ينبغي أن
 "تذاع على جميع الناس " حتى العلاقات الحميمة بينها وبين زوجها لا تخفى
 منها شيئا •• بل انها حتى لا تخفى شيئا من فقر ابنتها هند وزوجها حامد
 •• وكانت تروي عن حامد لا تخفى من أسرار عمله شيئا ، وكان صابر
 يجد في رواياتها ايناسا وممتعة ••

•• ترى الأنيب وجيد •• خلا بي البيت بعد و داد ؟ ولكنني من ذكر الله
 في شعور عميق الفيض •• انني أسبح في الملكوت الأعلى غنيا عن العالمين ••
 ما أحقر الانسان مهما يرتفع بروحه الى عليين في أسمي رجاب ، يظل
 بجسمه بل وبفكره أيضا عبد الأرض التي ما يزال يعيش عليها • يحتاج
 الأستنان في الأرض الى الانسان دائما •• ما دام يعيش حياة الأرض فهو
 في حاجة الى الأستنان •• والا فما هذه السعادة التي تغمرني وأنا أستمتع
 الى رحيمة ؟ وما هذا الجدل الذي يعتريني •• وأنا أسمعها تروي عن ربو
 زوجها ، وعن فقرها مذ زواج ابنتها ، وعن خيبته أيضا وكيف أنه لا يعرف
 شيئا في الدنيا الا المدرسة والتلاميذ •

في يوم من بعد الظهر صحب طفليه الى بيت جدتهما •• وكانا قد
 أصبحا شابين • وكانت جدتهما كثيرا ما تشكو اليه تقصيرهما في زيارتهما ،
 فأضطر أن يشدد عليهما النكير ليصحباه اليها والى جدهما مفيد ، وواجهته
 في البيت سحابة سوداء من الحزن والأسى يعرف ملامحتها ، وان كان لم
 يدرك في يومه هذا سببها •

وسأل وجاء الجواب :

- حامد زوج هند .
- ماله ؟
- أصابته نوبة قلبية خطيرة •
- واين هو الآن ؟

- فى البيت . . رفض الطبيب أن ينقله الى المستشفى فأية حركة خطيرة عليه . .

- لا حول ولا قوة الا بالله . . كم عمره ؟

- فى الخامسة والأربعين تقريبا . .

- أتريدان الذهاب اليه ؟

- أنا أريد أن أذهب ومفيد يرفض . .

- يابنى الطبيب مانع الزيارة . . وأنا أعلم فى هذه الحالات أن الزيارة خطيرة ، فما ذهابنا ؟

- يا أخى أذهب الى أختى وابنتها ولا أدخل اليه . . الطبيب مانع زيارة المريض لا زوجة المريض ولا حماته . .

- وحين نذهب اليس من الطبيعى أن يقدموا لنا قهوة وكرامية ، ونشغل البيت جميعا عن المريض الذى يحتاج الى كل عناية ؟

- يا مفيد الله يهديك . . ليس من المحتم أن تقدم لى أختى أو ابنة أختى اكرامية .

وأخيرا تكلم صابر :

- أنت محق يا عمى ، ولكن من وجهة نظر أخرى أرى الا نتركهم وحدهم ، وقد يحتاج الأمر الى من يعينهم فى هذه الفترة الحرجة .

وقالت ألفت :

- قل له يابنى .

وقال مفيد :

- أتبرى ذلك يا صابرو ؟

- أعتقد ذلك .

- هل معك سيارتك ؟

- نعم . . هيا بنا .

والتفت الى ولديه وطلب اليهما أن يعودا الى البيت . .

وفى بيت حامد رأى صابر مصدر الوجوم الحزين الذى لقيه فى بيت حبيه . . مسكينة هند ! الهلع والحيرة والخوف والأمل والاضطراب والجهد المستमित للسيطرة على نفسها ، حتى تظل متماسكة لتراعى المريض وترعى شأنه . ورأى مجيها يكسوه ذلك الشعور بالوحدة القاتلة . أعلم أنها

لا ولد لديها ولا ابنة .. ولكن لها أبوها داود أفندي الدمراوى .. ولها أمها .. هيهات ! الأم مهما تكن خفيفة الظل كثيرة الحديث الا أن وجودها عند الشدائد يصبح كالعدم .. والأب مشغول نهاره بالمدرسة التى يعمل بها مدرسا ، وليله بتلاميذ الدروس الخصوصية الذين يصيب منهم مالا قليلا يعينه على الحياة ، وعلى شراء أدوية الربو الذى أصيب به منذ سنوات ..

لا عجب اذن أن تصبح هند وحيدة ..

وكفريق لقف طوق النجاة !

— الحمد لله أنكم جئتم .. هل سيارتك معك يا صابر ؟

— نعم ..

— هذا دواء كتبه الدكتور لحامد ولم نجد له أثرا فى الصيدليات القريبة ..

— لحظات وأكون عندك بالدواء .. كيف حاله ؟

— ربنا يستر ..

وراح صابر يمر بالصيدليات فى اصرار واخلاص ولم يجد الدواء الا بعد قرابة ساعتين .. ولم يدر لماذا خامره هذا الشعور بالسعادة حين وجده .. ان صلته بحامد صلة غير حميمة ، وربما تكون لقاءاته بهند كثيرة حين يلقاها فى بيت حميه .. ولكنه كان كلما لقيها يحس أنها تحمل الما دفينا عميقا فى الأغوار البعيدة من نفسها .. ترى ما سر هذا الألم ؟ .. مسكينة هند انها لا تجد أحدا تفضى له بأحزانها فأماها مشغولة بالحديث عن الاستماع وأبوها مشغول بالحياة عن الحياة .. والابنة تطوى نفسها على هذا الألم لا يدرى مأتاه وان كان واثقا منه ..

رقية الملامح هى جميلة غاية الجمال لو أن الاشراف تلالا فى ثامات وجهها لأصبحت قمة من الحسن لا تدنو اليها قمة .. يعرفها منذ كانت طفلة ولكنها لم تكن تزور خالتها كثيرا فهى أكبر من وداد .. وكانت قليلة الزيارة بعد الزواج .. وحين مانت زوجته أصبحت رؤيته أنها بالصدفة ولكنه لسبب لا يدرىه كان يشعر نحوها بنوع من العاطفة يعجز عن وصفه .. ليس حبا .. فهو لا يتصور أن يحب سيدة متزوجة .. والعاطفة عنده مهما تكن جياشة الا أنها خاضعة للعقل بالسليقة يسمعها قبل أن تشتت ويردها دون التماذى قبل أن يصل الأمر بها الى الثورة ..

ثروت أباطة — ١٧٧

وصل صابر بالدواء .. فطالعه ذلك الصراخ الذى يعلن به نساء
مصر عن الموت .. وسارع بالصعود ووضع الدواء الذى لم يصبح ذا فائدة
على منضدة بجانب الباب .. وضعه فى خفية وعلى استحياء وكأنه يقوم
بعمل مخجل .. وذهب الى خاله مفيد :

- خالى اذهب انت الى البيت واترك الامر لى ..

وكانما كان مفيد ينتظر اشارة تبعده عن هذا الكرب العظيم ..

وتولى صابر الامر وظل ملازما لهند حتى تمت كل الطقوس التى تعود
الناس أن يقوموا بها بعد الوفاة .

وبعد أن مرت الأيام الثلاثة التى تتقاطر فيها السيدات الى بيت انعزاء
تحرى أن ينفرد بهند :

- ماذا أنت صانعة ؟ ..

- لا شيء .. أحسب أننى سأعود الى بيت أبى ..

- طبعاً ولكنك هناك كيف ستعيشين ؟ ..

- على أبى أن يقوم بشأنى ..

- أعلم ذاك أيضاً فهذا واجبه ولكن

- أعرف كل ما وراء لكن ..

- حامد لم يترك لك شيئاً طبعاً ..

- من أين ؟ أنت تعلم أنه كان مدرساً فى أول حياته ، وكان المرتب
لا يكاد يفي بمطالبنا ..

- اسمعى يا هند ! ربما لم تتح لنا الأيام أن نلتقى كثيراً ، ولكننى
أعرف عنك من والدتك كل شيء .. ولك أن تتأكدى أنك ستجدين فى بيت
أبيك كل ما تحتاجين إليه ..

- كيف عرفت ذلك ؟ ..

- أنت ابنة خالة وداد .. وفى مكان الخالة لأولادى .. وتأكدى
أننى لو لم أكن واثقاً مما أقوله لما قلتها ..

- أكاد أفهم ولكن لا أريد أن أفهم .. لأننى اذا فهمت ربما تأخذنى
العزة ، وربما فعلت ما لا ينبغي لى أن أفعل ..

- اذن يحسن بك ألا تفهمى .. كل ما عليك أن تطمئنى .

وذهب من فوره الى بيت داود الدمراوى .. وكما توقع لم يجد الأب
هناك ووجد الأم .. وعاجلته رحيمه :

– هل سيارتك معك ؟ أريد أن أذهب لهند وآتى بها ..
– ستذهبين وستأتين بها ، فقط انتظرى قليلا لنتحدث .. فى أيام
لم أحدثك ..

– أرايت يا صابر ما أصابنا .. مصيبة كبيرة يابنى يا صابر ..
البنات ما زالت صغيرة .. وكالقمر .. تصبح أرمل وهى فى هذه السن !
وماذا ستفعل .. وكيف ؟ ..

وقاطعها صابر فى حزم :

– يا خالتي رحيمه أسكتى ..

وفوجئت رحيمه يرتسم على محياها وجوم ذاهل ، وأكمل هو :
– للمرة الأولى وربما الأخيرة أريدك أن تسمعى بدلا من أن تتكلمى ..
وللمرة الأولى وربما الأخيرة سأتكلم انا ..

وظلت على ذهولها وأكمل هو منتهزا فريضة صمتها :

– عم داود ليس صغيرا فى السن والمرض بجهد ، وما يكسبه من
الدروس الخصوصية لا يكاد يفى بثمان أدويته .. وأنا أعلم أنكم فى ضائقة
وأن وجود هند معكم سيزيد هذه الضائقة احكاما .. أمسكى هذا المبلغ ..
سأقدم اليك كل شهر مثله ، بشرط واحد ألا تعرف خالتي ألفت شيئا ،
ولا تعرف هند شيئا ، ولا يعرف عم داود أيضا شيئا .. وإذا احتجت
الى أكثر منه أثناء الشهر ما عليك الا أن تطلبى منى .. فانا أعرف أنك
تعتبريننى مثل ابنك ، وسيظل هذا الأمر سرا بيننا الى أن يقضى الله أمرا
كان مفعولا ..

وإزداد ذهول رحيمه وحاولت أن تفتح فمها ، ولكنه عاجلها :

– ولا كلمة ..

وأخيرا قالت بلسان غير ثابت وبدموع جاربه :

– يابنى لأول مرة لا أجد شيئا أقوله .. الا كلمة واحدة سأقولها
وأصمت : رسع الله عليك وأكرمك فى نفسك وفى أبنائك !
– هيا بنا ..
– هيا ..

(٢)

فى ذكاء شديد كان صابر يحرص غاية الحرص على أن يترك عبد الغنى وعبد الودود فى القرية ويذهب هو الى القاهرة ، ويترك لهما حرية التصرف وهو يرقبهما من بعيد يميز ما يميز من تصرفاتهما ويرفض ما يرفض دون أن يشعر واحدا منهما أنه يرفض تصرفه . بل هو يعالج الأمر فى كياسة وتلطف حتى لا يجرح صاحب الراى أمام أهل البلدة . .

وفى يوم من هذه الأيام التى انفرد فيها الشابان الصغيران بالأمر لغياب والدهما ، قصد الى عبد الغنى ناظر الزراعة هنداوى فراج ومعه سعدان الدهموشى مقال تطهير المصارف وقال هنداوى :

- هل ترك البك معك حق سعدان يا عبد الغنى بك ؟

- نعم . .

- لقد انتهى من تطهير المصارف . .

- لقد مرت عليها ورأيتها ؟ . .

- مصرفا مصرفا . .

- وهل تظن أنى أصدقك ؟ . .

- ان لم أكن محل ثقة ما استخدمنى جدك ، وما أبقى على أبوك . .

- نعم . . نعم . . أعرف هذا الموال . . ولكننى غير أبى وجدى . .

- بالتأكيد يا عبد الغنى بك ، أنت غير أبيك وجدك . .

وتدخل عبد الودود فى الحديث محتدا :

- ماذا تقصد بهذا يا عم هنداوى ؟

- لم يعد هناك داع لكلمة عم هذه . . فانك أنت وعبد الغنى بك

نسيتما أيام كنت أحملكما على كتفى ونسرح فى الغيط ، ونشوى الذرة وتأكلانه . .

- وهل معنى هذا أن تأكلنا ؟ . .

- أنا يا عبد الودود آكلكم !؟

- عبد الودود هكذا بلا حياء . .

- لقد كبر الرجل يا عبد الودود ولم يعد يفهم . .

- جاد خيرك يا عبد الغنى أنت وأخوك .. سلام عليكم ..
وانتتر عبد الغنى غاضبا :
– سلام عليكم الى أين ؟
– الى بيتي ولكم أب أرد عليه .. ان كان هذا يعجبه يكون لنا كلام آخر .
– ألا يعجبك أنت ؟ ..
– لا يعجبني .. ولا يعجب أحدا يعرف معنى احترام الصغير للكبير .. سلام عليكم ..
– وفلوس سعدان ؟
– سعدان عندك والمصارف عندك ، افعل ما تريد ..
وصاح سعدان :
– انتظر يا عم هنداوى خذنى معك .. ان الله الغنى عن الفلوس ان كنت سأخذها من البهوات .. خذنى معك ..
وخرج الاثنان وقال عبد الغنى :
– رأيت أن أبى يدير الأرض بضعف شديد .. وهذا الرجل والذين يساعدونه يأكلون أبى أكلا ..
– انه ليس له عمل الا عبادة الله .. أما الأرض فهو لا يهتم بها ويتركها لهؤلاء اللصوص ..
– لو تركها لنا لجعلنا دخلنا من الأرض عشرة أضعاف انتاجها الآن ..
– على كل حال أين ستذهب الأرض انها لنا آخر الامر .
– مت يا حمار .. ان أبى ما زال صغيرا .. هل سننظر حتى تصبح الأرض ملكنا ؟
– ويملك ماذا تريد أن تفعل ؟
– لا .. ليس الى هذا الحد .. وانما علينا أن نراقب نحن الأرض ونحاول ابعاد اللصوص عنها ، ونطلب الى أبينا أن ينشغل هو بالعبادة والتفرغ للفروض والسنن ..
– وهل يقبل ؟

- نسائيه .
- واذا رفض ؟
- نسكت بعض الوقت ثم نعاود الكرة

(٤)

مر أكثر من عام على موت حامد ، والمرتب الذى فرضه صابر على نفسه لم ينقطع يوما عن يد رحيمة . . وكان صابر يتحرى أن يذهب الى بيت داود أفندى فى الأوقات التى يكون وانقا فيها أنه سيجد داود خارج المنزل ، وأن حماته ليست فى زيارة لأختها . .

وكان يدخل فتستقبله رحيمة ومعها هند . . وفى ذكاء متفق عليه تقوم هند لتعد له القهوة ويسلم هو الطرف الى رحيمة . . وحين تعود هند بالقهوة يبدأ الحديث وأغلبه طبعاً للست رحيمة ولكن الحديث الطويل الطريف الضاحك لم يستطع أن يمنع نظرات أن تلتقى حاجات وخيول وابتسامات شفاه مختلصة أن تتشابك فى حوار عالمى طويل ، ربما كان جديداً على صابر وربما كان جديداً على هند ولكنه باليقين وانقطع ليس جديداً على البشرية منذ أكل آدم تفاحة حواء . . وان يكن صابر قد تزوج وداد بعد حب ، الا أنه كان يصارحياً بحبه ، وما كان فى حاجة أن يختلس النظرة أو الخلجة أو الابتسامة . .

وان تكن هند قد تزوجت من حامد . . فانها لم تكن تدرى ما الحب معه . فقد تزوجها لأنه تعرف الى أبيها فى المدرسة . وعرف أن لديه ابنة جميلة من الزملاء .

وكان صابر يحرص ألا يجعل زيارته مرة كل شهر ، مدعياً أنه ينبغي أن يزور فى الشهر مرات حتى لا تعرف هند أنه يقدم اليها معونة . . ويحاول صابر فى جهد جهيد أن يخفى عن نفسه أنه يحب . ويحاول أن يرفض هذا الحب مدعياً أنه ينبغي ألا يتزوج بعد أن فقد زوجته وهواه . . ويحاول أن يقنع نفسه بأن هند هى أيضاً ربما ترفض الزواج بعد فقد زوجها . .

وتنماع الحجج التى يسوقها لنفسه والتى يتوهمها لهند . . ويفرض الحب نفسه وتفرض البشرية نفسها . . فعندها لا فارق بين عابد وغير

عابد ، فكلهم عند مطالبها بشر ، وكأهم ٠٠ وكلهم ٠٠ عليهم أن يخضعوا لبشريتهم ولهم أن يختاروا طريق الخضوع ٠٠ منهم من يختاره فى خفاء عن عيون الناس وفى معصية لشرائع السماء ، ومنهم من يختاره فى عريضة بوهيمية ٠٠ ومنهم من يختاره بالطريق المشروع فى نزاهة وشرف ووضوح ٠٠

ذهب صابر فى ذلك اليوم الى بيت داود ٠٠ واستقبلته رحيمة وعلى ملامحها معالج جد غريبة على وجهها ٠٠ واستقبلته هند وفى محياها وجوم لم يره على محياها منذ شهر ٠٠

وذهبت هند الى القهوة المزعومة ، وسارعت رحيمة تقول :

- ياسى صابر ٠٠ هند جاءها عريس ٠٠

ونزل عليه الخبر فى مفاجأة وعجب ، وفكر قليلا ثم ما لبثت نفسه أن عادت الى رشدها . وما العجب أن أفكارك وتخيلاتك لا تستطيع أن تفرض نفسها على الناس ، وما دمت أنت لم تتقدم فأى عجيبة أن يتقدم غيرك . وما دامت رحيمة تنهى اليه خبر العريس وما دامت هند واجمة ٠٠

- انى أخطب اليك هند وأباغى داود أفندى ، ومستعد للزواج فوراً ٠٠

وانسىل ما كان معقدا على وجه رحيمة :

- هل أنت جاد !

- وهل فى هذا هنزل ؟

- وأختى ٠٠ أظننا توافق ؟ ٠٠

- من المؤكد أنها ستوافق ٠٠ فأى أم لولدى خير من هند ؟

- نعم ٠٠ ستوافق على بركة الله .

ودخلت هند بالقهوة وعاجلتها أمها :

- ارجعى بالقهوة وهات الشربات لعريسك ٠٠

وابتسمت هند وأطرقت فى خجل لا صنعة فيه ، وعادت لتأتى بالشربات ٠٠

الآن سار الأمر فى طريقه الصحيح ٠٠

(٥)

قال لولديه :

• انى سأتزوج

وقال عبد الغنى :

• ألم تكبر على الزواج ؟

• من تقصد بالكبر • أتقصدنى أم تقصد نفسك وأخاك ؟

• أقصد الجميع •

• أما عنى فكثيرون تزوجوا لأول مرة وهم فى مثل سنى • أما عنكما

فلو كنت تزوجت وأتتما صغيران لقييل لكما أتى لكما بامرأة أب تعذبكما ••

فاذا انتظرت حتى تصبحا شابين يستطيع كل منكما أن يقوم بشأن نفسه

قلت انكما كبرتما •• وقال عبد الودود :

• والخلاصة ؟ ••

• الخلاصة أننى سأتزوج وضميرى مستريح •• والخلاصة يا قليل

الأدب أن على الانسان فى هذه الحياة أن يرضى ربه ويرضى ضميره ويتوكل

على الله •• ومن يرض بعد ذلك فليرض ، ومن يغضب فليغضب •• اغربا

عن وجهى •

وفى استخذاء خرج الابنسان حتى اذا أمنا العيون والآذان قال

عبد الغنى :

• فليتزوج ألف مرة المهم ألا يأتى لنا بأبناء يشاركوننا فى الأرض

والثروة •

وقال عبد الودود :

• ما دام سيتزوج ، فالطبيعى أن يأتى بأولاد •

• طيب فليأت هو بهم وسترى ماذا أنا فاعل ••

• وماذا يمكن أن تفعل ؟

• كل شىء بأوانه •

• ألا أعرف ؟

• وهل سيعرف الا أنت •• سترى ••

تزوج صابر بهند .. وحين دخل بها طالعته مفاجأة عجب لها كل

العجب .

- كيف ذاك ؟

- وماذا كان يمكن أن أفعل ؟ ..

- لقد عشيت معه ست سنوات .

- هذا حظي ...

- لماذا لم تقولي لامك ؟

- أمي لا وقت عندها أن تسمع شيئا ، وخاصة إذا كانت الأخيار

التي ستسمعها غير سعيدة ..

- أتعنين أنه لم يقترب منك ..

- رحمة الله عليه ، قبلتني يوم الدخلة وأفضى الى بالحقيقة ..

- ولماذا قبلت ؟

- خجلت .

- أي سنوات عشيتها !!

- قلت في نفسي هذا حظي المتسوم ، وعلى أن أحتمل ..

- وهو كيف قبل ؟

- كان يريد أن يبدو أمام الناس رجلا ..

- على حسابك ؟

- المهم أنه أمام الناس زوج .

- ومن أجل هذا يفرض عليك رهينة ، الله يعلم الى متى كانت ستظل

مفروضة عليك .

- رحمه الله !

- ولكنك حزنت لأجله .. نعم حزنت .. أنا أعرف الحزن حين

أراه ..

- عشرة لا تهون .. ومات صغيرا ..

- ولكنه كان قد فرض عليك الظلم .

- كان يحسن معاملتي ..

- هل بشر هذا الذي أراه فيك .. أم نوع من الملائكية لا تعرفه

البشرية ؟

- ت بل انسانة .
- فى أعلى مراتب الانسانية .
 - لا تبالغ .
 - بل انى مقصر فى الوصف .
 - أكنت تعرفين أنه مريض ؟
 - لقد مرض ومات فى ثمان وأربعين ساعة ، كان قبلها فى أتم صحة وعافية . بل اننى لا أذكر أنه مرض مرضا يستحق أن يطلب من أجله اجازة طوال سنوات زواجنا .
 - كم تعذبت !
 - وحيدى ولا يدري أحد .
 - كنت أرى فى عينيك أسى ووحدة وألما دفيناً .
 - ولكن أمى لم تر من ذلك شيئاً .
 - أمك عنده شخصية فريدة فى نوعها .
 - لو رأيت كم كانت تلج على أن أذهب الى الأطباء ليعرفوا السبب فى عدم انجابى لدهشت .
 - وماذا كنت تقولين لها ؟
 - أقول لها الله هو الرازق اتركها على الله . وطبعاً لم أذهب الى طبيب .
 - وهى ألم يدهشها اصرارك على الرفض ؟
 - كانت تفرغ دهشتها بأن تروى أمرى للناس وتجعل من حكايتى موضوع حديثها .
 - نعم أنت محقة . طالما سمعته منها .
 - وكانت تأتى الى بالوصفات والأحجية .
 - وتعتقد انها قامت بواجبها .
 - هكذا هى .
 - أنت عظيمة يا هند .
 - لعل الله أن يكرمنى بك .
 - أعدك أنك لن ترى منى الا ما يرضيك .

- وأنا أعرف صدقك عندما تعد .. بل أنت صادق في كل ما تقول
أو تفعل ..

- ان الصدق عبء ثقيل .. أعانني الله عليه ! ..

- سيعينك ان شاء الله

- الآن عرفت أنني أثير عند ربي .. فان الانسان يكون في قمة
السعادة اذا وهبه الله زوجة سالحة .. وها هو ذا سبحانه يهب لي زوجتين
صالحتين ..

- رحم الله وداد ! .. كانت سالحة ..

- وأنت سالحة وصابرة ، وفيك ملائكية لا أعرف أن احدا من
النساء تقاربك فيها ..

- أنت تبالغ ..

- أكرمك الله كما أكرمت زوجك الأول وكما سترت عليه ..

- سيكرمني بك ان شاء الله ..

(٦)

التحق عبد الغنى بكلية الزراعة ولحق به عبد الودود في العام التالي .
وبعد أن كان سيرهما في الدراسة من ذلك النوع المتوسط الذي لا نبوغ
فيه ولا نكوص ، فكلاهما لم يسقط ولكن نجاحهما دائماً كان نجاحاً غير
مرموق .. اذا بهما كلاهما ينبغان في الزراعة نبوغاً يدعو الى دهشة من
يراقبهما .. وأدرك الأب من هذا النبوغ المفاجيء ، ومن شواهد أخرى
كثيرة أنهما يتعجلان التحكم في الأرض تحكما كاملاً . وان كان كل الآباء
يسعدون بأن يصبح أبناؤهم نبغاء .. فان شيئاً كالغصة كان يجمع الفرح
في نفس صابر .. فما أحب اليه أن تكون الأرض عزيزة عند ابنه ..
ولكن ما أشد كراهيته أن تصبح الأرض هي العزيز الوحيد عند ولديه ،
فقد كان المال عنده وسيلة ليعيش كريماً على نفسه وعلى أسرته وعلى الناس .
ولم يكن المال عنده في يوم من الأيام غاية في ذاته ..

وباقتراب صابر من رحاب الله أصبح ذا نفس شفاقة ترى ما لا يراه

سائر الناس ، وبتنوع من الروحانية التي لا يعرف البشر مآثها كان يحس.
بمواطن الخطر المتخفي وراء أستار الطمانينة والبشريات ..

كان الأخوان لا يفترقان الا اذا ذهب كل منهما الى محاضرتنه ، ثم هما:
متلازمان في الكلية وفي البيت وفي القرية .

بعد شهرين من زواج صابر بهند بدأت أعراض الحمل .. وجاء.
الطفل في موعده المقدر مشرقا اشراقا لم يعهدها صابر في ولديه ..

- ماذا سنسميه ؟

- كنت أرجو أن يكون لابنى أخت ، أستحضر أسماء البنات.
لا البنين ..

- أغضبت أن جئت لك بولد ثالث ؟ ..

- أيفضب أحد من مجيء ولد ؟ فكيف بمؤمن بالله ايماني .. وكيف.
اذا كان الغلام بهذا الاشراق ؟ .. ان النور يبه من ينظر الى مهده ..

- فماذا نسميه ؟

- أرى أنك تضميرين له اسما ..

- كان يدرس لى فى المدرسة شيخ طاهر وضىء السميت والضمير
كنت أشعر بالسعادة كلما رأيتنه ، وكنت أحرص دائما أن أقبل يده فى كل
صباح .. وكان أملى أن يهب الله لى غلاما وأسميه باسمه ..

- صديق اذن ؟

- أتعرفه ؟

- طالما ذكرته لى ونحن نسمر .. هل نسيت ؟

- كانت أحاديث عابرة .

- اسمعى ! لقد كنت أنوى أن أسميه صديق ، ولكنى أردتاك أنت
أن تسميه .. فقد خشيت فى نفسى أن يكون حبك للشيخ من قبيل التبرك
والاعجاب فقط ، وليس لدرجة أن تسمى ابنك الأول على اسمه ..

.. هذا أملى .

.. وليكن صديقا على بركة الله ..

وقال عبد الغنى :

.. اذن فقد أنجب الشيخ الزاهد .

وقال عبد الودود :

.. أليس من الطبيعي أن تلد الزوجة لزوجها ؟ ..

.. أنت غيبى .

.. أى غباء فى أن يتزوج اثنان فتلد الزوجة .. أو لم تكن تعلم
أنها ستنجب منذ عرفت أنها حامل ؟ ..

.. كنت أعرف طبعاً ، وكم صليت ورجوت الله ألا تكمل حملها ..

.. وأى سر فيك يجعل دعائك عند الله مجاباً ؟

.. وها هو ذا لم يستجب ، ولكنك أيضاً غيبى ما تزال ..

.. أنا موافق ، فقط أخبرنى فيم غباتى ؟

.. ألا تدرى أن هذا الولد سيجعل ميراثنا ينقص بمقدار الثلث ، غير
نصيب الثمن الذى ستحظى به عند هانم اذا عاشت بعد أبى ..

.. أمن أجل هذا ترانى غيبياً ؟ ..

.. طبعاً .

.. ولكن النتيجة التى وصلت اليها لا تحتاج الى أى ذكاء ، فما دام
قد أنجب فلا بد أن يرث ابنه ..

.. هذا اذا عاش الابن ..

.. وفزع عبد الودود فزعا شديداً .

.. ماذا تقول !؟

.. ألم تسمع ؟

.. فقط أتعجب .

.. الموت متى ؟

- على كل البشر .. ماذا الذى جعلك واثقا أننا سنعيش بعد موت
أبينا ؟ ..
- سنة الحياة ..
- وهل سارت الحياة دائما على هذه السنة ؟ ..
- الاستثناء لا يقاس عليه ..
- ألم تقدر أننا قد نرث ثم لا يكون لنا بنين أو بنات ، فيرث صديق
كل ما نملك ؟ انه أصغر منّا بسنوات طويلة .. انه ولد ونحن فى
الجامعة فمن طبيعة سنة الحياة أن نموت قبله ..
- من الذى يشكل الحياة ؟
- الميلاد والموت لا يشكلهما الا الله .
- أما الميلاد فنعمة .. أما الموت ..
- أتريد أن تشارك الله فى ملكوته ؟ ..
- أذافع عن حقي .
- ولكنه حق صديق أيضا .
- من قال له يأتى ونحن فى هذه السن ؟
- اذن لو كنت تكبرنا بعشر سنوات لقتلتنى !؟
- الأمر مختلف .. لقد تعودت وجودك واستقر فى ذهنى أن ليس
لابينا وارث الا أنا وأنت ..
- ولكن الأمر تغير .
- تغيره مرة أخرى .
- كيف ؟
- سترى ..

حرص صابر أن يبقى صديق فى غرفة نومه منذ مولده .. وأمر هند
أمرا صارما ألا تفارقه لحظة .. ألم أقل لك انه قريب من الساحة الربانية ؟ ..

(٧)

بلغ صديق الخامسة من عمره ، وكان قريبا كل القرب من أبيه يكاد لا يتركه لحظة من حياته . بل انه كان يصحبه كلما خرج لزيارة أصدقائه . . . ودون أن يدري جعل صديق لا يمزف ساحة اللعب التي يهفو اليها الأطفال . فهو أغلب وقته مع أصدقاء أبيه في مجالس الكبار .

ولكنه طفل . . . وللطفل رغبته العارمة في اللهو والمرح . . . وأدركت هند ما يصبو اليه طفلها . . .

- يا صابر ألا تترك صديق يلعب مع الأطفال . . .

- هل شكاك اليك ؟

- هو لا يحتاج الى الشكوى .

- سيدخل المدرسة هذا العام .

- وهذا العن . . . ينتقل من الجلوس الى الكبار ليجالس الى الدرس

والمدرس . . .

- افعل ما شئت . . .

- اتركه لي قليلا .

- ما تزين .

وحاولت هند أن تنشئ له علاقات مع أطفال من سنه . . . وبدأ صديق يعرف لهو الطفولة . . . ولكن لم يك . . . فما أسرع ما لفته المدرسة . . . وبدأ ينتظم فيها . . .

ويشاء باريء النفوس أن تكون صحبة صابر لصديق نعمة له أي نعمة . . . فقد وجد صديق نفسه في المدرسة متقدما يستمتع بالدرس الذي يضيق به جميع الأطفال ، ووجد نفسه في فناء المدرسة محبوبا من اخوان ملعبه يجدون فيه وقار لا يتسنى لأحد منهم . ودون أن يشعر هو أو يشعر زملاؤه أصبح زعيم الأطفال وقبيلتهم . . . كلمته بينهم مسموعة مستجابة . . . فلا خلاف ينشب الا قضى عليه صديق . وزاده بينهم مكانة تفوقه المذهل في الدراسة ، وكان مجرد سماعه للدرس يجعله يحفظه وكأنه قرأه عشرات المرات .

ومرت سنة دراسية وانتقل بيت صابر الى القرية .. وما ان يستقر بهم المقام حتى يقول عبد الغنى لأبيه وهم جلوس الى مائدة الغداء :

- بابا .. نريد أن نذهب الى المصيف ..

ويصمت صابر قليلا ويقلب الأمر في ذهنه :

- ما المانع ؟ .. فكرة وجيئة .

وتقول هند :

- أي والله لماذا لا ؟

ويقول صابر :

- أتفكر في مصيف خاص يا باشمهندس ؟ ..

- باشمهندس مرة واحدة !

- ألم تتخرج في الزراعة وأصبح لقبك المهندس الزراعي ؟

- والله أنا أفكر في الاسكندرية .. ما رأيك أنت يا باشمهندس عبد الودود ؟

ويضحك عبد الودود وينظر لأبيه :

- أنا أوافق على أي مصيف .

ويقول صابر :

- ما رأيكم في رأس البر ؟

ويقول عبد الغنى :

- لماذا اخترت رأس البر ؟

ويقول صابر :

- مصيف هادي ، ولا أخشى على أخيكم صديق ..

وفي رأس البر يحاول عبد الغنى أن ينفرد بصديق في البحر فتضيق عليه المسالك .. ويقطع أبوه عليه كل تدبير دون قصد فهو معيم دائما ، وهو حريص كل الحرص أن يكون صديق في ذراعه .. وقد عن له منذ اللحظة الأولى لنزولهم الى البحر أن يعلمه العوم .. ولكن عبد الغنى يقول له :

- يا بابا هذا العوم يصلح لترعة البلد ولا يصلح للبحر الأبيض المتوسط ..

ويضحك صابر وهو يقول :

- أليس كله عوم يا باشمهندس ؟

- لا ، هناك العوم الذى يجعل الانسان طافيا ، وهناك العوم المبنى على قواعد وأصول .

- أتعرف أنت هذا العوم ؟

- تعلمته فى الكلية على يد مدرين .

- أتريد أنت أن تعلم أخاك ؟

- بلهيا ، اذا علمته أنا سيكون هناك فارق كبير بين تعليمي وتعليم سعادتك ، مع احترامى الشديد ..

- ولكنى أرفض أن أشغلك بهذا ، وأنت قادم هنا للمتعة .

- انها متعة لى أن أعلم أخى ..

- لا أظن .. وعلى كل حال سأفكر فى الامر ..

وكان صابر وهند يصحبان صديق الى الشاطئ كل يوم ، بعد أن يتناولوا الغداء ويصحبوا نومة القيلولة .. وكان عبد الغنى وعبد الودود يقصدان الى الجانب الآخر من رأس البر على النيل حيث الفنادق ذات الجلسات المرحية .. حيث يجمع النيل على ضفته الشباب والشيوخ .. أما الشيوخ فيلعبون الترد أو الضمنه ، أو يسمررون مكثفين من الجمال بالنظر .. أما الشباب فيمرح ما شاء له المرح فى الأضواء المتلألئة من الكهرباء ، ومن الهواء ومن الهوى ، ومن شلالات السنين الخضرة التى تريد أن تستوعب الحياة كلها فى لحظة من عمر الزمن ..

وبعد ذلك الحديث عن العوم كان صابر يجلس على الشاطئ مع صديق وهند ، وكانت هند تشعر أن صديق مظلوم معها فى جلستهما هذه وكانت تفكر . ولم يطل بها التفكير فقد رأت أطفالا فى مثل عمره يلعبون الكرة ، وفكرت كيف تستطيع أن تجعله يشاركهم اللعب دون أن تفرضه عليهم فرضا .

استأذنت زوجها :

- صابر .. سأغيب عنك بعض دقائق ..

- الى أين ؟

- ستعرف .

- مفاجأة ؟

- ربما .

- أمرك .

وانصرفت ، وخلا صابر بنفسه لا يجد ما يقوله لصديق كما لم يجد صديق ما يقوله لأبيه . ودون قصد وجد صابر نفسه يفكر فيما قاله عبد الغنى عن تعليم العوم .

ليس من حقى أن أحرم عبد الغنى من متعة العوم مع أخيه وصحبه لاجعله يعلم أخاه العوم . قد يطيق هذا يوما أو يومين ثم يضيق بالأمر . ولكن عبد الغنى محق فى أن صديق يجب أن يتعلم العوم على أسسه الصحيحة وليس بطريقة عوم الترع التى تعلمت أنا بها . هذا البحار لابد أنه يتقن العوم .

- يا حجاج .

وجاء البحار حارس الشاطئ :

- تحت أمرك يا بك !

- ما اسمك ؟

- مهدى الحوت .

- حوت مرة واحدة ؟

- أسماء يا بك ، عائلتنا اسمها هائلة الحوت من دمياط من قبل .

أن يأتى إليها نابليون .

- يا مرحبا يا عم مهدى .

- مرحبا بك يا سعادة البك . أظن سعادتك أول مرة تشرفنا

يا صابر بك .

- أتعرف اسمى ؟

- واسم أبيك ولا مؤاخذة . وبلدك وكل شىء عنك .

- كيف ؟

- منذ استأجرت للاصطياف هنا عرفنا كل شىء عنك .

ودهش صابر غاية الدهشة :

- مخابرات ؟
- أبدا يا بك ، فقط نريد أن نعرف مع من سنتعامل في موسمنا ؟
- مشهورون أنتم بالذكاء يا أهل دمياط .
- هذا من ذوقك يا صابر بك .
- قل لي يا مهدى .
- تحت أمرك .
- أنت حوت فعلا أم هو اسم فقط ؟
- هذا يتوقف عما تقصد بالحوت .
- وماذا يمكن أن أقصد ؟
- ان كنت تعنى أننى جشع ، أو أننى أبتلع الأسماك الأخرى فأنا
لست حوتا . .
- وضحك صابر حتى أغرورقت عيناه بالدموع وقال :
- بل أقصد هل أنت حوت فى العوم أم لا ؟
- آه من هذه الناحية أنا - والحمد لله - أعظم من الحوت . . تعلمت .
- العوم قبل أن أتعلم المشى . . ونحن يا بك لا نعين هنا الا بعد اختبارات
دقيقة . .
- عظيم ؟ اننا سنصبح أصدقاء أيها الحوت العظيم .
- تحت أمرك .
- أريد أن تعلمنى وتعلم ابنى هذا العوم .
- من عيني الاثنين . .
- نبدأ من الغد .
- ومن الآن اذا أردت . .
- غدا نبدأ .
- يحسن أن يكون هذا فى باكر الصباح ، حتى لا يكون البحر مليئا
بالمصطافين .
- البركة فى البكور . . أنا وابنى نصلى الفجر حاضرا والحمد لله . .
- اذن نأتى اليك فى السابعة . .
- على بركة الله .

وانصرف مهدي ، وما هي الا دقائق حتى أقبلت هند في يدها كرة
غاية في الأناقة أعطتها لصديق وقالت له :

- قسم فإلعب بهذه الكرة .
- وحدي يا نينا ؟
- أنا سألعب معك .
- وصاح صابر :
- وأنا أيضا .
- وفرح صديق وهو يقول :
- حقاً ؟

وقام ثلاثتهم . وما أن ظهرت الكرة تتألق على ضوء الشمس التي بدأت
تستعد للرحيل ، حتى تحلق الأطفال الآخرون حول صديق ووالديه .
وما هي الا لحظة من زمن حتى كان صابر وهند جالسين وكان الأطفال قد
أصبحوا أصدقاء ملعب وكانهم يعرفون بعضهم البعض منذ ولدوا . .

وأى شيء يمكن أن يحول بين الأطفال وبين الصداقة ؟ نفوس الجميع
منهم جديدة وضيئة صافية كأنها البللور . لا يطمع أحد منهم في الآخر
ولا يرجو واحد منهم عند الآخر غنيمة . . ولا تحقد نفس منهم على نفس .
أبرياء هم كالطهارة ، أنقياء كماء السحاب . أصفياء كالنور . متالقون
كالأمل . . خليجات الحياة هم ، وإشراق الدنيا لم يزحف عليها غيوم
الغروب .

تقدم مهدي الحوت الى صابر وهند وهو مبهور :

- ربنا يحميه ابنكم جماله ليس له مثل . .
- بارك الله فيك ا

- أنا لا أجمال . . أنا أشاهد آلاف الأطفال . . لم أر جمالا مثل
هذا الجمال . .

- فضل من الله .
 - الجمال موهبة من عند الرزاق الكريم . .
 - نحمده ونشكر فضله .
 - البنات من لحظة نزوله للعب يحطن به يكدن يأكلنه أكلا . .
- وتقول هند :

- يا راجل يا طيب انهن اطفال ..
– أى نعم ، ولكنهن بنات ويعرفن كيف يقدرن الجمال .. ربنا
يحميه ..
وانصرف عنهما وترك الأب سعيدا والام تتلو (قل أعوذ برب
الفلق) ..

(٨)

كان عبد الغنى وعبد الودود يمشيان على نيل رأس البر بغير هدف
ولا غاية .. وعن لعبد الغنى أن يجلسا الى مقهى يرقبان منها الغادين
والرائحين . أو ان شئت الدقة الغاديات والرائحات . وما كادا يجلسان
وقبل أن يرشفا الرشفة الأولى من زجاجة المياه الغازية ، حتى علا باسم
كل منهما صراخ فرحان التفتنا اليه فاذا هما ازاء زميلتيهما فى الدراسة
رنده الدجوى وبجانيتها فتاة تشبهها كل الشبه ، فاستنتج الأخوان فى
لحظة خاطفة أنها أختها ..

- عبد الغنى صابر وعبد الودود .. ماذا تصنعان هنا ؟ ..
– من نفسنا ، أليس لنا حق الفسحة مثلك ؟ .. اقعدى ..
– وما البأس ؟ تعالى يا هند أعرفك بالأخوين المتلازمين ..
– وصاح عبد الودود فى رنة اعجاب تخافت معها صوت عبد الغنى :
– أهلا ومرحبا ناهد هانم .
وفى تهريجها ما تزال صاحت رنده :

– هانم مرة واحدة .. قل مدموزيل يكون الكلام معقولا .. حضرته
يا سنى عبد الودود صابر الأخ الأصغر ، قدمته عن أخيه الأكبر لأجل خاطر
لقب هانم الذى أنعم به عليك .. وحضرته أخوه الأكبر عبد الغنى .. كل
منهما ظل الآخر ، لا ترين الواحد منهما الا ملاصقا للآخر .

وضحك عبد الغنى وهو يقول :

– وأنت ماذا يفضيك فى هذا ؟

– متى جئتم الى رأس البر ؟

- من يومين فقط .
- نحن جئنا بالأمس .. وهذا أول يوم لنا نتمشى على النيل ..
هل وجدت هنا أحدا من الاخوان ؟
- أنا مشيت هنا بالأمس فقط ، وكانت عيني تائهة لم أستطع أن
أتبين الوجوه .
- أنت وعبد الودود أول اثنين أعرفهما على النيل .. ماذا تنويان أن
تفعلا الليلة ؟ ..
- هل عندك أنت فكرة ؟
- هناك مركب ذاهبة الى الجربي وفيها بعض شبان ، وأنا وناهد
نريد أن نذهب ولكننا لا نستطيع أن نذهب وحدنا بلا رجل نعرفه ..
- ها قد وجدت رجلين .
- هل أنت متأكد ؟
- عمى فى عينك ، وهل ستجدين رجلا أحسن منى أو من أخى ؟
والسلام .. الموجود يسد .
- ويضحك عبد الودود فى مرح شديد .. ويقول له عبد الغنى :
- علام تضحك يا أهبل ؟ .. هل تعجبك قلة أدبها ؟ ..
- ويلتفت عبد الودود الى ناهد ويسألها :
- أنت يا مدموزيل ناهد ما رأيك .. هل نصلح أنا وأخى لمهمة
الصحبة هذه ؟ ..
- وتضحك ناهد فى جاذبية :
- رنده زميلتكم وهى التى تعرف .
- اذن فأنت موافقة على رأيها ..

وكانت ليلة من ليالى العمر .. كان ركاب المركب كلهم من الشباب ،
وأزال السن ما بينهم من غربة فأصبحوا كأنهم أصحاب عمر بأكمله ..
وحكم الراكبون على الفتيات أن تقوم بينهن مسابقة فى الرقص فازت فيها
ناهد بالمرتبة الأولى . وكان القمر واحدا من الرفقة قد غدت أضواؤه أوتار

الهورى فى الصدور • وعلت الموسيقى أحيانا ، والضحك والسرور كانا
صاحبى السيادة على الليلة جميعها •

تكررت اللقاءات وبدأت الرغبات فى نفس عبد الغنى وعبد الودود
تحتدم • ولكن الفتاتين رفضتا الا أن يكون الشرع هو الرباط بينهم •

– وما له ؟

– هل تتزوج ؟

– تخرجنا ومن الطبيعى أن نتزوج ، فما البأس ؟

– ألا ترى أن الفتاتين متحررتان أكثر من اللازم ؟

– وأرى أيضا أنهما شريفتان •

– لا شك •• وكل الفتيات متحررات •• وحسبنا أننا واثقان من

شرفهما •

– هل عرفت شيئا عن أيهما ؟

– عرفت القليل ، انما من الواضح أنه ميسور الحال والا لما استأجر

شقة للمصيف طوال فترة الصيف •• وأنت ترى أن الفتاتين تلبسان

أفخر الثياب ••

– ألا يهملك شيء الا المال يا عبد الغنى ؟

– وهل هناك ما هو أهم منه ؟ ••

– ولكنك فيما اعتقد لم تات الى رأس البر لتتزوج •

– الولد صديق ملازم لأبينا •• وجاءنا أيضا الحوت فعلمه العوم

على أصوله ••

– هل يثست ؟

– من رأس البر نعم •

– ولكنك لم تعدل عن فكرتك •

– هيهات •• ها نحن هذان سنتزوج وسننجب أطفالا طيبا

– هل أنت واثق ؟

– هذا هو الطبيعى ، من يتزوج ينجب غالبا •

- فلماذا تنكر هذا الخلق على أبينا ؟
- لانه أبونا .
- أهذا ذنبيه ؟
- هذا قدره .
- المهم سبتكلم أنت أبى أم اكلمه أنا ؟
- نكلمه معا .
- على بركة الله .

وأقام صابر لولديه فرحا باذخا ، واستأجر لكل منهما شقة بعمارة واحدة حتى يظلا متلازمين كما تعودا طوال حياتهما ، وأتاح لهما فرصة أوسع في ادارة الأرض وان لم يترك لهما الأمر جميعه .
• زحلا البيت بهند وصابر وصديق .

(٩)

بدأ عبد الغنى ينهج نهجا جديدا نحو أخيه صديق دهش له صابر بعض الدهشة ، ولكنه فرح به كل الفرح .
صار عبد الغنى يعنى عناية فائقة بشأن صديق . . . ويذهب الى مدرسته في فترات متقاربة ويبلغ أباه بسعادة مقدار تفوق صديق ، واعجاب المدرسة به من ناظر الى أساتذة الى تلاميذ . وشارك عبد الودود في هذه العناية مشاركة غير خافية ، وطن صابر في براءته وهند في نقائها أن الكبيرين يرعيان أخاهما الأصغر شكرا لما هياه لهما أبوهما من حياة زوجية مستقرة وبيت سعيد لكل منهما .

وحين حاول الأب أن يتعمق في الأمر . . . لعلهما الآن يحسان باقترابهما من الأبوة ، وربما راوحت نفسيهما هذه العواطف فهزت حنايا الحب والأخوة مما نحو أخيهما الذى يكاد أن يكون منهما بمكان الابن أيضا .
وهكذا لم يكن غريبا أن يأتى عبد الغنى الى أبيه :

- اترك لى صديق أخرج به الى الدنيا .
- أخاف عليه .

- منى ؟
- من غيرك .
- سأخرج به أنا وعبد الودود وزوجتانا .
- أين تذهبون به ؟
- الى حيث يلعب هو نتسلى نحن .
- أين ؟
- الى الملاهي .
- الملاهي ؟
- مالها ، أليست للأطفال ؟
- اى نعم . ولكن ألعابها خطيرة .
- ونحن معه !!؟
- الآلات لا قلب لها . .
- ولكن قلوبنا معه .
- أخاف عليه .
- توكل على الله .

وصحب عبد الغنى صديق الى الملاهي وذهب معه عبدا الودود والزوجتان . وفى الملاهي اوكل عبد الغنى الى رنده وناهد أمر صديق . وجلس هو مع أخيه في مقهى الملاهي يقطعان الوقت بالحديث . . وسار صديق مع زوجتى أخويه وكانتا عنه لاهيتين . وانما هما تمران في شبه تأدية واجب ليس حبيبا على ألعاب الملاهي . وهو وراءهما لا يسألانه عما يجب أن يشترك فيه من ألعاب . وأحس صديق بالعطش فتسلى دون أن تحس به الاختان الى المقهى ورأى من بعيد أخويه منهمكين فى الحديث . فقصده الى داخل المقهى وطلب ماء . وحين هم بالخروج من الداخل سمع اسم صديق على لسان أخيه عبد الودود . فاقترب من أخويه دون أن يرياه وسمع عبد الغنى يقول :

- لا بد أن أنتهى منه اليوم . .
- يا أخى أجلها الى يوم آخر . .
- ان أبى لم يسمح لى باصطحابه الا بجهد شديد . فكيف أطمئن الى أنه سيسمح لى بذلك مرة أخرى . . أقتله اليوم .

- وماذا أنت قائل لأبيك ؟

- وقع .. مات ..

وارتعدت فرائص صديق ، وأيقن أن الحديث عنه فترجع عن مكانه
حذراً أن يراه واحد من أخويه .. حتى إذا اطمان أنه ابتعد عن المكان تلمس
طريقه الى خارج الملاهي يبحث لنفسه عن ملجأ من قاتليه ..

وداح يعدو يعبر الشارع المزدحم بالسيارات ، فإذا بسيارة تصدمه
ويغيب عن الوعي ..

نزل راكب السيارة وحمله ووضعته في المقعد الداخلي وأجلس زوجته
بجانبه . وانطلق بالسيارة قبل أن يتجمع الناس حوله ، وما لبثت السيدة
أن قالت :

- قلبه ينبض .. لا تخف .

- أليس به جروح ؟

- جرح بسيط بجبهته .

- أذهب الى المستشفى ؟

- لا داعي .. اذهب بنا الى البيت .. ما الداعي للمستشفى وس وج
.. الولد ليس به شيء ..

- هو الذي كان يجرى ..

- هل نحن في تحقيق ؟ .. اذهب الى البيت .

وقبل أن يصل الى البيت كان صديق قد أفاق من غشيته ، وتلفت
حواليه غير مصدق أنه نجا .. وسألته السيدة :

- الحمد لله على سلامتك .

- من حضرتك ؟

- سنتعرف كل شيء .

- والى أين نحن ذاهبون ؟

- الى بيتنا .

- بيتكم أنتم ؟

- نعم أم تحب أن نذهب بك الى بيتك ؟

- بيتي .. بيتي ..

- وتذكر صديق وتملكه الهلع ، وصاح فى عفوية وفى غير تدبر :

- أنا ليس لى بيت .

- كيف ؟ هل هناك أحد ليس له بيت ؟

فقال فى تلجلج :

- أقصد أننى لا أعرف بيتنا .

- ما اسمك ؟

ودون روية قال :

- صديق .

- واسم أهلك ؟

واسترد صديق وعيه وأدرك انه يحاول أن يهرب ، فسكت قليلا

وقال :

- ابراهيم .

- ابراهيم ماذا ؟

- لا أدرى .

- وأين تسكن ؟

- لا أدرى .

- كنت مع من فى الملاهى ؟

وأدركه الهلع وهو يتذكر ، ووجد نفسه يقول :

- كنت . . كنت وحدى .

- كيف ؟

- لا أدرى .

وأدرك الزوجان أن الطفل يخفى أمره فى اصرار . . وقالت الزوجة :

- أنت تأنى معنا الى البيت ثم نبحث الأمر . .

وهوم صمت . . وكان صديق لا يخشى شيئا قدر خشيته أن يعرفه

هذان الزوجان ويعيداه الى بيت أبيه ، فقد أصبح على ثقة أنه لن ينجو من

القتل ما دام أخواه يضمران هذه النية . . وثبت فى روعه أن أباه لن

يستطيع أن يحميه . بل ان الخوف صور اليه أن أباه قد لا يطول به

العمر . . وحينئذ من يحميه من هذين الأخوين ؟ . . كان صديق مذعورا

ملتاغا هالعا أسيفا فقد كان يحب أخويه غاية الحب . وهاله ما ظهر له
من دخيلة نفسيهما . .

تولاه صمت صاحب يفكر فيما ينتظره من قابل الأيام .
وبلفت السيارة منزلا قريبا من صحراء . . ونزل ثلاثهم . .
وراحت السيدة تضمد الجرح الصغير في جبهة صديق . . حتى اذا
هدأ روعه أو خيل الى الزوجين أن روعه هدأ سأله الزوج :

- أكل ما تعرفه أن اسمك صديق ابراهيم ؟

- أين تسكن ؟

- لا أعرف .

- أتذهب الى مدرسة ؟

- أذهب .

- أين تقع ؟

- لا أدري .

- يا ابني لقد أوقعتنا في حيرة بالغة .

وقالت الزوجة :

- نبقية عندنا بضعة أيام ونرى .

وقال الزوج :

- أنسيت أننا مسافران الى أوروبا الاسبوع القادم ؟

- من اليوم الى يوم السفر يحلها الذي لا تغفل له عين . .

- ألا ترين أن نبلغ الشرطة ؟

وقزع صديق صائحا :

- لا .

وعجب الزوجان وقال الزوج :

- لماذا تخاف من الشرطة يا صديق . . ؟

ولم يجد صديق ما يجيب به ، وعاد اليه الزوج يسأله :

- أين كنت قبل أن تصدمك السيارة ؟

- كنت . . كنت في الملاهي .

- وحدك ؟

وبعد تردد طويل قال :

– رخصة مع المدرسة .

– ولماذا تركت مدرستك ؟

– تهت . . . وكنت أبحث عنهم .

وتقول الزوجة :

– يا وجدى أنا خائفة . . . ولا بد أن نبلغ الشرطة .

وفى فزع صرخ صديق مرة أخرى :

– لا . . .

وتعجب وجدى وسأله :

– ما الذى يخيفك من الشرطة ؟

– لا أحب الشرطة . . .

– ألا تريد أن ترجع الى أهلك وأهلك ؟

وفى عفوية طفلة قال دون ريث من تفكير

– لا . . .

– أنت طبعا لا تعرف عنوان بيتكم . . .

وفى سرعة فائقة :

– لا . . .

– ولا الحى الذى تسكن فيه ؟

– لا . . .

والتفت وجدى الى زوجته :

– ان فى الأمر سرا . . .

وقالت الزوجة :

– عجيب أمر هذا الطفل . . . أنا لم أر فى حياتى طفلا فى مثل جماله .

يل اننى أعتقد أن الله لم يخلق طفلا على صورته . . . أبدا . . . كيف لا يضعه

أهله فى أعينهم ؟ . . .

وهوم صمت فيه حديث وضجيج وصراع ، وآمال ومخاوف ، وهلم

قاتل واعجاب أخاذ ، وتردد بين اقبال واحجام . . .

وقطع وجدى الصمت قائلا :

- خذى صديق الى حجرة نوم ليستريح قليلا ، وأنا سأذهب وأشتري له بعض ملابس بدلا من حلتته التي تمزقت فى الحادثة . .
- وفى ذكاء المرأة قالت الزوجة زهيرة :
- فيم تفكر يا وجدى ؟
- نتحدث بعد أن نعود .
- والتفتت زهيرة الى صديق :
- ألسنت جائعا يا صديق ؟ .
- وفى براءة وصدق :
- أكاد أموت من الجوع . .
- سأعد لك طعاما ، وادخل أنت الى الحمام أتعرف كيف تستحم . .
- أم أن والدتك هى التي كانت تتولى هذه المهمة ؟ . .
- وفى تردد تلجلج لسانه قائلا :
- بل . . بل . . أعرف .
- ولكن زهيرة أدركت تهيبه وقالت :
- تعال سأتولى أنا حمامك . . تعال .

(١٠)

صرخت الفرملة فى الملاهى جججما حين ضغط عليها وجدى فى محاولته لانقاذ صديق . . والتفتت الرؤوس جميعا الى مصدر الصوت . . وهرع عبد الغنى يلحق به عبد الودود الى الطريق العام . . ورأيا صديق ملقى على الأرض . وفجر عبد الودود فيه وأوشك دون ريث من تفكير أن يصيح بالاسم ، ولكن عبد الغنى عاجله بلكزة قوية فى صدره جعلت صيحته تتحول تلقائيا الى :

- آه . .

وهمس :

- ولا كلمة .

وشاهد الأخوان وجدى يحمل أخاهما ويضعه فى السيارة وينطلق.

قبل أن تتاح فرصة لرواد الملاهي وعابري السبيل أن يتجمعوا حول
الحادثة ..

وهسس عبد الودود :

– ألا نأخذ نمره السيارة ؟

وقال عبد الغنى :

– وماذا نصنع بها ؟ .. المسألة جاءت من عند ربنا .. الولد مات ..

لا شك في ذلك ..

– كيف عرفت ؟

– الذراعان الساقطان والرأس المائل .. الولد مات ، وهذا الذى

حمله فى السيارة سيحاول أن يدفنه فى أول تربة .. انها فرصة عمر أن

أحدا لم يعرفه ولا حاول أحد من الواقفين أن يكتب رقم السيارة .. سبحان

الله .. العبد فى التفكير والرب فى التدبير . جاءت من فوق ..

– ما كل هذه الثقة ؟

– أحسها من داخل .. أنا متأكد .

وجاءت الزوجتان تبحثن عن زوجيهما وأخييهما ، فطالعهما عبد الغنى

بالنبا فى محاولة هزيلة للتفجع :

– مات ..

– ماذا ؟ ..

– كيف ؟

وفى خبث اجرامى يحمل الزوجتين المسئولية .

– ألم يكن معكما .. لماذا تركتماه ؟

وقالت رنده :

– وهل تصورنا أن يتركنا ؟ كنا نتحدث ونحن التفت اليه لأعرض

عليه أن يلعب لعبة الجبل كان فص ملح وذاب ...

– وماذا أخرجه الى الشارع ؟

وقال عبد الغنى فى صوت عجز عن أن يجعله ملائما للمناسبة :

– قدره ..

وقال عبد الودود :

– وقدونا .

وفكر عبد الغنى قليلا ثم قال .

– نعم وقدونا . .

وغمر الذهول وجه الأختين ، وقفز الى ذهن أربعتهم فى لحظة واحدة
ما رددته رنده :

– ماذا نحن قائلون لعلى صابر ؟

وقالت ناهد :

– أنا ساقى لا تحملاننى . . تعالوا نجلس ونفكر .

وقصدوا أربعتهم الى المقهى . . وسكت عبد الغنى منتظرا رأيهم . .
وقال عبد الودود :

– غير معقول أن نذهب اليه ونقول له صديق مات .

وقالت ناهد :

– وماذا يمكن أن نقول ؟

قالت رنده :

– على كل حال لابد أن نقوم الآن الى قسم الشرطة ونبلغ .

وقال عبد الغنى :

– اذا لم نفعل نحن هذا سنكون مقصرين أمام أبينا . . وسيذهب
هو الى قسم الشرطة .

وقام عبد الغنى وهو يقول :

– هيا نذهب الى الشرطة بدلا من تضييع الوقت .

وفى قسم الشرطة تول عبد الغنى املاء البلاغ . . وكان البلاغ حاسما
فى تضليل كل من يحاول البحث عن أثر لصديق ، ولم يذكر شيئا عن
وثوقه من موته انما ذكر ما رأى ولم يذكر ما يظنه أو ما يرجوه . .

وخرج أربعتهم الى مواجهة الأب والأم الجازعين فى البيت ، وقد
حاصرتهم الحيرة لا يدريان ماذا يصنعان يتوجسان من التأخير فى هلع
بالغ . . وحين بلغ ركب عبد الغنى البيت وجد الأب والأم معا هما من يفتحان
الباب ، وكانت وجوه الأربعة تحمل الخبر القاتل فانهار صابر جالسا وصاحت
الأم فى لوعة :

- صديق .. صديق ..
ودخل الأربعة وأغلق الباب وقال عبد الغنى :
- ربنا وحده القادر على أن يلهمنا الصبر .
ودون وعي قال صابر :
- ماذا صنعتم يا بني يا عبد الغنى ؟
وقال عبد الغنى فى جزع :
- انه أخونا .
وأعاد الأب جملته :
- ماذا صنعتم يا بني يا عبد الغنى ؟
وقال عبد الودود :
- كلنا أبناؤك .
وقال صابر :
- ماذا دبرتم ؟
وصاحت ناهد :
- دبرنا ؟ وهل تشك فينا يا عمى ؟
ولم يلتفت إليها صابر وإنما نظر الى عبد الغنى :
- تكلم يا عبد الغنى .. تكلم يا عبد المال .
وقال عبد الغنى :
- بهذه الطريقة لا أستطيع الكلام .. أعطنى فرصة .
وأمسكت هنه بملابس عبد الغنى فى عنف وشراسة ، وفى استجداء
أيضا :
- أين صديق يا عبد الغنى .. قل أى شىء الا أنه مات .. أى شىء
الا أنه مات ..
- لا .. لا .. ان شاء الله .. لا .
وراحت تهزه وتقول :
- اذن قل .. تكلم !
وجلس عبد الغنى وراح يروى القصة ، حتى اذا انتهى منها قال
صابر :
- لم يمت يا عبد الغنى .. أنا على وعد من الله أنه لن يموت قبلى ..

ونظر عبد الغنى وعبد الودود وناهذ ورنده الى بعضهم البعض
وأكمل صابر :

- ما هذه النظرات .. أحسبتم أننى جئنت ؟ .. هذه آمال ..
أجن أنا ويموت صديق ! ليس فى العالم مال يساوى أن يقال عنكما ان
أباكما مجنون .. وليس فى العالم مال يساوى روح انسان .. أى انسان .
فما بالك ان كان هذا الانسان أخاك .

وأحس عبد الغنى أنه أصبح صفحة بيضاء أمام عينى أبيه يقرأ دخيلة
نفسه ، وأكمل أبوه :

- ان صديقا لم يمى .. لم يمى .. والأيام بيننا يا عبد الغنى
ويا عبد الودود .. وستريان ..

وارتمت هند صامطة ذاهلة على أريكة .. وصاحت رنده :

- أهذا معقول يا عمى ؟

وصاح صابر :

- أخرجوا الآن واتركوا أباكم الذى حطمت .. وأمكم التى ربتمكم
كأبنائها ولم تشفقوا على وحيدها ..

وحاول عبد الودود أن يقول :

- ولكن يا ..

وقبل أن يكمل يصيح أبوه :

- ولا كلمة .. أخرجوا الآن .. والموضوع لم ينته بل لن ينتهى
الا حين يعود صديق .. وسيعود رغم أنك يا عبد الغنى ورغم أنك
يا عبد الودود .. هيا أخرجوا .. أريد أن أفرغ لهذه المسكينة وأبث الى
قلبها الايمان الذى فى قلبى ..

(١١)

وضعت أمامه طعاما وراح يأكل ، وراحت تنظر اليه فى اعجاب شديد
وفى عجب أشد أن له سرا لا يريد البوح به . وكان صديق جائعا فراح
يأكل وكأنه يرى ما يدور بنهونها ، فهو يخشى أن تحدثه ويخشى أن
تستدرجه . وفى ذكاء المرأة الموهوب والمكتسب قالت زهيرة :

- كل وأنت مطمئن .. لن أسالك شيئا .. ولك الجزية المطلقة في
أن تحتفظ بسرك .

وحين حاول أن ينفي احتفاظه بسر قاطعته :
- لا تقل كلمة ، فقط كل . وتأكد أننا سنجعلك سعيدا

وأثر صديق الصمت وراح يأكل وهو أكثر اطمئنانا .

وجاء وجدى ومعه ملابس لصديق ومن بينها بيجاما للنوم ، وأمسكت
بها زهيرة :

- أحسنت يا وجدى ! انها مناسبة له . هيا يا صديق لتلبسها
وتستريح قليلا .

ولبى صديق الأمر تاركا أمر مستقبله لله . وحين هدأ به الفراش
قال في نفسه : ما مصير ذلك الحلم الذي رأيته منذ قريب ورويته لأبى ؟
كنت في الحلم تائها ومع ذلك كنت أعرف طريقى . أسير فى سراديب
لا أتبين معالمها ولكننى كنت فيها أسير على هدى . وانتهت بى الطرقات
المتشابكة من العتبة الى جبل شاهق . رأيته وكأنتى أقف على قمته وفى
السفح عبد الغنى وعبد الودود وناهد ورنده ومعهم أبى وأمى يشيران الى
أن أصفح عن أخوى . وأفهم الاشارة وأرى فى سمتها الشمس وكأنها تطلب
الى أن أستجيب لما يشير به أبى وأمى .

حين روى لأبيه الحلم وقد فرغ من صلاة الفجر وقرآنه ، التفت اليه
وقال :

- أنت مبارك يا صديق .. احفظ عليك رؤياك لا يعلمها أخواك .
أترانى اليوم أبدأ مسيرتى فى التيه .

قالت زهيرة :

- أراك قد عزمت أمرك على شىء .
- لا أستطيع أن أبت فى الأمر قبل رأيك .
- ماذا تريد ؟ وان كان يخيل الى أنى أعرف ما تريد .
- انك لا شك عرفتة .
- أتريد هذا ؟!
- وما البأس ؟
- ليس صغيرا .

- لا يهم .
- والناس الذين نعرفهم ماذا نقول لهم ؟
- طفل فقد أهله وتبيناه .
- وشهادة الميلاد ؟
- اننى فى مكان أستطيع منه أن أستخرج عشرين شهادة ميلاد اذا أردت .
- أجمل طفل رأيته فى حياتى .
- أستخرج جواز سفر له ؟
- افعل .
- غدا يكون جوازه بين يديك .

وفى الغد كان جواز السفر بين يدي زهيرة ومعها شهادة ميلاد تثبت أن صديقا اسمه صديق وجدى البطاش .

وفى نفس الغد كان صابر فى قسم الشرطة يسأل ان كانت الشرطة قد وصلت الى جديد فى شأن ابنه . ثم هو يترك القسم ويذهب الى الملاهي ويجلس بها وانما مجلسه لها كان بين روادها عجبا . انه يولى ظهره للملاهي ويستقبل الشارع ينظر الى الطريق والسيارات وكانما ينظر قادما هو واثق من مجيئه .

سافر وجدى الى بولنده وكان فى بعثة لمدة سنة ليشهد نظام السجون هناك ، فقد كان وجدى ضابطا بدرجة رائد فى السجن الحربى . وقد استطاع أن يدبر هذه البعثة وشجعه عليها الرؤساء ليحاولوا عن طريق بعثته أن يرفعوا الى رأس النظام تقريرا يثبت أنهم أكثر شدة من كل السجنون التى تشرف عليها النظم الشيوعية .

- وحين صحب وجدى وزهيرة صديقا فكرا فى الطائرة :
- ماذا نحن صانعان به هناك ؟
- لقد أفهمت سفيرنا هناك أن معى طفلا وأريد أن يواصل تعليمه .
- وماذا قال لك ؟
- قال لا مشكلة .
- واكتفيت بهذا ؟
- وماذا تريدننى أن أصنع ؟
- تستفهم . . . تسأل . . . تعرف .

- فى التليفون ، والخطوط مراقبة ؟
- وهل يهكم أنت الخطوط المراقبة ؟
- أنا أكثر من أى انسان فى مصر .
- فلماذا لا تراقب الله فى بيتك ؟
- وصوت خفيض مليء بالدلة قال :
- هل ينقصك شىء ؟
- وفى جرأة المرأة اذا كان الحق فى جانبها :
- ألا تعرف ؟
- وفى ذلة أخرى تحاول أن تبتعد عن بؤرة الدوامة :
- أنت تعيشين أحسن عيشة .. فيلا وسيارة وطلبساتك أوامر
- تتسابق الى تنفيذها امكانيات دولة بأكملها .
- اذن فلا ينقصنى شىء .
- مؤكد .
- وجدى .
- نعم .
- من أين تأتى بهذه الجرأة ؟
- ألسنت ضابط جيش ؟
- فى السجن تنفذ عذاباتك على العزل الذين لا يملكون حريك .
- عملى فى السجن .. على كل ضابط أن ينفذ الأوامر الصادرة
- إليه .. مخالفة الأوامر جريمة قد تصل عقوبتها الى الاعدام ..
- أنتم تنفذون الاعدام بلا جريمة على الاطلاق .
- أسكتنى الله يخرّب بيتك .
- أكثر من هذا الخراب .
- أسكتنى .
- أظن أن أحدا يسمعنا الآن ونحن فى الطائرة .
- من يدري ؟
- كيف تقول انك تعلمت الجرأة من الجيش ؟
- الجرأة على العدو لا على النظام الذى أعمل واحدا من أجهزته .
- وهل أنا عدو ؟
- العز، .

- اسمح لى أن أعود الى سؤالى الأول وأعدله بعض الشيء .. من أين تأتي بهذه الصفاقة ؟
- صفاقة !
- أليست صفاقة منك أن تقول اننى لا ينقصنى شىء ؟
- طبعا لا ينقصك شىء .
- أنت الذى تقول هذا ؟
- وكل الناس تقوله معى
- أسمح لكل الناس أن يقولوه الا أنت .
- لماذا ؟
- يا لك من فاجر .
- فاجسر !؟
- أقل وصف طاف بذهنى .
- ألا تقومى الى صديق الذى يجلس وحيدا .. ألا يكفيه شعوره بالبعد عن أهله الذين يرفض أن يقول عنهم شيئا ؟
- ودون أن تعير محاولته لتغيير الحديث أدنى التفات استمرت فى هجومها الشرس :
- أنا يا وحدى لا ينقصنى شىء !؟
- مؤكده .. قومى الى صديق .
- ألا تعرف ماذا ينقصنى ؟
- يا ستى فهمت .
- فهمت ؟ يا لك من ذكى ! .. أيجتاج هذا الى فهم ؟
- اذن فلماذا هذا الهجوم ؟
- كان ينبغى أن تطلقنى من أول يوم عرفت فيه أنك عاجز تماما كرجل .
- وأفضح نفسى ؟
- ليس هذا ما يمنعك .. أنت تعرف أننى لن أقول شيئا .
- وكيف أعرف ؟
- ومن أجل هذا ترفض أن تطلقنى وتجعلنى تحت المراقبة الدائمة .. أهذه رجولة ؟ أسفة .. أنت أصلا لست رجلا .. ولكن لابد أنك انسان ولكن كيف ؟ من أين لك الانسانية ووظيفتك التى تعيش عليها هى قتل الانسانية فى الانسان . أنت مخلوق شاذ ، لا من البشر أنت ولا أنت من الحيوان لأن الحيوان يأكل فريسته ولا يعذبها .. أنت ..

ويقاطعها وجدى فى محاولة للمحزم :

— زهيرة .. كفى .

— ثورة تحرق نفسى أطلقت لها العنان فى أول لحظة شعرت فيها
أننى فى حمى الله بعيدة عن مصر ، وأننى أستطيع أن أقول ولا تهددنى
بما تملكه فى مصر من جبروت وظلم وطفغان .. أقوم الآن الى صديق .

وقامت الى صديق وبدأت معه الحديث محاولة أن تزيل عنه الغربة
المادية والنفسية التى يعانيتها . ولم تدهش حين وجدته سعيدا بأنه فى
الطائرة بعيدا عن أهله ..

— ترى ما الذى يلاحقك أنت أيضا أيها الطفل رائع الجمال فى بيت
أمك وأبيك ؟ كان الله لك يابنى وكان الله لى .

(١٢)

لم يكن عبد الغنى ولا عبد الودود يتصوران أن يحيط كل هذا الدمار
بأبيهما .. حتى لقد كانت هند وهى الأم التى ليس لها الا صديق أكثر
صلابة من زوجها وتحاول أن تصبره ..

— يا صابر .. لقد فقدت وحيدي فأستحلفك بالله ألا تجعلنى أفقدك
أنت أيضا ..

وفى اصرار وألم :

— لم تفقدى صديق .. ولن تفقدنى حتى تجده ..

— أنت تصور أنه حى ولم يأت طوال هذه المدة ؟

— وأنا أيضا لا أتصور أن يصدم شخص طفلا بسيارة ويختطفه .

— الصدمة قاتلة .. والمجرم أراد أن يخفى معالم جريمته ..

— يا ستى لا يمكن .. أين تظنين أننى كنت أذهب فى الصباح

طوال الأيام الماضية ؟ ..

— لا أدرى ..

— كنت أظل الساعات الطوال فى شارع الملاهى .. حركة السيارات

بطيئة للغاية لزحمة المرور .. لا يمكن أن تكون الصدمة قاتلة فى هذا

المكان مطلقا ..

- ربما كان الشارع خاليا في هذا اليوم ..
- يوم جمعة والملاهي مزدحمة والمرور لا يسمح أن تسيير سيارة بسرعة تؤدي الى قتل من تصدمه ..
- لا يمكن أن تثق كل هذه الثقة من أجل استنتاجات مثل هذه
- يا صابر .. أرجوك .. تحتسب لله .. ولا توجد في نفسى أملا أعلم أنه لن يتحقق ..
- بل سيتحقق وسترين ان شاء الله .
- من أين لك كل هذه الثقة ؟
- ومن يملك أن يرسل الثقة في النفوس الا الواحد الحق ..
- الملك .. القدوس ..
- ما دمت مطمئنا ففيم حزنك ؟
- انه بعيد عنى ولا أعرف عنه شيئا .. ما مصيره ؟ .. الى أين تقوده متاهات الحياة ؟ .. هو حي .. هو حي لم يميت أنا واثق .. لأن الله يمدنى بهذه الثقة .. ولكن كيف يحيا حياته .. ما مصيره ؟ .. ان الله لا يبتلى الا عباده المؤمنين .. هو مولانا وعليه توكلت .. واليه المصير ..
- وهل معنى هذا أن تترك زراعتك ولا ترعى شأنك ؟
- اسمعى .. أولادى أهملوا شأن أخيهم من أجل الزراعة .. وكلاهما خريج زراعة .. سأترك لهما كل شيء ولكننى سأحتفظ بالملكية حتى تقسم على ثلاثتهم وليس عليهما وحدهما .. فليفعلا ما يريدان ولكننى سأظل أنا المالك ..
- وكذا انفرد عبد الغنى وعبد الودود بشئون الأرض يديرانها كيفما ارادا ، ولكن صابرا كان دائما قابضا على ما تغله يعطى ولديه ما يريد أن يعطى وينفق ما يشاء ويدخر ما يشاء .. وقد كان دائما حريصا على أن يجنب مبلغا من المال يعتبره حق صديق الذى ينبغي أن يبقى له لا يعدو عليه أحد .
- كان المال يدخره صابر لصديق .. وكان صديق قد التحق في بولندة بمدرسة تعلم اللغة الانجليزية فبهر المدرسين هناك بسرعة تعلمه بصورة لم يشهدوا واحدا منهم قط .. وقد جعلهم هذا يتعهدونه بالرعاية ويمدونه بالكتب وصديق يسير في تعليمه مقبلا عليه غير ملتفت الى ما يلهو به أبناء سنه من ملاعب الأطفال . حتى لقد كانت زهيرة ووجدى يحشانه على اللعب فيتأبى عليه . وكما بهر صديق مدرسيه .. بهر وجدى وزوجته

بمحافظة على الصلاة في مواقيتها .. وحين أدركهم شهر رمضان هناك
أصر على الصيام حتى لقد خجل منه وجدى وزهيرة وصاما هما أيضا ..
وأمرهما الى الله ..

وتمر السنة وتعود الأسرة التي أصبحت ثلاثة نفر الى القاهرة ..
وفي الطائرة يسأل وجدى صديق :

– ما رأيك يا صديق أتذهب الى مدرسة عربية أم تكمل الدراسة
بالانجليزية ؟

– أفضل أن أتمها بالانجليزية ..

– لك ما تريد ..

وتقول زهيرة :

– انها فرصة أن يتعلم الانجليزية وهو أصلا قوى فى اللغة العربية ..

– معقول ..

– وخاصة أنه دائما يقرأ فى القرآن فلا خوف عليه فى اللغة العربية

أبدا ..

– لقد حفظت ربع القرآن والحمد لله ، وفى فترة قايمة سأحفظه

كله ..

وفى اليوم التالى لوصولهم الى القاهرة يقيد وجدى اسم صديق فى

مدرسة أساس التعليم فيها باللغة الانجليزية ..

.. وتمر السنون ..

(١٢)

ينفرد عبد الغنى وعبد الودود بالأرض تماما .. ويصبح صابر وهو
لا عمل له الا الصلاة والعمرة والحج .. والعجيب أن ولديه لم يستطيعا
أن يغلباه على أمره .. فان أحدا منهما لا يملك التوقيع .. ولا بد من توقيع
صابر على كل المعاملات التى تتصل بالأرض .. وحين حاول عبد الغنى
أن يقول :

– يا بابا أنت تسافر كثيرا والمعاملات المالية تحتاج الى ..

قاطعه صابر في حزم ودون أي تفكير:

- إذا كنت تريد أن أكتب لك توكيلا لأصبح أنا وكانى غير موجود
فهيها ٠٠ هذه الأرض ملكى ٠٠ وستقسم على أبنائى الثلاثة عند موتى
وتأخذ زوجتى نصيب الثمن حقها الشرعى ٠٠

- ولكن يا أبى ٠٠

- أى محاولة أخرى سأعود أنا الى ادارة الأرض ادارة كاملة ٠٠

- ما أحب الينا ٠

- لا تستطيع أن تخدع أباك ٠٠ ان الذى لا يقدر ذكاء الآخرين

ويحاول أن يتذاكى عليهم غبى لا يفهم ٠٠

- وهل حاولت ؟

- صدمتى فى ابنى لم تفقدنى عقلى ، وانما زهدتنى فى الأرض التى

جعلت الاخوة يهملون الأخ ٠ أما عقلى فقد ازداد حدة وازددت ادراكا

للحياة ٠ واقبالى على العبادة حب فى الدنيا وفى الآخرة ٠٠ وتعشقى للذات

الربانية جعلنى أكثر فهما للحياة وادراكا لها ٠٠ نحن الربانيين أعقل من

يمشى على الأرض ٠٠ والذى يعاملنا على غير هذا الأساس غبى لا يفهم ٠٠

وهكذا استقر الأمر على أن يدير عبد الغنى وعبد الودود الأرض

ما طابت لهما الادارة ، ولكن اصدار المال واستقباله يكون لصابر وحده ٠٠

وقد زرع عبد الغنى وأخوه الذى كان أشبه بتابع له الأرض جميعها

موالغ ٠ وأصبح عائد الأرض عشرة أضعاف عائدها حين كان صابر

يديرها ٠٠ وقد استطاع الشابان المتخرجان فى الزراعة أن ينتجا من أرض

الموالغ أحسن ما تستطيع أن تعطيه كمية ونوعا ، وأصبح لنتاجهما شهرة

بعيدة ٠

أصبح صابر ذات يوم موجد نظره يتغشاه ما يعوق الرؤية بوضوح ٠

فذهب من يومه الى الطبيب ٠٠

فقال له الطبيب :

- لقد تعرضت لصدمات عصبية ٠٠ ؟

ولم يجب صابر ٠

- طبعا تحتاج الى عملية ٠٠

- هل نجاح العملية مؤكد ؟ ٠٠

- ان شاء الله .
- وحين عاد الى البيت سألته هند فقال :
- يريد أن يجرى لي عملية .. ولن أجريها ..
- ماذا تقول ؟
- لن أجرى عملية فأنا لا أحتاج لنظري الا يوم يعود صديق ..
- حين يعود سأجرى العملية .
- أهذا ايمان ؟ ..
- أنا لا أقتل نفسي ، انما أنا أستغنى عن جارحة شاء الله أن يصيبني فيها والله المستعان ..
- وكيف ستقرأ القرآن ؟
- تقراين أنت لي فأكسب فيك ثوابا ، وتجدين شيئا تصنعيه بدلا من الحزن الذي يفرى كيانك وترفضين أن تبينى عنه ، حتى لا يقال عليك ما يقال على ..
- ما يقال عنك لا يعيبك ..
- انني لا أفنتأ أذكر صديق حتى لقد أوشتك أن أجن ..
- ابنتك وحزنت عليه لا ضير عليك ..
- اذن فابكي يا هند كما أبكي حتى تخففي لوعتك ..
- ولماذا أبكي وأنت تقول انه موجود ، وأنت لم تكذب في حياتك
- قط ؟
- ألهذا الحد تثقين بي ؟ ..
- وأي غرابة في ذلك .. أنت جدير بكل ثقة ..
- أكرمك الله قدر ما تعدت يا هند .
- أكرمني أنت حتى يكرمني الله ..
- وهل قصرت ؟ ..
- أجر العملية .
- أنا لا أريد أن أراك حزينة وأرى ولدى فرحين بما حققا من نجاح ..
- ربما خفت ضياع بصرى من الآلام التي أطلعها بعيني في حياتي ..
- أليس الإبصار اكراما من الله ؟
- ولسبب أراده حجه عنى فترة .. الحمد لله على ما أعطى والحمد له على ما أخذ .. ولن أحاول أن أسترد بصرى الا اذا كان هناك ما أحب أن أراه .

(١٤)

نال صديق شهادة الثانوية العامة وقدم أوراقه فى كلية الاقتصاد
والعلوم السياسية فقبلت ، فقد كان من أوائل الحاصلين على الشهادة .
وحدث أمر عجيب .

كانت زهيرة فى حجرتها تتزين فى حريصة دائما على أن تتزين .
وحين أكملت زينتها نظرت الى المرأة بحسرة ملتناعة وتصاعدت من كيان المرأة
فيها حميا نيران متقدة بالحريق ، وشعرت أنها اذا ظلت رائية الى المرأة
ستحطمها ، فسارعت تخرج من الغرفة ومرت بحجرة صديق واقفا أمام
المرأة يكمل ملابس نومه فراعها ما رأت .

من هذا الفتى الشامخ الجمال المفتول العضل السمهرى القامة
ذو الكبرياء الأشم ؟ ويلى انه ليس ابنى ، انه فتى لا أعرف من أبوه ولا أعرف
أمه ، وانما بذلت له من نفسى السنوات الطوال ليخرج من الطفولة الى هذا
الشباب النادر .

وقفت زهيرة على باب الغرفة يغمرها الذهول ، تمزقها الجراة فيها .
تدفعها الأنوثة ويردها الحذر .

أهذا هو الفتى الذى قدم الى بيتى خائفا ملتاعا يتسربل رعبه ، ويرد
ببيتى غوافل حياة طالعت بالاهوال وبالرعب وبالتهديد وبالويلات ؟ أهذا
هو الطفل الذى دخلت معه الحمام يوم مجيئه والذى احتضنته من أهوال
الحياة وأقمت عليه الحصون مما كان يهدده ؟ أهذا هو مشروع الانسان
الذى جاء الى يتكفى فى مخاوفه ومحاذيره فأمنته ورعيته حتى أصبح هذا
الرجل كله ؟

ألم يشن الأوان أن يصبح لى رجلا بعد أن كان فى بيتى طفلا ما كنت
أنا أمه . . وما كان صاحب حق عندى ؟ فما البأس به أو بى أن يكون
قتاى ؟

ذهبت الى غرفتها وخلعت ملابسها وارتدت قميصا داخليا ووقفت
بالباب ونادت :

- صديق .

وجاءها صوته :

- أفندم .

– هل أنت خارج ؟

• لا أبدا .

• تعال .

– حالا .

وفي لحظة كان عندها فقد كانت اشارتها عنده أمرا وقيل أن يجيء
كانت قد سارعت هي الى السرير واستلقت عليه معتمدة رأسها على كفيها . .
وما ان دخل حتى قامت الى الباب الذي دخل منه فأغلقتة وسارعت الى باب
الحجرة الآخر الذي يؤدي الى حجرة زوجها والذي لا يستعمل مطلقا فأغلقتة
هو الآخر والتفتت الى صديق :

– قبلني .

وأصابه ما يشبه الجنون . . ما هذا الذي يراه ؟ . . انه كان يتصور
أى شيء الا هذا . . انها امرأة في قمة الجمال ولكنها في مكان أمه . .
وما قيمة هذا انه ليس زواجا . . انها جميلة . . انها المرأة كما ينبغي أن
تكون المرأة .

قبلها في خدها :

وصرخت :

– أهذه هي القبلة . . القبلة هكذا .

والتفتت فمه والتقف فمها وثار في دماثة نار الشباب الملهب وهم
بها ولكنه فجأة (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون) . .

صاح : أستغفر الله . . كيف أخونه ؟ انه من فتح لي بيته وأمن
حياتي ورباني . . . لقد شردني الظلم فكيف أظلم أنا ؟

وجرى الى الباب فلحقت به وأمسكت بردائه فمزق في يدها .

ودخل الزوج . . وأدرك كل شيء .

وحاول صديق أن يقول شيئا ولكن وجدى أشار اليه فسكت وانسحب
الى غرفته وراح يجمع ملبسه . . الى أين بي المسير ؟ . . الى أين بي
يتجه المصير ؟ . .

وقفت زهيرة لوجدى متصدية . . انها امرأة وانها لا تنال حق
الزوجية . . فما البأس بها أن تلتمس حقها عند غيره ، وبدلا من أن يثور
وجدى أطرق في خزي وكانها هي التي أطبقت عليه متلبسا بالخيانة . .
فان الحق قديم ، ومهما يحاول الطاغية أن يعتدى على حق الناس في العلن

الا أنه في دخيلة نفسه يعرف أنه ظالم غاشم يستلب الناس ما لهم من حقوق .

ووجدى يعلم كل العلم أنه يبقى زوجته معه ظلما وبهتاناً وزوراً .
واغتصاباً .

استخزى وجدى وانسحب مثل قط جريح الى حجرته واستلقى على الكرسي .

— ماذا أنا صانع الآن ؟ ان ترك البيت فضحتني ، وان طلقتها فضحتني ، وما أنا بمطلقها أبداً . وكيف أسمح لها أن تكون حرة وتتزوج غيري ويعرف الجميع أن وجدى الأسد الكاسر الذي دوخ الناس وأمر بالاعتداء على أعراضهم وكراماتهم وجسومهم ، عاجز أن يكون مثل أضعف الرجال وأهونهم شأناً .

فز عن كرسيه وسارع الى غرفة صديق فوجده قد أعد حقيبهته .

— نعم هذا ما توقعته . . لا ، لا تفعل هذا . .

— لا أستطيع أن أبقى في البيت . . لا يمكن .

— سنرى . . وانما خروجك مستحيل . . الى أين تذهب ، وماذا ستقول للناس ؟

— أنت تعرف أنني لن أنطق حرفاً .

— فاذا خرجت فانك غير محتاج أن تقول شيئاً . . سيقول الناس بالنيابة عنك كل شيء .

وجم صديق لا يدري ماذا يقول أو يفعل . . الكلام الذي يقوله كافي له واضح وصادق . . وهو حريص على أن يظل هذا البيت الذي رعى شأنه من الطفولة الباكرة الى الشباب نظيفاً أمام الناس بعيداً عن كل شبهة ، نقياً في سمعته شريفاً في مظهره مهما يكن داخله عفناً شأنها . . وهو أشد حرصاً ألا يكون هو سبباً مباشراً أو غير مباشر فيما يجعل هذا البيت على السنة الناس تشنيعاً وتجريحاً وقذفاً . . ويقطع عليه وجدى تفكيره :

— أتحب أن تسافر الى الخارج ؟

— ماذا أصنع في الخارج ؟

— تقضى الاجازة .

— وبعد الاجازة ؟

— بعد الاجازة تعود .

- يا عمى وجدى أنا لن أعيش فى هذا البيت أبدا بعد اليوم ..
ولو كان متاحا لى أن أسافر الى الخارج لأتعلم لفعلت ، ولكن هذا مستحيل .
وفى شبه حيرة وضياع يقول وجدى
- لماذا مستحيل ؟

- أنت أنفقت على أكثر مما ينبغى ، وليس معقولا أن أكلفك أيضا
أن تنفق على فى الخارج .. وأنت يا عمى وجدى فى منصب سياسى ..
والمنصب السياسى قد يتغير بين يوم وليلة .. فما مصيرى اذا نقلت أنت
من مكانك ؟ سيصبح مستحيلا أن تواصل تعليمى لأنك لن تستطيع أن
ترسل لى مالا بالطريق المشروع .. وستكون تحت العيون .. ولن تستطيع
أيضا أن تستعمل الطرق غير المشروعة .. هذا من ناحيتك .. ومن ناحيتى
أنا لا أتصور أن أترك مصر أبدا .. ان قدرى أن أرتبط بمصر وأنا أعلم
هذا كل العلم .

- فماذا ترى اذن ؟ .. أراك تعد حقائبك فان أين كنت تنوى
الذهاب ؟

- الى فندق .
- قد يكون هذا حلا مؤقتا .
- حل مؤقت لا شك .
- أستاجر لك شقة .

- أنا لن أكلفك بعد اليوم مليما ولو أدى ذلك الى أن أستجدى فى
الطرق .

- هل هذا معقول ؟ وكيف ستعيش اذن ؟ ليس لك أحد على
الاطلاق .

وقال صديق فى نفسه :

- يعلم الله أن لى أبا لا يحب أحدا فى حياته قدر حبه لى ، ولى أم أنا ،
كل أملها فى الدنيا .. ولى أيضا مع الأسف أخوان يريدان قبلى .. ولكنى
لن أعود قبل أن يعرف الأخوان أنتى فى غنى عن مالهما .

ولو استطاع وجدى أن يسمع ذلك الحديث الذى انبثق فى نفس
صديق لكان له شأن آخر ، ولكن من أين له أن يسمع ؟ وعلا صوت
صديق وهو يقول :

- لى الله .

- ونعم يا الله .

- ولن يتركنى .

- نعم يا بنى . ولكن الله يهيبه الأسباب فماذا أنت صانع الآن ؟

وصمت صديق وراح وحدى ينظر اليه منتظرا ما يقول . . . وفجأة رأى وحدى على وجه صديق نورا كأنما سكبته عليه السماء ، ثم رأى اشراقه أمل . وقال صديق دون ريث انتظار :

- السجن .

- ماذا ؟

- ما سمعت . . .

- ماذا تقول ؟

- أنا الآن سأدخل الكلية ، وكل ما أريده أن أتفرغ للمذاكرة حتى أتخرج بدرجة مشرفة . . . وأنت مشرف على السجن تستطيع أن تدخل فيه من تشاء . . . وإن الداخلى الى السجن لا يدري كم سيبقى .

- أهذا معقول ؟

- أعنز العالم .

- وإذا انتقلت أنا وتركت السجن ؟

- أخرجنى قبل أن تترك مكانك ، ويفرجها المولى سبحانه وتعالى بعد ذلك .

- وماذا أقول لمن سيسأل عنك ؟

- سافر يكمل تعليمه فى الخارج .

- وكيف ستذهب الى الكلية ؟

- هات لى الكتب ودع الباقي على الله وعلى .

سكت وحدى وراح يفكر فى الأمر : الفكرة بالنسبة لى ممتازة . . . أولا أبعده عنها تماما فلا تحاول محاولتها الأئيمة مرة أخرى ، وأخفى عنها أنه فى السجن . . . وثانيا سيكون تحت رقابتي دون أن يدري أحد . . . ومن ناحيته سيذاكر ولن يشغله شيء عن المذاكرة . . . وأنا أستطيع أن أجعل السجن ليئا بالنسبة اليه . . . وستكون صلته بى مباشرة وأستطيع أن ألبى جميع مطالبه فيصبح سجيننا غير سجين . . . الفكرة ممتازة .

وأعاده صديق من أفكاره المنفردة :

- ماذا قلت ؟

— أكمل اعداد ملابسك .

وراح صديق يكمل اعداد ملابسك في حزم واصرار وقد أصبح وجهه
كله عزما واقداما .

وفي حجرة خاصة نزل صديق بالسجن ، وصدرت الأوامر أنه
يستطيع أن يلتقى بمن يشاء من المساجين دون حرج عليه حتى لا يشعر
بالوحدة .

وكان ادخال شخص الى دار سينما . فالسينما على الأقل ستكلفه
تمن التذكرة ، أما السجن فلا يكلفه الا ادعاء بأنه خطر على الأمن ، فقال
شفاهها ثم يصبح السجن هو المصير .

(١٥)

كثر الحديث حول زهيرة ، وعرف الكثيرات أن الفتى الذى تولت
تربيته منذ الطفولة خرج من البيت الى حيث لا يدري أحد على الاطلاق .
وتملكها الغيظ . . . فالتهمة قاتلة . . . ولا أحد يعرف دافعها عليه ، فان
سرها مع زوجها ظل حبيس صدرها وقراشها لا يعلمه أحد الا الله .

ومع الأيام كانت زهيرة تشعر بسعة التهمة . . . واتساع اللفظ بها
بين صويحاتها جميعا . . . ولم تكن واحدة منهن لتجرؤ على مواجهتها بها .
وهكذا واجهت موقفا عجبا . . . تهمة ولا تهمة ، وحديث ولا اعلان ، ومناجاة
بين النساء لا يرتفع الى المواجهة ولا ينقطع . . . ولم تكن زهيرة فتاة صغيرة
بل كانت فى السن التى ينبغى فيه للنساء أن يكن بعيدات عن الشبهة
كريمات السمعة .

ولو أن هذا الذى يطالها اليوم كان أمرا طبيعيا فى حياتها ربما
احتملته وضربت بالسمعة والشرف عرض الأفق ، ولكنها عاشت عمرها
كله نقية السيرة لا يتناولها لسان الا بالطهر والعفاف حتى وان كان لسانا
عدوا حادا جارحا . . . ربما اتهمها بعضهم بالكبر أو ربما ذكرها لسان
بالحدة والعنف . . . ولكن لسانا ما لم يتعرض لعرضها قط .

وهكذا واجهت زهيرة فترة مريرة من حياتها ، وزادها مرارة أنها
لا تدري كيف تخرس هذه الألسنة . . .

ثروت أباطة — ٦٥

الا أن فكرة عجيبة طرات لها لا تدري مآتها ، وراحت تنفذها في اصرار ، وعاونها على ذلك أن زوجها كان في شبه قطيعة معها لا يسألها عن خروج من البيت أو دخول . فقد كان صديق في يده مطمئنا الى أنه بعيد عنها كل البعد . وهو يدري أنها لم تحاول أن تخطفه الا مع صديق ، فهو منذ تزوج فرض عليها العيون الرواسد وأطلق خلفها أدواته الجهنمية التي لا يخفى سر عليها وأصبح واثقا منها كل الثقة . أما صديق فجعله يفتن أعظم النساء عفة وأكثرهن نقاء وطهارة . ثم انه معها في البيت . وإذا قبل فالسر دفين ولن يتصور أحد أن علاقة تقوم بين قتي في مكان الابن وبين امرأة هي منه في مكان الأم .

ان تكن حاولت معه فهي بالقطع واليقين لن تتجاول مع غيره . فلتخرج ما طاب لها الخروج فهي في موقف صعب شديد . . . وهي وان تكن تكسر عين زوجها بعجزه الا أنها تشعر أن ما فعلته غير جدير بها ولا يبرره حال زوجها ، كما لا يبرره ثقتها أن زوجها لن يستطيع أن يطلقها . فهي تدري أنه يحرص على أن يظل أمره خفيا عن الناس غاية الخفاء . وقد عمل على ذلك بكل السلطات التي في يده شرعية هذه السلطات مستمدة من قوامة الزواج ، أو غير شرعية مستمدة من السلطان الظالم والبنفي والجبروت .

تأكدت زهيرة أن زوجها سيكون غائبا عن البيت في يوم الأربعاء فاختارت هذا اليوم لتدعو الى الشاي جميع اللواتي اتهمنها بالعيون اللائمة أو العيون المتسائلة أو العيون المتلصصة . أو بالابتساماة الخبيثة . وأصرت أن تدعو اللواتي تجرأن وسألنها كيف حال صديق لماذا لا نراه . . . وكان هذا السؤال غريبا لأن صديق كان بالنسبة لصويحاتها شبحا يسمعن عنه ولا يريته منذ قدم الى البيت . . .

دعت أولئك جميعا وأعدت لهن حفلة شاي باذخة أكثرت فيها من الفاكهة واختارت التفاح بالذات ، وذهبت خصيصا الى من يسمن السكاكين فيجعلها بالغة الحدة . . . وذهبت أيضا الى أحد المصورين وأعطته صنوذة صغيرة عندها وطلبت اليه أن يكبرها فيجعلها بالحجم الطبيعي . . .

وجاءت المدعوات وقدمت اليهن التفاح وانتظرت حتى بدأن يقشرن التفاح وأزاحت الستار عن الصورة المكبرة لصديق ، فبذت الصورة وكان صاحبها هو المائل لا الصورة . وارتبكت السكاكين في أيدي النسوة وقطنن أيديهن وتصايحن . . . هذا ملاك . . . لم نر مثل هذا الجمال . . . ليس هذا من البشر . . .

— لا تلمنى اذن وأنتن قطعتن أيديكن . . .

وسترت الصورة ، وفهم المدعوات أنه لا معنى لبقائهن بعد ذلك . . .
فقد استدلت الستار على نهاية التمثيلية التي ألفتها زهيرة . . .
وفي المساء اقتحمت زهيرة على وجدى غرفته ، وأصابه ارتباك شديد
وراح ينتظر ماذا هي قائلة له . . . ولم تقل كثيرا :

- هذا جواز سفري . . .
- ماله ؟
- أريد تأشيرة للأراضي الحجازية .
- ما زال الوقت بعيدا عن الحج .
- سأقيم هناك حتى موعد الحج وأؤدى الفرض .
- من الآن إلى موعد الحج ؟
- وفي حسم قاطع :
- نعم .
- وفي خضوع حازم :
- أمرك . . .

(١٦)

نال صديق شهادة البكالوريوس . . . ويوم أن أبلغه وجدى بالنتيجة
وبشبه أنه نالها بدرجة الامتياز قال له شيئا عجيبا . . .
- يا صديق أنا أعرف أنك على قدر كبير من العلم والحكمة . . . وأنت
موصول الأسباب بالله سبحانه وتعالى . . .
- الحمد لله . . .
- رأيت رؤيا . . .
- قلها . . . فكل رفاقي في السجن يلجأون إلى لأفسر لهم ما يرون
من رؤى . . . فهم كما تعلم لا يرون من الدنيا شيئا الا عندما يتأمون . . .
قال وجدى :

- رأيت كأننى فى صحراء عريضة وحدى أشعر بالوحشة الشديدة
والانفراد ، ثم فجأة رأيت كأنما تنبت الصحراء حولى نوعا عجيبا من النبات

أحاط بي كالسوار ، فجزيت الى أعواد النبات أحاول أن أزيحها فإذا هي
أعواد من حديد صلب لا يلين ولا ينثنى .. وقد التصق كل عمود منه
بالآخر كأنه حائط لا فراغ فيه .. وفجأة اخترق هذا الحائط الحديدي
جماعة من النمرور كانت تخترق الحديد وتدخل منه ، ثم يعود الحديد الى
الالتئام وكأنه ما لان للنمرور ولا انفرج عنها .. والتفت النمرور حولي وملأني
الرعب .. ورخت أدور بعيني في عيون النمرور فأجد غضبا عارما وأجد
نيرانا لاهبة وصرخت .. وصحوت .. ما هذه الرؤيا .. ؟

- اسمع أنا عرفت الرؤيا ، ولكن لن أعبر لك عنها الا عندما تأتي
الى في المرة القادمة .. وتخبرني أنني عينت مستشارا ماليا لوزارة
الزراعة .

- حددت المنصب .. أيعقل أن تعين في هذا المكان وأنت متخرج
في هذا العام ؟

- لا عليك .. اجعلني أقابل وزير الزراعة ولن أطلب منه تعييني
الا بالدرجة التي يؤهلني لها تخرجي .. ولكنني أعرف في نفسي أنني خير
في هذا المكان ، وأنتي سأفيد مصر فائدة عظيمة فيه ..

- وما شأن هذا بالرؤيا .. ؟

- ان له شأننا أي شأن ..

- ما ترى ..

- وشيء آخر ..

- ماذا ؟

- لقد قضيت هنا أربع سنوات وأنت أخبرتني أن السيدة حرمك
أصبحت لا تترك فرضا من فروض الله الا أدته وأنها دائبة على قراءة
القرآن . وأنها أصبحت انسانا آخر ..

- هذا حق ..

- فلا معنى لبقائي هنا اذن ؟

- أنا تحت أمرك ..

- أخرج الآن معك ..

- لك هذا .. بيتي تحت أمرك ..

- بل تضعني في حجرة مفروشة ..

- هيا بنا ..

لقى وزير الزراعة وانبهر به الوزير وعينه مستشارا خاصا له في
مكتبه .. وجاء اليه وجدى يهنئه ..

— ما الرؤيا ؟

— لقد انتهى عهدكم .. وعليك أن تعد نفسك لمواجهة الذين عذبتم
انهم هم النمر .. والصحراء بعض الذين يساندونك .. والحديد
هو الحصار الذي سيحيط بك ..

— أتعني أنني ..

— أعني أن لكل عهد نهاية ولكل أجل كتاب وليس ربك بظلام
للمبيد ..

— شماتة ؟

— معاذ الله ما كنت لأشمت فيك .. وقد أكرمت مثواى ولكنه الحق
الذى عاهدت الله ألا أقول غيره ..
— الأمر لله من قبل ومن بعد ..
— سبحانه ..

منذ عين صديق لم يضيع وقتا .. فقد طال به الحنين الى أبويه ..
كان يراقب بيت أبيه عن كثب .. وشهد أباه يخرج في أحد الأيام معتمدا
ذراع أمه .. ووضح له تماما أن أباه لا يرى .. واعتصر الحزن قلب
صديق .. وعاك الله يا أبى لست أنا الذى صنعت بك هذا .. وانما هما
ابنك الآخران ..

تمكن صديق من مكانه الجديد في مكتب الوزير أن يعرف كل شيء
عن حالة الزراعة في أرض أبيه .. وعرف أيضا أن أخويه قد جعلوا الزراعة
كلها موالح .. واستخدم المفتش الزراعى المختص بمنطقة الأرض وعرف أن
أباه هو الذى يأخذ الأموال كلها وأنه رفض أن يعطى أى توكيل لأبنائه حتى
بعد أن كف بصره .. وعرف من المفتش أنهم يبيعون الثمار الى الوزارة لأنها
تثار مثالية ..

(١٧)

تسلم عبد الغنى خطابا مسجلا من وزارة الزراعة أن الوزارة لن
تشتري منهم ثمار هذا العام .. وأنهم يستطيعون مقابلة الأستاذ صديق

وجدى بمكتب الوزير للمناقشة معه فى هذا الأمر على أن يكون ذلك بعد أسبوعين من تاريخه بديوان الوزارة .

ونزل الخطاب على عبد الغنى نزول الصاعقة ، وسارخى إليه يروى له أمر الخطاب وهو يتميز من الغيظ وقال صابر :

— هل ما زلت تحب المال هذا الحب يا عبد الغنى ؟ . . . ماذا أنت صانع به ؟

وزلزلت كلمة الأب كيان عبد الغنى . . . وفهم الخفى الواضح فى كلام أبيه .

— الأنى لم أنجب ذرية يا أبت ؟ . . .

— لا أنت ولا أخوك . . . أتحيان المال لذاته ؟ ان ذلك لشتان عجب . . .

— أنهمل أمورنا لأننا بلا أولاد ؟

— وفى السماء رزقكم وما توعدون . . . كل ما فى الأمر أن ثمن المحصول

سيكون أقل من السنوات الماضية . . . أليس كذلك ؟ . . .

— وهل هذا قليل ؟

— ليس كارثة على كل حال . . . اقرأ على الخطاب . . .

وقرأ الخطاب ووجد أباه يقول بغير مناسبة :

— ما الذى أذكرنى صديق الآن ؟

ونارت هند :

— حرام عليك يا صابر . . . ان كنت لا تريد أن ترعى نفسك فارحمتى

دون أن تذكر صديق وها أنتذا ترفض أن تعالج عينيك . . .

— لا أريد أن أرى الحياة بدون صديق . . .

— أليس هذا أمراً عجيباً ؟ وعلى كل حال ما الذى أذكرك صديق

الآن ؟ . . .

وقال عبد الغنى فى يأس واحباط :

— انه لا يريد أن يجيبنى برأى فى شأن الخطاب . . .

وقال صابر :

— كيف عرفت ذلك ؟ . . .

— هذا واضح . . .

— انك لا ترى الواضح يا عبد الغنى . . .

— كيف ذلك ؟

— ان الخطاب يطلبك للمناقشة . . . إذن فعندم الثراء ليس أمراً

•• نهائيا •• بل ان هناك شروطا جديدة •• أو هناك على الأقل كلام سيقال ••
- أعزك الله يا أبى ، لقد والله فتحت لى باب أمل من حيث لا أدرى ••

★★★

نادى صديق ساعى مكتبه الذى يدعو بهم خضر وطلب اليه أن يركب
سيارة أجرة معه • واستجاب عم خضر دون أن يسأل عن القصد • وكان
مع صديق لفافة صغيرة يمسك بها فى حنان •• وحين بلغت السيارة بيت
أبيه أوقفها وقال لعم خضر :

- انزل الى هذا البيت واعط هذه اللفافة لمن يفتح لك الباب • وحين
يسألك عما بها قل : انها رسالة قديمة وجدت فى أمانات البريد ووجدت
عليها العنوان فقلت آتى بها اليكم ، ربما كان بها شىء مهم •

وفعل خضر ما طلبه اليه صديق بحذافيره ، وفتحت له هند الباب
وهو ما توقعه صديق •• وفى طيبة واقتناع قبلت هند ما روى لها خضر
ودخلت باللفافة الى حجرة صابر •• وفصت عليه الأمر وهى تفتح اللفافة •
وما ان رأت ما يغلفه الورق حتى رمت به صائحة •• بسم الله الرحمن
الرحيم : ووقع القميص على وجه صابر فاذا هو يقول فى هدوء وطمأنينة
وثقة :

- انه قميص صديق •• ما كان الله ليخذلنى أبدا ••

وصاحت هند وهى تلقف القميص •• وقد أوشكت على الجنون ••
- أحقا ما أرى ؟ ••

وراحت تقبل القميص بدموعها وروحها وبكل كيانها ويقول صابر
ثانية :

- ما كان الله ليخذلنى أبدا ••

وتجلس هند وهى تقول :

- أمعنى هذا أنه جى ؟

ويقول هو فى ثقة :

- أما التفسيرات والتخمينات فأتركها لك أما أنا ففى شأن آخر ••

- ماذا أنت صانع ؟

- كم الساعة الآن ؟

- ماذا تريد ؟

- كم الساعة ؟ •• أظنها العاشرة ••

- تقريبا ..
- هيا خذي بيدي ..
- الى أين ؟
- ستعرفين ..
- يا صابر ربما كان الأمر كما رواه الرجل الذي أحضر اللفافة وتكون رسالة قديمة ..
- أنا لن أناقش الأمر .. هيا بنا ..
- الى أين ؟
- الى الدكتور على مالك ..
- أحقا ؟
- توكلى على الله ..
- رسالة خير والله .. رسالة خير .. لو لم تعد الينا الا بعدك لكفى ..

كانت عملية صابر من العمليات الحديثة بأشعة الليزر .. وكان الدكتور على مالك تواقا أن يقوم بها لصابر فقد كان يرى فيه واحدا من رجال الله المخلصين ..
وتمت العملية ..

(١٨)

ذهب عبد الغنى وعبد الودود الى مكتب صديق ولقيهما من فورهم .
وراح عبد الغنى يتكلم دون أى مقدمات ..
- يا سعادة البك ان الثمار التى ننتجها لا مثيل لها فى القطر كله .
فلماذا ترفضون شراءها ؟ أهذا معقول .. انها أول مزرعة فى مصر ، وجميع انتاجها يصدر الى الخارج و
واستمر الحديث طويلا وصديق يسمع لا يتكلم حتى اذا نفذت كلمات عبد الغنى وأصبح لا يجد شيئا يقوله التفت صديق الى عبد الودود وقال له :
- وأنت ... ألا تقول شيئا ؟

- لا يا أفندم ... قال أخى كل شيء ..
- ألا زلت على حالك هو يقول وأنت تسمع وتنفذ .
- وفي بهر مدهول صاح كلاهما :
- ماذا ؟
- وأكمل دون أن يعير ذهولهما أى التفات :
- كنت أتصور يا عبد الودود أنك مع السن ستصبح لك شخصية ،
ولكن للأسف أنت كما أنت لم تزدك السنون الا ضعفا .
- ونظر عبد الغنى الى عبد الودود وقال :
- من هذا ... أيمكن ... أيعقل ... أيتصور أحد هذا ؟
- وانتفض عبد الغنى واقفا فى حيرة من يجابه الماضى فى مكان لا يتصور
أن يرى فيه أثرا منه ... وصاح :
- أهو أنت ... أصدیق أنت ... أنت صديق !!؟
- ويصيح عبد الودود وكأنه صدى صوت :
- أهو صديق .. صديق أخونا .. أهو صديق !!؟
- وفى ثبات حازم يصيح بهما صديق :
- اصمتا واسمعا .. اسمعا كلاما ظل كالأعصار فى نفسى منذ
وعيت الحياة .. كعزيف الريح كان وآن له أن ينتقل الى اللذين أثاراه .
- ماذا ؟
- ماذا تقول ؟
- وفى هدوء ثابت أطلق صديق عاصفته التنى لازمته سنين العمر الواعى
كلها :
- لماذا أردتما قتلى ؟
- وصاح كلاهما كما لو كانت رصاصة قد أصابت كلا منهما :
- ماذا !؟
- وفى هدوئه لا يزال يقول صديق :
- لقد غبت عنكما هذه السنوات وأنتما لا تعرفان أننى سمعت
المؤامرة التنى كنت تدبرها أنت يا عبد الغنى والتنى وافقت عليها أنت
يا عبد الودود ، وأنتما جالسان بمقهى الملاهى :
- وصاح عبد الغنى :
- سمعت ماذا ؟ سمعت ماذا ؟
- وصاح عبد الودود :
- اذن فقد سمعت .

ويكمل صديقي في ثبات

- وجريت يومذاك مذعورا . ولو كنت قتلت لكنتما قاتلي . وانتظرت
هذه السنوات أرفض العودة حتى أكون واثقا من نفسي وأنفى عن نفسي
خوف الأخ الأصغر يريد أخواه الكيران أن يقتلاه . . . وأنتما اليوم كلاكما
أضعف مني . . . وأنا أواجهكما .

وأجهش الأخوان باكيين فقد كان البكاء هو كل ما يمكن أن يقال .
وقال صديق :

- بعض دموع ستحمل الى نفسيكما الراحة أين هي من عذاب طفل
وفتي وشاب يعيش على الصدقة في بيت لا يجمعه به نسب ولا تصله به
قراية ؟ . . . ما بعض دموع أمام ذل السنوات والشعور بالضيق والاحساس
أننى فى أى لحظة قد أطرده من البيت ؟ ما بعض قطرات من ماء العين وأنا
الذى وجدت السجن أحب الى من الحرية ، وعشت فيه لأقطع ما بينى وبين
هؤلاء الناس ؟ ابكيا ما شاء لكم البكاء فقد أقيمتانى السنين الطوال الى
عالم لا أموت فيه ولا أحيا .

وقال عبد الغنى :

- ألا تطمع فى غفران . . . ان الحياة التى اختارها الله لتكون سخطة
على آدم لا بد أن يكون فيها أمثالنا من الخاطئين . . . وعى غير جديرة بأن
تعاش ، ان لم يكن فيها أمثالك من الصديقين العافرين

- وان غفرت لحقى فكيف أغفر لحق أبى :

- لقد عاد اليه نظره .

- لأنى أرسلت اليه قميصى ، لقد حطمت رجلا لولا ايمانه لاحاط به

الفرع الأكبر من الهول .

- هو سيفقر .

- لأنه أب وأنه لم يعرف ما كنتما تدبران .

- أو تقول له ؟

- سنرى . . . هلم بنا اليه .

وارتمى صابر فى أحضان صديق وعلا منهما بكاء المرح ، واحاطت
بالاثنين ذراعا هند وقلبها . وراح صديق يقبل رأس أمه ووجهها وعينيها . . .
انها أمه الحق . . . التى لا يخاف عندها ولا يعرى . . . وحين هذا اللقاء نظر
صابر الى صديق ثم نظر الى عبد الغنى وعبد الودود وقال لصديق :

- انك لن ترد لى عندك طلبا . . .

- حتى ان كانت عودتى الى حيث كنت ٠٠
– أنا أعلم أنك ما هربت الا فزعا من أخويك ٠
وقف الاخوة الثلاثة وأكمل صابر :
- أتذكر الرؤيا التى رويتها لى قبل أن نفترق ٠٠٠ انك فى الرؤيا
قد غفرت فهل أرجو أن تغفر فى الحياة ؟ ٠٠ وكفاهما أنهما لم يدجبا ولدا
ولا ابنة ٠٠ ان السماء تعرف كيف توزع الأرزاق ٠٠
ويقول صديق مطرقا :
- اللهم انى أغفر ، واللهم ارزقهما البنين والبنات ٠٠٠ واللهم لك
الحمد فى الأولى والآخرة ٠٠ اللهم تقبل دعاء ٠٠
ويطرق صابر وهند وعبرات تسبق قولهما معا ٠٠
– اللهم آمين ٠٠
- ((تمت))

خبرنامه

اهداء

لا اله الا الله محمد رسول الله

● ● كلمة حق

الى زوجتى أم أمينة ودسوقى

هذه روايتى العشرون اقدمها فكانى اقدمها الى نفسى .
فقد كنت لى على مدى أربعين عاما امانا عند الجزع . وحضنا
عند الضائقة . وسكينة عند الروع . وجبا لا يخالطه من .
ووحيا كأنه نور من السماء . وحديا اذا تجهمت الدنيا .
واشفافا حين تنبت الأشواك فى الطريق ، وكم مرت بنا من
الأيام اشواك فكانت أنت الورود فيها . وكم لقينا من الحياة
ظما فكانت أنت الورد الصافى والماء الطهور .

اليك بجانبى كل دعائى الى الله أن يمد فى عمرك لتكونى
لى ولابتك ولابنك الحياة التى لا حياة لنا الا بها فنلائتنا يشعر
عن يقين انه هو أنت وحسبنا أن نكون نحن أنت ؟

مروت

مَشْرِع

(١)

المركز في مصر شأنه عجيب .. فلا هو مدينة تكتمل له عناصر
المدينة جميعا .. ولا هو قرية ترين على جنباته أجواء القرى التي يعرفها
ريف مصر منذ فجر التاريخ ..
المركز مدينة صغيرة أو قرية مكبرة يجمع بين الحاضرة والريف في
تناسق عجيب ..

فأنت تجد في المركز دارا أو ربما دارين أو ثلاثة أحيانا للسينما ..
وفي المركز أطباء كثيرون قد يزيدون أو يقلون عن العشرة ولكنهم
دائما متعددون .. وقد تجد بل انك كثيرا ما تجد أطباء متخصصين ..
وبالمركز دكاكين كثيرة لبيع الفاكهة الأمر الذي لا تجده في القرية مطلقا
ودكاكين أخرى لبيع الملابس .. بل انك في اجمالة تنأى بنا عن التفصيل
تستطيع أن تشتري ما شئت في المركز لا استثنى من ذلك التليفزيون بل
والفيديو أحيانا ان لم تجده في الحال وجدت من يشتريه لك في ساعات من
الفرع الرئيسي الذي يمثله هو في المركز ..

وللمركز محكمة لها قضاتها ونيابتها وجميع الموظفين الذين تحتاج
اليهم المحكمة . أما الشرطة فأنت واجد لا شك قسما لها يرأسه مأمور
بأكمله مع مساعديه من الضباط وما يليهم في المرتبة ..
وبالمركز أكثر من ناد منها الرياضي ومنها الاجتماعي .. وربما
يكون هناك ناد معين هو أهمها ولكنه لا يلغى الآخرين .. وبالمركز أكثر
من محام .

مدينة مصغرة هو المركز .. وناسه يعرفون بعضهم البعض وهو في
هذا يقترب الى القرية .. وينأى بعض الشيء عن المدينة ..
في مركز من مراكز مصر يقيم الرجل الطيب عبد الهادي النقيب ..

ومركز المهديّة الذي يقيم فيه من أهم مراكز مديرية الشرقية ٠٠ وقد جاء عبد الهادي نفسه في المهديّة وهو يعلم أن أباه وجده كانا يعيشان بها ٠٠

وكان عبد الهادي النقيب من أعيان المهديّة ومن أحب أعيانها الى ناسها ٠٠ وما اختلف قوم فيما بينهم أو وقع خلاف بين أسرتين الا كان عبد الهادي هو أول من يتجه اليه المختلفون يرجون عنده الرأي السديد والعقل الراجح والبعد عن الهوى والحفاظ على العدل ٠٠

فما كان عجيبا أن أصبح عبد الهادي في نفوس أهل المهديّة رئيسا للقوم ٠٠ وقد تولى منصبه هذا دون تعيين وبغير انتخابات ٠٠ هو هكذا في القلوب دون أي قرار رسمي ٠٠ ويعلم الله أن كثيرا من أصحاب الرئاسة الرسمية يتمنى أن يصل الى هذه الرئاسة المضمرة المتمكنة من القنوب ويهون عنده حينئذ كل المراسيم والقرارات والأوامر التي نصبته رئيسا رسميا ذا تاج وكرسى عرش وحرس وخدام وضجيج وعجيج وصراخ لا يدرى أحد مدى الحق في شأنها ٠

أما رئاسة القلوب المضمرة فهي رئاسة لا شك في أمرها أثبتتها كل فرد من أفراد الشعب في نفسه ٠٠ وأصبح في غير حاجة أن يعلن عنها ٠٠ كذلك كان عبد الهادي وهكذا نفى الله عنه أبهة الرئاسة المظهرية ٠٠ فلا هو صاحب غرور ولا تكبر ٠٠ وما لرئاسته مراسم مظهرية ولا طبل ولا زمر ٠٠ وربما كان لا يدرى أن الناس يتخذونه في نفوسهم رئيسا لهم ولكنه - لا شك - كان يعرف أن الناس يحبونه لانه كان على ثقة أنه يجب الناس ويسعد أن يقبل عشرة من أنزل الدهر به عشرة ٠٠ ويهنا أن يمد من احتاج بحاجته وتملا نفسه البهجة ان وقف بجانب أسرة كانت ذات عزة وكرامة وأراد الدهر أن يعدو عليها ٠٠

كانت دار عبد الهادي موثلا لمن حاولت الحياة أن تززع مستقرهم، يجدون فيه للنفس الراضية تسمح وتواسي ٠٠ ويجدون الى جانب الكلمة العادلة كرم المال والنفس يقدمه عبد الهادي مما حباه الله به من مال ٠٠ وقد كان غني عبد الهادي غني واسعا ، ولكن الناس أحببت له هذا الغنى لانه كان يعتبر ماله مال كل محتاج وكل أخ في الأنسانية حزبتة من الحياة ضائقة ٠٠

وكان عبد الهادي أيضا لا يبخل بجهده عند الشدة ٠٠ فان له في أعيان مصر صلوات وصدقات وما تأخر يوما عن سعي حثيث في سبيل خير أو بعض خير قد يعود على قاصده ٠٠

وكان أخو عبد الهادى أصغر منه بسنوات عديدة وكان منه بمثابة الابن تماما . فان عبد الهادى فقد أمه وهو يقارب العشرين من عمره وكان أبوه الحاج رافع النقيب فى الخمسين من عمره فتزوج بعد وفاة أم عبد الهادى بعامين واختار لنفسه عروسا من أسرة النوافعة توفى عنها زوجها وهى فى الثانية والثلاثين من عمرها . ولم يمتد زواجها الاول بما يسمح لها أن تهب الحياة أبناء . . فحين تزوج منها الحاج رافع وهبت له عبد الوارث بعد سنتين من زواجهما . .

وهكذا كان عبد الهادى بمثابة الوالد لعبد الوارث وقد كان الحاج رافع يمزح دائما وهو يقول عبد الهادى أخذ منى عبد الوارث فانا لا أعرف من شأنه شيئا هو الذى يراعه . . لعل هذا يقنعه أن له ابنا ما دام قد مضى على زواجه سنتان ولم ينجب . .

وقد كان عدم انجاب عبد الهادى هو النصبة التى يشقى بها عبد الهادى . . فقد كان أمله أن ينجب وكان يقول لأصدقائه و الأبناء للأبء حياة أخرى وان كانوا يأكلون الحياة الأولى . أرى جزع الآباء على بنينهم فأكاد أحمد الله أن ليس لى بنون ولكننى ما ألبت أن أتمنى أن أصاب بهذا الجزع وأن أظل على ولدى ملهوفاً لهفة كقيلة أن تمحو كل سعادة فى حياتى ولكنها فى ذاتها سعادة لا تعدلها سعادات العالم أجمع . .

كان يقول لأصدقائه . .

اننى أتمنى أن أرى بنفسى ولدى ولن أحاول أن أتظاهر بالرضى اننى لم أنجب . . لا أنا أريد أن أنجب مهما يكن فى الانجاب من رعب يتولى الأب نحو بنيه ومهما يكن فى الانجاب من انفاق للصحة والمال . . ومهما يكن الابن مجلبة للقلق يتولى الأب بين أمل يهفو اليه وحقيقة تطالعه . . وذعر يتولاه أن يصاب ابنه بمكروه مهما يكن هينا هذا المكروه . . أريد أن أنجب مع علمى بالهلع الذى يتولى الآباء على أبنائهم . . ان هذا الهلع عندى سعادة . . ويل للأب ان أصيب الابن بجرح . . وما أعظم الهول الذى يأتاه الأب اذا قدر الله عليه أن يوارى ابنه التراب . . ولكننى ومع علمى بكل هذه الأهوال أريد ابنا .

حين مات الحاج رافع كان عبد الوارث فى الثامنة من عمره . . فكان عبد الهادى منذ هذه السن الباكرة بمثابة الأب له . .

ولكن ليس فى العالم انسان يستطيع أن يكون مكان الأب مطلقا . . كان عبد الهادى يخشى أن يقسو على أخيه لانه ليس ابنه . . والابوة تحتاج رغم أنفها الى بعض القسوة فى كثير من الأحيان . . وهكذا لم يكن غريبا

أن يتعثر عبد الوارث فى الدراسة ولا يستطيع عبد الهادى اذاه الا أن يعنفه
تعنيفا هينا لم يصل الى الشدة قط . .

ولم يتسلم عبد الوارث ميراثه عن أبيه ولم يكن قليلا ولكن عبد الهادى
قام على هذا الميراث خير قيام وراح ينميه لحساب أخيه ورفض أن يحتسب
من ميراث أخيه مأكله وملبسه مرتثيا أن هذا واجب عليه حتى وان كان
الأخ غنيا . .

وكان الحاج رافع حين تزوج فائقة أم عبد الوارث رأى أن يرضى
ابنه الأكبر بعمارتين باعهما له وسجلهما باسمه . . ولم يكن عبد الهادى
محتاجا لهاتين العمارتين حتى يرضى فلم يكن غاضبا حتى يحتاج الى
ارضاه . .

نذر عبد الهادى أن يقيم مسجدا لوجه الله اذا استجاب الله دعاه ومن
عليه بمولود . . وان للسماة أسرارها . . وحملت زوجته حميدة . . وقبل
أن تلد كان عبد الهادى قد بدأ يضع الأساس للمسجد وهو يقول انه مسجد
لله وسواء عندى أن تمت الولادة أم لم تتم . . قد نذرت أن أبنيه ان أنجبت
وقد أخطأت فان على ما دمت قادرا أن أبنيه أنجبت أو لم أنجب . .

وحين قدم ابراهيم عبد الهادى النقيب كان المسجد قد تم بناؤه
وأقيمت الأفراح خيرات على الفقراء والمعوزين .

وقرت عينا عبد الهادى واطمان قلب حميده . . واكتملت فى البيت
سعادة كانت ناقصة وأذن لها الله أن تكتمل .

شب ابراهيم فتيا بهى الطلعة مكتمل الرجولة زكى الفؤاد فى سمته
عند الناس قبول لا يراه الرأى الا انشرح قلبه لمرآه ، على فمه ابتسامة
كانها بطاقة من الحب تركها محب هناك عن عمد . . وفى جبهته اشعاع
سلام كأنها دعوة ود لا كدر فيها ولا مغاضبة . .

وأجمع الناس على حبه مع أن الناس لا تجمع على شىء .

ناس المهديّة مثلهم مثل سائر الناس فيهم الطيب الشريف وبينهم
المجرم الخبيث . . والخير فى حياتنا نادر والشر على الناس غالب ، ولكن
ليس هناك انسان كل ما فيه شر وحتى أهل الطيبة والورع قد تجد جانبا
منهم لا يرضيك فانه لا كمال الا للنبي . .

كان أهل الخير وأهل الشر جميعهم يحبون إبراهيم .. لأنه كان لا يتيح فرصة لأحد أن يتصل به الا بالحب ..

شخصية توشك أن تكون بعيدة عن أبناء الحياة كان إبراهيم ..

وكان طبيعياً أن يكون عند أبيه أعلى من الحياة .. وكم كان عجباً أم لعله لم يكن عجباً أن كتب عبد الهادي لابنه ماله جميعاً وإبراهيم بعد في المدرسة الابتدائية ولم يعبأ بقول الناصحين أن يترث ربما رزق بعد ذلك بابن آخر أو بابنة .. لم يتصور أنه وقد ظل كل هذه السنوات بغير انجاب أن ينجب بعد إبراهيم أخاً أو أختاً ..

وكم كان عجباً .. أم لعله لم يكن عجباً أن قال عبد الهادي

لابنه :

- أريد منك شيئاً ولا تعارضني ..

- أنا لم أعارضك في حياتي ..

- أعرف ذلك ..

- أنا لن أخرج عن أمر لك أبداً ..

- مهما يكن غريباً .. ؟

- لقد أسميتني إبراهيم تيمناً بأبي الأنبياء فاعتبرني بالنسبة اليك

اسماعيل الذي امتحن الله فيه أباه وحين قال لابنه أنى أرى كأنى أذبحك ..

قال يا أبتى افعل ما تؤمر وأنا أقول لك يا أبت أنا فاعل ما تأمر ..

- تزوج ..

- أتزوج أمرك نفاذ ولكن ماذا يقول الناس عن تلميذ في المدرسة

الثانوية يتزوج .. ؟!

- يقول رأى أبوه نقاءه وطهره وأراد أن يعصمه ..

- هل اخترت لى العروس .. ؟

- اذا لم تخترها أنت سأختارها أنا لك ..

- أحتاج الى مهلة ..

• هل تطول .. ؟

- لا ما أظنها ستطول يا أبى ..

- أرايت انى على حق .. اذن فان قلبك كانت له نبضة بذاتها نحو

فتاة بعينها ..

— كنت أكنم النبضة لا تذيع . . . وهل كنت أتصور أنك ستأمرني بهذا الأمر ؟

— وما أنذا أمرت فقيم المهلة . .

— لا بد للنبضة من نبضة تقابلها أريد أن أسمعها فإذا سمعتها من بعيد أجبتك . .

— وكيف لك أن تسمعها وأنت بعيد . . ؟

— للشباب نظرة يسمع بها ولنا عند اللقاءات غير المدبرة ملامح نعرفها . . تنبئ ولا تفصح تقول ولا تنطق .

— كنت شابا أنا أيضا . .

— ربما تكون قد نسيت .

— هذه الخلجات لا تنسى . . وتريد مهلة .

— ولن تطول .

— وأنا أنتظرها في لهفة .

— أرجو الله يا أبى أن يجعلنى لك دائما مصدر سعادة لا يشوبها شائبة .

— اذن عجل .

— قبل أن تشعر بالضيق سيكون جوابى عندك . .

— موافق يا ولدى ان شاء الله .

— ببركة دعائك يا خير أب .

☆☆☆

شاب هو له خفقات الشباب وأحلامه وآماله ورؤاه . . وله أيضا الصديق الذى يشعر نحوه بوشائج ألفة وتربطه به أخلاق متجانسة متقاربة . . يسعد اذا جلس اليه . . ولهما بينهما همس وآراء وأفكار حتى كأنهما يصدران فى آرائهما عن مصدر واحد توجد معينة وتمازجت الأواء فيه صادرة واردة .

وقد كانت هذه هى الصداقة التى تجمع ابراهيم بعبد الواحد الزياى ابن الشيخ مأمون الزياى رجل الدين الذى اختاره أبوه ليكون امام الجامع الذى بناه وعبد الواحد زميل ابراهيم فى المدرسة منذ اليوم الأول لبدء دراستهما . . وتعود الأصدقاء أن يروا الصديقين متلازمين .

ولعبد الواحد أخت تصغر أخاها بعام واحد هي روحية ٠٠ يحس ابراهيم نحوها وجيبا وكان يعذبه عذابا يعرفه الشباب الذي يحب ، والذي يعلم أن حبه لن يصل به الى الأمل المنشود الا أن عذاب ابراهيم كان يزيد عن ذلك فقد كان يضاعف ألمه شعوره أنه يخون صديق عمر ونجى نفسه بهذا الحب وكان يلوم نفسه أشد اللوم كيف تحيين أخت صديقك وأنت تعلمين أنه ليس الى زواج من سبيل ؟ وكيف تحتلمين أيتها النفس الخاطئة أن يكون هناك لك سر لا تجرؤين على الافضاء به الى عبد الواحد ؟ لولا علمك انه سر لا يقال ما حبسته عنه ولأبخته له مثل كل ما فيك من أسرار وأفكار وآراء .

ويل للناس من انفسهم ! كان كل من يرى ابراهيم يحسب أنه المثل الأعلى للسعادة ، والناس لا ترى الا ظاهر الأمور ، أو هي في الحق لا تحب أن ترى الا ظاهر الأمور . وليس لها شأن بخفايا النفوس وحنايا الحياة وما يستره كيان الانسان المغلق كأنه جدران سميقة ترد العيون أن تتلصص الى الداخل ٠٠ وكان ابراهيم يزلزل بين السعادة والشقاء وهو يرى في عيون روحية تحية لعيونه التي تشع بما يمكنه قلبه لها وما يدرى أخير ذلك أم شر .

مسكين ابراهيم فقد كانت صداقته بعبد الواحد تكاد تدمره حتى لقد كان خليقا أن ينزع حب روحية من فؤاده لو أن للانسان على فؤاده سيطرة أو سلطانا ٠٠

ولكن هيهات ٠٠

هذا قدرى وهذا عذابى ان شاء الله أن يكون من حبي وهو ظهور وكان حريا أن يكون سعادتي ومن صداقتي وهي أمينة صادقة ٠٠ حين طالعه أبوه برغبته في التعجيل بزواجه ، كان عقله وقلبه وكيانه لا يعزفون الا كلمة واحدة ٠٠

ولو أن عزف القلوب والعقول والجوانح له صوت وان كان هامسا لسمع عبد الهادي اسم روحية تردده كل خلجة وخليّة في احشاء ابنه ابراهيم .

لهذا لم يكن عجيبا أن ينصرف ابراهيم عن أبيه وسعادة الدنيا جميعا تمور في جوانبه ٠٠

وانتحي من بيته ركنا وأغلق بابا وفكر ٠٠

كيف اعرف منها هي أنها تقبل الزواج منى لشخصى وليس لصداقة
بين ابيها وأبى ، ومحبة صادقة قوية بينى وبين أخيها ؟
أسأل . . كيف ؟ وهل هذا يجوز . . أخرج حياءها وأعدو مكاني
:لذنى لا ينبغي لى أن أعدوه ؟

وانقضى الليل وأعقبه صباح ، ومع خيوط الفجر القادمة من السماء
وجد ابراهيم هداه فى حيرته السعيدة .
مع آذان الفجر ذهب الى بيت الشيخ مأمون فوجد عبد الواحد يهم
بالخروج ليحلق بأبيه فى المسجد ويصلى معه الفجر حاضرا .
- عجيبة ! أنت لا تصلى الفجر فى الجامع . .
- ولكن هل هناك ما يمنع ؟
- أعوذ بالله بل هو الأفضل . .
- لم أنم قلت أجيء اليك ونصلى معا بامامة أبيك . .
- علم الله ياأبا خليل ان وراء حديثك أمرا .
- لم استطع أن أخفى عليك من نفسى خافية فأى عجيبة أن تعرف
عذه أيضا .
- هلم بنا . .

وصليا الفجر وبعد قراءة التحيات ظل ابراهيم فى مكانه وفى هيئته
أنه يريد أن يقول ما بنفسه هو فى مكانه هذا . . وفهم عبد الواحد . .
وبقى الى جانب صديقه . . وانفض المصلون وخلا بهما بيت الله .
- هنا فى بيت الله أريد أن أكلمك فيما جئت اليك من أجله . .
- توكل على الله . .
- أبى يريدنى أن أتزوج . .
- ماذا . .
- لا تناقش . . ابنه الوحيد ويخاف عليه الفتنة أو هذا ما قاله لى
وربما كانت الحقيقة أنه يريد أن يرى لى ولدا . .
- لن أناقش .
- أريد الزواج من روحية .
وفى دهشة بالغة انتفض عبد الواحد :
- ماذا . .

– ما سمعت ان لها فى قلبى مكانا أخفيته عنك ظنا من أنها ستسبىقنى
الى الزواج وأريد منك شيئا لم يطلبه أحد من أخى فتاة مطلقا ..
– ماذا تريد منى ..

– أنا أعلم مكانى ومكان أبى فى بيتكم ولكنى لا أريد روحية زوجة
مرغمة على الزواج بحكم صلات أهلها بصلات أهلى ..
– وأنا ماذا أفعل ..

– لم أتصور أن أنتهز فرصة فأسألها أنا فأننى بهذا أكون قد خنت
صداقتى بك وهدانى الله أن يكون السؤال منك سؤالا صريحا من أخ الى
أخته وأستحلفك بالله وبصداقتنا ان وجدت لحظة من تردد ألا تعيد عليها
السؤال ..

واحتضن عبد الواحد ابراهيم ودمعتان تظفران الى عينيه ما يدرى
أدموع فرح بصديقه أم اعجاب به ..

– نعم الرجل ونعم الصهر أنت ونعم الأخ .. أسألها ان شاء الله
وسأجتهد أن أكون فى سؤالى وفى نقلى لحديثها إليك قريبا من أمانتك ..
أمانتك مع نفسك ومع الصداقة .. قم بنا ..

وقال ابراهيم وهو يرتب ظهر عبد الواحد :

– هيا وفقك الله وجعل الخير على يديك ..

لم يكن شعور روحية أقل من شعور ابراهيم فقد كان قلبها يجيش
اليه بألوان من الحب شتى .. وكان حبا منطلقا لا يقيد حبا ابراهيم من
محاذير .. كانت تحب وكفى وتلقى الى المقادير مصائر هذا الحب .. ولم
تكن فى حاجة الى أن تستوثق من حب ابراهيم لها فان للفتيات الى أعماق
القلوب نظرة لا تخطيء وللفتيات قدرة على اخفاء مشاعرهن فابراهيم معذور
ان استبهم به الطريق ولم يصل الى حقيقة حبه فى قلب روحية أما الشباب
فهو فى اخفاء الحب ساذج .. وان له دائما من نظراته ولفطاته وقسمات
وجهه ما يفضحه فما بعجيب أن تدرك روحية مدى حبه فى قلب ابراهيم ..
وما بعجيب أن يجهل هو ان كانت تحبه أو لا تشعر به ..

قال لها عبد الواحد :

– ما رأيك فى ابراهيم يا روحية .. ؟

وانبهرت روحية وأطبقت عليها الحيرة .. أياكون عبد الواحد قد اطلع
على خفايا فؤادها أو يكون ابراهيم قد باح بحبه البكر الى صداقته الخالصة

عند عبد الواحد .. وجمعت حروفا كونت جملة مترددة متهدلة غير واضحة -
المسالم :

- ما معنى هذا السؤال ؟

وفي حسيم الأخ وفي أمانة الصادق الذي لا يعرف كيف يدور
بالحديث :

- يريد أن يتزوج بك .. نعم تلميذ ويتزوج .. يريد أبوه أن
يفرح به .

وانفجرت فرحة على معالم روحية جميعا وهي تقول فى سعادة ذات
نفس :

- ونا ما شانى لماذا لم يكلم أبى .

- عرفت الجواب اذن فقد كان حبيبي ابراهيم متحرجا أنك قد
تقبلينه من أجل صداقته بى أو من أجل صداقة أبيه بأبيك ..

- وماذا رأيت ؟

- رأيت ما يرضى ضميرى ..

وتخادلت روحية فقد أدركت أنها فشلت فى اخفاء مشاعرها ..

- اياك يا عبد الواحد أن تنقل ما رأيت منى الى .. الى .. الى
ابراهيم أو الى أبى ..

- سرك معك لم يبرحك وتعالى أقبلك لأكون أول من هناك ..
وقبل الأخ أخته ..

- وأقيمت الأفراح وتزوج ابراهيم من روحية . وما هو الا شهر
حتى حملت روحية حملها الأول .. ولكن الأقدار شاءت فى ارادة لا يعلمها
الا صاحب النفوس وبارئها ومعطيها وأخذها أن يموت ابراهيم وزوجته
فى شهور الحمل لم تزل .. وكان ابراهيم قد ولد ليهب الدنيا هذا الولد
الساعى الى الحياة من السماوات العلا .

وكان الله قد شاء أن يؤدى ابراهيم ما خلق له ثم يطويه اليه سراجا
وهب الحياة ما تحمله روحية ثم انطفأ ..

وانطفأت الحياة جميعها فى عيني عبد الهادى وتعلقت نفسه بالجنين
قبل أن يراه أملا لياس قاتم ونورا لظلمات من طبقات بعضها فوق بعض
حتى كان ابراهيم أن أخرج يده لم يكده يراها الا بهذا البصيص من الشعاع
الذى يومض اليه ممن تحمله روحية ..

وأصبح انتظار المولود هو عمل عبد الهادي الذي لا عمل له غيره
كانت يد الطفل تمتد من السماء ويتعلق بها عبد الهادي تمسك الغريق
ليس له غيرها أملا ..

وحل موسم الحج ووجد عبد الهادي أنه إذا حج يستطيع أن يعود
قبل أن تلد روحية فخرج الى الحجاز هناك يدعو لبيك اللهم لبيك
فيما أخذت ولبيك فيما أعطيت عبادك نحن نرضى بما قسمت ونردد آياتك
التي منها كلماتك المشرقة الوضوء ..

((ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون))

« صدق الله العظيم »

(٣)

عاد عبد الهادي من الحج وفور عودته طلب من القابلة الحاجة مبروكة
أن تقسم في البيت اقامة كاملة حتى تشرف على راحة روحية لا لتقوم
بتوليدها .. فقد كان ينوي أن يجعل الطبيب جابر فواز أحسن أطباء
النساء في المركز يتولى هو ولادة روحية ..

وتمر الأيام ويفاجأ عبد الهادي بالشيخ مأمون الزيايدي قادمًا إليه :

- يا حاج عبد الهادي فقد سكت طوال هذه الفترة احترامًا لحزنك

- سكت عن ماذا ؟

- عن بقاء روحية في بيتك ..

- أليست ابنتي ؟

- ولكن زوجها ..

والجزم الأسي لسان الرجل الطيب وقال عبد الهادي :

- ماذا .. لماذا لا تقولها ..

- لقد كان مني بمكان الابن أيضا .

- هل أنت واثق ..

- الله أعلم .

- إذن فأنت صادق في قولك .

- لا شك في ذلك ..

- اما أن شأنك لعجيب ..
- وإى عجب أن تلد ابنتى فى بيتى ؟
- يا أخى لقد اعتبرت أنت ابنى ابنك فلماذا تأبى أن تكون ابنتك.
بنتى وهى تحمل ابن ابنى فعلا ..
- العرف والتقاليد ..
- ومتى كان لى بيت ولك بيت يا شيخ مأمون .
- أخشى أن يقول الناس اننى بخلت أن أنفق على ولادة ابنتى .
- أكلام صغير كهذا يجعلك تطلب أن أترك ابن ابنى يولد فى غير
بيته . اسمع يا شيخ مأمون ان روحية لن تترك بينى لا قبل الولادة
ولا بعد الولادة ان شاء الله .. واذا كلمتنى فى هذا الأمر مرة أخرى لمجرد
خشية كلام صغار فستكون قطيعة بينى وبينك ..
- لا قدر الله أنت كبيرنا وبيتك بيت الجميع فلا عجب أن يكون بيتك
حفيدك وأم حفيدك ..
- وابنتك ابنتى على كل حال .
- توكلنا على الله .. السلام عليكم ..
- ألا تزور ابنتك وتدعو لها .
- أخشى أن أثير فى البيت اضطرابا .
- المرء لا يثير فى بيته اضطرابا أبدا أدخل على بركة الله .

☆☆☆

- حل موعد الولادة ولكن روحية وحميدة ومبروكة فوجئت جميعا
بما لا يتوقع أحد ..
- بدأت الآلام ..
- وسارعت مبروكة تطلب الطبيب فى التليفون وطلبتته وعادت ترافق
الوالدة ..

ولكن الآلام لم تدم الا دقائق قليلة ثم رأت مبروكة أن الولادة تتم
فعلا سبحان الله العظيم .. بكر تلد بهذه السهولة التى لم أر لها مثيلا
حتى فى اللاتى ولدن ثمانى مرات وعشر. وقبل أن تكمل ذهولها كانت
تستقبل المولود على يديها نظيفا طاهرا كأنما قام الملائكة بتحميمه قبل أن

يولد وقامت مبروكة في خبرة القابلة العجوز بكل ما يجب القيام به في
أحوال الولادة ..

وحين جاء الدكتور جابر كان الطفل قد رضع من أمه وكان كلاهما
نائما ..

منصور .. فاني منصور من الله أن لم يضل عقلي حين فقدت أباه
وهو منصور من الرحمن الرحيم ليكون نصرا لي في مصابي . وهو ان
شاء الله منصور الى الحق والصراط المستقيم ..

منصور هكذا نذرت أن أسميه وأنا متعلق بأستار الكعبة وعند شباك
الرسول صلى الله عليه وسلم ..
منصور هو ان شاء الله .

وإذا كان الطغيان قد ألغى تعليم القرآن فاني بقوة الله أقوى من
ارادتهم ولن يذهب الى المدرسة الا وقد ختم القرآن .. هنا في بيتي وعلى
يد جده الشيخ مأمون وسبحان الذي حرم وسبحان الذي وهب ولا اله
الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

★★★

كان منصور منذ طفولته ذا جاذبية أسرة لا يراه أحد الا كبر لله فقد
كان في وجهه حب وايناس ومن عجب أنه وهو الطفل يجعل المقترب منه
يحاول أن يرضيه بكل وسائل الارضاء .. ويسعد جلسه غاية السعادة
إذا ابتسم ويشعر مرافقه أنه هو الذي يبتسم لا الطفل ..

أذن الله للحاج عبد الهادي أن يبر بقسمه وختم منصور القرآن وهو
في العاشرة من عمره فلم يتأخر عن رفاق سنه في المدرسة الا سنتين ..
وما سنتان في عمر الزمان .

★★★

حين كان يأتي الشيخ مأمون ليعلم حفيده كان يلاحظ في السنوات
الأخيرة من حفظ منصور للقرآن ان ابنته روحية تضوى ويشتد بها
الهزال ..

- يا ابنتي ألا تأكلين ؟

- يا أبي كيف هل يستطيع الانسان أن يعيش بغير أكل

- هزالك يشتد لعلك تخجلين أن تأكلي ..

– أيجعل الانسان فى بيته • وانت تعرف اننى أقوم بشئون البيت
جميعا وأن حمايتى خالتي حميدة قد تركت كل شيء لى وهى سعيدة بذلك
فممن أجدل اذن •

– اذن لا بد أن هناك شيئا يسبب هذا الهزال ••

ودخل الحاج عبد الهادى مرة وسمع هذا الحوار :

– أنت محق يا شيخ مأمون ولهذا طلبت الآن الطبيب دكتور اسماعيل
حسنى ليقول لنا رايه ••

وجاء الطبيب وقال :

– ليس بها شيء عضوى وربما تحتاج بعض المقويات ••

وارتاج الحاج عبد الهادى والشيخ مأمون لهذا القول وحمدا لله وكان
منصور يرقب هذا جميعا بقلب واجف محاولا ألا يشعر به أحد غير أن عينى
أمه كانتا ترقبانه فى تطلع وسعادة انه مهتم بشأنها •• ورات فى محياه
انه غير مطمئن لكلام الطبيب وأنه لم يسارع الى تصديقه كما فعل جداه
فاذا هو يقول لهما :

– لا بأس أن نجرب دواء هذا الطبيب بعض الوقت ثم نسال طبيبا
آخر ••

وضحك الجدان فى سعادة غامرة •• فالراى سليم وسكوت منصور
طول فترة وجود الطبيب وعدم مشاركته الكبار فى كل ما دار من أحاديث
آثار فى نفس الجدئين معا الكثير من العجب والاعجاب ••

وبمناسبة ختام منصور للقرآن أقام الحاج عبد الهادى ليله لله سبحانه
وتعالى تداول فيها مشاهير قراء القرآن قراءة القرآن وقام المشايخ بعمل
الخاتمة ووزعت الصدقات على الفقراء والمعوزين وكانت روحية هى التى
تقوم بشئون الليلة جميعا التى استمرت الى الصباح ••

وقبل أن يترك المشايخ البيت جاء من يطلب اليهم البقاء •• لقد ماتت
روحية والليلة فى ختامها الأخير ••

كانما كانت على موعد مع ابراهيم أن تلحق به حين تطمئن على
مستقبل منصور ••

وكانما خلقت روحية لتقدم منصور الى الحياة وترعاه حتى يطمئن الى الحياة ويهدأ مستقره فيها ثم تودعه لتستقبله يوم يريد الله ان يضمه اليه .
حزن منصور حزنا شديدا ولكن العجيب أنه لم يشعر بأى لون من الهلع أو الجزع . . فقد اطمأن قلبه الى الايمان وهو من حفظة القرآن وحمله فى قلبه .

بكى بكاء حزن لا خوف وعرف الأسى الآخذ الشديد الذى يعرف الناس حين يفقدون مهماتهم . . ومن كلام جينا وتضحية وحنانا وحديا وشفقة واينارا . فقد كان حب منصور لأمه حبين فى وقت معا . . فقد كانت أمه وأباه . . وان جده عبد الهادى يسكب عليه العطف والحب ألوانا وأفانين ولكن هل فى الدنيا جميعا شئ كنداء الأب لولده ذلك النداء الذى يكاد الأب يضع قلبه فيه . . نداء لم يعرفه منصور ولكنه أحسه فى أصوات الآباء وهم ينادون أبناءهم وافتقده هو لنفسه ولم يسمعه . .

لحكمة يعلمها ربي وييده أرادنى أنلقى الحياة بغير أب وبغير أم ولكنه سبحانه لطف بى فأحاطنى بقلوب حانية . . وما يريد الله كائن والحمد لله على ما شاء حمدا يرضيه فى عليا السماوات . .

وسارت الحياة كما تعودت أن تسير دائما وممرت السنون وربما كانت وفاة روحية سببا فى أن يشعر منصور أنه مسئول عن نفسه فى خاصة شأنه . أما المآكل فهو مبدول وأما الملابس فهو يصل اليه بطريقة تلقائية . . فقد كان عبد الوارث يصحبه فى أول الشتاء ويشترى له ملابس الشتاء وكذلك يفعل فى الصيف . . وكان ملبسا من أحسن الأنواع دائما . .

أما من يلبسه هذا الملابس ومن يؤنسه حين يعود متأخرا من المدرسة ويتناول طعامه وحيدا . . ومن يؤنسه اذا نبا به مضجع وعز عليه نوم . ومن يسمع منه اذا أحب أن يقول وأن يروى عن مدرسته وصحابه ونفسه لم يبق له الا الله وكانت نفسه ينير جوانبها القرآن والسجية النقية والصفاء الذى يهبه الله لبعض النفوس فيشيع به الرضى فى حياتهم . . والرضى أسمى درجات السعادة وحسبك أن الله وهو الله قال لنبيه وهو نبيه . . « ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

أما فى المدرسة فقد صاحب منصور الأصدقاء وأحسوا جميعا انه متميز عنهم بحفظه للقرآن . . ثم هم فى مدرسة المركز يعرفون قدر الحاج عبد الهادى ويسمعون من آباؤهم ثناء عليه . . وهكذا كانت تحيط بمنصور هالة من العلم وكرامة الأسرة فى وقت معا . . وأصبح اخوانه الطلبة ينظرون اليه نظرة خاصة فيها حب وفيها احترام وتقدير وفى حياة التلاميذ

وفي ساعات اليوم الدراسي تقع قصص متتابعة صغيرة لا تروى ولكنها تجعل كل تلميذ يكون رأيه عن الآخر .. في فصول الدراسة .. في مناقشة الأساتذة .. في ملعب الفسحة .. تشابك خيوط من الحكايات التي تمر في حياة الانسان فلا يلقي اليها أي التفات .. وتدور مناقشات وتنتهي دون عنف في الخصومة أو لجاجة في الرأي ولكن التلميذ مع حكاية تتبعها حكاية ومناقشة في اثر مناقشة يكون رأيه عن زملائه حبا أو غير حب قد لا يصل الى الكراهية . واعجابا أو عدم اعجاب قد لا يصل الى الاحتقار .. ومن هذه المشاعر تتكون الصداقات وبهذه الصلات تكونت صداقة وثيقة بين منصور وأمين عبد الصادق . فقد أعجب أمين برفيق فصله منصور وأعجب به منصور وتكونت صداقة بينهما قوية العزى يخالطها الاعجاب . وقد كان أمين ابن أسرة ثرية ثراء واسعا وكان أبوه يعمل بالتجارة . وهو بطبيعة الحال صديق للحاج عبد الهادي صداقة بعيدة في أغوار الزمان . وصديق لأخيه الأصغر عبد الوارث أيضا ولكن صداقة الآباء لا تعنى بالحتم صداقة الأبناء ولكن ان كان الآباء أصدقاء فصداقة الأبناء خاصة في سن منصور وأمين الباكورة تكون حميمة تجده التشجيع والتبريك من الآباء وأصبحت صداقة منصور وأمين شهيرة في المدرسة .

وكان منصور حريصا أن يقيم صلاة الظهر في وقتها في المدرسة وكان يصلها معه أمين وكان كثير من التلاميذ أصدقاء أو كانوا مجرد زملاء .. وكانوا يصلون على حصير الحاج أبو العلا فراش المدرسة . وفي يوم كثر المصلون حتى لقد نبئت فكرة في ذهن منصور :

- جدى عندي فكرة .
- قل يا شيخ منصور ..
- عجيبة أنك قلت يا شيخ .
- لقد أردت أن أدلك فقط ..
- ولكن اللقب يتفق تماما مع ما سأحدث فيه .
- خيرا ..
- لقد بنيت جامعا حين استجاب الله لك دعائك أن تنجب بي ..
- فلنفرض ..
- فما رأيك لو أقيمت جامعا صغيرا لوجه الله فقط ودون نذر منك
- واستجابة من العلي القدير ..
- افعل .. ما المناسبة ..

- أنا لا أريد منك إلا مسجدا صغيرا في المدرسة فتحن نصلي الظهر في المدرسة وأحيانا في الشتاء يحل موعد العصر مبكرا ونصليه هناك أيضا • والتلاميذ يتزاحمون على حصر متهرىء ولا يتسوخ لهم فيصلون على البلاط وصحيح ان الله أكرم نبيه صلى الله عليه وسلم بأن جعل أرضه كلها مسجدا لعبادة المسلمين إلا أن هؤلاء تلاميذ صغار وقد يصيبهم البلاط بالبرد •

- لابد أن تصبح محاميا يا منصور ولو أنك غير محتاج لهذه المرافعة كلها لتكسب القضية فأنك قد كسبتها منذ أهديت رغبتك •• والمال مالك وما أنا إلا حارس عليه وتوكلنا على الله •

- بل انتظر يا جدى حتى أكلم ناظر المدرسة ••

- وهو كذلك ••

وفي اليوم التالى ذهب منصور فاستاذن أن يرى حضرة الناظر الأستاذ وجدى عبد العال ••

- اننا نريد أن نقيم مسجدا بالمدرسة ••

- الميزانية لا تسمح يا أستاذ منصور •

- جدى سيقوم الجامع •

- حقا ••

- نعم •

- أين نبيه ••

- فى الفناء •• أنا واخوانى وجدنا له مكانا مناسبيا ••

- ولكن أيرضى التلاميذ أن تضيق عليهم الفناء •

- هل لى يا حضرة الناظر أن أقترح اقتراحا ••

- قس •

- ان الله يقول فى كتابه العزيز أمرهم شورى بينهم اجعل التلاميذ يدلون برأيهم فى عملية ديمقراطية •• حتى يعرفوا أن الجامع بنى برغبتهم ولم يفرض عليهم •

- موافقون •• ويشترك أيضا المدرسون فى اعطاء الرأى •

- وهو كذلك ••

- وهو كذلك ••

وتم أخذ الرأي فاذا هو اجماع لم يتخلف عنه المسيحيون من تلاميذ أو مدرسين وكان المسجد صغيرا وكانوا في أوائل السنة الدراسية فصي التلاميذ في الجامع قبل الامتحانات بشهرين ورفض منصور أن يكون هو المسئول عن الجامع ..

- أن جدي هو الذي بناه .. أكان بناء حتى أصبح أنا مسئولاً عنه وهل ترون أن أظل دائما أذكر زملائي أن جدي هو الذي بنى الجامع ..

- فماذا ترى ؟

- تتكون لجنة وتنتخب رئيسا لها ولن أكون أنا ..

- وكيف تتكون اللجنة ..

- بنفس الطريقة التي بنى بها المسجد ..

- بالانتخاب ؟

- ينتخب التلاميذ اللجنة ثم تنتخب اللجنة رئيسا .. أما أنا فلن

أرشح نفسي ..

- ونعم الرأي ..

- وتمت عملية الانتخاب وأسفرت عن انتخاب أمين عبد الصادق رئيسا للجنة الاشراف على المسجد وقال أمين في أول اجتماع للجنة أن أباه متبرع بمصاريف المسجد من أجر الفراش الى أجر المؤذن .. أما الامام فسيكون الشخص الذي كان يؤمننا دائما منصور النقيب فهو أحفظنا للقرآن ..

وقال وهبي عبد المجيد عضو اللجنة :

- طبعا الا في أيام الجمع فقد يأتي الى الجامع من هم أكبر منه سنا ومن حفظة القرآن أيضا ..

وقال أمين :

- أحسنت يا وهبي وسنتفق مع عالم جليل ليأتي إلينا في أيام الجمع يؤمننا ويلقى علينا دروسا دينية أيضا ..

وهكذا استقر الشأن وأصبحت قصته دائرة على كل لسان حتى لقد كتبت عنه الأهرام مشيدة بما قام به التلاميذ والمدرسون وأهل الخير الذي شاركوه في أمره ..

من بين مدرسي المدرسة عبد العزيز المشد يمتلك قلما غالى التمن يتباهى به على زملائه وتلامذته على السواء . . وهو حريص في كل حصة أن يأمر التلاميذ بحل مسائل الحساب ليخرج هو القلم ويكتب به أى شيء ليراه التلاميذ في يده فهو أحيانا يكتب في كراسة التحضير أو يكتب به خطابات لو رآه مفتش يكتبها لوجه اليه اللوم الشديد فخطابات الأقراب والأصدقاء ليس مكانها فصول الدراسة . .

وان كان ذلك ممنوعا على التلاميذ فمنعه على المدرسين من باب أولى فالمفروض أن يكون المدرسين للتلاميذ قدوة . . ولكن عبد العزيز المشد معذور فيما يفعل فكيف له أن يظهر القلم ويتباهى به ان لم يكتب في كراسة التحضير أو يكتب به الخطابات وكلاهما ممنوع أثناء الحصص . . فالكتابة بالقلم على السبورة مستحيلة . . واذا أخرج القلم ويتباهى به دون أن يستعمله سيصبح بين التلاميذ أضحوكة . . على أن التلاميذ - على كل حال - لا يفوتهم شيء . فقد أدركوا بحواسهم الساخرة ما يريد الأستاذ عبد العزيز أن يظهره من مفاخر قلمه الذي يتصور أن أحدا غيره لا يملك مثالا له في الوجود .

وفي يوم بينما الأستاذ عبد العزيز يكتب بالقلم فتح باب الفصل ودخل مفتش الرياضة وفوجيء به الأستاذ عبد العزيز وتولاه الهلع والذعر في وقت معا . . ووضع القلم على المنضدة دون أن يعنى حتى بوضع السن في غطاءه مع أنه في الأحوال العادية يحرص كل الحرص على احكام الغطاء احكاما يستوثق معه أن القلم لن يفتح في جيبه .

انتفض الأستاذ عبد العزيز قائما مرتعشا وهو يقول قيام . .

تخلجت في فمه حتى ما كادت تبين . .

وشذره المفتش بنظرة لاهية وهو يقول

- امض في الدرس يا أستاذ . .

وزاح الأستاذ عبد العزيز يسأل التلاميذ وراحوا يجيبون وانتهت الحصة وخرج المفتش ولحق به عبد العزيز ناسيا القلم فقد كان حريصا ألا توضع نقطة سوداء في التقارير التي تكتب عنه حرصا مضاعفا . . فان كل أملة أن ينقل الى القاهرة حتى يتم زواجه من ابنة عمه وجنات التي مضى على خطبتها له سنتان وتم اعداد شقتها وأصبح لا ينقصه الا أن ينقل الى القاهرة حتى تمضى العروس فترة الزواج الأولى مع أمها وأبيها . . هكذا تصمم أمها الست الطاف . .

فقاله اذن لا ينسى القلم ويسارع الى سعادة المفتش يسترضيه
ويستجديه ويبدى له ما يعن له من أعدار .

خرج التلاميذ من الفصل فقد حلت الفسحة الأولى وتصادف أن نادى
وليد عبد الموجود زميله جرجس حنين :

- يا جرجس ألا تخرج ؟

- لا سأكمل الواجب للحصة القادمة .

- تضيع عليك الفسحة ..

- بقى لى سطران أكتبهما وألحق بك فوراً ..

وخرج الجميع وقد علموا أن جرجس باق فى الفصل .. وأوشكت
الفسحة على الانتهاء وتذكر منصور أنه لم يقرأ الواجب بعد كتابته فسارع
الى الفصل يقرأ قبل أن تبدأ الحصة .

والفصول فى المدرسة مبنية على الطراز القديم للمدارس فهى ذات
نوافذ تطل على شرفة طويلة ويستطيع الواقف فى الشرفة أن يرى داخل
الفصول ويرى فناء المدرسة أيضا .

فحين أصبح منصور أمام نافذة فصله الأولى رأى وجدى حسنين يأخذ
قلم الأستاذ عبد العزيز ويخرج به مسرعا وقبل أن يصل منصور الى النافذة
الثانية للفصل كان وجدى قد أولاه ظهره دون أن يراه .

وذهل منصور لا يدري ماذا يفعل أيفضح صديقه .. أسكت عن
سرقة رآها بعينه .

عاد الى الفسحة فلم يعد يفكر الآن فى إعادة القراءة للواجب وتولاه
صمت واجم حزين يختلط بالحيرة والألم أن زميله وجدى لص .

انتهت الفسحة وعاد التلاميذ الى الفصل وقبل أن يجلسوا دخل
الأستاذ عبد العزيز مسرعا يبحث عن القلم فقد استطاع أن يحل مشكلته
مع المفتش وحن له أن يبحث عن قلمه العزيز .. لم يجده طبعاً فأوشك
أن يجن وصاح بالتلاميذ :

- قلمى ..

وصاح بعض التلاميذ ماله وصاح آخرون اشمعنى ولكن الأستاذ
عبد العزيز كان فى جال لا تسمح بأى تهاون فقد احمرت عيناه وارتعشت
شفتاه :

- القلم أقتلكم جميعا .. القلم نسيته هنا مدة الفسحة فقط من
آخر تلميذ خرج من الفصل ..

وهوم الصميت على التلاميذ لحظات ثم قال جرجس حنين :

- أنا يا أستاذ آخر تلميذ خرج من الفصل بل الواقع أنني بقيت
بالفصل دقائق لاكمل واجبا لم أكن أكملته ..

فصاح به عبد العزيز :

- واجبا لم تكن أكملته !! هل سرقة قلبي واجب ياسى جرجس ..
هات القلم .

- صدقنى لم أره الا فى يدك ..

- كان هنا على المنضدة وأنت وحدك فى الفصل ..

- ليس هذا شأنى اننا ما زلنا فى المدرسة فتشنى ولو أن هذا
أمر لم يحصل لى فى حياتى مطلقا ..

- أفتشك أظننى عبيطا لدرجة اننى أتصور أنك ستبقى القلم
معك ..

وجاء مدرس الحصة التالية الأستاذ متولى عبد المجد .

- خير يا أستاذ عبد العزيز ..

وروى له عبد العزيز القصة ودون أن يحس متولى وثبت ابتسامه على
شفتيه ..

- أتضحك يا متولى ..

- لا أقصد والله ولكننى أعلم مكانة هذا القلم عندك ..

- أتضحك يا متولى ؟

- أول هدية من حبيبى ... أقصد من خطيبتك ولك حق أن تحرص
عليه وتعزز به .

- ليس أمام الأولاد يا متولى والحقيقة اننى لم أجد قلما أراحنى فى
الكتابة مثل هذا القلم ..

- والآن ماذا ترى ..

- لا بد أن يظهر القلم .

- والحصة ..

- فى ستين .. أقصد انى آسف ولكن ماذا أفعل ..

- أتشك فى أحد ..

- بل اننى متأكد من السارق .. الولد جرجس حنين ..
- خذه الى الناظر واكمل القضية .
- وهو كذلك تعال ياسى جرجس ..

وخرج جرجس مع الأستاذ عبد العزيز ودمعة تطفر من عينه تبعثها لرامة جريحة أن تفيض ويمسك بها شعور بالظلم أن تسيل فهي حائرة فى مكانها على جفنه لا تنضب ولا تنحدر .. وراح الأستاذ متولى يشرح الدرس .. وكان منصور قد استنقر على رأى .. وانتهت الحصة .

وسارع منصور الى وجدى وانتحى به ناحية :

- ضح القلم فى درج منضدة الأستاذ عندما نخرج فى الفسحة
وأعاهدك ألا يعرف أحد .

- ماذا .. ماذا تقول ..

- لقد رأيتك بالصدفة ولا ترضى أن يضيع مستقبل زميل من أجل
فعله هو برىء منها كل البراءة ..

وأطرق وجدى خجلا :

- وتسترها على ..

- أسترها ..

- وتنساها لى ..

- اذا لم تتكرر .

- لن تتكرر وأقسم لك .

- توكلنا على الله ..

وفى الفسحة قال منصور للتلاميذ :

- لماذا لا نبحث فى الفصل على القلم لعله فى جوانب الفصل .. أو
لعل أحدا من الفراشين وضعه فى مكان ما .. كل واحد منا يبحث فى مكتبه
أما أنت يا أمين فابحث على منضدة الأستاذ فان عليها أوراقا كثيرة لعله
تائه بينها ..

وطبعا وجد أمين القلم وأعطاه لمنصور وقال منصور هيا بنا نبشر
الأستاذ عبد العزيز وخرج وتبعه بعض زملائه ..

- هذا هو قلمك يا أستاذ عبد العزيز .. أرايت كم ظلمت جرجس .

وصاح عبد العزيز وكأنه وجد كنزا :

– الله يخليكم .. ألف شكر .. ألف شكر .. آسف يا جرجس
ياخويا .. آسف يا بني .
وحيثذ عرفت دمة جرجس سبيلها فسالت وتبعتها دموع كثيرة
بل وبكاء ونشيج .

وذهل عبد العزيز من الموقف وراح يربت كتف جرجس وقال :

– ماذا يرضيك ..
– لقد أرضاني الله يا أستاذ عبد العزيز ..
– سبحانه وتعالى ..
– وخذ هذا كتاب جديد اشتريته ولم أقرأه سأكتب عليه اهداء
لك أعتذر فيه وأصفك بما أنت أهله من الخير .

صاح أمين :

– على أن يكون الاهداء بالقلم الذي وجدناه يا أستاذ عبد العزيز ..
– طبعا وهل أكتب بغيره ..
– وضحك الجميع حتى جرجس .

مضت أيام على هذه الواقعة وسأل منصور أمين :

– متى تجتمع لجنة الجامع .
– غدا .
– أسمح لي بالحضور .
– طبعا .

وفي اللجنة قال منصور :

– ان ما حدث لأخينا جرجس يجعلني أقترح عليكم اقتراحا .
– ماذا ..

– أن نكون لجنة في المدرسة لاحقاق الحق . لا نرى شيئا يضر
بالمجتمع الا ونحاول أن نغيره بالحسنى وبالهداية ونجادل المخطيء بالنبي
هي أحسن فأنه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ولو كنت فظا غليظ
القلب لأنفضوا من حولك ، والله يقول وقولوا للناس حسنا .

قال أمين :

– هذه فكرة رائعة .

وقال منصور :

– ومن يدري لعلها تبدأ معنا فى المدرسة ثم تظل تجمعنا الى آخر
العمر .

– وستكون كذلك ان شاء الله .

وقال آخر لمنصور :

– مه يدك .

فمدها . .

– ومدوا أيديكم الى يده . . اقرأوا الفاتحة على هذا الميثاق
توكلنا على الله .

(٣)

حين مرض الحاج عبد الهادى مرض الشيفوخة كان راضيا غاية
الرضا فقد كان منصور قد انتظم فى كلية الحقوق فى ذلك العام وهو فى
العشرين من عمره .

ولم يطل المرض بالحاج عبد الهادى فقد اختاره الله الى جواره دون
أن يشقى بمرض طويل فما هو الا أسبوع واحد نام فيه ثم انتقل الى
الباقية راضيا مرضيا .

وقد حزن منصور لموت جده الذى لم يعرف له أبا سواء والحزين
لا منطلق له فليس يعنيه أن الحاج عبد الهادى كان قد تجاوز الثمانين وأن
كل حى الى فراق واستمسك منصور بإيمانه العميق وشارك منصور فى
حزنه عبد الوارث الذى كان يرى فى عبد الهادى أباه هو أيضا وقد استطاع
انشغاله بشئون المآتم أن يلهيه عن أحزانه بعض الشيء .

كان أهل المهديّة أوفياء للرجل فلم يبق فيهم أحد لا يمسه عذر
الا ذهب الى الجنّازة والمآتم جميعا . ولكن عبد الوارث لاحظ أن المعزين
الذين جاءوا لمنصور أكثر بكثير مما يتوقع أحد لشاب فى العشرين من
عمره . وكان عبد الوارث قد سمع عن الجمعية التى تكونت فى المدرسة
ثم اتسع أمرها ولكنه لم يكن يتصور أن الشباب المنضم إليها بهذه
الكثرة .

كما لاحظ عبد الوارث أن أمين لم يترك منصور لحظة منذ مرض جده . بل هو يلازمه ملازمة تامة ولم يذهب الى كلية الحقوق التي كان انتظم فيها هو أيضا طوال الأيام التي بقى فيها منصور مع جده .

حين انتهت أيام المأتم وحان لمنصور أن يعود الى كليته .

- يا منصور أنت حتى الآن ...

- أعرف يا عم عبد الوارث والأمر لا يحتاج الى كثير كلام ولهذا سمحت لنفسى أن أقاطعك . اننى اختارك أنت وصيا على وحتى حين أبلغ رشدى فى العام القادم فأنت المسئول وحدك عن ثروتى وكأنها ما زالت فى يدى جدى تماما وضع لى حقى فى البنك وأنا أعرف من أنت فلا حساب بيننا فأنا واثق أن حقى سيزيد فى يدك لن ينقص .

(٤)

حين تخرج منصور فى كلية الحقوق كانت أمواله فى البنك أكثر مما توقع بكثير . فقد كانت مطالب منصور أثناء الدراسة قليلة كل القلة فان فيه زهدا طبيعيا عن بهرج الحياة وهو تقى كل النقاء . وعبد الوارث أمين كل الأمانة وكان أحيانا اذا وجد صفقة مؤكدة الربح مستحيلة الخسارة كان يدخل بأموال منصور فيها ويضع الربح كاملا باسم منصور مع أمواله فى البنك .

أبى منصور أن يترك المهديّة بل أصر أن يبقى بها وقام بالتمرين فى مكتب الأستاذ عز الدين الديوانى وزامله فى المكتب أمين عبد الصادق وبعد انتهاء فترة التمرين فتح منصور مكتبه فى شقة بأحدى عماراته كان يعدها لذلك . وكان المكتب باسمه وباسم صديقه أمين عبد الصادق الذى شاركه فى المصاريف .

ومكاتب الحمامة فى المراكز سريعا ما يقصدها الزبائن فالناس يعرفون المحامين معرفة وطيدة ويعرفون آباءهم وأجدادهم وكل ما يحيط به .

فلم يكن عجبا أن يبدأ المحاميان الناشئان عملهما فى المحاكم فى نفس الأسبوع الذى افتتحا فيه مكتبهما بقراءة القرآن الكريم .

وتمضى الحياة فى طريقها بمنصور لا يميل لها سمت ولا يعوج به

قصد . فقد كان يعرف ما يريد وما يجب أن يفعله وما لا يجوز له أن يفعله .

★★★

فواز صالح وتوفيق شافعي وعدلى عبد المسيح وعاطف منير شباب من قرية المهديّة لم يكتب لهم أن ينالوا من التعليم الا ما يسمح لهم بالقراءة والكتابة أما فؤاد صالح وعدلى عبد المسيح فيعملان في اصلاح السيارات بورشة الأسطى فتحي الصلحي وأما توفيق شافعي فنجار ويعمل عاطف منير كمنجد وهذان الأخيران لا يستقر بهما مقام في ورشة وما هذا بعجيب بل العجيب أن يستقر فواز وعدلى بورشة الأسطى حامد ولعل السبب في ذلك ان الأسطى فتحي الصلحي لا يبدأ عمله قبل الحادية عشرة من صباح كل يوم وهكذا يستطيع كل من فواز وعدلى أن يفيقا من سهرة الحشيش والخمر التي يعكفان عليها كلما وجدنا ثمنها ويشاركهما فيها توفيق وعاطف .

فواز صالح ابن الحاجة حسنية الصعيدي التي كانت تقوم بحلب البقر والجاموس في بيت الحاج عبد الهادي . وبما هذه الصلة وجدت حكاية فواز تقم نفسها في الحديث عن منصور . جمعت العمال الأربعة ليلة ليلاء لا يملكون فيها ما يشتري سيجارة وقال قائلم :

- أهذا كلام . . . أربعة شباب مثل الورد لا يجدون ثمن زجاجة كونيّاك طيب نقول ان قرش الحشيش بالشئ الفلاني أنعجز عن شراء زجاجة كونيّاك .

- من قال اننا مثل الورد اننا مثل الزفت السائح مثل القطران وهل هناك أخيت منكم أقصد منا جميعا .

- وماذا نعمل .

- كثير .

- مثل ماذا . . .

مثل يا سيدي المرأة الحاجة جميلة الصيرفي أم الولد كامل الصيرفي الذي يعمل طبيباً بمصر والذي يكاد يعن من الكبير . . المرأة وحدها وعندها صيغة وأموال و . .

- حاسب . . حاسب ماذا تقصد ؟

- ألم تفهم ما أقصد . . .

- تقصد يعنى . . .

- نعم أقصد يعنى .
- أهذا معقول ؟
- انتظر ... كم الساعة الآن . .
- التاسعة .
- سأستلف ثمن زجاجة كونياك ونفكر فى الموضوع .
- وكانت الزجاجة الكلمة الأخيرة فى النقاش وهجم أربعتهم على السيدة العجوز وقاومت فكبيلوها وضربها أحدهم يعود حديد استخلصه من كرسى أسيوطى وتم القتل .
- وقبل أن يطلع الصباح كان الشرطة قد توصلوا الى الجناة الأربعة والقوا القبض عليهم .
- الى من تذهب حسنية الصعیدی .
- فواز اعترف اعترافا كاملا فى محضر الشرطة وفى النيابة وكان يرافقه أمين عبد الصادق مخاميا من المكتب حتى اذا تمت التحقيقات وجاءت حسنية الى المكتب قال لها منصور :
- يا خالة حسنية اليس لك ابن نال الاعدادية وأظنه يعمل بالمديرية .
- نعم خضير ، الحاج عبد الهادى الله يرحمه هو الذى عينه .
- احضريه معك وتعالى بكره .
- وفى اليوم التالى :
- اسمع يا خضير أنا لم أرد أن أقول لأملك وحدها الكلام الذى سأقوله لك .
- تفضل يا أستاذ .
- أخوك اعترف .
- نعم .
- وارتكب الجريمة .
- نعم .
- أنا لا دفاع عندى عنه الا حالة السكر ولكننى لا أستطيع أن أكذب .
- فان يمين المحاماة يمنعنا من الكذب .
- يمين ماذا يا أستاذ . .
- ألم تسمع . .

- يا أستاذ منصور أنت لا تعرف مكانتك عندنا .
- مكانتى هذا لأننى صادق .
- بصرف النظر .
- وما دخل مكانتى فيما نتكلم فيه ..
- أقصد أن هذه قضية. يتمناها كبار المحامين وسعادتك تبدأ حياتك
ثم التفت الى أمه :
- أمه .. قولى له الأستاذ صدقى البحرأوى قال لك ماذا
- وحياتك ياسى منصور قال لى أدفع ألف جنيه وأترافع فى هذه
القضية .
وقال منصور :

- أنا لا شأن لى بالآخرين . الكلام لك يا خضير اذا قبلت أن أترافع
معتمدا على السكر البين قبلت القضية والا فأنا معتذر .
- لا حول ولا قوة الا بالله .. قضية ستجعل اسمك كالطبل تعتذر
عنها هل أحد يصدق . وتقول اليمين يمنحك من الكذب .. أهذا كلام ..
المهم أمرك سلام عليكم .
التفت منصور الى حسنية :

- لا تزعلى منى يا خالة حسنية كان لا يمكن أن اجعلك تفهمين بل
انك لا شك حتى الآن لا تفهمين موقفى .. لا عليك أمرى الى الله .. هكذا
خلقت .

- والله يابنى أنا لا أفهم شيئا .
- لا عليك .
- المهم هل ستترافع فى القضية أم لا ..
- خضير سيفهمك على كل شىء .
- هيا يا أمه ... سأخبرك .. هيا يا أمه ... لا حول ولا قوة
الا بالله .

وما لبثت هذه القصة أن انتشرت فى المركز جميعه . فما سمع الناس
من قبل محاميا يرفض قضية صغيرة كانت أم كبيرة . فكيف والمحامى ناشئ
جديد والقضية شهيرة جهرة ..

(٥)

نشأت الربيعي من أعيان المركز ٠٠ أو كان من أعيان المركز قبل
 ن يختاره الله الى جواره ٠٠ وحين لقي الله لم يكن عنده في الحياة الا فتاة
 فى ربق العمر هي سامية ٠٠ باع لها كل ما يملك حتى لا يرث معها أحد
 من أقاربه ٠ وارتضى الأقارب ما فعله الأب مرتين أنه عمل طبيعى يحاول
 به الأب أن يحافظ على مستقبل ابنته ٠ واحد فقط من هؤلاء الأقارب نار
 ثورة عارمة لأن نشأت حرمة ما كان سيسقط بين يديه من الميراث وأغلب
 الأمر أنه نار لأنه معروف انه كبير مجرمى المنطقة واستكبر أن يعدو على
 حقه قريبه ويتحداه مع انه الذى تعود أن يعدو على حقوق الناس ويتحداهم
 ومن فى المركز لا يعرف رفعت الربيعي صاحب التحول المجرم والطول
 المعتدى والذى يثير الرعب فى أنحاء المنطقة جميعها بما تحويه يده من قتلة
 ومن لصوص ٠ ورفعت الربيعي ذكى فهو مع كل حاكم يحكم يسانده
 وينافقه وينضم الى حزبه ويتظاهر أنه من أتباعه ٠

وهكذا وقعت سامية بين فكي حيوان شرس لا ضمير له ولا خلق
 وهي بلا نصير لها أو معين الا الله سبحانه وتعالى وكفى به حسيبا ووكيلا ٠
 كان أقارب سامية يعرفون ما يصنعه رفعت بسامية من اعتداء على
 الزراعة وسرقة للمحصول ومطاردة الفلاحين الذين يزرعون حداثتها وارهاب
 لناظر زراعتها الحاج مراد الأشرم ولولا أن الحاج مراد ذو أقارب وكبرياء
 لتترك الأرض تنعى من زرعها ولكنه كان يقاوم مقاومة غير القادر وكفاه
 شجاعة أنه بقى فى مكانه لم يتكس ولم يتراجع ٠

وكان الحاج مراد كلما سمع عن محام قصد اليه ولكن المحامين كانوا
 يرتعدون من ذكر رفعت الربيعي ولا يتصورون أن يقفوا خصوما له فى
 المحكمة ٠ فيرفضون قضايا سامية ويذيعون هذا الرفض ويكافأهم رفعت
 بأن يوكلهم فى قضايا أخرى ما يلبثون أن يقبلوها فرحين سعداء ٠ وكانت
 سامية وهي تلميذة فى مدرسة المركز تسمح عن أخبار منصور وما يصنعه
 فى مدرسته وكانت تتبع أنباءه كلها وعرفت موضوع الجامع وموضوع
 الجمعية التى تسعى الى احقاق الحق فاستدعت ناظر زراعتها :

— يا عم الحاج مراد ألم تسمع عن المحامى منصور النقيب ٠٠

— سمعت كل خير ٠٠ وكفاه فخرا رفضه الأخير لقضية كبرى لانه
 أبى أن يكذب ٠٠

- لماذا لا تفكر فيه ليتولى قضايانا ..

- صغير ورفعت وحش ..

- ليس الصخر والكبر بالسن ياعم الحاج مراد انه كبير وليس

صغيراً .. اذهب اليه بقضيانا جميعاً ..

- أمرك ..

وقبل منصور جميع قضايا سامية دون مناقشة فقد كان واثقا من
حقها لعلمه المحقق باجرام رفعت الربيعي وفجوره والسنة الخلق اقلام
الحق. ودهش الحاج مراد ..

- ألا نبحث القضايا معا يا أستاذ مهدي ..

- أنا قبلتها بادیء ذی بدء وسأدرسها ثم سأسعى أنا اليك والى

الآنسة سامية وأندارس معكما جميع القضايا ..

- أنت رجل وأنت ابن رجل أبا عن جد علم الله كم عدد المحامين

الذين رفضوا هذه القضايا يا أستاذ منصور ..

حين علم رفعت ان منصور قبل قضايا سامية أرسل اليه مفتاح أحد
رجاله المشهورين بأنهم من القتلة المأجورين . وحين حاول أن يدخل مكتب
الأستاذ منعه وكيل المكتب راضى العنتيبي ..

- أتجرؤ أن تمنعني ..

- وأمنع سيديك أيضا إذا جاء هنا هذا مكتب له حرمة وله

أصول وعليك أن تنتظر دورك أم تظن أن ميحكك وعلى كتفك هذا
السلاح سيخيفني .

ان من يعمل مع منصور ابراهيم النقيب لا يخاف الا الله وحده ..
ام تظنون أنفسكم يا رجال رفعت أنتم وسيديكم انكم أصبحتم الهة فى
الأرض . أقعد مع القاعدين حتى أستأذن لك ..

وفوجيء مفتاح وخشى أن يرد فيزداد راضى اساءة له وقعد وانتظر
راضى حتى خرج الموكل الذى كان مع الأستاذ منصور ودخل الى الحجره :

- مفتاح العبد بالخارج ..

وابتسم منصورا ساخراً وكأنه كان يتوقع هذا أو شبيها له :

- طبعا معه بندقية .

- طولها ثلاثة أمتار .

- دعه ينتظر حتى يدخل آخر موكل عندك ..

- هذا ما توقعته منك .
- وانتظر مفتاح الا انه أحب أن يخفف الحدة التي لقيه بها راضى :
- حتى ولا فنجان قهوة يا راضى أفندى . .
- القهوة جاية من غير طلب يا مفتاح أنت تعرف من صاحب المكتب
- ومن أبوه ومن جده . . بأبهم دائما مفتوح للضيف . .
- حاسب على بعض الشيء .
- لو كنت عندما قدمت طلبت الاذن بالدخول شأن الاكابر . . لرأيت
- منى كل ما يرضيك . .
- غلطة ونسأها . .
- ننسأها ان شاء الله .
- هل سيطول انتظاري ؟
- هل رأيت أحدا جاء بعدك ودخل قبلك .
- الحكاية بالدور اذن . .
- أليست هذه هي الأصول . . . بالدور . . . لا فضل لعربي على
- أعجمي الا بالتقوى . .
- منك نستفيد . .
- طبعا . .
- وهل قلنا شيئا . .
- الحق لا يقال فيه شيء يا مفتاح انه الحق . .
- وحين دخل مفتاح الى منصور هب فيه فى عنف وكأنه فوجيء بالسلاح
- الذى يحمله :
- ماذا ما هذا . .
- وفوجيء مفتاح :
- ماذا يا أستاذ . .
- ما هذا الذى تحمله . .
- ولا مؤاخنة يا أستاذ متعود على حملها . .
- أخرج من هنا واتركها حيث لا أراها وحينئذ أقاملك . .
- وفعل مفتاح ما طلبه منه الأستاذ منصور وخرج مسرعا ووضح
- البندقية عند راضى وهو يقول له :

- لماذا لم تطلب منى أن أتركها ؟
- حتى لا تحسب أننا نخاف منها أو منك .
- ابقها عندك الله يخليك .
- وضعها هنا على الكرسي الذي كنت جالسا عليه .
- وحين دخل مفتاح في هذه المرة وقف منصور وهو يقول .
- الآن نستطيع أن نقول أهلا وسهلا تفضل يا سيد مفتاح .
- أكثر الله فضلك يا سعادة البية .
- هل شربت القهوة ؟
- أحسن بن ومن خالقك أحسن بن .
- أتشرب فنجانا آخر ؟
- أنت مشغول وهما كلمتان .
- قلهما . .
- رفعت بك الربيعي يريدك أن
- ومن رفعت بك الربيعي يا سيد مفتاح ؟
- يا نهار أسود من الحبر الكوبيا .
- على مهلك أنا فقط ليس لي أصدقاء بهذا الاسم .
- آه ربما لا تعرفه شخصيا ولكن ألم تسمع عنه ؟
- آه تذكرت لعلك تقصد الرجل الذي يجمع جوله اللصوص والقتلة .
- الله الله الله ما هذا يا منصور بيه ؟
- اذن فهو من تقصده . . . ماذا يريد رفعت ؟
- أظن المسألة لم تعد تسمع بأن أقول ما جئت بشأنه .
- قلله وأنا أخبرك ان كانت تسمع أو لا تسمع .
- كان يريدك أن تشرفه في البيت .
- شيء عجيب .
- ما العجيب يا سيدى الأستاذ ؟
- شخص لا أعرفه ولا يعرفنى يرسل لي رجلا طويلا عريضا يحمل بندقيّة لأذهب اليه . . . ماذا يظن نفسه هذا الرجل ؟
- أنا مجرد خادم عنده . .

- ونخادم أيضا .. وكيف تصور أنني سألبي الطلب ؟
- اسمع أخبر رفعتك هذا ان لي مكتبا يستقبل كل من يأتي اليه ..
- ولي أيضا تليفون يطلب أن أحدد له موعدا وسأرى عندئذ ماذا أفعل ..
- شرفت يا سيد مفتاح .. مع السلامة ..

جن جنون رفعت الربيعي فقد تصور أي شيء الا أن يقابل مندوبه بهذا الاحتقار ويقابل اسمه بهذا الامتهان . وزاد جنونه أن هذا الاحتقار كان على ملاء من الموكلين وتوقع أن يشيع ما حدث في المركز كله .

وقد حدث فعلا ما توقعه رفعت وزلزل المركز زلزالا فقد كان الناس يخشون رفعت ويمالئونه وينظاهرون له بالطاعة والخضوع فحين يرون شابا صغيرا في مطلع حياته يصنع به هذا الصنيع فمن الطبيعي أن تزلزل المقاييس عندهم زلزالا ..

وفي بيت عبد العال هنيدي المحامي كان نفر من أصدقائه بينهم محامون وموظفون كبار يجتمعون في شبه ناد خاص يلعبون النرد أو الورق وإذا بهم يلحظون أن صدقي البحرأوى ليس كما تعود أن يروه تهريجا وضحكا وممازحة بل هو في حالة صمت غاضب . ويسأله عبد العال :

- مالك يا صدقي زوجتك ضربتك علة ..
- يا ليتها ..
- أنا أحتقر نفسي .
- أصبحت مع الأغلبية التي تكن لك هذا الشعور .
- وضحك الجالسون الا أن صدقي قطع ضحكهم قائلا في حسم :
- لا فعلا أنا أحتقر نفسي .
- لماذا لا قدر الله أنك محام مشهور ومكتبك من المكاتب الهامة ورب أسرة ناجحة والحمد لله .. ماذا بك .
- أحتقر نفسي وأحتقر كل الذي نصنعه عندك من اضاءة للوقت والمال ..

- نحن جماعة نشقى طول النهار ونحاول أن نسرى عن أنفسنا
باجتماعنا هذا ماذا في هذا .

- نحن نحاول أن نسرى عن أنفسنا ونحاول أيضا أن نثير ضجه في جوانبنا على أصوات ضمائنا حتى لا نحاسبنا حضرات المحامون هنا .

الم نرفض جميعا قضايا سامية الربيعي خوفا من رفعت . ويقبله شاب من

ابنائنا وما فعله ماسمعتم به مع كبير مجرمى رفعت . وتقول لى يا عبد العال اننى محام ناجح من الناجح أنا أم هو . أنا الذى سعيت وراء قضية الطبيب أم هو الذى رفضها والمصيبة أن نظرتة وهو الشاب يتأكد أنها أصدق من نظرتى . الأربعة القتلة اعدام فى حكم يندر أن يكون له مثيل . ان هذا الشاب منصور النقيب يبعث روحا جديدة فى المركز أو هو يبعث روحا جديدة فى الوقوف مع الحق مهما تكن النتائج .

وهوم صمت ثم ارتفع صوت مجيد مالك مدير الضرائب :

- ما هذا الخطاب الطويل عن شاب أرعن يحاول أن يثير لنفسه شهرة . لا تتعجل الحكم وانتظر مصيره .

ويصبح صدقى :

- أنتظر مصيره لما أنتظره لماذا لا أشاركه هذا المصير لماذا لا أعيد قضايا رفعت اليه ولماذا لا نعيد نحن المحامين جميعا قضاياهم اليه ونحن نعلم انه حتى القضايا المتوقعة الكسب منها ملفقة والأدلة فيها كلها تزوير وتدليس وغش مخادعة ؟

وصمت المحامون وقال عبد العال :

- لكل منا ظروفه يا صدقى .

- يا أخى فى السماء رزقكم وما توعدون وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت « فان كنا نخاف على المال ، ربك هو الذى يرزق ، وان كنا نخاف على النفس فالذى أحيا النفوس هو يميته . السلام عليكم أنا ساسير فى طريق منصور النقيب وليوائهم كل منكم نفسه مع ظروفه .

وخرج صدقى وترك الجميع فى صمت عميق لم ينته الا بخروجهم واحدا بعد آخر فى اثر صدقى كأنما كانوا فى غاشية من مخدر ثم أفاقوا وما أفاقوا .

وسمع رفعت بهذا الذى حدث فى بيت عبد العال فأدرك أن الأمر خطير وضائق به الدنيا فلم يعد الأمر مجرد أموال سامية وانما هو كيانه جميعا وسلطانه وجبروته وتجمع الناس حوله مهما يكن سبب هذا التجمع عن خوف أو عن منفعة .

وحين سمع أعضاء الجمعية عما فعله رئيسهم تقاطروا على مكتبه حتى اجتمع منهم عدد كبير وقال أمين :

- ان مجيئكم دليل على ذكائكم .. اذا كنا نريد احقاق الحق فان البداية هي التي بدأها منصور ..
- ولكن كيف تكمل الطريق ؟
- قال منصور :

- رفعت حوله الاغلبية الكائرة من المركز كثير منهم عن منفعة ولكن الاغلبية عن خوف .. وهو معه السلاح ونحن معنا الحق وأريد اليوم أن نقسم أن نحق الحق بالحق وأن نحاربه بالكلمة .. نريد أن نعرف اذا كان الحق قويا أم ضعيفا ونحن حوله .. لا نستعمل السلاح الا يوم يحاول رفعت أن يستعمل السلاح على أشخاصنا نحن الذين نقول عن أنفسنا حماة الحق . ونحن لا نحارب رفعت وحده وانما نحارب جمهورا حوله .

- فكيف تكون خطتنا بعد ذلك ؟
- أننا كثرة ولنا عيون .
- نعم لا شك في ذلك .
- نريد أن نعرف تحركات رفعت جميعا ما وقع منها وما نتوقع أن يفعل .
- ممكن هذا .
- ونجتمع في كل مرة نعرف انه سيفعل شيئا ونبحث كيف نواجه ما ينتويه .

- على بركة الله .. كلام منطقي .. ومعقول ..

وعرف رفعت ان اجتماعا كبيرا تم في مكتب منصور ولكنه لم يدر عما دار فيه شيئا مطلقا فأفراد الجمعية بعيدون كل البعد عن النفع الشخصي وعن الجبن فلا طريق له بينهم أبدا .

كان منصور جالسا في مكتبه حين دخل اليه راضى :

- رفعت الربيعي بالخارج .
- هل عندك موكلون ؟
- واحد .
- أدخل الموكل قبله .
- افعل .

- وفهم رفعت الاشارة ولم يحاول أن يقوم بأى احتجاج
- وحين مثل رفعت أمام منصور وقف منصور وصافحه :
- أهلا وسهلا ... تفضل
- أهلا بك يا أستاذ منصور أنا أخى صديق لجدك وكنت أعرف المرحوم والدك كما أعرف عم أبوك عبد الوارث ولم يكن بيننا أى عداة ، فما هذا الهجوم ؟
- ان جدى وأبى وعم أبى لا شأن لهم بالذى بيننا اطلاقا .. ان كان بيننا شىء .
- كل هذا وليس بيننا شىء .
- وما هو كل هذا ؟
- قبولك لقضايا سامية .
- اما كلام عجيب يا سيد رفعت اذا لم يقبل مكتب محاماه قضايا من الموكلين فماذا يصنع .
- أنت تعرف ان القضايا جميعها ضدى .
- هذا عليك وليس لك .. كان الأولى بك وأنت كبير عائلة الربيعى ان ترعى حق فتاة ليس لها رجل يحميها .
- وهل ترعى أنت حقها أكثر منى ؟
- أنت لا ترعى حقها أنت تريد أن تحرمها حقها حتى فى الحياة .
- وأنت الذى ستمنعنى ؟
- نعم ان شاء الله .
- أظن ذلك ؟
- لا أظن ولكنى واثق .
- بأى قوة لك ؟
- بقوة لا اله الا الله محمد رسول الله .
- وزلزلت الشهاداتان رفعت ولكنه تماسك وقال :
- بالخطب .
- أترك الأيام لتشهدك ماذا يستطيع الحق سبحانه وتعالى أن يفعل .
- طيب وما لزوم أن أرسل اليك رجلى فتشتمنى أمامه ؟
- قد كنت أولى أن أعاتبك على هذا .. كيف سمحت لنفسك أن

ترسل في استدعائي ؟ من أعطاك هذا الحق ؟ أموظف أنا عندك أم أنا
واحد من المجرمين الذين تستخدمهم ؟

وقاطعه رفعت :

– مجرمين ..

ومضى منصور في حديثه وكأنه لم يسمع شيئا :

– أم خادم أنا في بيتك كيف أبحث لنفسك أن تسدعيني ؟ ومع
ذلك فأنا لم أشتك للمعجم حامل البندقية الذي أرسلته كل ما فعلته اننى
رويت ما يقوله الناس عنك .. وألسنة الخلق أقلام الحق .

– أنت تعرف ان الناس تحبني .

– أعرف أن بعض الناس ينتفع منك وأعرف أن كل الناس ترهب
المجرمين الذين حولك .

– يبدو أن التفاهم بيننا مستحيل ؟

– ومتى كان هناك تفاهم بين جق وباطل أو بين سلام وطغيان .

– السلام عليكم ..

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

حين وجد رفعت أن المواجهة مع منصور غير مجدية استدار من طريق
آخر .. طلب التليفون :

– عبد الوارث بك ؟

– نعم .

– أنا رفعت الربيعي .

– أهلا وسهلا .

– أريد أن أراك .

– تشرف .

– ألا تشرفنى أنت وتشرب معى فنجان قهوة ؟

– أفضل أن تشرفنى أنت يا رفعت بك .

– وهو كذلك غدا فى الساعة مساء يوافقك ؟

– أهلا وسهلا .

- ألا ترى ماذا يصنع منصور ألا تكلمه ؟
- أنا لا أعرف انه صنع شيئا أكلمه بشأنه .
- اسمع يا عبد الوارث أنت تعرف كيف يزلزل كياني ما يصنعه منصور .
- وماذا أقول له ؟
- فعلا لك حق . . . ماذا تقول له ؟ أنا قادم اليك لأقول لك ماذا تقول له .
- تفضل .
- أستطيع أن أعينه في النيابة أو القضاء في ظرف أسبوع ويترك لنا المركز كما هو .
- أقول له .
- وأفهمه أن أغلبية الناس معي وإن كنت أضمن نفسي فانا لا أضمن واحدا من رجالى أو من الناس الذين يحبوننى .
- هذا تهديد أرفضه يا رفعت أنت تعرف من منصور ومن أسرته .
- أنا أعرف ولكن ماذا تفعل مع الجهلاء الذين لا يعرفون ؟
- هذا كلام لا يليق بين أمثالنا يا رفعت . . اترك لي فرصة الكلمة عن العرض الذى تعرضه أما التهديد فهو موجه الى وأنا أرفضه وأنا قادر على تمزيق كل من يمس شعرة في رأس ابننا منصور .
- وهو كذلك . . . متى أنتظر ردك على العرض ؟
- لن يتأخر .

☆☆☆

- قاض ما هذا يا عمى من قال لك اننى أفكر فى أى وظيفة ؟
- يا منصور الرجل مجرم وأنا لا يهمنى أن تكون قاضيا أو لا تكون وأنا يهمنى سلامتك . . المجرم هدد .
- هدد ؟!
- اسمع يا عمى ان عرض على رئاسة الوزارة فلن أترك المحاماة وان اجتمع حوله المجرمون فى العالم أجمع لن أترك الحق والله فعال لما يريد .
- توكل على الله والله لن يخذلك الله أبدا . . توكل على الله ونحن فداؤك .

☆☆☆

سامية فتاة في ربيع العمر في الثالثة والعشرين من عمرها تركها أبوها منذ سنتين وكانت حريصة أن تتعلم ولكنها حين بلغت شهادة الثانوية كان أبوها قد مرض فاضطرت أن تترك التعليم وتلازمه . فقد كانت أمها قد رحلت عنها وهي في العاشرة من عمرها . وأبى أبوها أن يتزوج خشية أن تسيء الزوجة الجديدة إليها . وهكذا حملت سامية مسئولية البيت وهي في عمر الأطفال . وجمعت بين الدراسة وشئون المنزل بطريقة ساذجة أول الأمر ولكن ما هي الا فترة قصيرة حتى أصبحت خبيرة حاسمة تدير البيت وكأنها سيدة مكتملة . وقبل أن يمرض أبوها تقدم لخطبتها كثير من الأقارب وغير الأقارب ولكنها كانت ترفض الزواج حرصا على الدراسة وحين مرض أبوها وبقيت في البيت لم يجروا أحد أن يتقدم لخطبتها وأبوها مريض وحين مات أبوها لم يجروا أحد أن يتقدم لخطبتها خوفا من رفعت .

وقد كان والدها ذكيا فحين ماتت زوجته وعقد العزم ألا يتزوج راح يشتري كل عقار جديد يشتريه باسم سامية مباشرة وحين قاربت سن الرشد عقد بيعا سوريا بكل ما يملك للحاج مراد الأشرم الذي باعه هو الى سامية حتى يخلق طريق الصورية على أقاربه وعلى رأسهم رفعت وتلك وهذه من مضحكات القانون أنه يرغم الأشخاص على اللجوء الى الصورية ليخلق على المحاول الطعن بالصورية .

فملكية سامية لعقاراتها من أراض وعمارات لا مجال فيه لشك .

كان من الطبيعي أن تحس سامية بالفراغ بعد موت أبيها ولكن حرب رفعت لها ردت عنها هذا الشعور فقد كانت حرب شرسة لا تهدأ فلا يمر أسبوع الا ويطالعها بكيد جديد وهي في دوامة تحس بانفرادها فيها وكان يملأها حسرة انفضاض أهلها من حولها حتى لقد كانت السيدات يخشين زيارتها حتى لا يتعرضن أو يتعرض أزواجهن أو أبناءهن لشبهة غضب من رفعت الربيعي . .

لم يقف معها في هذه المحنة الا مراد الأشرم وقد كان رجلا ذا ضمير وكان يشعر أن سامية في مكان ابنته فقد كان يعمل مع أبيها قبل أن تولد بل وقبل أن يتزوج أبوها أيضا . .

كان منصور قد اتفق مع مراد أن يأتي اليهم بعد أن يدرس القضايا ويناقش ظروف كل قضية معه ومع الأنسة سامية فقد كان يرى أنها يجب

أن تعرف أمور القضايا جميعها فهي متعلمة ومن حقها وواجبها معا أن تكون على علم بما يجرى في المحاكم باسمها . .

ضرب جرس التليفون في منزل سامية وقد كان منزلا جميلا يتوسط حديقة صغيرة تعتنى بها سامية كل العناية . .

— ألو . . . من ؟

— أنا منصور النقيب يا أفندم .

— أنا سامية يا أستاذ منصور أهلا وسهلا .

— هل أستطيع أن أجيء اليوم في الساعة الثامنة بعد المكتب
لنناقش القضايا ؟

— طبعاً أهلاً وسهلاً

— الحاج مراد موجود ؟

— طبعاً .

— وهو كذلك مع السلامة يا هانم . .

★★★

فتاة جذابة الروح تحسن الاستماع كل الاحسان أسئلتها تدل على ذكاء وقاد وفهم عميق لما يدور حولها . ملبسها غاية في الأناقة والبعد عن البهرجة في وقت معا . لا تحاول أن تتظاهر بما ليس فيها واثقة ان فطرتها نقية ليس بها ما يدعوها الى اخفائه . بللورية الضمير لا تحمل حتى لرفعت سخيمة أو كرها . نورانية الطلعة لا يجروء من يراها الا أن يعاملها بأقصى ما يطيق وما لا يطيق من الاحترام . تختار ألفاظها في طبيعة موالية واثقة انها لن تقول الا ما ينبغى له أن يقال .

★★★

في الساعة الحادية عشر من نفس الليلة كان منصور يطرق بيت عم أبيه عبد الوارث :

— وقعت في نفسي أكرم موقع .

— لم نسمع عنها الا كل خير .

— اذن عجل بخطبتها .

— للأسف ليس لها رجال أكرمهم . . لم يعد أمامي الا أن أكلها هي .

- فى حضور الحاج مراد فهو فى منزلة أبيها وتحسن صنعا لو وجهت الكلام اليه فان هذا سيرضيه ويرضيها فى وقت معا .

- ألو . . منزل المرحوم نشأت بك ؟
- نعم يا أفندم .
- الحاج مراد موجود ؟
- موجود يا أفندم من يريده ؟
- عبد الوارث النقيب .
- ومع نبضه ودهشه وفرح أجابت سامية :
- دقيقة واحدة من فضلك .
- جاء الحاج مراد الى التليفون . .
- أنا عبد الوارث النقيب يا حاج مراد .
- يا مرحبا يا سعادة البك يا أهلا وسهلا .
- أريد أن أزور سامية هانم وأريدك أن تكون حاضرا الزيارة .
- وماله يا سعادة البية تشرف . . دقيقة واحدة أسالها .
- وبعد لحظة أو أقل :
- متى تريد التشرىف يا عبد الوارث بك ؟
- أى وقت .
- غدا بعد المغرب معقول .
- أمرك .
- أهلا وسهلا .
- سلام عليكم .
- سلام عليكم .

- يا حاج مراد أنت فى مكان والد سامية أطال عمرها وعمرك .
- أعمل مع المرحوم نشأت بك قبل أن تولد وقبل أن يتزوج أيضا .
- أنا واثق أن سامية عرفت ما أنا قادم من أجله فهل عرفتة أنت أيضا .
- عبد الوارث بك تفضل بالحديث .
- كانت سامية جالسة شبه غائبة فقد كانت تعرف عن منصور كل شىء

وحين رآته لأول مرة ورأت عظمته في خلقه وأدبه وفهمه ازدادت به إعجاباً
ولم تكن تتصور أن تجرى الأمور إلى غايتها في هذه السرعة . قال
عبد الوارث في حسم :

- نريد ابنتنا سامية لابنتنا منصور طبعاً لن تسألوا عنا ولن نسأل
عنكم فكلنا في المركز نعرف كل خافية عن أبناء المركز ولم يبق إلا أن
تسأل الأنسة الفاضلة وتجيّب ندائى أمر عليكم غداً في مثل موعد
اليوم . . السلام عليكم .

ألقى الكلام في فرحة وفي اقبال وانشرح صدر ولم يسمح لأى حرج
أن يشوب الجلسة .

تزوج منصور من سامية والعجيب ان كل أقاربها حضروا الفرح وقد
شعروا أن منصوراً أصبح منذ اليوم سنداً للمحق في المركز كله وجميعهم
أصحاب حقوق عند رفعت .

الوحيد الذى لم يحضر هو رفعت فانه من الغيظ في حال قاتلة حتى
ما استطاع أن يتظاهر بالفرح الذى تعود الناس أن يتظاهروا به في مثل
هذه المناسبات .

وبلغت به الوقاحة أنه أرسل خطاباً مع أحد أتباعه إلى مكتب منصور
يخبره فيه أنه يعتذر عن عدم حضور الفرح لانه كان يجب أن يخطب سامية
منه هو ومفاجأة أخرى جاءت في الفرح لقد حضر مأمور المركز الفرح دون
أن يوجه إليه منصور الدعوة لانه لم يكن يعرفه . وأحضر معه باقة كبيرة
من الورود عليها اسمه مجرداً غير ملحق بوظيفته فقط فائق الدرورى بلا مأمور
مركز بعدها ورحب منصور به مقدراً مجيئه بغير دعوة ووضع المأمور ذراعاً
في ذراع منصور وانتحى به ناحية منعزلة من الفرح وقال له :

- أنت اليوم أمل لأمة بأكملها وليس لمركز واحد . . ان التجربة
التي ترودها من وقوف الحق أمام جموع الباطل ينظر إليها الناس في
كل مكان . . وربما نظر إليها العالم أجمع حين يعلم بأمرها .
- سر قوتى لا اله الا الله محمد رسول الله .

- أو قليل هذا ؟ انى معك بقلبي ووظيفتى وان فقدت حياتي
من أجل هذه الكلمة أكون سعيداً راضياً اذا كان لابد أن نموت فلنموت
ونحن نقول لا اله الا الله محمد رسول الله . .

(٧)

قصده أشرف الماوردى الى مكتب منصور فى ظلمة الليل الحالكة . .
وإنتظر حتى انصرف الموكلون جميعا وانفرد بمنصور وأمين :

- علمت اليوم ان رفعت ينوى أن يقوم بهجوم كاسح يسترد به
ما فقدته من هيبة .

- وفيهم يتمثل هذا الهجوم ؟

- انه ينوى أن يحرق أقطان السيدة زوجتك فى العزبة وأقطانك
أنت أيضا فى يوم واحد .
وقال أمين :

- تصرف غبى فهو بهذا لا يستطيع أن يدعى ان الحريق فى المكانين
المتباعدين غير متعمد .
وقال منصور :

- ومن قال لك انه يريد الحريق أن يبدو غير متعمد ؟ انما يقصد
قصدا أن يعرف الناس جميعا انه حريق متعمد وانه هو الذى أمر به ودبر
له وفى نفس الوقت لا يستطيع أحد أن يثبت عليه شيئا .
وقال أمين لأشرف :

- من أخبرك ؟

- عبد الله أبو سرور أحد رجاله وكان يعمل عندنا مزارعا وقد
استطعت أن أسلخه منهم وأبقية عيننا لنا معهم .

وقال منصور :

- هل عرفت الموعد ؟

- نعم يوم الخميس مساء ليكون الجميع فى بيوتهم يسهرون حول
التليفزيون .

- اليوم الاثنين ؟

- نعم .

- اذن عندنا وقت .

- سأل أمين :

- وقت لماذا ؟

– القطن الآن عندي وعند زوجتي في أكياس ٠٠ سأنقله مساءً في
باحة المنزل عندي ٠٠ وفي مخزن آخر عند زوجتي ٠٠ وفي نفس الوقت
سنملاً أكياساً بفرزة القطن وبأعواد الهندي ونضعها مكان الحريق ٠٠
وأريد منك يا أمين أنت وأشرف أن تقسموا أعضاء الجمعية بين بيتي وبيت
زوجتي ويستخفوا من بعد صلاة المغرب بحيث لا يشعر بهم أحد حتى ولا أهل
المنزل عندنا أو عند زوجتي والباقي اتركوه على الله وعلى ٠

– وما الباقي ؟

– سترون الآن ٠

ورفع سماعة التليفون وطلب رقماً :

– ألو ٠٠٠ فائق بك ؟

– أنا منصور يشاء الله سبحانه وتعالى أن تنفذ وعدك الذي وعدت

في أول لقاء لنا ٠

وجاءه صوت المأمور :

– ما أسعدني بذلك ٠

– الأمر من اختصاصك وحدك ٠

– ماذا ؟

– رفعت أصدر أوامره لرجالها أن يحرقوا القطن عندي وعند زوجتي

يوم الخميس القادم ٠

– أهذا معقول ؟

– يريد أن يعرف الناس قوته وجبروته وفي نفس الوقت لا دليل ٠

– معقول ؟

– المهم أن هذا العمل الواسع سيحتاج إلى كل رجاله ولن تجد

فرصة خيراً من هذه لتقبض عليهم متلبسين ٠

– وهل تتركهم يحرقون القطن ؟

– إن جريمة الاحراق تقع بمجرد القيام بها أما الشيء المحروق فليكن

ما يكون وسيادتك تعرف القصد الاحتمالي وما قد يترتب على هذا الحريق

من انتشار النار في البلدة جميعها ٠

– تصرف في غاية الذكاء ٠٠ توكل على الله ٠

– وهل لنا غيره ؟

رأى أصدقاء منصور المختبئين في تريبص رجال رفعت وهم يتقاطرون
 واحدا في اثر آخر محاولين قدر جهدهم ألا يلفتوا اليهم الأنظار وهم لا يدرون
 ان وراء كل شجرة أو ثنية بيت رجل شرطة أو واحدا من أصدقاء منصور
 وكان المأمور نفسه بسيارته الخاصة داخل حديقة البرتقال الواقعة بجانب
 مخزن سامية . وكان نائب المأمور متربصا هو الآخر قريبا من بيت منصور
 كان جميع رجال الشرطة وأصدقاء منصور يعلمون أن المؤتمد هو الخميس
 ولكن لم يعرفوا في أى ساعة وقت لهم رفعت القيام بمهمتهم ؟

هوم صمت متوقع على الجميع وكان الجميع مجرمين وشرقاء يخاسبون
 أنفاسهم أن يعلو لها صوت . وتجمد كل في مكانه فكانه قطعة من شجر أو
 حجر من بناء وارتفع صوت المؤذن يشق الليل والصمت والتربص .
 الله أكبر الله أكبر . . وفي نفس اللحظة نبت المجرمون من مكانهم .
 وتكوفوا حول المخزنين بعض منهم هنا عند منصور في بيته وبعض منهم
 هناك عند سامية في عزبتها . وانتظر رجال الشرطة وأصدقاء منصور
 جميعا حتى أشعل المجرمون النيران هناك وهنا ثم خرجوا اليهم من حيث
 لا يحتسبون وقبضوا عليهم جميعا متلبسين . الشرطة تؤدي واجبها
 وأعضاء جمعية الحق شهود .

وظهرت سيارات الشرطة بعد قليل ونقلت المجرمين إلى المركز وبدأ
 التحقيق .

كانوا كما توقع منصور هم كل عصابة رفعت لم يفتخلف منهم
 الا عبد الله أبو سرور الذي أعلن خروجه على رفعت صنائعا في وجهه لا اله
 الا الله محمد رسول الله .

☆☆☆

كانت ضربة حاسمة لرفعت حتى لقد راح أصدقاؤه ومن كان يضطنعهم
 يسخرون منه وينقلبون عليه جماعات ووحدا فدارت به الأرض فقد رأى
 ما بناه في عشرات السنين يهوى أنقاضا وسارع الى صدقني البحراوي المحامي
 ليحضر مع المتهمين ويترافع عنهم . وكان ذلك عجبا فقد كان صدقي بعد
 ثورته التي أعلن عنها في بيت الهندي :

— ألم أعد اليك قضاياك جميعا يا رفعت بك ؟

— وغضبت منك غضبا شديدا .

— غضبك كان في حساباتي وأنا أرسل القضايا .

— ظننت أن الأتعاب كانت قليلة وها قد جئت لأضاعفها

— أنت ظننت ذلك يا رفعت بك .

- انا لم أغضبك فى شىء فكان عجبيا أن ترسل الى القضايا
بلا تعليق .

- ألم يدرك بذهنك ان انسانا ما تأتي عليه لحظة يحاول فيها أن
يتطهر ويقول لا اله الا الله محمد رسول الله ؟
- فجأة ؟

- أتري أنت أنها فجأة ؟ يا ليتها كانت فجأة اذن لحمدت لنفسى
انى رجعت الى الله من تلقاء نفسى ولم يهزنى شاب صغير كنت أنا أول
أن أسبقه فى الرجولة والشجاعة وفى صيحة الحق .

- ما فات فات . . نحن الآن فيما نحن فيه .

- وما الذى نحن فيه ؟

- نحن ازاء قضية جمعت الشرطة فيها كل رجالى .

- انعم بالحكومة وأكرم .

- هل أفهم من هذا أنك ترفض ما جئت لك من أجله ؟

- أكاد أعرف ما جئت من أجله ولكن لا أتصوره .

- لماذا لا تتصوره ؟

- محام أرسل اليك قضاياك القديمة فكيف يقبل قضايا منك
جديدة . . أليست تلك عجيبة من عجائب الدنيا ؟

- الأمر مختلف .

- فيم الاختلاف ؟

- هذه ليست قضايا خاصة بى انها قضايا أفراد شتى .

- ثم انها قضايا جنائية وليست مدنية مثل التى كانت عندك .

- رفعت بك أرجو ألا يكون ما حدث قد أثر على ذكائك ، كيف تقول
انها قضايا أفراد انها جميعا قضيتك أنت والغالب أن يذكر واحد من
هؤلاء اسمك كمجرم .

- يستحيل .

- أنت الآن فى موقف لا يسمح بالتأكد من أى شىء أو أى شخص
هؤلاء مجرمون والقضية جنائية ألا يحاول كل منهم أن يتشبث بأى شىء .

- بل كل واحد منهم يعلم انه اذا دخل السجن فلا ظهر له الا أنا
حتى يجد بيته ما يعيش منه .

- ومع ذلك ليس لك أن تتأكد من شىء .

- فما قولك أنت ؟
- فيم ؟
- هل ترفض هذه القضايا ؟
- لا اله الا الله محمد رسول الله .
- يعنى يذهب كل هؤلاء الى السجن ؟
- ولكم فى القصاص حياة .
- وبعد .. ماذا أفعل ؟
- مكاتب المحامين فى كل شارع .
- فى المركز أنا لا اتق الا بك .
- أنا لن أترافع عنك أبدا يا رفعت بك .
- راح رفعت يكلم نفسه ..
- ماذا أعمل ؟ ماذا أعمل ؟ ألجأ لمحامين من القاهرة .
- هذا يكون أحسن .. لانك ستواجه قضايا أخرى يا رفعت بك .
- ماذا ؟

- مظالمك كثيرون .. وما كان يخيفهم بالأمس من رجالك وسلاحك
زال .. امحى من الوجود .. فتوقع قضايا جديدة مدنية وجنائية من
كل نوع .
- أتهديد هذا ؟

- يا رفعت بك لا تفقد ثباتك فانك لم يبق لك غيره .. الجماهير
انفضت عنك ورجالك فى السجن لم يبق لك الا ثباتك فحذار أن تفقده
هذه نصيحة لوجه الله .. كيف أهددك أنا ؟ هل ظلمتني ؟ اننى فقط
أتوقع بتفكير حر ليس فيه مصالح شخصية .

واستخزى رفعت وأطرق ودون سلام جمع نفسه المبهثرة وقام الى
الباب وخرج صدقى يشيعه وصيخة تملأ نفسه لا اله الا الله محمد
رسول الله ..

(A)

حفتنى سلام سائق سيارة اشتراها بعد جهد جهيد طوال سنوات عشر
كان يوفر من ضرورات الحياة حتى يحصل على ثمنها . وقد اشتراها قديمة
توشك أن تكون مستهلكة فقام باصلاح آلها وتجميل خارجها بكل ما يطيق

ثروت أباطة - ١٢٩

من جديد وخبرة واستخرج رخصة تتيح له أن يجعل السيارة على الخط وهو تعبير يعرفه سكان المراكز ويعنى ان السيارة تعمل بين مصر والمركز بشكل منتظم . واستخراج هذه الرخصة يحتاج الى مجهود كبير آخر مع الجهات الرسمية ومع زملائه على الخط حتى لا يعدو عليهم ولا يعدوا عليه .

وبدأ حفى عمله على الخط وهو مثقل بالديون فكان يعمل ليل نهار ليسدد ما عليه من ديون وليتبقى له ما يقيم أوده وزوجته وودة وبناته الاربع وابنه الذى جاء بعد البنات فاعتبره أعظم ما وهبته له السماء وأسماء محروس داعيا الله بالاسم الذى اختاره أن يحرسه .

ومرت سنوات خمس وبدأ محروس يذهب الى المدرسة ولكن شاء الله أن يمتحن عبده حفى فأصيب محروس بالمصران الأعور وكان لابد أن تتم له العملية بين يوم وليلة .

وجن جنون حفى وراح يجرى هنا وهناك . ولكن من أين لأصدقاء حفى أن يعينوه بالرقم الذى تحتاجه العملية وكان قريبا من خمسمائة جنيه . وفى لحظة الجنون التى تمر والأب يخشى على ابنه الموت المحقق اتجه الى رفعت الربيعي .

- أنت تعرفنى العمر كله وطالما كنت تحت أمرك .
- هذا كلام لا ينفع الآن كيف أضمن المبلغ اذا أنا أعطيتك لك ؟
- خذ كل الضمانات التى ترضيك اكتب وصل أمانة .
- وماذا أفيد أنا من حبسك اذا لم تدفع ؟
- فماذا تريد ؟
- تبيع لى السيارة .
- يانهار أسود . . وكيف أعيش ؟
- البيع صوري .
- أمرك . . . ولكن معنى البيع الصوري أن تكتب لى ورقة تذكر فيها أن البيع صوري .
- هل أنت عبيط ؟
- فكيف يكون البيع صوريا اذن ؟
- يكون كذلك بينى وبينك .
- واذا استوليت سعادتك على السيارة ؟
- واحدة من اثنين اما أن تثق فى ذمتى أو لا تثق .

وارتج على حفنى وأصبح فى موقف لا خيار فيه ان قال له لا أثق فى ذمتك فقد الأمل فى السلفة وربما فقد حياته هو أيضا بعد ذلك وان قال أثق فمعنى ذلك أنه باع نفسه جميعا الى ذلك الرجل المتوحش وأصبح لا يملك من أمر نفسه شيئا ٠٠ قضاء أخف من قضاء ٠٠٠ أبيع نفسى خير من أن أفقد ابنى وحياتى ٠٠

– ياسلام ياسعادة البيه وهل يستطيع مثلى ألا يثق فى مثلك ؟
وكتبت الأوراق وأخذ المبلغ وأجريت العملية لمحروس ونجحت وأفاق حفنى الى الكارثة التى حلت به ٠٠

لم تمر أيام حتى وجد عند وردة طلبا من رفعت أن يذهب اليه فى باكر الصباح ٠ ومعنى هذا أن يخسر دورا من أدواره فى الخط فاحتسب دوره عند الله وذهب الى رفعت ٠

– اسمع ياعم حفنى سيارتك تلزمنى فى توصيلة ٠

– انت تأمر يا رفعت بك ٠٠ هل ستركب أنت سيارتى المسكينة هذه ؟

– لا ٠٠٠ أنا عندى سيارتى ٠٠٠ هذه توصيلة الى القاهرة سيكون معك فيها عثمان أبو سعيد ٠

– أمرك ٠

– كم تأخذ فى التوصيلة ؟

– ثلاثة جنيها من النفر يعنى ١٥ جنيها ٠

– أنا سأعطيك خمسين جنيها ؟

– ماذا ؟

– ما سمعت ٠

– لماذا ؟؟

– أنا حر يا أخى أتصرف فى مالى كيف أشاء ٠

– هيه ٠

وفهم حفنى الوضع تماما فقد كان يسمع ان عثمان من الذين يعملون فى تهريب المخدرات لرفعت بك والآن تحقق له ما سمع ولكنه اضطر أن يتظاهر بأنه لم يفهم ٠

وقد كانت كل خشيته أن يتكرر هذا الأمر وهو لا يريد أن تسوء

سمعته عند رجال المرور • فانهم يعرفونه وما يعرفونه عنه يجعله نظيفا
عندهم حسن السمعة •

خطر له خاطر :

- رفعت بك ••

- هيه ••• ماذا ؟

- أليس عندك شخص آخر غير عثمان أبو سعيد ؟

- وعثمان ماله ؟

- رجال المرور لا يحبونه وسيارتى أول مرة تقوم بهذه العملية •

- ما هى العملية ؟

- التى يقوم بها عثمان •

فضحك رفعت ملء شذقيه وهو يقول :

- البلد هذه لا يستخفى فيها شيء ••• وهو كذلك سأعطيك فى

كل مرة شخصا جديدا •

- أمرى الى الله •

وقام حفىنى بعملية نقل المخدرات عدة مرات وهو لاقف الأنفاس يملا
الرعب جانبيه وثقا انه لو امتنع فان رفعت سيغتصب منه السيارة وستقفل
أمامه كل سبل الحياة •

كان أحيانا يذهب الى القاهرة بريئا ويعود حاملا تهمته معه وأحيانا
يخرج من المركز وبلواه فى السيارة •

وفى مرة أعقبت القبض على رجال رفعت فوجيء برجال المرور يوقفون
سيارته ويجرون بها تفتيشا دقيقا ولحسن حظه كانت السيارة بريئة من
المخدرات وكان معه فيها توفيق عبد الباقي •

وقد تولى الرجلين ذعر من التفتيش رغم أنهما كانا يعلمان أن ليس
بالسيارة ما يدعو الى الخوف •

وانتهى التفتيش وأكمل حفىنى طريقه الى القاهرة وظل صامتا طوال
الطريق وكلما حاول توفيق أن يحادثه أبى أن يرد عليه وكأنه غير موجود
وكان فى ضمته يقرأ ما حفظه من آيات القرآن يرددتها لنفسه محاولا بكل
الجهد أن يستعيد بها الى نفسه بعض الطمأنينة حتى اذا بلغت السيارة
مشارف القاهرة قال توفيق :

- نذهب الى العنوان الذى معنا ••

وانفجرت ثورة حفنى :

- هل جننت ؟ وحق كتاب الله المنزل لن يرانى الله أحمل هذه المصائب
مرة أخرى أبدا .

- ورفعت بك ؟

- أشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . . . الموت أحسن
من السجن .

- وماذا أنت فاعل الآن ؟

- سترى .

وراح حفنى يدور فى شوارع القاهرة وتوفيق لا يدري مصيره حتى
بلغت السيارة مقام السيدة نفيسة ونزل حفنى دون أن يدعو توفيق للنزول
معه . ودخل الى المسجد وتوضأ وراح يصلى أمام المقام والدموع فى عينيه
حتى اذا بلغت نفسه بعض الهدنة قام الى سيارته ولحق به توفيق وذهب
الى سيدنا الحسين وراح يصلى حتى اذا اكتفى قام الى سيارته ولحق به
توفيق ذاهلا وذهب الى مقام السيدة زينب وراح يصلى أمام المقام والدموع
ما تزال تتوالى من عينيه وراح لونه يسترد بعضا من طبيعته ثم قام الى
السيارة وركب هو وتوفيق فلم يقف الا عند رفعت .

- رفعت بك .

- خسير .

- أنت أخذت منى هذه السيارة بعقد لا حق لك فيه . . أنا لا أريدها
ولن أعمل معك بعد اليوم أبدا .
- هل جننت يا ولد ؟

- أنا لن أناقش ، هذا عهد قطعتة بينى وبين الله وأشهدت عليه
سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة . . ومفاتيح السيارة فيها . .
والسلام عليكم ورحمة الله .

. واستدار واتجه الى الخروج وراح رفعت يناديه فلم يلتفت اليه .
وكان رفعت جالسا مع وجدى الهن أحد كبار مساعديه وقال وجدى :

- ماذ سنفعل الآن . . ما الذى حصل ؟

- لا يهم الذى حصل سنعرفه من توفيق انما ماذا تنوى أن تفعل ؟

- نرسل السيارة فوراً لتأتى بالبضاعة المحامى الذى آتيت به من
القاهرة يحتاج الى مبالغ كبيرة .

- نرسل سيارة أخرى ؟
- بل هذه .
- كيف ؟
- أولا هذه عند المرور ليست سيارتي وثانيا لن يفتش المرورية سيارة واحدة مرتين في اليوم .
- والله معقول .
- من هنا من السائقين ؟
- صابر الملواني .
- ارسل اليه .
- خرج حفنى من بيت رفعت الى منصور وقص عليه القصة جميعها .

- واستوعبها منصور كل الاستيعاب : ودون مقدمات :
- قم بنا .
 - الى أين ؟
 - الى المركز .
 - لماذا ؟
 - أنت فى موقف فى غاية الحرج فلا بد من كتابة محضر بكل هذا الذى قلته الآن .
 - اذا فعلت اكون قد ضمننت الآخرة سيقتلنى رفعت حتما .
 - أنت وإهم . أولا . . . رجال رفعت كلهم فى السجن . ثانيا هو الآن سيرسل سيارتك ان لم يكن أرسلها فعلا لتأتى بالمخدرات معتمدا انه سيقول اذا سئل انها سيارتك وليست سيارته . . . فان لم تسبق أنت بعمل المحضر فالتهمة ستكون ضدك وضد سيارتك .
 - ولكنه اشتراها .
 - هل معك عقد البيع ؟
 - كتبه من صورة واحدة .
 - هذه الصورة لن يظهرها . . . هيا لا تضيع الوقت .
 - هيا . . . أنا تحت أمرك .

وذهبا الى المأمور مباشرة وخرجت قوة الى بيت رفعت ولحق بها المأمور ومعه اذن نيابة بالتفتيش عن المخدرات وفوجيء رفعت بالقوة التى لم تكذب تلتف حوله حتى وجد المأمور معها وبدأ التفتيش وأمر المأمور بفتح الخزانة ولم يكن عجبيا أن وجد المأمور عقد شراء سيارة حفنى بين أوراق الخزانة . وان كان لم يجد مخدرات .

وكانت السيارة قد ذهبت فعلا الى القاهرة وما كان أيسر على المأمور
أن يعطى أمرا بتفتيشها عند عودتها وتم العثور بها على المخدرات .
وقال رفعت للنيابة :

- هذه سيارة حفنى .
- وعقد الشراء ؟

- لقد كتبت له لأضمن الدين الذى استلفه منى حين كان ابنه محتاجا
لعملية ولكن الجميع يعلم أنه كان يستعمل السيارة على الخط فلو كنت
اشتريتها لما كان ركبها .

- ولكنه كان يعمل عندك أيضا .. وهى الآن حين ضبطت
بالمخدرات لم تكن معه ، ما أقوالك ؟

- أنا لا أعرف شيئا عن المخدرات ربما يكون صابر هو الذى قام
بالعملية من تلقاء نفسه .

- ألا يعمل صابر سائقا عندك ؟

صمت ..

- أجب .

- يعمل عندي أحيانا ولكننى لم أكلفه بهذه المهمة .

وبعد استكمال التحقيق أفرج عن رفعت بكفالة قدرها ألف جنيه
وأودع صابر السجن لاستكمال التحقيق .

(٩)

كان منصور فى مكتبه حين دخل اليه راضى يستأذن فى دخول
لطفى عامر .

- من لطفى عامر ؟
- أحد رجال رفعت .
- ماذا كان يعمل عنده ؟
- خادما بالبيت .
- وماذا يريد ؟
- أناديه لك ؟
- دعه يدخل .

• - أمسرك

ودخل لطفى عامر ٠٠٠ شاب طيب السمات ذكى النظرة تغشى وجهه
كآبه وهلع وقال وهو يجلس :

• - الحقنى يا سعادة البك
• - خير يا لطفى

• - أنا أعمل خادما عند رفعت بك منذ عشر سنوات وأنت تعرف اننا
فى العمل عنده لسنا أحرارا فأبى مزارع عنده وقد رأنى وكان عمى ستة
عشر سنة وماشى فى السابعة عشر وقال لأبى أريد لطفى أن يعمل عندى
• وكانت الكلمة العابرة كافية للتنفيذ

جمعت ملابسى وذهبت معه الى المركز له عمارة بشوارع الشنوانى بها
دور تحت الأرض كله حجرات والدور له منافعه • أعطانى حجرة من هذه
الحجرات وكتب معى عقدا جعل أبى يوقع عليه لاني لم أكن قد بلغت السن
القانونية بعد • ووقع أبى ورأيت المر يا منصور بك سهر الى وش الصبح
وتعب المرتب عشرة جنيهات أخذها شهرا ولا أخذها شهرا آخر وكلما
فاتحته يقول ألا يكفيك أنك تسكن فى حجرة ولا تدفع أجرا أتعرف كم
ايجار هذه الحجرة • المهم تزوجت يا منصور بك بعد خمس سنوات وأتيت
بزوجتى الى الغرفة وأنجبنا ابنا وابنة • الولد لابد أن يذهب الى المدرسة •
فاذا به يقول مدرسة ألم يبق الا ابنتك ليذهب الى المدرسة ٠٠٠ أوجمعتنى
الكلمة يا منصور بك ٠٠٠ أكثر أن أعلم ابنتى مثل خلق الله وكان الولد
واقفا بجانبى وتمنيت لو أن الأرض ابتلعتنى فكل أب يا منصور بك يجب
أن يكون محترما أمام ابنه • ولم يكتف رفعت بهذا بل أكمل ، اذهب علمه
صنعة أو انتظر عليه حتى يكبر وهاته هنا يخدم وأنا أقبله وأمرى لله •

• - ما الذى جعلك تخبره عن مدرسة ابنتك ؟

• - أردت سلفة عشرين جنيها أحضر للولد ملابس يذهب بها الى
المدرسة •

• - هيه ٠٠٠ وبعده •

• - سكت ٠٠٠ أنا كنت حزينا كل الحزن ٠٠ لقد تحملت منه الضرب
والاهانة والسهر وعدم النوم فى الليل أو فى النهار وكانى آلة ولست
أدميا مثل كل الناس وبعده هذا كله يهيننى هذه الاهانة أمام ابنتى •

• - ماذا فعلت ؟

- رحت ولم أستطع حتى تناول الغداء وانما أرسلت زوجتى الى زوجته تخيرها اننا لن نعمل عندها بعد ذلك .

- وماذا قالت لها ؟

- قالت الآن طبعاً . . . ما داموا قبضوا على رجاله طيب اخلوا الحجرة قالت لها وهيبة امرأتى أى حجرة قالت لها الحجرة التى تنامون فيها قالت وهيبة ولكننا ندفع ايجارها أكنا نقبل عشرة جنيهاً مرتباً لو لم يكن الايجار محسوباً . . . قالت الست هل معكم ايصال ؟ قالت وهيبة طبعاً لا . . . قالت الست ولكن نحن لدينا عقد ايجار . . . اشربوا من البحر اذن أو عضوا فى الأرض .

- وماذا قالت وهيبة ؟

- وماذا يمكن أن تقول ؟ قالت كتر خيرك يا ست هاتم هذه آخرة خدمتنا السنوات الطوال ولم تسكت الست وانما لعنت أبانها وهى تقول آكنتم تعملون مجاناً امشى أخرجى من بيتى . .

قال منصور :

- والآن ماذا حدث ؟

- حدث اننى أصبحت أمدح فيك فى كل مكان وصحت معك لا اله الا الله محمد رسول الله وعرف هو هذا وفوجئت يا سعادة البك بهذا الاعلان قادم . .

- ما هذا . . . ؟ اعلان طرد . . . ؟ مبلغ كم ألف ومائتى جنيه قيمة ايجار متأخر . . . هيه .

- ما رأيك يا سعادة البك ؟

- رأيى أنه يملك أن يطردك .

- ومعنى أربعة آخرون تركوا خدمته ويسكنون معى فى البدروم . . . وجاءت لهم اعلانات مثل هذه .

- أكلها ببمالغ كبيرة مثل هذه ؟

- المبالغ تتراوح .

- توكل على الله .

- هل له حق فى هذه المطالبة ؟

- من جهة له حق فلا شك فى ذلك .

- اذن .

- هات زملاءك وتعالوا الى مكتبي اليوم بعد الظهر
- جميعا ؟
- جميعا ومعكم الاعلانات

وجاءوا وكان في انتظارهم منصور وأمين عبد الصادق وجمع منصور الاعلانات فوجد المبالغ المطوَّبة ثلاثة آلاف وأربعمائة جنيه فصدق الجرس وجاء راضى •
فقال له في هدوء :

- خذ هذه الاعلانات وهذا المبلغ ثلاثة آلاف وأربعمائة جنيه تدفعه غدا في المحكمة ايداع لحساب رفعت بموجب هذه الاعلانات •
- أمسرك •
- مع السلامة •

ثم نظر الى زملاء لطفى وقال لهم هذه المبالغ منى ومن الأستاذ أمين هدية لكم وعليكم بعد ذلك أن تدفعوا الايجار •
• ماذا نقول لك وللأستاذ أمين ؟
• تعرفون جميعا ماذا تقولون •
• لقد رأينا العذاب ألوانا ... ماذا نقول لك ؟
• ما نقوله جميعا •
• لا اله الا الله محمد رسول الله •

☆☆☆

(١٥)

أكرم الأشموني شاب في مقتبل العمر يملك عشرة أفدنه في الناحية غير بيت كامل في المركز مات عنه أبوه وهو في السنة الثالثة من كلية التجارة فأكمل تعليمه وتخرج • وكان وهو في الكلية معجب بزميلة له نهى سعدون وكان طوال سنوات الدراسة يحاول أن يتقرب منها هذا التقرب المعهود بين أبناء الجامعة • كراسة المحاضرات • المذاكرة • الاعادة على المحاضرة • الى غير هذا • وكانت تتقبل منه هذه المحاولات في نفس راضية فقد كان مرتب العقل لا يرتكب الصغائر التي يرتكبها الشباب في هذه السن من التظاهر بما ليس فيهم أو ادعاء ما ليس لهم • وكان منتصب القامة في غير تكبر يحترم نفسه في غير تعاضم • وكانت تشهد منه اذا لم

تعطه كل اهتمامها كبرياء الأصيل حتى لتضطر أن تعتذر إليه مدركة ما وقعت فيه من خطأ .

وكان أكرم ونهى ينجحان كل عام نجاحا معقولا لا هو في الحضيض ولا هو في القمة حتى إذا بلغا البكالوريوس ومر من العام ثلاثة أشهر قال لها :

- الآن وجب الكلام .
- أفهمك .
- والدك موظف بوزارة المواصلات بدرجة مدير عام .
- أنت تعرف أسرتي كلها وزوتنا كثيرا .
- الذى أقوله مقدمة من المقدمات فى أغلب أمرها يكون فيها أشياء معروفة .
- اذن أكمل .
- إذا خطبتك منه سيقع فى حيرة ما بعدها حيرة . . وأنا والحمد لله لست غنيا ولكننى مستور .
- وماذا تريد ؟
- أريد أن أكرم عمى سعدون بك دون أن أبث فى نفسى أى نوع من الحيرة .
- وكيف يكون ذلك ؟
- قال باسم :
- هذا أمر لا دخل لك أنت فيه .
- انه أنا الذى سأتزوج .
- إن دورك قاصر على ان عمى سعدون سيسألك رأيك وتقولين موافقة .
- وفى سخرية فرحانة قالت :
- يا سلام واثق من نفسك جدا حضرتك .
- وفى نفس اللفظة الفرحة يقول لها :
- واثق من صلتنا الشريفة العفيفة على مدى أربع سنوات .
- وكيف لك أن تثق ؟
- اعجاب ومدارسة عرفتك فيها وعرفتني ورضيت أن أكون زميل مذاكرتك وممشاك وصندوق أخبارك .

ما تضيقين به وما تسعدين ، وفرحت أنا أن أكون منك هذا الانسان
ومعنى فرحي ان اعجابي تحول الى حب .. حب جارف عفيف حرصت كما
حرصت أنت أن يظل عفيفا لأن كل منا كان يذخر الآخر للحياة جميعها
وليس لمعرفة عابرة تمر بالانسان ثم تمضى كأنها لم تكن لا تصبح الا ذكرى
هيئة الشأن ضئيلة الأثر .

- والملخص ؟

- ان سعدون بك أو نجيبة هانم .. والغالب أن نجيبة هانم هي
التي ستسألك .. أتقبلين أكرم زميلك زوجا لك ؟

- هيه وماذا أقول أنا ؟

- والله أنت حرة هناك ثلاث اجابات ..

- لا رابع لها ؟

- ما هي الاجابات ؟

- نعم .

- يا سلام .

- وبهذه الاجابة تكونين صريحة واضحة منسجمة مع نفسك لانك
أنت التي قدمت أكرم هذا اليهم فمن الطبيعي أن تقبلية .

- معقول .. والاجابة الثانية .

- التقليدية التي جرى عليها الغالبية العظمى من بنات حواء في مثل
هذه المواقف .

- ألا وهي ؟

- الرأي رأيكم يا ماما .

- معقول أيضا .. والثالثة .

- ابتسامة مشرقة وهزة رأس خفيفة تنفيذ الموافقة أيها استختارين .
وأغرقت نهى في الضحك وقالت :

- أليست هناك اجابة رابعة محتملة ؟

- مطلقا .

- بل هناك .

- مثل ماذا ؟

قالت وهي تضحك ملء قلبها :

- مثل أبدا يا ماما كله الا هذا .. أكرم زميل فقط أما اذا أردت

الزواج فانتى أريد شخصاً غنياً واسع الثراء أما هذا الشاب المغرور الذى يتصور أننى سأوافق على زواجه بمجرد أن يتفضل هو بطلب يدي ٠٠٠ أبداً يا ماما أبداً .

— اذا قلت هذا الكلام بهذا الوجه الصبيح المنطلق الفرح فانه يعنى موافقة أقوى من الاجابات الثلاث التى تصورتها أنا .

— مغرور .

— محب .

وكسا وجهها الجدد وهى تقول :

— هل الحب فى داخلك صادق بقدر صدقه فى وجهك ؟

— أتشكين ؟

— أحب أن أسمع همسات نفسك بدلا من أن أحسها .

— اذن فحبي لك أكبر من حيك لى .

— ليس للحب موازين ٠٠ هناك حب أو لا حب .

— لم أسألك ان كنت صادقة أم لا ؟

— اكتفيت أنت بالنظر والشعور وأردت أنا أن أشرك السميع معهما .

— الكلام سهل ولكن الأيام فى الاثبات أقوى .

والتقت نظرتان يعرفهما الشباب الطاهر منذ بدء الخليقة وقالت نهى:

— هل أطلب لك موعداً من أبى ؟

— ولا هذا .

— لماذا ؟

— لانك لو طلبت الموعد تكونين قد أعلنت الموافقة قبل الطلب وهذا

• ما لا أرضاه لك .

— اذن .

— أنتظرنى أنت اليوم فى الساعة السادسة دون أن يدري أحد فى

• المنزل أنك تنتظرينى .

— وتأتى دون موعد ؟

— وكأنى سأذاكر معك .

— فاذا لم تجد أبى .

— فسأجده غداً ٠٠٠ أنا لا أريد أن يشمر بالحيرة مطلقاً .

— فبم الحيرة ؟

— قد يجدنى مقبولاً وتقف موارد المالية فى الآونة الحاضرة دون

• الاستجابة لى ٠٠ أتركى الأمر لى .

- ما ترى .
- الى اللقاء .
- الى اللقاء .

- وجد سعدون بك ونجيبة هانم .
- طبعاً أنا غير محتاج أن أقدم نفسي .
- وقال سعدون :
- أنت أصبحت مثل ابنتنا .
- حالتى المالية حسنة فأنا أملك عشرة أفدنة وأملك بيتنا فى مركز المهديّة سأبيع البيت وأشترى شقة وأؤثثها فليس عليكم أى أعباء .
- فيم تتكلم ؟
- أنا قدمت هذا الحديث لاننى أعرف العقبات التى تقف أمام الأب حين تخطب ابنته .
- وأغرق الأب والأم فى الضحك وتمت الخطبة .

- كان أكرم يظن أن الأمور ميسرة وليس أمامه أية عوائق تحول دون بيع البيت . بل انه حين ذهب الى المركز وجد ما يشجعه على هذا الظن فقد ذهب الى قريه الحاج شعبان تاجر الغلال .
- ياعم الحاج شعبان .
- ألف نعم يا أكرم وأنت فعلاً أكرم .
- كان جرى بيننا حديث سريع عن بيتنا هنا .
- نعم أنا أرى انك غير محتاج اليه .
- أنا كنت مبقياً عليه لأستعين بثمانه على زواجى وشراء شقة فى القاهرة وأقيم بها أنا وزوجتى .
- ونعم الرأى .
- وأنا فعلاً خطبت .
- فعلاً .
- ألف مبروك دون أن تقول لى .
- انها زميلتى فى الكلية والأمر لم يعد الاتفاق المبدئى أما فى الخطوبة الرسمية فأنت الذى ستقوم بها ان شاء الله طبعاً .
- على بركة الله .
- الآن بيع البيت أصبح ضرورة .

- كن تاجرا ولا تقل هذا
- أنا أقوله لك أنت فقط :-
- اسمع يا بني كأنك لم تكلمنى وأنا سأعرض البيع وإذا لم تعجبني الأسعار سيكون لي رأى آخر .
- اترك لي فرصة .
- أسبوع .

- خيرا ياعم الحاج شعبان .
- كل الخير ٠٠٠ أحسن سعر وصلت اليه خمسة وثلاثون ألف جنيه وأنا أرى أنه سعر مناسب والا كنت اشتريته أنا .
- توكلنا على الله .

- وفجأة بدأت الدوامة .

- قال أكرم منصور وأمين :
- اتضح أن البيت ملاصق لعمارة يملكها رفعت ويأبى جشعة الا أن يشتري البيت أيضا .
- سأل منصور :
- ما البأس انه سيشتري بالشفعة فليدفع الثمن المعروض ؟
- هنا المصيبة ياأبى أن يدفع أكثر من عشرة آلاف جنيه .
- سأل أمين :
- والمشترون الآخرون ؟
- فروا جميعا هدهم بالقتل ان رفع واحد منهم السعر عن عشرة آلاف جنيه والأرض هي الأخرى وسط أرضه وأوقف عنها الشراء تماما .
- لا اله الا الله .
- ماذا أفعل ؟
- قال أمين :
- لا تفعل شيئا توكل على الله .

والتفت الى منصور وقال له :
- أيلزمك هذا البيت يا أستاذ منصور ؟
- أنا مستعد أن أشتريه ولن تكون على خسارة .
- بل أنا محتاج اليه . . وما ضاع مال أنفق في شراء بيت وفي موقف كهذا .

ثم نادى :
- يا راضى .
وحين جاء راضى قال أمين :
- اذهب مع الأستاذ أكرم واكتبنا عقد بيع البيت سيعطيك هو حدوده وأنا فى انتظاركما .

قال أكرم ودمعات فرح تسيل على خديه :
- ما هذا الذى تصنعه يا أستاذ أمين ؟
- ماذا مال مدفوع فى ثمن بيت .
- وكيف صدقت ما أقول ؟
- أنا أعرف البيت وأعرف ثمنه أنسىبت أننا أسرة تجار . . . توكل على الله ولا تضيع الوقت .
- ماذا أقول لك ؟
- أنت تعرف ما تقول .
- لا اله الا الله محمد رسول الله .

(١١)

المحكمة منعقدة ومنصور وأمين جالسان فى مقاعد المحامين وقضايا تبلغ اثنى عشر قضية مرفوعة ضد رفعت الربيعى ومنه .
منصور وأمين يلتقى كل منهما نظره على القضايا التى سيترافع فيها . .
ونودى على القضية الأولى سامية نشأت الربيعى . .
رفعت الربيعى . .
وقال منصور :
- حاضر عن المدعية يا حضرة القاضى :
وأرتفع صوت عميق الأغوار من آخر قاعة المحكمة :
- رفعت الربيعى حاضر عن نفسه يا حضرة القاضى .

وتقدم رفعت الى المنصة فى خطوات ثابتة حتى اذا أصبح أمام القاضى
وقال :

- أتسمح لى يا حضرة القاضى ؟
 - أنت مدعى عليك .. لا بد أن يتكلم المدعى أولا .
 - ربما أقول شيئا يغنيه عن الكلام .
 - أتسمح يا أستاذ منصور ؟
 - لا مانع يا حضرة القاضى .
- وتكلم رفعت الربيعى :

- كل القضايا المرفوعة ضدى من السيدة سامية نشأت أو من غيرها
أنا معترف بحق المدعين فيها بلا استثناء .. وكل القضايا المرفوعة ضدها
أو ضد آخرين أنا متنازل عنها .. هذا اجمال أرجو أن يثبت فى محضر
الجلسة ثم افصل الاجمال مع الأساتذة المحامين بتوقيع منى على ما يطلبون
التوقيع عليه .. ولا اله الا الله محمد رسول الله .

وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا .

وعنت الوجوه للحى القيوم وكأنما أصبحت قلوب الجميع قلبا
واحدا يردد فى إيمان عميق ووجيب نورانى .

لا اله الا الله محمد رسول الله

((تمت))

ذکر ایام میلاد نبوی

ذكريات لا يمكن نسيانها

(١)

استطراد

لست أدري أية خاطرة قد دفنها القدر على ذهني فجعلتني أفكر في كتابة هذا الكلام الذي أكتبه الآن . والذي لا أستطيع أن أعرف له عنوانا يصفه . فمن المؤكد انه ليس مذكرات فانتني عن معرفة بنفسى وليس عن تواضع لا أرى اننى من هؤلاء الذين يجدر بهم أن يكتبوا مذكرات . وهو أيضا ليس حكايات مؤلفة ولا هو رواية مما ألف الناس أن يقرؤا لي .

هو أقرب ما يكون الى ذكريات كما اخترت العنوان وأرجو ألا أكون قد اعتسفته اعتسافا . فان جنحت هذه الذكريات الى القصة فهي قصص من صنع السماء ليس لي عليها الا عمل الناقل لا الخالق . وان جنحت الى رسم شخصيات مما تعودت أن أكتب أحيانا فهي الشخصيات أتحرى في رسمها الصدق لا الفن فهي اذن صور فوتوغرافية وليست صوراً قلمية أضفى عليها من خيالي ما أشاء لأجعلها تبدو كما أريدها أن تبدو .

فالشخصية المرسومة قد تكون عدة أفراد جمعتها أنا في فرد واحد . ولكن هذا الذي ستشاهده في هذه الصفحات هي شخصيات عرفتها وستدرك حقيقتها حين تجد اسمها الحقيقي الذي يعرفه من عرفها يعلن عن أنها بنت الحياة وليست من بنات الخيال ولا هي من شخوص لروايات .

أحسب اننى اليوم وأنا أقارب الخطو الى ستينات عمري لا يفصلني الا سنوات قليلة نظرت الى أيامى الماضية فوجدتني قد مررت بأقوام كثيرين وبجهود شتى ربما لا تكون فيها غرابة ولكن خيل لي أن فيها طرافة . فقد نشأت في بيت أبى المغفور له ابراهيم دسوقي أباطة باشا

ويعرف رجل من رجال السياسة في عصره ، ورجال السياسة في مصر
يختلطون بكل الناس من شتى النحل والمهن ، وأكثر صلتهم بناخبهم
الذين ينتخبونهم ليكونوا نوابهم في المجالس النيابية . وقد كان أبى
عضوا في مجلس النواب منذ تكون الى ان انتهت الحياة النيابية في مصر
عام ٥٢ ، فليس غريبا اذن ان اكون أنا على معرفة تامة بالحياة منذ وعيت
الحياة . وهل الحياة الا الناس وقد ولدت في زحامهم وعشت بين أوضاعهم
وشببت عن الطوق وأنا أتنفس الهواء الذى يتنفسون ، وربما عرفت من
أفواههم خفايا حياتهم التى يضمنون بها على خاصتهم الأقربين فقد طالما
قصودوا الى لأكون شفيعهم الى أبى والحديث الى الابن الصغير أكثر يسرا من
الحديث الى الأب الذى يحيط به جلال شخصيته ووظيفته نائبا أو وكيل
لمجلس النواب أو وزيرا .

وقد عرفت الحياة وأبى واحد من هؤلاء الثلاثة فقد ولدت عام
سبعة وعشرين وتسعمائة وألف وكان هو عضوا بمجلس النواب وسمعت
فيما بعد أنه كان مديرا لمكتب رئيس الوزراء محمد باشا محمود عام ٢٨
ثم مديرا لمكتب عدلى يكن عام ٢٩ ثم عاد بعد ذلك الى مجلس النواب نائبا
ثم صار وكيلًا للمجلس مرتين مرة في عام ٣٠ وأخرى عام ٣٨ .

وما دمت قد عرضت لما سمعته عن أبى فقد يخلو لى أن أروى
ما سمعته عن نفسى . وان كان قد خطر لى أن أروى مواقف أبى فى
ثورة ١٩ الا اننى عدلت عن ذلك لأسباب توائمت تباعا الى ذهنى .
الأول أننى لو دلفت من هذا الباب لاحتاج الأمر الى كتاب بأكمله والثانى
ان هذه المواقف مكتوبة فى كل الكتب التى تناولت ثورة ١٩ والثالث هو
اننى أستطيع ان أروى بقلمى قصة صغيرة سمعتها ولا تحتاج روايتها الى
مشاهدة وحضور . أما اذا رويت عن أبى فى ثورة ١٩ فلا بد لى أن أكون
معايشا لهذه الفترة معايشة تسمح لى ان أكتب عنها ، وهذا ما لم يحدث
وما كان يمكن أن يحدث وقد تزوج أبى من والدتى فى عام ٢٤ .

ومما روى لى أن الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد كان
من أشد أنصار سعد باشا زغلول وكان العقاد صاحب قلم عنيف شديد
الوطأة على من يخاصمهم فى الرأى . وحدث ان كتب عدة مقالات يهاجم
فيها محمد محمود باشا وكان الهجوم فيه سباب كثيف حتى لقد وصف
محمد محمود بالشقى محمد محمود ثم كتب مقالا آخر بعنوان الشقى رقم
كذا وكاننا محمد محمود أصبح من نزلاء السجون الذين يعرفون بأرقامهم .
وضاق محمد محمود بهذا الهجوم ، وفى ثوبة من نوبات الضيق الشديد
منه أقبل عليه أبى فقال له محمد باشا :

- أيرضيك ما يكتبه العقاد ؟
وقال أبى :

- لا ٠٠٠ لايرضيني وأنا قادر على الرد عليه بما يسكته ولكن بشرط
واحد .

وقال محمد باشا :
- ما هو :
قال أبى :

- تنزل مقالاتي الى مطبعة السياسة مباشرة ولا يقرؤها الدكتور
هيكل رئيس التحرير فهو لا يرضى منى العنف فى المقالات وسيحاول أن
يخفف من قسوتها .

فقال محمد باشا :
- لك هذا .

وكتب أبى مقاله الأول وكان أبى يوقع مقالاته عادة بتوقيع الغزالي
أباطة ولكنه فى هذه المرة اختار أن تكون مقالاته ضد العقاد بعنوان
« ثروت » وكان عمرى فى ذلك الحين سنة واحدة فقد كانت هذه المساجلة
فى عام ١٩٢٨ وظهرت المقالة الأولى ثم الثانية فإذا بالعقاد يتوقف عن
مهاجمة محمد محمود ويلجأ الى المحكمة رافعا الدعوى على الدكتور هيكل
رئيس تحرير السياسة التى نشرت المقالتين وعلى « ثروت » صاحب
التوقيع ، وضحك الدكتور هيكل من فكرة تقديمى الى المحكمة وقال لأبى
مازحا :

- عليك أن تحمل ثروت على كتفك وتأتى به الى المحكمة .

وكتب أبى بعد رفع الدعوى مقالة ثالثة ينهى بها هجومه على العقاد .
وأذكر أننى ذهبت الى لقاء استاذنا العملاق عباس العقاد وأنا فى مطالع
الشباب حوالى عام ٤٥ وقدمنى اليه تلميذه العوضى الوكيل فما أن سمع
اسمى وعرف من أنا حتى ضحك ضحكته العريضة النقية وقال وهو
يرحب بى :

- بينى وبينك نار قديم يا عم ثروت .

ثم قامت بينى وبينه بعد ذلك تلك العلاقة التى نعم بها كل تلامذته
وان كان صغر سننى لم يتح لى أن أكثر من الذهاب اليه فى ندوة الجمعة
ولكنه فى كل مرة كان يلقانى فيها كان يرحب بى ترحيبا شديدا وقد

صار بعد ذلك من أحب الناس الى أبي كما أصبح أبي من أحب الناس اليه -
حتى لقد نظم في مدح أبي عدة قصائد يقول في احداها :

| | | | |
|------------------|------------|-----------|-------|
| نكرمه | نكرمه | وما نرويه | نعلمه |
| ولم نشيء له فضلا | ولكننا | نترجمه | |
| فتى ترضى سجاياه | ويصدق قلبه | فمه | |
| وللفنان في ناديه | مغناه | ومغنمه | |
| وحب الخير في دمه | فكيف يخونه | دمه | |

وقال في رثائه قصيدة تعتبر من عيون الشعر العربي كافة يقول فيها :

| | |
|-----------------------|-------------------|
| أقيموا الوزن أو ميلوا | فما ابراهيم مجهول |
| فتى ميزانه بالقسط | عند الله مكفول |
| له في كل تاريخ | من المجد الكليل |
| سلوا الأوطان ينيبكم | بما يعلمه النيل |
| يحي ناصر المصري | والمصري مخدول |
| وأول رافع صوتنا | وسيف الحرب مسلول |
| وللمحتل في مصر | على كل قم غول |
| له في برها جيش | كجيش النمل موصل |
| وفي البحر أساطيل | وفي الجو أبابيل |
| إذا لم ينعمه الاحياء | والدنيا أباطيل |
| نعاه في العزيزية | مدفون ومجدول |
| وجيل في حمى التاريخ | لا يشبهه جيل |

| | |
|----------------------|-------------------|
| سلوا الأداب ينيبكم | به الصداحة القول |
| يردد ذكره في الشعر | تسييح وترتيل |
| ويهتف باسمه في القو | ل مطبوع ومنقول |
| ويحمد فضله في العر | ب منسوب ومدخول |
| فلا الماضي يمسي | ولا الحاضر معزول |
| وراعى الشعر لا ينسا | ه مرعى منه مظلول |
| سلوا الاحسان والاحسا | ن طبع فيه مجبول |
| وأقرب شأوه في الجو | د مشروب وماكول |
| وكم اعطى ولم يسأل | وبعض السؤال معطول |

سلوا الاحساب لا عز يدانها ولا طول
وللاسداد والاشبا ل في اعلامها غيل
ذووه من بنى مصر هم الغر البهاليل
ومن احسابه كسب بمسعاه وتحصيل

برأى زانه في القصد اجمال وتفصيل
وصبر راض دنياه واضتته العراقيل
سلوا سيرته الحفل والسيرة تسجيل
سلوا الشلال . . والمجرى من القطرين مفصول
تم القرب اولا قا عد بالشرق مشلول

خصال كلها نبل وافضال وتفصيل
وذكرى كلها حمد وتشريف وتبجيل
فقدناه ونادى الراى فى القطرين مامول
فلا يسعد به الثوى ومشوى الحير ماهول
له من بره أنس وشمل ثم مشمول
ومن سيرته الفيحا : ترويح وتطليل
له فى منزل الرضوا ن تسليم وتنزيل
واجبر من ثواب الله عند الله مقبول

والعجيب ان أستاذنا العقاد هو أول من نوه بى وكان ذلك حين جمع
الأستاذان أحمد عبد المجيد الغزالي والعضى الزكىل مقالات أبى وخطبه
فى كتاب أسمياه وميض الأدب بين غيوم السياسة ، وظهر الكتاب فى
عام ١٩٤٨ وكنت فى هذا الحين قد بدأت أكتب مقالاتى فى مجلتى الرسالة
والثقافة ولكننى طبعا كنت ما أزال صغيرا لا يكاد يعرفنى الا الأدباء
المتخصصون . وقد اتجه الشاعران الأستاذان الغزالي والعضى الى
أستاذهما وأستاذنا العقاد وطلبا اليه أن يكتب مقدمة للكتاب الذى جمعا من
أعمال أبى الأدبية . وقبل رحمه الله ذلك ولكن المفاجأة الكبرى بالنسبة لى
هى قوله فى المقدمة حين تكلم عن صلة الأدب الأباطية بالأدب .

« وناهيك بما نقرؤه لفكرى وعزیز وثروت من رصين الشعر وطريف

المنشور » .

وقد اعتبرت ذكر اسمي في هذا المكان وما زلت اعتبره من أعظم الأوسمة التي نلتها حتى اليوم . فقد كنت في المطامع الأولى من شبابي وأن يقرون اسمي بالعملاقين الأباطين عمى فكرى باشا وعمى وحمى فيما بعد عزيز باشا أمر اعتبرته مفخرة كبرى ولا زلت اعتبره كذلك .

وما دمنا نتكلم عن عملاق الأدب العربى التاريخى استاذنا العقاد فينبغى أن أذكر واقعة حدثت بينى وبينه فى عام ١٩٥٤ وكانت تلك السنة سنة حاسمة فى تاريخ ثورة يوليو . فقد سمحت السلطات فى مارس من هذا العام بحرية الصحافة وأتاحت لكل صاحب رأى أن يكتب رأيه وطلبت أن يقول ما يشاء لمن يشاء وكان أهم سؤال طلبت الثورة الاجابة عليه ان كان الأفضل لمصر أن تكون الجمهورية فيها برلمانية ام رئاسية .

وانبرى العقاد بمقال كتبه فى الاخبار يطالب بأن تكون الجمهورية برلمانية ولكن المقال كان غاية فى العنف رافضاً كل ألوان الدكتاتورية أو الحكم العسكري .

وفى نفس اليوم الذى ظهر فيه المقال كان لى عمل فى الاذاعة القديمة فى شارع الشريفة وفوجئت وأنا أدلفه من الباب الرئيسى للاذاعة بأستاذنا العقاد يهبط السلم وحوله جماعة من محبيه ومريديه ومن موظفى الاذاعة الذين حرصوا أن يكونوا فى توديع العملاق العظيم .

وقال لى أستاذنا :

— لقد قرأت مقالاتك .

وكنت كتبت فى هذه الفترة مقالات بنفس العنف والرفض للدكتاتورية فقلت له :

— هذا شرف لها ولى .

فقال :

— هل قرأت مقال اليوم ؟

فقلت :

— طبعاً مثلما أقرأ كل حرف يخطه قلمك .

— أرايت لقد قلت لهم ...

ومضى يذكر أهم العناصر التى ضغط عليها فى مقاله ومضيت أنا أقول ... نعم ... نعم حتى اذا سكنت قلت له :

— سعادتك تسمح لى بكلمة على انفراد .

فلف ذراعى بذراعه ومضينا ننتحى جانبا بشوارع الشريطين
وقلت له :

- سعادتك تعرف أن وراءك جواسيس ؟
وكنت قد عرفت ذلك فعلا فاذا الرجل العملاق يقول :
- نعم أعرف وتليفونى مراقب أيضا •
فقلت له :

- سعادتك الآن لا تحتلم السجين الذى احتملته فى عام ٣٠ كما أن
السجين الآن نوع آخر غير الذى عرفته • ونحن أيناؤك دعنا نحن نسجن
وقل لنا ما تريد كتابته وأمله علينا اذا شئت نوقعه بأسمائنا ولكن من
أجلنا نحن أبناءك ان لم يكن من أجل نفسك لا تعرض نفسك لهؤلاء
الوحوش •

فنظر الى مليا وصمت لحظات ثم قال :
- أترى ذلك ؟
قلت :

- ألا ترى أنت ذلك ؟
قال :
- لا بأس •

ولا اعتقد أنه كان سينفذ الوعد ولكن على كل حال أتقنه من نفسه
انتهاء فترة الحرية ومنع كل الكتابات الحرة مهما تكن هيئة الشأن واغلاق
جريدة المصرى والاستيلاء عليها وعلى أموال أصحابها •

★ ★ ★

ويلى ٠٠٠ لكم استطرديت • وأين أنا الآن مما أريد أن أرويه من
ذكريات ؟ لقد كان الحديث عن مولدى فاذا أنا أقفز الى عام ٥٤ • ولكننى
أمسكت يد عملاق الأدب العربى على مدى التاريخ فكيف لا تغرينى يده
ان أقفز كل هذه السنوات • وكيف أذكره ولا أستطرد وهو فى ذاته
أسطورة كاملة خالدة على الزمان •

★ ★ ★

لأعد اذن الى تلك الأيام التى بدأت فيها أعى الحياة حولى ، هناك
أشياء كأحلام بعضها واضح المعالم فى ذاكرتى وبعضها تحول بينى وبينه
سحابات أشبه ما تكون بأستار رقيقة •

ويختلط أمرها في ذهني فما أدري أهي أشياء رأيته رأى العين أم أن رواية أبوي لي عنها جعلتني أتمثلها كحقيقة رأيته رأى عين بينما هي مسموعات التصقت بنفسى وهيات لي نفسى هذه أنها مرثيات .

من هذا ما قيل لي اننى مرضت مرضا خطيرا بالدوسنتاريا لأن أمي صحبتني معها لتحضر العزاء فى عمها اسماعيل باشا أباطة وكان اليوم شديد القىظ وكانت الرياح الحارة تلفح مصر بسمومها .

وقد تعرضت فى هذا المرض لخطر الموت . وأشرف على علاجي صديقان لصيقان لأبى كلاهما أصبح واسع الشهرة هما الدكتور ابراهيم شوقى الذى أصبح باشا بعد ذلك والآخر الدكتور حافظ عفيفى باشا ، ويقول أبى ان صاحبة الفضل فى شفائى هى عمى التى تحدث الموت والمرض فأصرت أن تسهر الليل جميعه تنفذ أوامر الأطباء .

ومما رواه لي أبى اننى فى سنتى الثانية كنت أدرك ان ستى - والدته - لا تحتمل السهر فكنت أرجو بلسان الطفل الأعجمى أن تقوم لترتاح فاذا أتت وأصرت أن تبقى تناومت وتوقفت عن التأوه حتى تقوم ستى الى منامها فاذا تأكدت أنها قامت عدت مرة أخرى الى اليقظة والتأوه .

ومن المؤكده اننى اذكر ستى هذه فقد كان لها جناح خاص فى الدور الأول من منزلنا ببلدتنا عزالة التى تبعد عن الزقازيق سبعة كيلو مترات . وكان هذا الجناح منفصلا عن البيت متصلا به فى وقت معا ، فقد كان علينا حتى نذهب اليه ان نخترق حجرة كبيرة كنا نعتبرها حجرة الاستقبال التى تلتقى فيها ستى بالزائرات من سيدات البلدة أو من الأقارب ثم علينا بعد ذلك أن نقطع بهوا يقسمه قسمة ظالمة دولاب كان أشبه بالكيلار ، وفى هذا الدولاب باب يؤدى الى البهو الواقع أمام حجرة سنى وعمى فقد كانتا متلازمتين حتى فى النوم . وكان لحجرة نومهما ثلاث نوافذ تطل احداها وهى التى تتوسط الجدار الأيسر على ما يسمونه الدوار حيث تربي الدواجن وتصنع القشدة بأن يترك اللبن الطازج فى المتارد حتى يتكون له سبطح سميك هو القشدة الفلاحى المعروفة وحيث تصنع أيضا الجبنة القريش من اللبن بعد أن تنزع قشده .

وكانت ستى وعمى تشرفان من تلك النافذة على أعمال الدوار جميعا من اطعام الدواجن الى شتى فروع الأعمال المنزلية .

وبجانب باب حجرتهما توجد نافذة عجيبة الشأن لأنها كانت تطل على البهو . ولم أر فى حياتى بعد ذلك نافذة تطل على بهو الا تلك النافذة ، وكانت عمى وستى كما أتذكرهما دائما جالستين على حاشية تحتها بساط

على الأرض . لا تتركان مكانهما هذا حتى اننى كل ما اذكره عن سنى يكاد
ينحصر فى جلسيتها هذه تحت هذا الشباك .

أما الحائظ الأيمن فقد كانت تتوسطه نافذة تطل على ما كنت اسميه
حديقة سنى ولم تكن حديقة سنى الا تكعيبة عنب خشبية تحيط بفناء
صغير تخلص اليه بسلم من أربع درجات أو خمس ونستطيع من هذا
الفناء ان نخرج من باب خشبى ضخم سميك الى خارج البيت الى ما كنا
نسميه بالمساحيه . وتحت تكعيبة العنب التى تحيط بالفناء مضطبة متصلة
بالحوائط الأربعة التى تصنع ما كنا نسميه بالحديقة .

وكانت سنى شديدة الحذب على حتى أذكر أنها كثيرا ما كانت
تعطينى ريالا من الفضة حين أنزل اليها فى أول النهار لألقى عليها تحية
الصباح . وما كنت أدري ماذا أصنع بهذا الريال الا اننى كنت أخرج
الى أترايى من أبناء القرية وكانوا هم أصحاب الرأى فى الطريقة التى ننفق
بها هذه الأموال الطائلة .

وكان يوسف الذى عمل كلافاً للبهائم بعد ذلك ينال منى دائماً
قرشاً صاعاً مقابل أن يصنع لى سيارة من الطين وكان يضع لها زجاجاً .
ولعل هذا القرش هو المبلغ الوحيد الذى اذكره بين العشرين قرشاً جميعاً
التى لا اذكر فيم كنا ننفقها .

فى بهو سنى هذا نلت أول ضفعة على وجهى فى حياتى .
ما دريت يوم نلتها السبب الذى انهالت على وجهى من أجله ولكننى عرفته
فيما بعد مروياً لى . وأشهد اننى كنت مظلوماً .

لقد حدث ان سقطت سنى على رجلها واذكر ان ابى استدعى
الدكتور فرنجلوس من الزقازيق واذكر ان اليأس والحسرة والحزن كانوا
مرتسمين على وجه أبى بصورة غاية فى الألم . وأنا أذكر الآن اننى
لم أكن أعرف الموت ولا ما يحمله من معانٍ . واذا شئت ان أصور اليوم
ما كان يدور أمامى فما هو بالنسبة الى الاشخاص تتحرك انظر الى
تحركها ولا أعى معانى الأفعال التى يقومون بها .

ومانت جدتى .

ولا أدري لماذا ذهبت أنا الى البهو الذى كانت جالسة فيه ولم أحفل
مطلقاً بالسرادق الضخم المقام بالخارج ولا بكل ما يحدث فى هذا السرادق
ولا بالجموع التى تفد اليه أو تخرج منه . انما وجدت نفسى واقفاً فى
البهو لا أصنع شيئاً وفجأة قدم الى عمى الشقيق عبد الله فكرى أباطة
الذى أصبح فيما بعد يحمل رتبة البكوية والذى عمل لفترة طويلة وكيلاً

لوزارة التجارة وكان هذا الرجل شديد العنف في مظهره شديد الطيبة في حقيقته • وربما كان يرتدى العنف قناعا يخفى به عن الناس مدى حبه للناس ومدى رهافة مشاعره ورقة فؤاده •

في هذا اليوم صفعني عمي عبد الله فكري صفة شديدة غاية الشدة • وبكيت وذهبت الى أمي وأنا أبكي وأبلغتها بهذه الصفة والعجيب انني أذكر انها قالت في ثبات وفي غير اهتمام
- وماله ••• وما الغرابة أن يصفعك عمك ؟

ولا أذكر هذه الجملة الا وادهمش لها • انها حتى لم تهتم ان تسأل عن سبب الصفة الذي عرفته هي فيما بعد وعرفته أنا بعد ذلك بشنوات •

لقد سألتني عمي :

- أين أبوك ؟

فقلت دون أى تفكير •

- في الزيتة •

وكنت في هذه السن أنطق الزاي وكأنها الجيم التي ينطقها الأوربيون اذا نطقوا اسم جون • فصفعني •
اليس لي الحق أن أرى نفسي مظلوما •

لا أذكر ان عمي عبد الله ضربني بعد ذلك قط المرة واحدة وكان أبي جالسا • كنا على المائدة في منزله وكنت أضع الملعقة وتجويفها الى أعلى فنبهني عمي عبد الله ان أجعل التجويف الى أسفل • وسهوت وكررت الخطأ فنبهني ثانية ثم سهوت وكررت الخطأ ووضع يدي بجانب الملعقة وكان يجلس أمامي فاذا هو في حركة مفاجئة يقف ويهوى بمنتهى العنف على يدي ويأمرني أن أضع الملعقة •

ربما كنت في الثانية عشرة من عمري في ذلك الحين • فانا أذكر الواقعة تماما وأذكر أن أبي امتعض مما صنعه عمي وظهر الامتعاض على وجهه ولكنه لم يعلق مطلقا مسع ان عمي كان يعامل أبي معاملة الابن لأبيه • حتى لقد كتب له اهداه على احدي صورته الى أبي وأخى وأستاذي ومثل الأعلى •

(٢)

أنا والتعليم

كانت أغلب اقامتنا بالقرية فأنا أكبر اخوتي ولم أكن قد انتظمت،
فى المدارس بعد ولم يكن يربطنا بالقاهرة الا مجلس النواب حين تكون
هناك جلسات وكان أبى لا يتخلف مطلقا عن المجلس . ولكن لا أدري
لماذا أذكر أن اقامتنا بالقرية كانت تتناول ربما كان المجلس معطلا فى
هذه الفترات .

وأذكر أننى ذهبت قبل أن أبدأ التعليم مع أبى الى الإسكندرية
مرات وكان أبى يستأجر بيتا مفروشا هناك .

وأذكر أنه كان يصحبنى الى شاطيء سان ستيفاتو وكان عم
أحمد بخيت خادمه الخاص يذهب معنا . وكان أبى يجعلنى أمسك برجليه
ويسبح بى فى الماء وندخل الى الأعماق ولهذا أذكر أننى لم أخف حين بدأت
تعلم العوم بعد ذلك على يد خالتى . وكان تعليمها ساذجا وما زال هو
زادى من السباحة حتى اليوم فاذا رأيتنى فى الماء ورأيت سباحتى أدركت
أنها سباحة من يستطيع أن يبقى أنفه فوق سطح الماء فقط فهى سباحة
عاجزة بلا أسلوب ولا اتقان ولكنى سعيد بها غاية السعادة فأنا عن
طريقها أستطيع أن أصل من الماء الى حيث لا تلامس أقدامى الرمال وأنا
ليس لى مأرب فى البحر أبعد من هذا .

بدأت تعليمى الدراسى اذن فى غزالة وقد شاء القدر أن يختار أبى
من بين جميع المدرسين الالزاميين مدرسا اعتبره أنا حتى اليوم أعظم مدرس
للأطفال يمكن أن تجود به الحياة .

انه الأستاذ أحمد حسين القرعيش الذى أصبح الحاج أحمد حسين
القرعيش . وقد كان لحمله هذا اللقب قصة فى غاية الطرافة . فقد كانوا
ينادونه بأحمد أفندى لأنه كان يلبس الحلة والطربوش وهو فى طريقه الى

المدرسة الإلزامية التي كان يدرس بها . فقد كان يعمل بمدارس قرى أخرى وكان يخترق قرى عديدة فكان لا بد أن يلبس حلتته كاملة والطربوش فلم يكن عجباً أن ينادوه بأحمد أفندي . وظل هذا لقبه حتى بعد أن نقل إلى مدرسة غزالة . فقد ظل أيضاً يلبس حلتته كاملة في المدارس إطاعة منه لأوامر الوزارة .

ثم حجج . وعاد من الأراضي الحجازية . وراح أهل القرية ينادونه بأحمد أفندي على عاداتهم فإذا هو يصيح بهم :

- يا نهار أسود أكنت حججت ودفعت مائة جنيه وزيادة لتقولوا أحمد أفندي . . من لا يقول الحاج أحمد لن أرد عليه .

وكان الحاج أحمد شاعراً رقيقاً واني أذكر كثيراً من شعره ولكنني أحب له هذه الأبيات :

قالت أحبك صادق قلت الدلائل قاطعات
قالت وعهدك قلت باق مارعت عهدى الحياة
قالت وجبى قلت ذاك هو الأماني الكاذبات
قالت وعهدى قلت فصل مثلته الغانيات
ضحكت وقالت هكذا من قبلك العشاق ماتوا

وشاء حظي السعيد أن يكون هذا الرجل الشاعر خفيف الظل هو معلّمى الأول : عليه تعلمت الخط الأقفى والخط الراسى وحروف الهجاء الأولى والحساب من جمع وطرح إلى ضرب إلى قسمة وكان يحمل لى فى جيبه أقراص النعناع فإذا أحسنت الإجابة أعطانى قرصاً من النعناع مع تصفيق شديد وإظهار للاعجاب وكاننى أتيت عملاً لم يسبق لأحد أن أتى به .

ولم يكن من الممكن أن يستمر الحاج أحمد فى إعطائى الدروس إذ سرعان ما انتقلنا إلى القاهرة وتولى أمرى فى الدروس الخاصة بمدرس آخر من غزالة أيضاً واسمه عليوه أفندي عبد الله . وكانت طريقة عليوه أفندي مختلفة كل الاختلاف عن طريقة الحاج أحمد . ولم يكن الحاج أحمد يحب عليوه أفندي فأنشأ أبياتاً أربعة أو خمسة وقدمها لأبى يرجوه فيها ألا يتولى عليوه أفندي تدريسي أذكر منها :

أأنشئ روضاً فى حماك معطراً

ويأتى عدوى يجتني كمراتى

وأعجب أبى بالأبيات ولكنه مع ذلك أبقى عليه أفندى مدرسا لى .
وقد ظل يدرس لى اللغة العربية والحساب حتى حصلت على شهادة
الابتدائية . كما درس أيضا لاختوتى ثم درس لابنتى وابنى أطال الله
عمره ووهب له الصحة والعافية .

وقد كان عليه من أخلص المدرسين الذين عرفتهم الا أنه كان
لا يبالي مشاعر التلاميذ فى سبيل أن يؤدي واجبه ، وأذكر أنه كان
أحيانا يتخلف يوما عن الدرس فأحمد أنا الله وألعب الكرة وأقدر أنه
لن يأتى الا فى الموعد التالى الذى يكون قد حدده بعد يوم التخلف بيومين
أو ثلاثة . فألعب أنا الكرة فى اليوم التالى لتخلفه وأنا واثق أننى حر .
فالיום ليس محمدا لدرس . وأفأجا بعليوه أفندى قادم كالقضاء المستعجل
فى اليوم الذى لا أتوقعه فيه تعويضا عن اليوم الذى أخلفه . ولا أذكر
أن غما لقيته فى طفولتى مثل ذلك الغم الذى يشملنى وأنا أراه قادم فى
غير موعدة . وكم بكيت وكم حاولت العصيان ولكن دون فائدة .

وكان عليه أفندى يجيد الشرح وكنت أفهم ما يلقيه منذ المرة
الأولى ولكنه يسير على طريقة لا يغيرها من تلميذ الى تلميذ . وكم عانيت
من تمسكه بطريقته هذه . فقد قرر هو أن يخصص درسا للشرح والدرس
الثانى للتطبيق . وليس يعنيه أن يكون التلميذ قد فهم الشرح من المرة
الأولى انما المهم عنده أن ينفذ منهجه الذى وضعه هو لنفسه . فهو يشرح
مرة ثانية وثالثة ورابعة ولا ينتهى من الشرح حتى ينتهى الدرس .
وأكون أنا قد سرحت فى غير الدرس من ملاعب الطفولة منذ المرة الثانية
للشرح حتى اذا جاء موعد التطبيق أكون أنا قد احترقت من الغيظ لقوله
كلاما عرفته من المرة الأولى وأكون أيضا قد نسيت كل شيء من القاعده .

وأذكر أن أبى كان يحب أن يقضى الشتاء فى حلوان فكان عليه
أفندى يجشم نفسه مشقة الحضور الى أحيانا فى حلوان اذا كانت المدرسة
فى أجازة فلم يكن ذهابنا الى حلوان يمنعننى أن أذهب الى المدرسة طبعاً .
وفى يوم كنت ألعب أنا ورفيق طفولتى محمد زكى أباطة وكان عليه أفندى
يدرس له هو الآخر . ولم أكن ولا محمد ننتظر قدوم عليه أفندى .
ورآه محمد قادم من بعيد ولم يرنا هو . فأسرع محمد قائلاً :

— يا نهار أسود .. عليه أفندى .. تعال ندخل البيت .

وطاوعته وأنا لا أدرى ما سيفعل . اقفل باب البيت . وكان يوماً
من أيام حلوان الساطعة الشمس حتى كأنه يوم من أيام الصيف .
وقف محمد أمام باب الدخول وأوقفنى معه ودق عليه أفندى الجرس .

ثروت أباطة - ١٦١

وحين ساء الخادم ليفتح طلب محمد طلبا وكأنه هو الذى دق الجرس .
 ووقف عليه أفندى أمام الباب والشمس تنصب عليه بكل سخطها فيضع
 الجريدة التى لا يتخلى عنها مطلقا على رأسه ويدق الجرس ثانية ويأتى
 الخادم ويصرفه محمد ويظل الأمر كذلك فترة تجاوزت نصف الساعة
 حتى تمردت أنا على محمد وأنا أرى عليه أفندى مصرا على البقاء يرفع
 قدما الى الهواء ليريحها ثم يضعها ويرفع الأخرى وقد أخذ منه التعب
 والشمس كل مأخذ . ولكنه أبى أن ينصرف . وأعطانا الدرس .

ومما أذكر له أنه غضب على مرة غضبا شديدا فأمرنى أن أفتح
 يدى وهوى بالسطرة على يدى معتمدا على أن أبى قال له أمامى انه يستطيع
 أن يضربنى اذا أنا لم أمتثل له . وبالصدفة مرضت أنا فى ذلك اليوم
 وارتفعت حرارتى ارتفاعا شديدا . وكان أبى شديد العطف على وان كان
 يحرص أن يخفى هذا العطف بكبرياء العظماء من الرجال ، وقد يقول
 قائل وأى أب لا يشفق على ابنه الا أن يكون ذلك شذوذا فى الطبيعة
 ولكننى اعتقد أن مرضى وأنا فى الثانية من عمرى ومولدى وأبى فى
 الأربعين من عمره جملا اشفاقه على أكثر من اشفاق الآباء على أبنائهم .
 وربما كان هذا هو السبب فى أننى كنت أصعبه فى غدواته وروحاته منذ
 أنا فى الرابعة من عمرى وكنت أجلس معه فى مجالس الكبار منذ لا أذكر
 متى وكان عمى عبد الله يقول له : سيب ثروت يلعب مع الأطفال . فيقول
 أبى فى حسم :

— خليه قاعد .

وكان يصحبنى معه الى مجلس النواب وأنا فى الخامسة أو السادسة
 من عمرى . حتى لقد رأيت يوما المرحوم توفيق رفعت باشا وأنا جالس
 فى مقاعد الزوار فى الطابق الأول فأشار الى الساعى الواقف خلف كرسية
 على منصة رئيس مجلس النواب وأشار له الى . وما لبث أن جاءنى
 الساعى يسألنى من أكون فقلت له فتركنى وعاد الى توفيق باشا الذى
 أشار لى برأسه فلم يكن عجيبا أن يغضب أبى لضرب عليه أفندى لى
 ضربا صاحبه ارتفاع فى الحرارة . وأنا حتى اليوم لا أدري ان كانت
 هناك صلة بين ارتفاع حرارتى وضرب عليه أفندى أم هى الصدفة
 المحض ١٩

وأغلظ أبى القول لعليه أفندى على غير مشهد منى ولكن عليه
 أفندى روى كل شىء أمامى لعم أحمد خادما الذى كنت أقره بكلمة عم
 لشخصيته ولأنه رئيس الخدم بالبيت وقد كان أبى ووالدتى يوليانه
 ثقة تامة فى كل ما يتصل بشئون البيت .

وقال عليه لعم أحمد ان البك ٠٠٠ يعنى أبى فلم يكن قد حصل على الباشوية بعد ٠٠٠ قال لى أصدقت حقا أنك يصح أن تضرب ثروت . هل من المعقول أن تضرب طفلا فى سنه الى درجة أن ترتفع حرارته . أيرضيك هذا يا عم أحمد بقى مسطرة كالتى ضربتها له ترفع الحرارة ؟ طيب امرأتى طالق ان لم يكن قد أكل حلاوة وشطة ليرفع حرارته ويردنى أنا فى داهية .

والحقيقة اننى ذهلت وأنا أسمع هذا الحديث فأنا لم أكن اعرف ان الحلاوة والشطة يرفعان الحرارة بل اننى حتى الآن لا أتصور انهما قادران على هذا الصنيع .

ولكن عليه أفندى كان واثقا من هذا ثقة جعلته يقسم بالطلاق مع حبه الشديد للسيدة زوجته أم محمد التى كثيرا ما كان يفيض فى مديحها . وأغلب الظن أن عليه ما زال حتى اليوم على ثقته هذه اننى أكلت حلاوة بالشطة وأغلب الظن أيضا أنه من يقرأ هذا الحديث الذى أكتبه لن يكف عن يقينه هذا على الأقل لتظل السيدة زوجته على ذمته .

ألا ترى اننى بترت حديثى عن الحاج أحمد القرعيش واستطردت فى هذا الحديث عن عليه أفندى .

كان لابد من هذا . فقد استمرت رحلتى مع الحاج أحمد الى ان اختاره الله الى جواره ولم يقف الأمر بيننا عند الأستاذة منه والتلميذة منى فقد أصبح حين قدر الله لى هواية الأدب هو صديقى الأول فى القرية . لا يتركنى لحظة منذ قدومى الى غزاة حتى أتركها . وقد كان لهذه الصلة أثر ضخم فى ثقافتى وفى أدبى ، وانضم الينا قريبي الشاعر الأستاذ توفيق عوضى أباطة وهو الآخر شخصية لم أر لها مثيلا فى حياتى كلها . فهو رجل فقير لم يدخل مدرسة وكان كل ما يملكه فدانا واحدا كان يزرعه بذراعه ولكنه علم نفسه بنفسه وكان خطه جميلا ولكنه بطيء فى الكتابة كل البطء لا عن جهل فهو من أعلم الذين عرفتهم باللغة العربية وآدابها ولكنه أصيب فى مرفق ذراعه اليمنى فظل حياته كلها لا يحركها فى سهولة .

قرأ كل الشعر العربى وحفظ أغلبه وكان يستعير الكتب من المكتبة العامة ومن جميع مظانها . أعجب بالمتنبى فنقل ديوانه كله لأنه لا يملك ثمن اقتنائه . وأعجب بالبحتري فنقل ديوانه كله كذلك فعل مع ديوان عمر بن أبى ربيعة . ولك أن تتصور مقدار الصبر والرجولة والاصرار الذى يتحلى به وأنت تعلم أنه بطيء فى الكتابة . والحق أنه كان فى

حلقه رجلا وكان صبورا على الحياة كريما عليها وعلى نفسه . وكان معتزا بكرامته غاية الاعتزاز في ظرف وخفة ظل لا يتأتيان الا لقلّة نادرة من الناس . كتب خطابا الى عزيز باشا أباطة وتعثّر الخطاب في الطريق ولم يصل وكان عمى عزيز فى ذلك الحين مديرا لأسيوط ومع ذلك رأى توفيق أن يشكو الى عمه جمال الدين بك أباطة المستشار . فنحن فى الأسرة لا نقيم وزنا للمناصب وانما القيمة عندنا بالسن ، والمكانة عندنا نتحدد بالعمومة والخؤولة . وكان يحفظ الشعر العربى كله من الجاهلية حتى شوقى وكان يرعاني أنا بالذات رعاية الأب لابنه لما لمسه عندى من حب للأدب ، فتوفيق حين اختار جمال بك لم يكن اختياره لمجرد العمومة فقد كان لعزیز باشا أعمام آخرون على قيد الحياة . وانما هو فى ذكاه ولماحیة اختار العم الذى يعتبر ظاهرة فى زمانه فى حب الأدب وفى الاطلاع على التراث الأدبى من بدايته الى اليوم الذى يعيش فيه ، وكان الى هذا جميعا نموذجا فريدا فى العفة والحياء حتى أنه لم يتزوج وأرجح أنه لم يتزوج . لأنه خجل أن يخطب . وكان رحمه الله أيضا صورة مجسمة للطيبة ، هذا كله الى تفقه فى القانون يندر أن نجد له مثلا . كتب توفيق اليه يشكو عدم اجابة عزيز باشا على خطابه وربما يجعل بى أن ألفت نظرك الى بداية الأبيات التى كتبها توفيق وكأنه يكتب خطابا مما يدل على قدرته ولماحيته واستطاعته أن يقول بالشعر الأصيل كل ما يريد أن يقول . . اليك الأبيات :

جمال الدين والدنيا سلاما

يضموع شذى كانسام الحزامى

وبعد فهل أذاك حديث قوم

نكلهم فيأبون الكلاما

بعثت الى عزيز القول شعرا

أحييه فما رد السلاما

فان بك أكبر الشعراء طرا

وأسماهم وأرفعهم مقاما

فقد نادى اله الناس موسى

وناجى العبد من خلق الاناما

وبنت النمل كلمها النبى

وبادلها المحبّة والوثاما

فلمست أقل من نمل ضعيف

وليس أجل من ملك تسامى

ومن طرائفه التي أذكرها له أن أبي أهدى إليه عمامة ليكرم علمه
الواسع بالتراث وباركان الدين فكتب له أبياتا غاية في الظرف يقول فيها :

توجت رأسي بالعمامة
وكسوتني حبل الكرامة
فكانني شيخ المراغة
في المهابة والفخامة
لا فرق بيني في الحياة
وبينه الا الامامة

ومرت سنوات وعين أبي وزيرا فكتب اليه برقية من بيتين يقول فيها :

قل للوزير الالمى مقالة
مشبوبة كذكائه المتوقد
الفاس قد اكلت يدي وانا امرؤ
للطرس لا للفاس قد خلقت يدي

وأصدر أبي قرارا بتعيينه في وظيفة كتابية بمصلحة الطرق والكياري
وأقمنا احتفالا له بلبسه الحلة لأول مرة ، وهكذا تخلى عن العمامة الى
الطربوش .

هذان الشخصان . . . الحاج أحمد القرعيش وتوفيق عوضى أباطه كان
لهما أثر ضخم في حياتي . فقد بدأت أقرأ معهما الشوقيات منذ الاجازة
السنية الصيفية للسنة الأولى الثانوية حتى انتهيت من دراسة الحقوق
تقريبا بشكل متصل في جميع سنوات الحرب وبشكل منقطع بعد انتهاء
الحرب ، وهذه التفرقة ليست بسبب الحرب ولكنها كانت محكومة بتولى
أبي للوزارة من اكتوبر عام ١٩٤٤ واضطراره ان يقضى الصيف في
الاسكندرية مع الوزارة لمدة خمس سنوات متواصلة وهي المدة التي بقيها
في الوزارة .

كنا بعد أن يصعد أبي الى الطابق الأعلى من منزلنا في غزالة يجتمع
ثلاثتنا حول كلوب فلم تدخل الكهرباء في بيتنا الا بعد بداية جاساتنا
بسنتين أو ربما ثلاث سنوات وعكفنا على قراءة شوقي ولم نقرأ مجتمعين
غيره ، وكان كل منا يقرأ ما يشاء منفردا . وقد تفضل الشاعران بأن
جعلاني أقرأ أنا ويستمعا هما ويلقا ويتعمقا في كل بيت حتى لا يبقى فيه
معنى الا ويصبح واضحا ظاهرا .

وفى الأجازة التى جاءت بين السنة الثانية الثانوية والثالثة الثانوية
قال الحاج أحمد لى :

- أنت تكثر من اللحن بصورة مخيفة .
- فقلت :
- لا يهم .
- قال :

- كيف لا يهم . . . أتريد أن تكون أديبا وتلحن . . . ان القواعد مسألة
بدائية يجب أن يتقنها كل متعلم فكيف لا يتقنها الأديب . لن يحترمك
قارىء أو مستمع لك اذا اخطأت فى النحو .

وأيد توفيق الذى أصبح توفيق أفندى كلام الحاج أحمد وأخذت
الكلمتين فى ضلوعى ولم أعلق وأكملنا السهرة . ومضينا فى سهراتنا
حتى انتهت الاجازة .

وحين بدأت الدراسة فى الثالثة الثانوية أرغمت نفسى أن أقرأ وحدى
بصوت مرتفع كل ما أقرأ سواء كان مذاكرة أو كتبا فى الأدب أو حتى فى
الجغرافيا أو التاريخ أو الطبيعة وحرصت ان اصصح لنفسي ما أقرأ وأعرب
كل كلمة قبل نطقها وانطقها بحركة اعرابها وبعد شهور قليلة استقام
لسانى .

وكنمت الأمر عن الحاج أحمد وعن توفيق لم أقل لأحد منهما شيئا
مما فعله بنفسى حتى اذا جاءت الاجازة الصيفية وبدأنا القراءة فوجئ
كلاهما بشخص آخر منى لا يلحن مطلقا أو يكاد لا يلحن ودعش كلاهما
وفرحا وأصبحا يستمعان الى قراءتى للشعر فى استمتاع بعد أن كان
المسكينان يعانيان ما يعانيان من كثرة اللحن منى ويتجاوزان عنه لمكانتى
عندهما أو لمكانة أبى . . . لا أدري .

وكما يتضح الاصرار عندى فى موضوع النحو يتضح فى أمر آخر لى
لست انساه ما حييت . كنت طفلا فى الخامسة أو السادسة لا أذكر وكنت
ألثغ فى الرأ فلا انطقها الا مثل الياء أو قريبا من الياء وكنت ألعب الكرة
فى فناء منزلنا بشارع الملك الناصر بالمنيرة حين أقبل عمى الكاتب الصحفى
الاشهر فكرى أباطة الذى أصبح فكرى أباطة باشا فيما بعد وسارعت اليه
استقبله .

قال :

- أين أبوك ؟

فقلت :

- هو نائم فوق .

قال :

- طيب تعال . . . ما حكاية الرء هذه التى لا تريد أن تنطقها ؟

وفكرى أباطة ابن عم أبى ولكن الأمر بينهما كان أكبر من هذا بكثير فقد كان يحب أبى حبا عميقا ولا أنسى يوم وفاة أبى وقد ارتضى عمى فكرى على أريكه بيتنا وراح ينشج بالبكاء . وكان يصرح دائما أنه أخذ أسلوبه الساخر من مقالات أبى التى كان يوقعها فى جريدة السياسة بتوقيع الغزالى أباطه . وأنا لم أر فى حياتى شخصا فى نقاء عمى فكرى . وهى هناك أشد نقاء من رجل فى مثل مكانته وقيمته الصحفية ينشر فى المصور أنه كان يصعد فى مصعد دار الهلال وجمع المصعد بينه وبين أحد محررى الدار وشابة جميلة وقال المحرر للفتاة هذا أستاذنا فكرى باشا أباطه فقالت له الفتاة :

- هل أنت قريب لثروت أباطة ؟

رحم الله الرجل ، اننى اعتقد أنه ألف هذا الحوار ليقدم لى تحية على حساب نفسه وقد كان عمره كله يقدم الآخرين على نفسه فى كل شىء .

فى ذلك اليوم من طفولتى فى شارع الملك الناصر أخذنى عمى فكرى من يادى وصحبنى الى مكتب أبى وقال : انطق . . .

- ثروت .

فقلت :

- ثيوت .

فظل يعلمنى نطق الرء ثلاث ساعات متصلة لا يمل ويطلب الى أن أضع طرف لسانى بسقف حلقى وأنطق حتى نطقت الرء .

ولم ينته أمرى مع الرء الى هذا فقد كنت أعرف كيف أنطقها مفردة ولم أكن أعرف كيف أنطقها فى موضعها من الكلمة حتى أصبحت فى مطلع الشباب ووجدت الناس يسخرون من نطقى الناقص ويحاولون اخفاء سخريتهم فقلت لنفسى مادام فى الأمر سخرية فليسخروا منى وأنا أتدرب على النطق فكنت اذا أجبت التليفون وسألنى المتحدث من لا أخجل ان أقول :

• ثرررروت •

وتبين الرء وكأنها عشر رءاء متصلة ويضحك المتحدث فأقول فى
نفسى انه أيضا كان سيضحك علنا أو خفاء اذا قلت ثيوت •

وكنت أظل اقول وأنا منفرد بنفسى « فرتر • فرتر » وأكررها حتى
استقام لسانى بعد بضعة أشهر وتخلصت من هذا النقص والفضل أولا
لعمى فكرى ••• وأخيرا لاصرارى •

★ ★ ★

(٣)

المدرسة

كنا نقيم فى بيت كبير بشوارع الملك الناصر رقم ٢٤ ، وكان البيت هو البيت الثانى لداخل الشارع من جهة شارع نوبار أما البيت الأول فقد كان مدرسة أولية متسعة الأرجاء أصبحت الآن عمارة ضخمة . أما بيتنا فقد كان يطالعك منه أول ما يطالعك فناء متسع الأرجاء تحف به حديقة جميلة من الجانبين والفضل فى جمال الحديقة يرجع الى عناية عم أحمد بخيت بالحديقة واشرافه الامين الحاسم على الجنائنى الذى كان يزورها عدة مرات فى الاسبوع على طريقة رعاة الجنائين فى القاهرة . وبعد الحديقة يبقى لنا مكان كبير ناعب مختلف اللعب . ولو أننا كثيرا ما ننتقل الى لعب الكرة فى الشارع وقد كان الشارع صغيرا ولكن المرور كان فى القاهرة جميعها خفيفا فقلما كنا نقطع اللعب فى الشارع لمرور سيارة أو عربة ذات خيل .

يحد حديقة البيت جدار من الناحية اليمنى يفصل بين البيت والمدرسة وأما على الجانب الايسر فسلامك متصل بالبيت مباشرة فهو أشبه بجناح منه بسلامك له سلم خاص وكان أبى يستعمله عادة ليخلص منه الى البيت ، أما أول باب فى الجناح فكان يفضى الى حجرة تتوسط حجرتين الواقعة على يسار الداخل هى حجرة الاستقبال واليمنى هى حجرة مكتب أبى وكان كثير الاستعمال ولها باب يؤدي الى الشرفة المتصلة بسلم الصعود ولها باب آخر يؤدي الى صالة كبيرة كانت تستعمل حجرة طعام ، وحجرة الطعام فيها أبواب ثلاثة أخرى أحدها للقادم من شرفة السلم والثانى على يمين الداخل من الشرفة الى حجرة جلوس أخرى أما الباب الثالث المواجه لباب الشرفة فيؤدي الى صالة أخرى بها باب غرفة فى أقصى يسارها كانت لا تخلو من ضيف يقيم فيها اقامة كاملة قد يكون أحد اقربائنا أو

أحد المقربين لأبى من غزالة أو من غيرها . والعجيب ان بيتنا لم يخل قط من هذا النوع من الضيوف سواء كان هذا فى البيت أو فى بيتنا الآخر الذى انتقلنا اليه فى العباسية فى أول يناير سنة ١٩٣٩ . وفى وسط هذه الصالة باب آخر يودى الى السلم الصاعد الى أعلى ولم يكن سلما فضما وانما كان من الصجر العادى .

وفى فناء البيت وفى مواجهة الداخل اليه بابان أحدهما كان يصل الى سلم رخامى وهو المخصص للمحريم وكانت والدتى وزائراتها يدخلن منه دائما . أما الباب الآخر فقد كان يودى الى البدروم وكان متسع الأرجاء بصورة عجيبة حتى ان عمى محمود أبا أبى أقام فيه مصنع صابون جعل رائحته كلها تصبى بالصابون . وكان الخدم وعائلاتهم وابناؤهم يقيمون جميعا فى هذا البدروم وكان به المطبخ أيضا .

حين ارتأى أبى أنه ينبغي لى أن أذهب الى المدرسة اختار المدرسة الأولية الملاصقة لبيتنا وفى أول يوم ذهبت اليها صحبى محمد أبو عثمان وهو نوع عجيب من الخدم اطل الله عمره . فقد كان يقوم بكل الأعمال وكان فى نفس الوقت لا يعمل شيئا . كان يطبخ اذا غاب أخو زوجته محمد عبوه الطباخ والواو مشدودة فى تخفيف . وكان يسوق اذا غاب رجب السائق وكان يساعد عم أحمد فى رى الحديقة وفى التخديم على الضيوف وكان يذهب لشراء الأشياء وكان يلاعبنى ويحكى لى الحكايات التى كنت مغرما بها غراما جائحا . وكنت حريصا ألا افارقه من أجل هذه الحكايات . ولما رأيت والدتى أننى أصبحت حجته التى يعتذر بها عن عدم العمل احضرت من البلد ابراهيم ليرافقنى . ولا ابراهيم هذا قصة طويلة ممتلى بعد حتى اليوم . فهو الآن طباطخ عندى يتقاضى مرتبه ولا يأتى الا عندما يحلو له .

ذهبت الى المدرسة فى أول يوم وأنا لا أدرى ماذا تخبىء لى المدرسة فقد كنت أظن أننى سأذهب اليها مع محمد أبو عثمان بعض الوقت ثم نعود سويا دون أن نفترق ولكننى فوجئت بمحمد يسلمنى الحقيبة عند باب المدرسة ويهم بالعودة الى المنزل . وما ان استقر هذا فى نفسى حتى صرخت صرخة احتجاج عريضة مصرا ان يظل محمد معى واقبل المدرسون والناظر وواجهتهم المشكلة . وأمر الناظر مضطرا ان يدخل محمد معى الى المدرسة ودخل المدرسة . وحين ذهبت الى الفصل أصرت أن يصحبنى اليه . وصحبنى ولم أفهم شيئا من الدرس فقد كان نظرى كله منصبا على محمد الواقف على باب الفصل داخل الفصل .

قبل الناظر هذا الاستثناء يوما ويوما ثم أمر محمد أن ينصرف
وبكيت وصرخت فلم يأبه أحد بيكائي ورايت آخر الأمر أن أروضخ للذعر
الواقع . وخفف الوحدة على أن أبى ووالدتي كانا يطلان على من حجرة
الطعام بالدور الأعلى ويلوحان لى فرحين أننى أصبحت تلميذا فى المدرسة .
أذكر أننى لم أستمر طويلا بهذه المدرسة فنقلت الى مدرسة المنيرة
بروضة الأطفال بها وفى هذه المدرسة بدأت مشوار الدراسة الذى سار
فيه من قبلى وتسير فيه البشرية حتى الآن والذى أحسب أنها لن تنتهى
من السير فيه .

وربما كان الطريف أننى منذ سنوات قريية دعيت من ناظر أحد
المدارس الابتدائية لأجلس فى ندوة مع التلاميذ . وذهبت الى المدرسة فى
المنوان الذى أنبئت به . وكم فوجئت وكم فرحت حين وجدت نفسى ضيف
ندوة فى المدرسة التى كنت تلميذا فيها بروضة الأطفال .

لم أعد فى حاجة لابراهيم الذى جاء من غزاة لصحبتى فدخل هو الى
المطبخ ليتعلم الطهى . ولكنه لم ينس أنه جاء من أجل . فكان يلازمنى بعد
انتهاء عمله هو فى المطبخ وعملى أنا فى المدرسة .

وعرف الطريق الى سينما الأهل وعرف الحلقات التى كانت تقدمها
السينما لتومكس واخوانه من رعاة البقر وهمس فى أذنى أن نذهب معا
أثناء نوم أبى . وكان أبى يرغبتى أن أنام معه فى القيلولة فكانت دائما
أتمسح وأنزل الى الملعب ويعلم الله أنه كان يحس بى ويتظاهر بالنوم .
وقد أورثنى هذا كرهى لنومة القيلولة حتى أرغمتنى عليها السنون فأصبحت
أدمنها بعد كراهية ولا أتحمل العمل بعد الظهر الا اذا أخذت نصيبا مهما
يكن ضئيلا من النوم .

ذهبت مع ابراهيم الى سينما الأهل ولكن كان العائق الأكبر يتمثل
فى حصولى على قرش صاغ ثمن التذكرة الثانية فى الدرجة الثالثة فى
الصالة . فقد كان مصروفى قرشا فى اليوم وكنت فى سائر أيام الأسبوع
أنفقه فى كنتين المدرسة أو فى أى مصروف آخر . أما فى يوم الخميس
فقد كنت أبقى على القرش لا أنفق منه مليما ثم أروح أفكر فى الوسيلة التى
أستتبت بها قرشا آخر لنشتري التذكرتين ولم يكن الأمر يسيرا ولكننى
كنت أوفق دائما وأحصل على القرش .

أفادتنى دراستى مع الحاج أحمد القرعيش فى مدرسة الروضة حتى
رأت المدرسة فى آخر العام أن تنقلنى الى السنة الثالثة مباشرة دون أن
أمر بالسنة الثانية .

وذهبت بعد ذلك الى مدرسة المنيرة الابتدائية وكان ناظرها فهمي بك
الكيلاني وكان من أعظم الناس الذين عرفتهم . وبدأت في هذه السن
هوايتي لقراءة القصص . وكانت هناك مجموعات من قصص الأطفال مثل
قصتي وغيرها . ولكن حدث في هذه السنوات أن بدأ الأستاذ كامل كيلاني
يكتب مكتبته للأطفال وكان صديقا مقربا الى أبي غاية القرب وقد كان من
كبار أدياء عصره وكان من أحفظ الناس للشعر القديم كله منذ الجاهلية
الى العصر الحديث .

وبدأ يهدي الى أبي كتبه ولم يكن يعطيه كتابا واحدا أو اثنين وإنما
كان يهديه عدة كتب قد تصل الى ثمانية أو عشرة وكنت أدخل الى حجرتي
وأغلق الباب بالمفتاح ولا أخرج حتى أنتهي من كل الكتب التي أهداها
الأستاذ كيلاني الى أبي . ومن هذه الكتب عرفت حكايات ألف ليلة وليلة
كلها وعرفت روايات شكسبير مبسطة وعرفت روبن صن كروزو وحي
ابن يقطان وحين كنت في العاشرة كنت أقرأ توفيق الحكيم وطه حسين
والمازني ووجدت نفسي بعد ذلك أقرأ الأدب الكبير كله في سهولة
لا مثيل لها .

وكان أبي معجبا بشوقي غاية الاعجاب فقرأت رواياته وأذكر أنني
وأنا أنتظر نتيجة الشهادة الابتدائية قرأت مجنون ليل ثلاث عشرة مرة
متتالية .

وكنت سريع الحفظ لدرجة أنه حدث مرة وأنا في السنة الثانية
الابتدائية أن كتب أستاذنا الفاضل العظيم الوقور محمود الشيباني
قصيدة من عشرة أبيات على السبورة والتفت الينا وسأل :
- من يقرأ هذه الأبيات ؟

فرفعت أصبعي فأشار الى أن أقف لأقرأ الأبيات . فاذا بي استدير
الى الحائط وأولى السبورة ظهري وألقى الأبيات جميعا وإذا بالفصل يصفق
ذون أن يأمره بذلك الأستاذ الشيباني وحين انتهى التصفيق قال الأستاذ
الشيباني :

- ماذا أقول لك يا بني ؟ ابن الوز عوام .

وقد فعلت ما فعلت وأنا أحسب أنني أصنع شيئا طبيعيا لا غرابة
فيه حتى لقد فوجئت بتصفيق الفصل واعجاب الأستاذ وقد كان مطلع هذه
القصيدة :

أنظر لتلك الشجرة

ذات الفصون النضرة

وأذكر أن أبى فى هذه الأيام كان دائم الاجتماعات فى مكتبه بالبيت بأشخاص لا أعرفهم وإنما عرفت أنهم يعدون لاقامة ذكرى وفاة حافظ إبراهيم وعرفت أن الاحتفال بهذه الذكرى سيستمر لمدة ثلاثة أيام بدار الأوبرا المصرية . وحدث أن دخلت الى مكتب أبى وهو فى اجتماع من هذه الاجتماعات فقال لى مداعبا :

— أنشد لنا شيئا من محفوظاتك فى المدرسة .

فأنشدت هذه القصيدة وما أن فرغت منها حتى قال أحد الجالسين :

— رفع الله رأسك يابنى كما رفعت رأسى ، وإذا به الأستاذ محمد الهراوى مؤلف القصيدة .

وأذكر أننى حضرت الحفلات الثلاث التى أقيمت بدار الأوبرا وما زلت أذكر المازنى وهو يترك المنبر الى مقدمة المسرح ويقول : « أشهد الله والحق أننى والعقاد حاولنا أن نهدم شوقى وحافظ لننال منهما ولنقف على أناقضهما فلم نل الا من الحق ومن أنفسنا » .

وفى نهاية الأيام الثلاثة كان محمد محمود باشا حاضرا فى المقصورة التالية لمقصورة الملك بدار الأوبرا ، وما أن انتهت الحفلة حتى قامت مظاهرة ضخمة تهتف باسم محمد محمود باشا وترفعه الى الأعناق ، وكان رئيس الوزارة فى ذلك الحين هو النحاس باشا .

وقد أدركت بعد ذلك أن هذه المظاهرة كانت جزءا من تدبير سياسى محكم أدى الى سقوط وزارة النحاس باشا وتولى محمد باشا محمود رئاسة الوزارة ، وكانت أول وزارة تشترك فيها الهيئة السعدية برئاسة أحمد ماهر باشا . ومع أن أبى كان سكرتير عام حزب الأحرار الدستوريين الا أنه لم يشترك فى الوزارة عند تأليفها وقد حدث أمر يستحق أن يروى فى أثناء وجود هذه الوزارة فقد تولى أبى تنظيم الترشيدات لمجلس النواب بوصفه سكرتير عام الحزب الحاكم فكان ينسق بين الأحرار الدستوريين وبين السعديين . وحدث أن طلبه حسن صبرى باشا وكان فى ذلك الحين وزيرا فى الوزارة ومقربا جدا عند الانجليز وطلب حسن صبرى من أبى أن يرشح اسما ذكره فى احدى الدوائر ولكن أبى اعتذر عن عدم ترشيحه لأن الدائرة التى ذكرها حسن صبرى كان مرشحا بها أحد السعديين وكان متقدما إليها حر دستورى من تلقاء نفسه فوضعها لا يسمح بأن ترشح فيها الوزارة أحدا فإذا حسن صبرى يقول لأبى :

— اتناقشنى ؟

فكان من الطبيعى أن يضع أبى سماعة التليمون فى وجهه وينهى

المكالمة .

وحدث بعد ذلك أن خلا منصب وزير الزراعة وكان مجلس الوزراء مجتمعاً برئاسة محمد محمود فإذا به ينظر الى ساعته ويقول للوزراء سأضطر أن أنهى الجلسة لأنى على موعد مع الملك لأوقع مرسوم وزير الزراعة .

وسأله الوزراء عن اختاره للوزارة فقال لهم :

— لقد اخترت للوزارة جوهرة فريدة .

قالوا :

— من ؟

قال :

— دسوقى أباطة .

فرحبوا جميعاً وإذا حسن صبرى يقول :

— اذا دخل دسوقى أباطة الوزارة من هذا الباب سأخرج أنا من

هذا الباب .

ولم يدخل أبى الوزارة مع محمد محمود قط .

ولم يكن عجيباً ألا يختار حسن صبرى أبى للوزارة ولكن العجيب أن أبى ظل طوال فترة وزارة حسن صبرى يمتدح حسن صبرى لنا نحن أبناءه وأهل بيته ولم يعارضه قط فى البرلمان . فأنا لم أر فى حياتى شخصاً يفصل بين المشاعر الشخصية والرأى والمصلحة العامة مثل أبى ، وتشاء الأيام أن يجنى حسن صبرى باشا على أبى حيا وميتاً . فقد حدث أن رشع حزب الأحرار أبى لرئاسة مجلس النواب عن الأحرار الدستوريين فى حين رشحت الهيئة السعدية أحمد باشا ماهر وكان الحزبان قد اختلفا وخرجت الهيئة السعدية من الوزارة ولم يحل مجلس النواب مع ذلك . وكان الخلاف بين الحزبين سببه ما ارتأه أحمد باشا ماهر فى ذلك الوقت من وجوب دخول مصر الحرب فى ذلك الحين حتى يكون ذلك مبرراً لها أن تطالب بالاستقلال بعد نهاية الحرب ، ورأى حزب الأحرار — وكان محققاً يومذاك — أن النصر ليس مؤكداً للحلفاء وأنه يجب أن تجنب الحكومة مصر ويلات الحرب وخاصة أن الانجليز لا أمان لهم وليس من الحتم أن يستجيبوا لطلبات مصر حتى اذا انتصروا وكان هذا الاختلاف فى عام ١٩٤١ . وكان من المرجح جداً أن يتنقلب أبى على أحمد ماهر باشا فى معركة رئاسة مجلس.

النواب ولهذا لم ندهش كثيرا حين كنا جالسين في حجرة مكتب أبي بالعباسية وإذا بنا نجد الباب يفتح فجأة ونرى شخصا أنيقا واقفا في لحظة وسعد الحجرة وكأنه نبت من الأرض وهو يقول بصوت جهورى غاية فى الأدب :

• دولة رئيس الوزراء •

وكانت سرعة ميشيل سويرس تشرىفانى رئيس الوزراء لم تتح لاحد منا أن يقف ليرحب به فكنا جميعا جلوسا وظللنا جلوسا نستوعب المفاجأة الا أبى الذى مرن على هذه المواقف لطول ممارسته لها فقد قام من فورهِ وقصد الى البهو الخارجى واستقبل حسن باشا صبرى وسمعنا أبى يقول :

• أهلا دولة الرئيس •

وسمعنا أيضا حسن باشا صبرى يقول :

• أهلا برئيسنا العظيم •

ودخلا معا الى حجرة الاستقبال الكبيرة الملاصقة لحجرة المكتب وفرغنا نحن الى ميشيل سويرس نرحب به ولم يكن أحد من الجالسين يعرفه •

كانت هذه الزيارة فى الليلة السابقة مباشرة على انتخابات الرئاسة فى مجلس النواب • ولكن الأقدار لم تشأ لهذه الانتخابات أن تتم فى موعدها لسبب لم يحدث فى تاريخ مصر • فقد شاء الله فى علية سمائه أن يختار عبده حسن صبرى رئيس مجلس وزراء مصر وهو يلقى خطبة العرش التى تسبق الانتخابات ويؤلف الوزارة حسين سرى وكان رشوان محفوظ وهو من كبار أعيان الصعيد ومن الوزراء السابقين للأحرار الدستوريين يطمح أن يدخل الوزارة ولكن حسين سرى لم يختره فاذا به يفضب من الحزب وينسلخ مع خمسة عشر عضوا عن انتخاب مزشح الحزب فى رئاسة المجلس مع حبه الصادق لأبى ، وهكذا لا يصل أبى الى رئاسة مجلس النواب بسبب حسن صبرى وان كان فى هذه المرة سببا صنعته السماء لحكمة يعلمها الواحد العليم وكان حسن صبرى أداة لا اختيار لها •

وفى تعديل وزارى أصبح أبى وزيرا لوزارة الشؤون الاجتماعية فى وزارة حسين سرى وكان هذا فى ٢٦ يوليه عام ١٩٤١ •

ومن الطريف الذى أذكره فى هذه الأيام أن النادى الأهلى بالزقازيق أعلن أنه سيقوم حفل تكريم لأبى بمناسبة توليه الوزارة وقبيل اليوم المحدد للتكريم استقالت الوزارة ولم يكن قد مر على تولي أبى منصبه شهر واحد ولكن حدث أن سعى الساعون لاعادة التفاهم بين حزب الأحرار الدستوريين

والحزب السعائى ونجح المسعى وكان لابد أن يشترك الحزب السعدي فى الوزارة . وكان الأحرار الدستوريون ممثلين فى الوزارة بسبعة وزراء كان لابد أن يصبحوا أربعة ليوجد السعديون وزارات لمثلهم فى الوزارة وظلت الوزارة تؤلف الى اليوم المحدد لاقامة حفلة التكريم فى الزقازيق .

ولم يذهب أبى الى حفلة التكريم وكيف كان يمكن أن يذهب وهو لا يعرف ان كان سيظل وزيرا أم سيخرج مع الخارجين .

ولم اذهب انا أيضا الى الحفلة طبعاً . وذهبت الى كازينو أوبرا وأذكر اننى طلبت جيلاتى وأصابنى بتسمم .

وقبل أن تبدأ بوادر التسمم كان أبى نائماً ودق جرس التليفون بالدور الأعلى من منزلنا وأجبت أنا وطالع أذنى صوت جاد :

– معالى الوزير موجود ؟

قلت :

– هو نائم من يريده ؟

قال :

– أدخل له التليفون اذا سمحت . . دولة رئيس الوزراء يريده .

وعاد أبى الى الوزارة ولكنه لم يحضر حفل التكريم الذى أقيم له فى الزقازيق فقد أبى المحتفلون الا أن يستمروا فى التكريم بقى أبى فى الوزارة أم لم يبق .

هذه الوزارة بقيت حتى وقعت أحداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ . وبطبيعة الحال كان أبى على علم بكل ما وقع فى ذلك اليوم المشئوم ، وفى يوم ٥ فبراير كنت أركب مع أبى سيارته الخاصة بعد أن صرف سيارة الوزارة ولم تكن آثار ٤ فبراير قد ظهرت بعد ولا يعرف أحد أى أثر سيكون لها على الشعب والرأى العام كما أن أحداً بطبيعة الحال – لم يكن يدري بماذا سيدافع النحاس باشا عن هذا الذى حدث . وعن تلك الوصمة العريضة فى جبين الوفد الذى اكتسب اسمه لمعارضة الانجليز واخراجهم من مصر .

وكنت فى سننى الخضراء فى ذلك الوقت أتصور أن الدفاع مستحيل وأن النحاس باشا وأنصاره لن يجدوا ما يقولونه لتبرير خيانتهم لثقة الشعب ، وسالت أبى فى سداجة :

– ماذا سيقول النحاس باشا للشعب ؟

وفى عبقرية السياسى المحنك الخبير بأخلاق الوفد وخداعه للحق . قال أبى دون ريب تفكير :

– سيقول أنقذنا العرش وحمينا البلاد من الفتنة وحافظنا على سيادة الوطن وكرامته .

وكانما كان النحاس باشا معنا في السيارة فقد فوجئت بأحاديثه لا تخرج عما قاله أبى فى شىء ، وفوجئت بأنصاره يصدقونه وذهلت لهم وهم يرفعون مايلز لمبسون السفير البريطانى بطل الاعتداء المشين على أكتافهم يهتفون له ويهللون ويصرخون بحياته .

••• لقد كانوا يهتفون لمن أتاح لهم الحكم يستغلونه ويمرحون فى ههناؤه ومكاسبه ولتذهب مصر وليذهب رمز مصر ولتذهب كرامتها الى أى جحيم تشاء .

وفى ظل هذا الحكم بدأ النحاس باشا اعتقاله ، وحدثت الفرقة والخصومة بينه وبين مكرم باشا عبيد وظهر الكتاب الأسود وكانت عندنا منه كميات كبيرة . وقدم أبى فى مجلس النواب استجوابا عن الاعتقالات . وأعتقد أن دخول أبى الى المجلس قصة لا بد أن تروى . فقد قرر حزب الأحرار أن ينتدب أبى وأحمد باشا عبد الغفار لمفاوضة النحاس باشا وليتعرفا منه كيف ستدار الانتخابات وذهبا اليه فقال لهما :

– للحزب أن يدخل الى الانتخابات ولكن يمنع المرشحون من الكلام عن حادثة ٤ فبراير كما يمنعون من مهاجمة الانجليز كما يمنعون من مهاجمة السيدة حرمى . ولهم بعد ذلك أن يقولوا ما يشاءون فى دعايتهم الانتخابية .

وإذا بأحمد باشا عبد الغفار يصيح برئيس الوزارة :

– ماذا يمكن أن نقول لمرشح الوفد بعد ذلك ؟ أنقول له وشى أحلى من وشك أم نقول له أبويا أحسن من أبوك ؟

وانصرف أبى وأحمد باشا وسمعنا أن النحاس باشا قص على الهيئة الوفدية أمر هذا اللقاء قائلا لهم :

– جاءنى معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباطة والولد أحمد عبد الغفار .

وكان أبى فى ذلك الحين لا يحمل رتبة الباشوية بينما كان أحمد باشا يحمل الرتبة ولكن النحاس باشا استبدل بها لقب ولد .

امتنع الحزب عن دخول الانتخابات وارتأى أبى باتفاق مع الحزب أن يرشح فى دائرته عمى عبد الله فكرى أباطة الذى كان سكرتيرا عاما

ثروت أباطة – ١٧٧

وزارة التجارة في ذلك الحين ثم وكبلا . ودخل عمى الانتخابات مستقلا ونجح وكان الدستور ينص على أن النائب الموظف عليه أن يختار بين الوظيفة والنيابة في مدة أقصاها ثلاثة شهور . واختار عمى عبد الله الوظيفة في المدة المحددة . وأعلن عن خلو الدائرة وتقدم أبى للترشيح ورشح الوفد مرشحه الذى كان يرشحه دائما فى دائرتنا وكانت الانتخابات معركة حربية طاحنة صنع فيها الوفد كل ما يستطيع لاسقاط أبى حتى اذا يئس فكر أن يستولى على الصناديق ويغيرها فاذا بشباب الأسرة الأباطية يبيتون فوق الصناديق وعلى رؤوسهم السلاح وقضى عمى عبد الله فكرى ليلته فى بيت ملاصق لمقر الفرز ومن أحداث هذه الانتخابات ضرب فكرى أباطة باشا الكاتب الأشهر وفتحت يده بجرح كبير ظلت آثاره باقية حتى اختاره الله الى جواره .

ونجح أبى فى الانتخابات وتقدم باستجواب عن المعتقلات وفى يوم نظر الاستجواب اعتقلت حكومة النحاس باشا مكرم باشا عبده . ووقف أبى فى المجلس وقال أن الحكومة تتحدى الشعب ومجلس النواب وتعتقل مكرم باشا فى نفس اليوم المحدد لنظر الاستجواب الخاص بالمعتقلات ، وأنا أعلن هنا أننا متضامنون مع مكرم باشا فى كل ما فعل أو قال وللحكومة أن تعتقلنا نحن أيضا لأننا شركاء مع مكرم ولتفعل بنا القوة الغاشمة ما تشاء .

وأذكر أننى فى ذلك اليوم كنت فى البيت أتلقي درسا خاصا فى اللغة الانجليزية على يد أستاذى الذى كان متوليا الاشراف على دراستى فى كل العلوم الأستاذ لويس مرقص الذى أصبح فيما بعد الدكتور لويس مرقص وأصبح رئيس قسم اللغة الانجليزية فى الجامعة ودخل أبى الينا وروى لنا ما كان من أمر جلسة مجلس النواب . ثم نادى أحمد بخيت وأمره أن ينقل نسخ الكتاب الأسود والمنشورات الأخرى الى بيت ابن عمه الأصغر الضابط عمر أباطة ويتركها عند السيدة الجليلة والدته وكان مجاورا لبيتنا فى العباسية . ونفذ أحمد بخيت الأمر بحذافيره ولم يبق فى بيتنا ورقة يمكن أن يجعلوا منها حجة ولو واهية للقبض على أبى .

وحدث ما توقعه أبى وتم تفتيش بيتنا بعد الساعة الثانية صباحا من نفس اليوم ولم يتركوا ركنا الا أعملوا فيه أيديهم حتى حقيبة أختى الصغرى التى أصبحت جدة الآن . فتشوها واستيقظت الطفلة التى لم تكن تتجاوز الخامسة من عمرها ولكن العجيب أن أختى حين استيقظت وراتهم يعثون بحقيبتها نظرت الى أبى وراحت تقهقه بالضحك وتقول لأبى :

— بابا دون بيفتشوا شنطتى . . . بص !

وضحك أبى وسرى عنه •

ولكن ينبغي لى أن أشهد أن أبى قال لرئيس حملة التفتيش فى
حسم : لكم أن تفتشوا ما تشاءون ولكنكم لن تدخلوا الحجرة التى بها
السيدات فى البيت • فإذا فرغتم من تفتيش حجرة انتقل إليها السيدات
وتقومون أنتم بتفتيش الحجرة التى كن يشغلنها • وقبل الضابط رئيس
الحملة • حفاظا على كرامة البيت • فإذا قارنا هذا بما كان يجرى بعد
ذلك من اعتداء على الحرمات لوجدنا أن حكم الطغاة فى العهد الديمقراطية
لم يتخل عن انسانيته وعن تقديره لكرامة البيوت •

☆☆☆

(٤)

أبي وأمي

كان أبي في البيت ملاكا ولكن كانت له هيبة تغنيه عن اي عنف .
 ضربني أبي ثلاث مرات لم يزد الضرب في اثنتين منها عن صفعة على وجهي
 اما المرة الثالثة فلا بد أن أرويها لأنني مظلوم فيها ظلما بينا . والعجيب
 أنني لم أقل لأبي حتى بعد أن كبرت وتخرجت وتزوجت في حياته
 رحمه الله أنني مظلوم ، ولعل خشيت أن أتسرب الى نفسه باحساس من
 الأسف أكبرته أن يشعر به . وهانذا أروي اليوم ظلمي وهو سيطلع عليه
 وهو في أكرم جوار . وأني أشفع قصتي قبل أن أرويها بأن أبنئه وهو
 في عليين . أن انسانا ما في العالم أو في التاريخ لم يسعد بظلمه
 سعادتي بالظلم الذي وقع على أنا منك يا أبي في ذلك اليوم . فقد أشاع
 هذا الذي وقع لي في نفسي فيضا لا ينتهي من الاحساس بالرحمة وحب
 الناس . وأنا أعلم أن أبي أحبني كما لم يحب أب ابنا فقد ولدت له وهو في
 الأربعينيات من عمره ومرضت في أول أيامي في الحياة فجعلته شفقتة على
 واشفاقه أن أموت يزداد حبا لي . ومع هذا وقع منه هذا الظلم الحبيب
 على ابنة المقرب .

ربما كنت أنا أحب أبي كما لم يحب ابن أباه ولست أنسى كلمة
 أهدى بها عمي عبد الله صورة له الى أبي قال فيها : الى أبي وأخي
 وأستاذي ومثل الأعلى . فان كان هو هكذا بالنسبة لأخيه فقد كان
 بالنسبة لي هذا جميعا ثم هو مني حياتي ومصدرها وسياجها وعزها وكان
 حتى بعد موته ملاذي ومأمني ومفرعي وأملي .

كنت ألعب مع خادمة عندنا أسمها أمينة وكنت في السابعة من
 عمري وكانت هي في مثل سنني وكانت تجري وأجري وزاها وحمي
 الوطيس وازداد الجري وأرادت أمينة أن تهرب مني فدخلت تحت أحد

الأسرة وكانت أمينة سوداء فطساء الأنف ولم يكن الهواء تحت السرير كافيا فأغمى عليها من قلة الهواء وحين دخلت وراءها وجدتها لا تنطق فجريت أنادى أم عبده مديرة المنزل فأسرعت إليها ومعها خدم آخرون وأخرجوها من تحت السرير وأحضروا لها نشادر فأفاقت ولم يزد اغماؤها على دقيقة أو اثنتين ، وذهبت أم عبده رحمها الله وغفر لها فقالت لأبى اننى ضربت امينة حتى أغمى عليها . وأخبرتني والدتي أن أبى غاضب على كل الغضب فحرصت ألا ألقاه . وكنت أجلس وحدي منزويا فى كرسي كبير واسع لم أشهد له مثيلا من قبل أو من بعد . وإذا أبى يدخل الى وفى يده سوط ووقف على رأسى وقد أذهلنى الخوف أن أقف وقال أبى :

– لقد ضربت البنت حتى أغمى عليها وأنا سأضربك حتى يغمى عليك .

وبدا يضرب بغير توقف وبكل العنف الذى لم أعرفه فيه من قبل أو من بعد . ولم يغم على وكنت من السداجة بحيث لم أفكر أن أدعى الاغماء . ومازلت على هذه السداجة حتى الآن ، فأنا لا أعرف حتى اليوم كيف أتظاهر بما ليس فى . وضرب أبى وضرب حتى مل ورمى السوط وانصرف .

وظلت آثار الضرب على ظهري فترة طويلة لا أذكرها ولكنها باليقين لم تكن قصيرة . شهد الله ما ضربت أمينة .

ويشهد الله أننى ما ضربت خادما بعد ذلك قط . فقد علمت من هذا الذى أنزله بى أبى أن هؤلاء الخدم انما هم اخواننا لهم علينا من الحقوق ما لاخواننا وأبنائنا . وعلمت مما صنع أبى أننا مطالبون بالمحافظة على أجسادهم بل وكرامتهم وانسانيتهم بنفس القدر الذى نحن مطالبون به ازاء أنفسنا وأبنائنا وأخواتنا . رحمك الله يا أبى العظيم فانك حتى حين ظلمتني أنصفتني وعلمتني ما لم أكن لاتعلمه لولا ظلمك الرؤوف الشفيق الحنون .

كان أبى يحب أبناءه جميعا بعدل مذهل وهبه الله له ، وكنا نحن ولديه أنا وشامل نحس أنه يحبنا ولكنه يحرص أن يسترحبه الذى قد يجعلنا نعلم على مجده ولا نقيم من أنفسنا رجلين يحرصان على أن يكون كل منهما شخصا ذا قيمة بذاته هو لا بذات أبيه . وكان فى نفس الوقت لا يرد لنا مطلباً ولا يحجب عنا عطفه . حين حصلت على الثانوية العامة رغبت إليه أن يشتري لى سيارة محتجا ببعد المسافة بين العباسية وجامعة فؤاد – القاهرة الآن – بالجيزة . فكان أن كلف بذلك مدير مكتبه وكان

فى ذلك الحين حسين بك صادق والد الفتاة التى أصبحت فيما بعد الملكة ناريمان . وجاءت السيارة وفى غمرة الفرحة بها وفى الأيام الأولى لها خرجنا أنا وأخى شامل بالسيارة وذهبنا الى طريق الهرم وقمنا بنزعه طويلة فخورين أن لنا سيارة خاصة بنا وان كانت أصغر سيارة يمكن أن تشتري ولكنها سيارتنا . وذهبنا أنا وشامل الى السينما وعدنا والساعة تقارب الثانية عشرة فاذا بأضواء بيتنا كلها منيرة فى جميع أدواره ونظرنا الى نافذة غرفة أبى فوجدناها أيضا مضيئة . وتخطفنا الحدم من كل حذب وصبوب : كلما الباشا . . الباشا منتظر . . الباشا يريد كما . فقلت لشامل : اذهب أنت الى حجرتك فأنا المسئول والله المستعان .

بلغت بابيه وأحس بخطواتي أمام الحجره فلم ينتظر حتى أفتح الباب وانما فتحه هو وأطل برأسه وقال فى حسم : السيارة ستباع بكره ، وأقلل الباب رافضا أن أجعل من الأمر موضوع نقاش فهو حتى لم يسأل أين كنتما .

ذهبت الى والدتى هالعا . فأنا لم أفرح بعد بالسيارة وقالت لقد سألت عنكما عندما جاء وحين عرف أنكما لم ترجعا لم يغير ملابسه كما تعود أن يفعل وتناول عشاءه وقد كان عشاء خفيفا لا يزيد على الزبادى والفاكهة وسمع الأخبار دون أن يخلع ملابسه أيضا وظل ينتظر كما بكامل ملابسه . وقد كانت عادته أن يسمع أخبار الحادية عشرة وينام . حتى اذا سمع صوت السيارة هب من فوره فلبس جلبابه حريضا ألا نحس أنا وشامل أنه مشغول علينا وأنه غير عادته من أجلنا . وكان فعلا بالجلباب حين أطل على من فتحة الباب . ولكن لم يكن قد أكمل اغلاق أزراره .

ومكثت فى غرفة والدتى أرجوها أن تتشفع لى عنده وهى سعيدة أننا عدنا وحريصة فى نفس الوقت أن تبقى على الخوف فى نفسى حتى الصباح فلا أعود الى مثل ما فعلت مرة أخرى . وقضيت ليلتى أكتب قصيدة أعتذر فيها عما فعلت وأرجوه أن يبقى على السيارة وقد نشرت هذه القصيدة فى مجلة الصباح فى هذه الأيام وأذكر آخر بيت فيها :

وما أظنك ترضى بأن أكون يساده

وبقيت السيارة لا أدري هل من أجل شفاعة والدتى أم شفقة على أم من أجل القصيدة أم من أجل كل هذا مجتمعا . والعجيب أننى نسيت هذه الواقعة التى حدثت عام ٤٦ حتى ذهبت الى الدوحة عاصمة قطر فى أوائل السبعينيات وبينما يجرى معى المذيع حديثا فى الراديو فاذا به

يفاجئني بحكاية السيارة كاملة وبالأبيات التي نشرت بمجلة الصباح والتي كنت نسيت أمرها تماما .

وهكذا كان أبي في معاملتي أما اذا عامل أختي فالأمر مختلف كل الاختلاف فهو يفيض عليها ألوانا من الحب الذي لا يحاول أن يتخفى ولا يستتر .

أما والدتي فقد كانت تفيض عن نهر متدفق من الحنان والرحمة والحب ولكنها مع ذلك كانت تعرف متى تفضب ومتى تعاقب ، تذكر لها سيدة جلييلة من قريباتنا أنها دخلت يوما الى منزلنا فرأتني واقفا أمام امرأة أرجل شعري ومن خلفي أمي كلما رجلت أنا شعري نكسته هي وأنا أصر على الترجيل وهي تصر على النكش فقد كانت تأبى لي منذ الطفولة أن يكون اعترازي بشعر رجل .

وأذكر أنا أنني كنت في الابتدائية وكان الامتحان قد اقترب ودخلت أمي الى حجرة نومي فوجدتني أقرأ في كتب غير كتب المدرسة فثارت على ثورة جامحة وكنت واثقا من مكانتي عندها فرأيت أن أهددها بهذه المكائنة فاذا أنا أصبح : والله العظيم أنتحر . .

فاذا هذه الأم التي تعبد أولادها بعن الله والتي لم تتجاوز في تعليمها مرحلة القراءة والكتابة تذهب الى الشبّاك في خطي واثقة ثابتة جلييلة وتفتح الشبّاك وهي تقول في حسم تفضل انتحر .

وانكسرت حدتي وعلمت منذ ذلك اليوم أن الموت قد يصب الذعر في نفس الأم اذا اقترب من ابنها ولكن الحبيبة أيضا تفعل الأمر نفسه .

كان أبي وأمّي في طليعة الجيل الذي كان ينادى كل منهما الآخر باسمه مجردا . وقد يدهش القارىء من هذا الذي أقول وربما تزول هذه الدهشة اذا علم أن الجيل السابق لهما وكثيرا من جيلهما كان الزوجان من أبنائه يتناديان بالألقاب فتقول الست فلان باشا أو فلان بك ويقول الرجل يا هانم أو يا فلانه هانم وهذا ما لم نشهده نحن في بيتنا وانما شهدته في بيوت بعض أقاربنا ممن هم في جيل أبي وأمّي .

كان أبي متحضرا في ثقافته تحضرا لا أراه في كثير ممن يعيشون معنا الآن . كان أبي مثلا يعجب بالكتاب الروائيين وكتاب المسرح اعجابا لا حدود له وربما يرجع ذلك الى ثقافته الفرنسية الواسعة والى حبه للغة الفرنسية واجادتها اجادة المثقفين من أبنائها . واني أرى كثيرا من الأدباء المعاصرين وخاصة من الشعراء لا يعتبرون الرواية أو القصة أدبا على الاطلاق . ويكثر هؤلاء بصورة واضحة في الشعراء العرب خاصة .

وقد شعرت فى أسفارى فى البلاد العربية أننى لو لم أكن من كتاب
المقال الأدبى والسياسى ما وضعنى هؤلاء الشعراء فى عداد الأدباء أو
الكتاب .

ومن مظاهر الحضارة المذهلة فى خلق أبى أننى حين كنت فى السابعة
من عمري وكنت فى السنة الأولى الابتدائية بمدرسة المنيرة أعجبت
بالموسيقى وكان بالمدرسة فرقة موسيقى يشرف عليها عازف الكمان الشهير
اسماعيل العقاد . وانضمت أنا الى هذه الفرقة وطلبت من أبى أن يشتري
لى آلة كمان لأعزف عليها ففرح لطلبى فرحا بالغا وسارع بشراء الكمان
وكان ثمنها فى ذلك الحين خمسة جنيهات . وناهيك بخمسة جنيهات فى
سنوات الأزمة الطاحنة . الا أننى للأسف أخلفت ظنه ولم أفلح فى العزف
على الكمان ولم أتجاوز فى هذا الفن عزف السلم الموسيقى .

ان ذكرياتى فى بيت شارع الملك الناصر تنتال على ذهنى فما أدرى
أيها أترك وأيها أثبت مع أننى تركت هذا البيت وأنا أخطو الى الثانية عشرة
من عمري .

لا أستطيع أن أنسى مثلا أن محمد باشا محمود زعيم حزب الأحرار
الدستوريين وابن الرجل الذى عرض عليه الملك فأبى كان يزور أبى كثيرا
فى هذا البيت وكان أحيانا يأتى وأبى فى الدور الأعلى لم يكمل ارتداء
ملابسه فكان يأمرنى أن أذهب فأجلس محمد باشا محمود حتى ينزل هو
ولم أكن أجد فى هذا الأمر غرابة . ولم أتبين هـول الموقف الذى كنت
أتعرض له الا حين بلغت السن التى تمكنتى من معرفة قدر الرجل الذى
كنت أرسل له لجالسته .

وأذكر أن محمد باشا جاء يوما يسأل عن أبى وكنت ألعب فى فناء
البيت وحين رأيت سيارته تقف بباب المنزل قصدت اليه وكاننى أقصد الى
صديق مثلى وسألنى عن أبى ولم يكن بالمنزل فجاذبنى الحديث فأخبرته
أننى طلبت من أبى كرة فأبى أن يشتريها لى وقد رويت له ما رويت
وكانه ترب من أتواب ملعبى أفضى له بمضايقاتى فى الحياة .

وفى اليوم التالى كانت سيارة محمد باشا تقف بالباب ويتدحرج
منها كرة من أفخر الأنواع وأذكر أن ماركتها كانت حرف تى بالانجليزية
وكنا نحن الأطفال نسمع عن عظمة هذه الماركة كأنها حلم من الأحلام
هيهات أن يتحقق لنا رؤيته .

وأذكر أيضا من العظماء محمود باشا عبد الرازق كبير عائلة عبد الرازق وكان يحبني وكان اذا جاء الى البيت يحرص أن يسأل عني قبل أن يسأل عن ابي فاذا وجدني راح يلاعبني ويداعبني ولا يعنيه ان كان ابي موجودا أم لا حتى يأتي ابي . اما الرجل الذي اعتبرني ابنة وكان دائم السؤال عني فهو الشخصية الاسلامية والسياسية الأسطورية عبد الحميد بك سعيد وكان رجلا ضخما لم أر أحدا في مثل مهابته وكان ملتحيا وكان يمسك بعصا غليظة لم أر شبيها لها .

وقد علمت حين كبرت قليلا أنه لم يتزوج وكان اخوته حين يلحون عليه أن يتزوج يقول : يكفيني ثروت بن دسوقي فهو ابني .

ذهبت مرة الى مجلس النواب وأنا في العاشرة من عمري وكان ابي وكيفا لمجلس النواب ولقيني عبد الحميد بك سعيد وأنا في طريقي الى حجرة ابي بالمجلس فاذا هو يقبل علي في تهليل عظيم وفي ترحيب خجلت له وراح يقول : أجيب لك ايه . . أدريك ايه . . خذ . . وأعطني سببته ذات الحبات التسع والتسعين ، وصحبنى الى حجرة ابي وطلب لي كوب خروب وكان يوفيه المجلس شهيرا بخروبه .

وانتقلنا الى بيتنا في العباسية رقم ١٠ شارع الجنزورى وكان يقع على ميدان كبير ، وكان البيت غاية في الفخامة اذا قورن ببيت الملك الناصر . وغاية في الضخامة اذا قورن بغيره من البيوت . ولا يمكن أن نطلق عليه قصرا بأى حال من الأحوال انما كان بيتنا واسع الابهاء رحب اللقاء بعيدا عن الفخامة اذا أنت قارنته بقصور الأثرياء . كان البيت مكونا من طابقين في كل طابق سبع غرف . وكان البدروم أيضا يحتوى على سبع غرف ، وكان بالسطح أربع غرف . فالبيت اذا كان مكونا من خمس وعشرين غرفة . وكان له سلامك يصلح للسكنى ولكن صاحب البيت الذي باعه لنا المهندس حسين عزى كان قد باع السلامك قبل أن يبيع لنا البيت واشترى ابي هذا السلامك قبيل وفاته بسنوات قليلة . ثم بعنا نحن البيت والسلامك جميعا بأثمان غاية في الضالة بعد وفاة ابي . فلم يكن من المعقول أن نحفظ بهما وقد أصبح لكل منا نحن الاخوة الأربعة أسرته الخاصة .

مكثت في هذا البيت منذ أول يناير عام ١٩٣٩ حتى ١١ يوبه عام ١٩٥٠ وهو اليوم الذى تزوجت فيه وانتقلت الى بيتي بالزمالك لآكون أسرتي مع زوجتي ابنة عمى الشاعر الكبير عزيز باشا أباطة . وعزيز باشا

ليس فى مكان عمى اذا نظرنا الى الترتيب الأسرى وانما نشأت أقول له
يا عسى لفارق السن • أما هو ففى مكان ابن عمى لأن أباه ابن عم أبى •
حين ذهبنا الى العباسية كنت أنا متقدما للشهادة الابتدائية وقد رأى
أبى أن ينقلنى الى مدرسة العباسية القريبة من البيت وقد نلت منها
الشهادة الابتدائية • ثم دخلت مدرسة فاروق الأول النموذجية وظللت بها
حتى السنة الرابعة الثانوية • وبالطبع كان الناجح فى هذه السنة يمنع
شهادة كانت تسمى شهادة الثقافة • وبالطبع كنت مصمما أن أنتسب الى
القسم الأدبى فى التوجيهية التى تقابل اليوم الثانوية العامة ، ولم يكن
بمدرسة فاروق قسم أدبى ، فانتقلت الى مدرسة فؤاد الأول ونلت منها
التوجيهية وتقدمت الى كلية الحقوق عام ١٩٤٦ وتخرجت فيها عام ١٩٥٠
وكنت تزوجت قبل أن تظهر النتيجة ، والعجيب أننى نجحت فى جميع
سنوات الانتقال فى الكلية الا فى السنة النهائية التى تزوجت بعد الانتهاء
من امتحاناتها • فقد ظهرت النتيجة واتضح أن عندى ملحقا فى علمين •
فكنت أذاكر وأنا متزوج والحمد لله نجحت ولم أضطر الى إعادة السنة •
وهكذا تسلمتنى زوجتى أبهاها الله ورعاها وأنا طالب لا أزال •

(٥)

أنا والكتابة

كنت فى السنة الرابعة الثانوية بمدرسة فاروق الأول وكان الأستاذ ضاحى هو مدرس اللغة العربية وقد طلب إلينا أن نكتب موضوع انشاء أذكر عنوانه الآن ، وكتبت الموضوع واستعملت فيه فعل تساءل على وزن تفاعل . فإذا الأستاذ ضاحى يضع خطأ أحمر تحت الفعل ، ويقول تساءل على وزن تفاعل وتفاعل أى تبادل الشئ بينه وبين انسان آخر فالفعل خطأ .

وذهبت الى البيت وكشفت فى القاموس فوجدت الأستاذ مخطئاً خطأ فادحا . فكتبت كلمة عن خطأ الأستاذ .

وكنت فى ذلك الحين أنعم بصداقة من نوع عجيب هى مزيج بين الأستاذة والصداقة فى وقت معاً . فقد كان الأستاذ العوضى الوكيل الشاعر العظيم من الذين يحبهم أبى حبا جما وكان يزورنا يوميا وطلب إليه أبى أن يستقدم لنا مدرس لغة انجليزية لى ولأخوتى فصحب الى بيتنا الأستاذ عثمان نويه الذى قامت بينى وبينه هذه الصلة فقد كان أديبا من الطبقة الأولى فى اللغة العربية والانجليزية على السواء ، ومنذ اللقاء الأول شعر كل منا أنه قريب الى الآخر قريبا لا يكون الا بصداقة سنوات طوال وكان والد الأستاذ عثمان نويه قاضيا شرعيا وزميلا للأديب العملاق أستاذ الأجيال وعميد كلية الآداب فى ذلك الحين أحمد بك أمين وكان أستاذنا أحمد بك أمين يرمى شئون عثمان نويه وأخوته بعد وفاة والدهم فكان منه بمثابة الابن .

أطلعت عثمان على ما كتبت وسألته ان كان يمكن أن ينشر لى هذه الكلمة بمجلة الثقافة . وكان عمرى اذ ذاك ستة عشر عاما فشجعنى .

وذهبت بالكلمة الى أحمد بك أمين وعرضها عليه وحين قراها
الأستاذ العميد قال لعثمان : أهى لمدرس زميلك ؟ وتردد عثمان قليلا
وقال : انما هى لمحام صديق .

وفوجئت بالكلمة تنشر وكنت قد مهرتها بتوقيع تلميذ قديم واتخذت
لها عنوانا « تصحيح أوراق » .

ولم تسلم الكلمة من بعض الحذف ، ولكنها على أى حال نشرت وانا
اليوم أكتب هذا الكلام ولى بين يدى القراء أكثر من خمسة وثلاثين كتابا ،
ولكننى لم أفرح بظهور كتاب لى ولا حتى كتابى الأول ابن عمار قدر فرحى
بنشر هذه الكلمة الصغيرة القليلة فى باب البريد وبتوقيع لا يحمل اسمى .
وربما أدرك القراء من الشباب أننى محق فى هذا الفرغ اذا هم علموا معنى
أن ينشر كاتب فى مجلة الثقافة التى يرأس تحريرها أحمد بك أمين
جميعا وتشرف عليها لجنة التأليف والترجمة والنشر بمن فيها من أسماء
يعتبر كل اسم منها أمة فى ذاته .

وقد سعد أبى أن نشرت لى الثقافة ولم يكن صديقا لأحمد بك أمين
وانما كان يعرفه معرفة قارىء لكاتب .

أحدث نشر الكلمة انفجارا فى المدرسة فقد عرف زملائى جميعا أننى
كاتبها فالحوار الذى قرأوه فيها كان بمشهد منهم . كان التلاميذ فى ذلك
الحين يقرءون المجلات الأدبية .

واستدعانى ناظر المدرسة الرجل العظيم نجيب بك هاشم أطال الله
عمره وطلب الى فى عدوبة ورقة ألا أكتب شيئا بعد ذلك عن أساتذتى ،
ووعدت بذلك والفرحة تخفق خفق أجنحة النسر بين ضلوعى .

ذهب عثمان نويه الى أحمد بك وأخبره أن صاحب الكلمة تلميذ
بالسنة الرابعة الثانوية التى كانت تسمى الثقافة والعجيب ان أحمد بك
فرح بدلا من أن يغضب وطلب أن يرانى .

وتولانى الريب وأنا فى طريقى الى الأستاذ العميد . ولكن كم كان
أنيسا وأبا وانسانا . أبدى رضاه عنى وكان منى بعد ذلك بمكان
الأستاذ الحانى أو الأب الشفوق .

وطلب الى أن أكتب ، فكتبت مقالة عن الشاعرين أحمد القرعيش
وتوفيق عوضى أباطة بعنوان شعراء مجهولون واخترت أبيات الأستاذ توفيق
الذى شكنا بها عزيز باشا الى جمال بك .

ولم تنشر الكلمة . وانتظرت طويلا ، والعجيب أن أبى رحمه الله
كان ينتظر معى ولم تنشر الكلمة .

وأقبل الصيف وانتقلنا الى رأس البر وكنت أذهب كل أسبوع الى
مرسى العبارة القادمة من دمياط الى رأس البر وأشتري مجلة الثقافة
ولا أجد الكلمة . وتولاني حزن شديد . وفى يوم نزلت الى البحر فاذا بى
أرى عن بعد رجلا يلف وسطه بقرعتين ويضرب الماء بيديه فى كبرياء
وجلال . اقتربت منه فاذا هو أحمد بك أمين . كم فرحت ، وسألته عن
الكلمة فقال : لقد طلبت اليهم أن يؤجلوا نشرها حتى نستأذن
عزيز باشا .

قلت : وفيه الانتظار أكتب أبياتا أخرى للشاعر نفسه .

قال : يكون أحسن .

وطرت من الفرح وذهبت الى البيت ورويت لأبى ما كان وكتبت
المقالة نفسها فقد كنت أحتفظ بصورة منها واخترت لتوفيق أبياتا
أخرى .

وفى الأسبوع التالى نشرت المقالة كما كتبتها تماما . كم كان أسبوعا
رائعا فى حياتى فقد ظهرت فيه نفسه نتيجة الثقافة وجاءتنا برقية من
أستاذى وقريبى الأستاذ عبد الله عوضى أياطة المدرس بوزارة المعارف
يهنئنى بنجاحى وحصولى على شهادة الثقافة .

لقد اختصر أحمد بك أمين من كلمتى الأولى حين هو يعتقد أننى
محم . ولكنه منذ عرف أننى تلميذ لم يضع قلمه فى مقال لى قط .
فقد توالى نشرى بعد ذلك للمقالات فى الثقافة وكنت أزور العميد
فى بيته وحدى أحيانا أو مع عثمان أحيانا أخرى . وأذكر أنه نصحنى
بقراءة كتب كثيرة من التراث أذكر منها العمدة لابن رشيق والأمالى لأبى
على القالى وغيرهما وأذكر وأنا طالب فى التوجيهية أن ظهرت رواية
العباسة لعزير باشا وقد أئتم عليه الملك برتبة الباشوية تقديرا لشاعريته
بمناسبة رواية العباسة .

ولكن الأستاذ يحيى حقى كتب فى مجلة الثقافة مقالة غاية فى
العنف يهاجم رواية العباسة ويهاجم عزير باشا فى ضراوة أذهلتنى .
وكتبت مقالة أرد عليها . والشباب اندفاعاً وتهورا فقد كنت فيما كتبت
قاسيا غاية القسوة . وأرسلت المقالة الى مجلة الثقافة .

ولم ينقض يوما حتى فوجئت بأحد الخدم فى بيتنا يقول كلم

التليفون قلت من فقال في بساطة أحمد أمين وذهبت وجريت الى التليفون فلم يكن العميد قد طلبني قبل ذلك اليوم قط . وشعرت بالرهبة أن يطلبني أنا التلميذ بالثانوى عملاق من عمالقة لغة الأدب فى العالم العربى وعميد كلية الآداب .

جريت الى التليفون وجاءنى صوته الطيب البسيط الهادى . . .
أنا أكلمك كأحمد أمين الوالد لا أحمد أمين رئيس تحرير الثقافة .
مقالتك فى الرد على يحيى حقى فى المطبعة فعلا ولكنى أرجوك أن تخففها فان الرجل فقد زوجته منذ قريب ولا أحب أن تسمى اليه وهو فى حالته هذه . ان رأيت أن تستجيب لرجائى أكون شاكرا وان رأيت أن تبقى المقالة كما هى فهى فعلا فى المطبعة . وقلت فى اذعان سريع ودون ريث تفكير : أمرك يا سعادة البك .

وكنت أنكلم من حجرة مكتب أبى فى البيت فاستبحت لنفسى أن أجلس على مكتب أبى فورا ولا أضيع وقتا فى الانتقال الى حجرة مكتبى ورحت أكتب المقالة فى ردى عليه ودون هجوم ، ونزلت من فورى وذهبت الى مقر مجلة الثقافة بشارع الكرداسة ودخلت الى المطبعة مباشرة دون أن أصعد الى عم عبد المتعال المشرف الادارى على المجلة .

كان العميد صادقا . ومن الحتم أن يكون صادقا . وجدت مقالتي فى المطبعة فعلا فطلبتها من الطابع وأعطيته المقالة الأخرى وأحسب أنها نشرت دون حتى أن تمر على العميد رئيس التحرير . كم كان عظيما ذلك الرجل أحمد بك أمين .

العجيب أننى لم أكن قد تعرفت بالأستاذ يحيى حقى حتى ذلك اليوم ولكننى كنت قرأت له قنديل أم هاشم وأعجبت بها فى ذلك الحين كل الإعجاب كما أعجب بها أبى . وأذكر أن أبى هو الذى أعطاها لى وهو يستدسها ولكنه أمرنى الا أقرأها الا بعد أن أنتهى من الامتحان الذى كان وشيكا ولكننى خالفت أمره وليغفر لى الله . وأقفلت على نفسى حجرة مكتبى فى نفس اللحظة التى تركنى فيها أبى ولم أخرج الا بعد أن انتهيت من قراءة القصة .

انما عرفت الأستاذ يحيى حقى شخصيا بعد ذلك حين أصبح أبى وزيرا للخارجية وكان الأستاذ يحيى حقى مديرا لمكتب وزير الخارجية . وقدمنى أبى اليه فنظر الى مليا وقال لأبى لقد تعرفت عليه قبل ذلك دون أن أراه من مقالاته عنى فى مجلة الثقافة ، وضحك الرجل وضحك أبى وشعرت أنا ببعض الحرج .

••••• خرج المواجهة فقط • فلم يكن بالمقالة ما يخرج بعد أن أعدت كتابتها استجابة لرجاء الوالد أحمد أمين لا رئيس التحرير كما شاء هو ان يتلطف في الرجاء •

كان هذا هو بدء الكتابة عندي ثم جاءني رسول من الأستاذ العظيم أحمد حسن الزيات صاحب الأسلوب الذي لا مثيل له في عصره وقد تبيناني الرجل وأصبحت من كتاب الرسالة ولا أحسب أنني في حاجة أن أذكر المجالات التي كتبت بها وحتى اذا حاولت فالذي لا شك فيه أن الذاكرة ستخونني •

ولكن ربما يجمل بي أن أذكر كيف كتبت كتابي الأول ابن عمار • كان ذلك عقب وفاة أبي الذي انتقل الى أكرم جوار في ٢٢ يناير عام ١٩٥٣ • ولكن يبدو أن هناك كثيرا مما يقال قبل أن أصل الى بداية تألفي للكتب •

- ٦ -

الكتب

فقبل ذلك اتصلت بأسبابي بالشاعر الكبير أبي زوجتي عزيز باشا وقد يعجب القارئ من قولي اتصلت بأسبابي وكأنني لم أكن أعرفه والقارئ محق اذا عجب . لقد كانت صلتى به وثيقة منذ ولدت بطبيعة الحال . ولكن هناك فرقا أن يعرفني كابن لأبي وبين أن يعرفني كواحد من هواة الأدب . والأسرة الأباطية كثيرة العدد وهكذا لا يمكن أن تكون صلة البيوت بعضها ببعض على درجة واحدة . ولكن صلة بيتنا ببيت عمي عزيز باشا كانت من أوثق الصلات ، فزوجته وأمي كانتا صديقتين لصيقتين وكانت صلة عمي عزيز بأبي صلة أخ أصغر بأخ أكبر يجب ويقدره غاية التقدير . وربما كان من الطريف أن أنقل هنا قصيدة كتبها عزيز باشا وهو بعد طالب بكلية الحقوق عام ١٩٢٤ يهنئ فيها أبي بمناسبة زواجه من والدتي وهي في نفس الوقت ابنة عم أبي . ولم يكن يقع في حسابان عزيز أباطة ان هذا الزواج سيثمر من سيصبح فيما بعد زوجا لصغرى ابنتيه . يقول عزيز أباطة الطالب بكلية الحقوق :

حي الغزالي وقل بلغت منزلة

منفوسة في الشباب الموثق الحال

موفورة الحظ من شأو يقصر عن

ادراكه غيره الا بآمال

قالوا الشبيبة طرف اللهو محتتما

فقلت بل طرف اخلاق واعمال

ووفت انصر أيام الحياة على
درك المحامد فينا والسنا العالى
فخلت فى غير عسر ما نهضت له
والمجد صعب على طلابه غالى
يا صاحب القلم السجوى ترسله
فيبحث الآى فى أسلوبها الحال
وصاحب الخطب الفيحاء تنشرها
نثر اللآء فى قاعات لال
ليهنك اليوم ان تبني بظاهرة
بين الندى نشات والنبل والمال
غنى بفضل أبيها الناس قاطبة
ووفقت بعد فى عم وفى خال
زين الغوانى الأباطيات قد ظفرت
بالنافع المرتجى والبازل الغالى
السائب العرف والمأمول جانبه
والصائب الرأى والتدبير والقال
ان الزواج لموت خير عاقبة
أذا التزواج لم يخرج عن الآل
لا تصغ للطب فى هذا وخذ نهر
التجريب تحيا رضى النفس والبال
نحنو على وترعى غيبتى أبدا
على الليالى بنات العم والحال
يرضين علمى وجهلى لا يضقن به
ذرعا ويحمدن اكنارى واقلالى
ويقتبطن باجمال يشدن به
وقد يكون ضئيلا شان اجمالى
لزلتما تشهدان العيش متسقا
والدهر فى حذب منه واقبال

وقد ظلت هذه العلاقة عائلية . وكنا نحن الأبناء نتسامع بشعر عمنا عزيز ولكن لم يكن له عمل شعري متكامل وكان تصورنا أنه مجرد هاو يقول الشعر في المناسبات العائلية الطريفة يحيى بها آثاره حتى فجعه الدهر وفجعنا جميعا بوفاة السيدة زوجته التي عاشت ما عاشت من عمر شجاعا من نور وحب على كل أقرباؤها . ما اختلفت يوما مع أحد ولم نسمع عنها نحن الذين في عمر أبنائها الا المديح والثناء ومثلنا نحن الأطفال يسمع بالما يسمعه الكبار فالسيدات لا يتحرجن أن يذكرن غيرهن بصراحة أمامنا وأشهد الله ما رأيت من هذه السيدة الا سماحة في اللقاء وإشراقا في التحية وترحيبا في الاستقبال . وما سمعت عنها من سيدة في الأسرة الا ما يجعلها في مرتبة رفيعة من الانسانية ، فكأنما كانت بينهن ملاكا لا يصنع الا النور ولا يشيع الا الرضى والايناس والطمأنينة .

وتفجر ينبوع الشعر في اهداء زوجها الشاعر الأصيل الذي كان قبل وفاتها لا يجد ما يقول فيه وشاء القدر أن يكون الألم المرير والفجعة القاصمة وشجرته التي اجتاحتها القدر هي التفجير لموهبته الشامخة فكان ديوانه الأول أنات حائرة الذي أصعده شهابا في سماء الشعر العربي دون أى تمهيد عند من لا يعرفونه ثم كان بعد ذلك عزيز أباطة ثاني اثنين في ميدان المسرح الشعري وآخر العملاقة في جيل شوقي وحافظ ومطران .

حدث أن قرأت له محاضرة يقول فيها : والنصائح هي أثقل الطيبات على النفوس : وأعجبتني العبارة واستعملتها في مقالة لي نشرت بجريدة الثقافة وقرأها عمى عزيز وكاننا عجب أن يقول فتى يافع في عمر ابنته ما قاله هو وفوجئت به يطلبني في البيت يبدي اعجابه بالمقالة فقلت له أن أهم ما فيها العبارة التي اقتبسها منك ، وتعجب أن أكون قد حصلت على المحاضرة فقلت له انها طبعت وجاءني منها نسخة وبدأت بيني وبين عمى عزيز علاقة أدبية هي علاقة شاب بأبيه وعلاقة معجب بعملاق . وكان عمى عزيز مديرا لأسبوط ذلك الحين فكنت أنا أقوم بالاشراف على طبع رواياته في القاهرة كما قمت بتصحيح اللغة العربية للمثليين في مسرحياته ، ومع الأيام كانت العلاقة تتوطد زادا قوة حب عارم نشأ في قلبي لابنته عفاف .

نوع عجيب من الحب . فهو جارف عنيف مندفع متدفق وهو في نفس الوقت بعيد عن اللوعة والأسى والخوف والسهر والوجد ، وأحسب أن قليلا من الناس نعموا بهذا الحب . واني واثق أن الندرة ان الناس نعموا بما نعمت به من اعتقاب هذا الحب الذي أصبح زواجا وأصبح

الزوجان فيه فردا لا اثنين . كل منا يسعد للآخر أكثر آلاف المرات
مما يسعد لنفسه وكانت ابنتي ونور عيني واشراقه نفسى ابنتي أمينة
وكان ابني ونور أيامي وشعاع طريقي دسوقي .

وفى يوم سافر عمى عزيز الى الخارج وعهد الى أن أضبط الشكل على
قواعد النحو مع المخرج العظيم فتوح نشاطى الذى كان بسبيله الى اخراج
رواية غروب الأندلس . وتوثقت صلتى منذ ذلك اليوم بالاستاذ
فتوح نشاطى . وكنت فى ذلك الحين قد بدأت أكتب تمثيلياتى الاذاعية
بناء على دعوة من الأستاذ على الراعى فقد لقيته فى ترام العباسية وعرفت
منه أنه سيسافر بعد بضعة شهور الى لندن ليحصل على الدكتوراه وأبدي
الأستاذ الراعى الذى أصبح فيما بعد الدكتور على الراعى اعجابه بالمقالات
التي يقرأها لى فى الثقافة والرسالة وخص باعجابه لغة الجوار مما حدا به
أن يدعوني أن أكتب تمثيليات اذاعية وأشهد الله اننى لولا هذه الدعوة
من الدكتور الراعى ما فكرت مطلقا فى كتابة تمثيليات للاذاعة .

وكنت حين اتصلت بأسبابى بالاستاذ فتوح قد كتبت عدة تمثيليات
منا جعله يعرض على أن أشارك فى كتابة مسرحية عن الصداقة التاريخية
بين المعتمد بن عباد الأندلسى ووزيره ابن عمار وطلب الى أن أقرأ تاريخ
الأندلس للعلامة دوزى وكان الأستاذ كامل كيلانى قد ترجمه الى العربية .

وقرأت الكتاب وكتبنا المسرحية معا . ولكننى أنا وضعت عيني على
شخصية ابن عمار كنموذج درامى قل أن يتكرر .

أما مصير المسرحية فقضى عليه الأستاذ يوسف وهبى برفضه لها
رفضاً قاطعاً وأنا الآن وقد بعد العهد بينى وبينها لا أدري هل رفضها لأنها
تستحق الرفض أم لأسباب أخرى .

ولم تمض الا شهور قليلة حتى فجئنى الدهر بموت أبى وكانت
ضربة قاصمة بالنسبة لى فلم يكن مجرد أب أو مثل أعلى أو شخصية
أسطورية أو حياة كاملة بالنسبة لى وإنما كان هذا جميعا وأكثر .

وفى نفس الفترة فجعت بوفاة طفلى الأول وهو جنين . واصبحت
حياتى ظلما قائما .

وكنت فى ذلك الحين أعمل بالمحاماة ولكنه كان عملا غير منتظم .
فالمحاماة فى ظل الحكم القاهر الشمولى لا حياة لها .

وكنت أحب أن أبدأ حياتي بوظيفة وقد حصلت على شهادة الحقوق وأنا زوج وطلبت الى أبى أن يوصى بى صديقه اللصيق د . حافظ عفيفى باشا الذى كان رئيس مجلس ادارة بنك مصر فقال فى حسم :

– أنتظر منى أن أرفع سماعة التليفون وأطلب من أى شخص أن يعين لى ابنى !؟

وصمت . . . وأدركت . . . كيف لرجل عاش عمره مقصد الرجاء للناس أن يرجو هو الناس من أجل ابنه الذى هو ابنه . وهكذا لم أشغل وظيفة جديدة بهذا الاسم الا بعد ذلك بربع قرن حين اختارنى الزعيم الخالد أنور السادات رئيسا لمجلس ادارة مجلة الاذاعة والتليفزيون .

وهكذا كانت سنة ١٩٥٣ سنة من أعظم السنوات بلاء بالنسبة لى وأى بلاء يمكن أن يحيط بانسان أكثر من أن يفقد أعظم انسان فى حياته . وأحب انسان اليه .

وهو من قبل ومن بعد أبوه . ويفقد فى نفس الفترة أول طفل قبل موعد ولادته بأيام ولا يجد ما ينسيه بلواه وقد تعددت أشكال بلواه . فهو فى نفس الوقت ليس له عمل ثابت يستطيع وهو يؤديه أن ينسى شيئا مما يتكدس فى حناياه من أحزان .

فى هذه الأيام بدأت كتابة رواية ابن عمار . وكان كل أملى وأنا أكتبها أن أجد لها ناشرا . وحين انتهيت منها توجهت الى الأستاذ عادل الغضبان المشرف على النشر فى دار المعارف وكنت أعرفه من قبل ، وكان يقرأ ما أكتبه فى الجرائد . فقد كنت فى ذلك الحين أكتب فى جريدة المصرى بصورة منتظمة فقد كان لى عمود أسبوعى فى الصفحة الأخيرة بعنوان أعضاء . وكان صديقى عبد الرحمن فهمى رئيس القسم الرياضى بجريدة الجمهورية الآن زميلا لى فى كلية الحقوق وكان آل أبى لفتح أخواله وهكذا أصبح لى عمود ثابت فى جريدة المصرى وكنت أكتب بشكل غير منتظم فى كثير من المجلات فى ذلك الحين ، وهكذا وجد الأستاذ الشاعر عادل الغضبان أن اسمى لن يكون غريبا على القارئ اذا هو نشر الكتاب ، ففعل .

كنت قد تعرفت بأستاذنا العظيم توفيق الحكيم فى عام ٥٠ وسأروى لك كيف تم ذلك . حين ظهر كتابى ابن عمار أهديته اليه فأعجب به كل الاعجاب وقال انه يصلح سينما وقال انه كان يفرك الصفحة الأخيرة بأمل

أن يجد صفحة أخرى • وملأني الزهو بهذا الرأي • وطبعا أهديت نسخا من الكتاب للأصدقاء في جميع الجرائد والمجلات وقد كانوا كثيرين وعجبت أن أحدا منهم لم يذكر شيئا عن الكتاب على الاطلاق وكنت أجلس مع أستاذنا الحكيم في جروبي سليمان باشا وشكوت له اهمال النقاد هذا فقال ان الشهرة تأتي اليك اذا ذهبت الى بار في أحد الكباريات واتفقت مع راقصة اما أن تصفحك قلما أو تصفعا قلما تصبح مشهورا في لحظة • أما طريق الكتب هذا فطريق وعر وغير مضمون على الاطلاق • فضحكت فأننا لم أجلس في حياتي الى بار ولا ذهبت عمرى الى كباريه • كما أنني لست أسعى الى الشهرة ولا تعينني وانما كنت أريد أن أكتب وأحس أن هناك من يقرأ لي ، وأقبل الصيف وكنت أجالس أستاذنا الحكيم في مقهى بترو وحدث أن ذهبت الى المقهى مبكرا بعض الشيء فوجدت توفيق بك وحده • وما ان قعدت حتى التفت الى وقال :

– مبروك يا سيدي •

وأحسست رنة عجيبة في صوته •

فقلت :

– علام ؟

فقال :

– قرروا كتابك على طلبة الاعدادية هذا العام •

وكدت أطير من الفرح وسألته وأنا أحاول أن أخفي فرحي

– أين قرأت هذا ؟

فأعطاني جريدة الأخبار فوجدت الخبر مكتوبا في ركن أخي الأستاذ أنيس منصور وتفضل الذي كتب الخبر فوضع بعده علامة تعجب • وكانما لم يكف الصحافة اهمالها بشأن الكتاب وانما راحت أيضا تشجب أن وزارة المعارف قررتة على طلبتها في الاعدادية • وكم كان الأستاذ توفيق الحكيم خفيف الظل وظريفا وهو يقول في عفوية :

– شوف ولاد الكلب يأخذون كتابك ويسيبو كتابي •

ويتقرير كتابي ابن عماد تشجع الناشر أن ينشر لي روايتي هارب من الأيام وقد نلت عليها جائزة الدولة التشجيعية في أول انشائها وكان لهذه الرواية قصة مع عميد الأجيال الدكتور طه حسين واني راويها لك ان شاء الله في مكانها الذي ستفرضه هي على •

(٧)

شخصيات

عبد الفتاح الشناوى

هناك شخصيات كثيرة فى حياتى اخترت بعضها لأننى لا أتصور أن أكتب هذه الذكريات ولا تكون هذه الشخصيات جزءا منها . ولو كنت أكتب رواية ما تولتني الحيرة التى تتولانى الآن فالشخصية فى الرواية أنا أصفها للموقف الذى أصنعه أنا أيضا ولكن حياتى وذكرياتى ومن عرفتهم لا حرية لى فى شأنهم الا حرية الاختيار . ولو أطلقت لنفسى العنان وذكرت أقاربي جميعا وأصدقائى جميعا لما أهملتني الحياة حتى أنتهى من كتابى هذا . وأحسب أن الحسب القاطع هو خير وسيلة لى فى اختيار الشخصيات .

منها ذلك الرجل العظيم الذى تربطني به حتى اليوم صداقة لا عهد للناس بها الا فى القليل النادر من الصداقات .
 انه عبد الفتاح الشناوى . . عرفه أبى أول يوم عرفه وهو طالب ثانى بكليته العتيبة دار العلوم ، وكان أبى عرف أن الشرطة تحاصر الطلبة فى الكلية فذهب الى هناك ورأى طالبا خالعا لجلته مكتفيا بملابسه الداخلية ممسكا بخرطوم ماء يصد به تشكيلات الشرطة كلما اقتربت من الكلية . وسأل عنه فعرفه وكان طالبا بالسنة النهائية فى دار العلوم . وقبض على الشاب فى هذه المظاهرة ثم سرعان ما أفرج عنه وعرفته أنا منذ لا أذكر متى فقد كان كثير الزيارة لأبى ونحن ما نزال نسكن بيننا فى شارع الملك الناصر . وأصبح بعد ذلك سكرتيرا لأبى فى وزارة المواصلات والأوقاف ثم مديرا لمكتبه وعلى اختلاف السن بيننا قامت بيننا صداقة لم تزل حتى اليوم أقوى ما تكون الصداقة وأحسب أنه مر عليها من الزمن قرابة خمسين عاما . لم أعرف فى حياتى نقاء فى السريرة ، وصدقا فى الوفاء ، وتمسكا

بالمعهد ، وحفاظا على الكرامة ، وفناء من أجل الفكرة أو الصديق مثلما
عرفت في هذا الرجل مع ايمان بالله عميق وعلم بالشريعة دقيق ومع تذوق
رفيع للأدب وقلم متدفق صادق مع صاحبه غاية الصدق حتى لتكاد ترى
قلب الرجل يدق في كلماته .

أروى عنه رواية واحدة . وهي حسبي . كانت الثورة في عنفوان
سلطانها وجبروتها وكان هو مديرا لمكتب وزير أوقاف من وزراء الثورة .
وجاءه خطاب مهور بتوقيع مدير مكتب رئيس الوزراء موجهة الى الوزير
شخصيا . فأمسك سماعة التليفون وطلب مدير مكتب رئيس الوزراء :

- سيادتك مدير مكتب رئيس الوزراء ؟

- أيوه . . أنا . . مين ؟

- أنا مدير مكتب وزير الأوقاف . . سيادتك بعث خطابا موقعا

باسمك الى الوزير ؟

- أيوه فيها ايه ذي ؟

- هذا لا يجوز .

- ايه هو اللي لا يجوز ؟

- انت اذا أردت أن تخاطب الوزير فيجب أن يوقع الخطاب رئيس

الوزراء لأنه وزير مثله أما أنت فتخاطبني أنا .

- انت عارف بتكلم مين ؟

- أيوه . . مدير مكتب رئيس الوزراء .

- أنا فلان عضو مجلس قيادة الثورة .

وكان اسم فلان هذا يهز الجبال الراسية في ذلك الحين ولكن

الشناوي مضى في حديثه وكأنه لم يسمع شيئا :

- ولكني ألكمك كمدير مكتب رئيس الوزراء .

- أما أنت حمار صحيح .

- انت ستين حمار .

- يلعن أبوك ابن كلب .

- يلعن أبوك ابن ستين كلب .

وانتهى الحديث وبعد دقائق نادى الوزير مدير مكتبه :

- ايه اللي انت عملته ؟

- حافظت على كرامتك .

– ملكش دعوة بي .

– وهو كذلك .

وذهب الشناوى الى بيته وأعد حقيبة السجن ولكن الليل مضى ولم يأت أحد وفى الصباح ذهب الى مكتبه . ورن جرس التليفون ورفع السماعه .

– من ؟

– أقولك من ولا تشتم .

– أنا لست قليل الأدب .

– يا سيدى أنا الى قليل الأدب حقا على أنا فلان .

انه عضو مجلس قيادة الثورة عاد الى وعيه واعتذر .

وقال الشناوى :

– يا أفندم العفو .

– هل يكفيك هذا الاعتذار أم أجيء اليك خصيصا واعتذر ؟

– لا يا سيدى هذا فوق الكفاية .

وبعد سنوات من هذه الواقعة التقى عضو مجلس قيادة الثورة بضابط يحمل اسم الشناوى فسأله :

– هل أنت قريب الشناوى الذى كان يعمل مديرا لمكتب وزير الأوقاف ؟

– هو عمى .

فقال عضو مجلس قيادة الثورة :

– لو أن الثورة وجدت فى مصر عشرة رجال مثل عمك ما وصلت فى طغيانها الى ما وصلت اليه .

أطال الله عمر عبد الفتاح الشناوى ، فما أحسب أنك تريد منى أكثر مما رويت لتعرف من هو .

نجيب محفوظ

حين كنت في مدرسة المنيرة الابتدائية كان يدرس لي الحساب مدرس أحببته كل الحب هو الأستاذ فؤاد نويرة أخو الموسيقار الكبير المرحوم عبد الحلیم نويرة وكان أخوهما الأكبر الأستاذ مختار نويرة صديقاً لأستاذنا نجيب محفوظ وكان لهم ابن أخت يقيم معهم يعتبر اليوم كبير مصوري التلفزيون هو الأستاذ صادق نويرة .

حين انتقلنا الى بيتنا في العباسية فوجئت بأن أستاذي السابق فؤاد نويرة يسكن مع اخوته في نفس شارع الجنزوري الذي نسكن فيه ، كان مسكنه في أول الشارع رقم ٢ وكان مسكننا في آخر الشارع رقم ١٠ . وسألني يوماً : لمن تقرأ ؟ فقلت لطفه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد وهيكال والمازني .

فقال : بل يجب عليك أن تقرأ للشباب الجديد .

قلت : مثل من ؟

قال :

- مثل نجيب محفوظ .

- ماذا يكتب ؟

قال : روايات وقصصاً وسأحضرها لك غداً .

وقرأت روايات نجيب المصرية وقرأت همس الجنون وكنت قد بدأت أكتب في الثقافة مقالتي الأولى واتفقت مع الأستاذ فؤاد نويرة أن يعرفني بالأستاذ نجيب محفوظ والتقيت به في كازينو أوبرا في أواخر عام ٤٣ أو أوائل ٤٤ لا أذكر ولكنني أذكر أنني منذ رأيتنه شعرت أنني أعرفه عمري كله . وبدأت صداقة ما زالت مزدهرة حتى اليوم في جمال الجودة وعمق العمر . نلتقي فالحديث موصول جديد وتلتقي منا المشاعر متفحة دائماً

ما أندر ما اختلف بيننا رأى وعند هذا الاختلاف أحترم رأيه وأقدره كل التقدير وأشعر انه يبادلنى نفس الشعور . انها مرات نادرة أكاد لا أذكر انها كانت وربما كنت أروى عنها الآن خشية أن تكون حدثت وأنا نسيتهها . لأنى فعلا لا أذكر أن خلافا فى الرأى وقع بيننا قط . أما الخلاف بين الأصدقاء فالمؤكد أنه لم يحدث مطلقا وطبيعى ألا يحدث فانا أنظر اليه كأستاذ لى وأخ وهو ينظر الى كأخ أصغر ومن الطبيعى ألا يقع بيننا خلاف قط .

وان اعجابى بنجيب ليس مقصورا على فنه وانما هو يتسع ويتسع فيشمل كل مناحى شخصيته لا أستثنى منها شيئا الا تصديقه لكل ما تقوله الجرائد شأن جيله التنظيف الذى نشأ فى جو سياسى تقى . أعجبت بنجيب الروائى منذ قرأت له وأخذ اعجابى يزداد به كلما اتسعت مداركى فى فن الرواية والقصة . وكنت قد بدأت فى مقالاتى بالرسالة أنقد الكتب . وما زال عندى روايات لنجيب كتب لى اهداءها بقوله الى الناقد فلان . وأذكر فى صيف ١٩٤٦ وكنت نلت شهادة وربما لا يعرف الكثيرون أن نجيب محفوظ كان فى مكتب وزير القاهرة الجديدة .

وكنت قبل مجيئها قد بدأت رواية لكاتب آخر فعزمت أن أكمل الرواية التى بدأتها ثم أفرغ لرواية نجيب .

فرغت من الرواية الأخرى فى الساعة الثانية صباحا ولم تعجبني الرواية . فقلت أقرأ بضع صفحات قليلة لنجيب لأصلح نفسى مما ألم بها من الرواية السيئة التى قرأتها .

بدأت قراءة القاهرة الجديدة وقد تجاوزت الساعة الثانية من الصباح واقترب الفجر فاذا بالعمل الرائع يمسك بتلابيبى لا يتركنى حتى أتناول سحورى ، ظللت بها حتى انتهيت منها ولم أكتف بذلك بل عمدت الى قلمى ورحت أكتب رأى فيها وأذكر أننى قلت فى هذه المقالة ان نجيب محفوظ يقتعد القمة من الرواية العربية دون منازع . وأرسلت المقالة الى مجلة الرسالة ثم نمت .

وربما لا يعرف الكثيرون ان نجيب محفوظ كان فى مكتب وزير الأوقاف فقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا فى مكان الأب الروحى له . وقد عين نجيب فى ادارة الجامعة عند تخرجه ثم ضمنه فضيلة الشيخ مصطفى الى مكتبه فى وزارة الأوقاف حين عين وزيرا لها .

فحين أصبح أبى وزيرا للأوقاف فى وزارة اسماعيل صدقى باشا عام ١٩٤٦ كان نجيب سكرتير وزير الأوقاف لشئون مجلس الأوقاف الأعلى . وكنت أنا قد أصبحت فى الجامعة فهكذا كنت أستطيع أن أذهب الى الوزارة أغلب أيام الأسبوع وازدادت صلتى توطدا بنجيب . وكان أبى يقرأ روايات نجيب وكان معجبا بها كل الاعجاب وكنت أبلغ نجيب اعجاب أبى هذا . ومرت سنوات وكنت أتمشى مع نجيب محفوظ وأذكر أن ذلك كان فى عام ٥٤ وكنت أحثه على الزواج ولم أكن أدرى أنه متزوج فعلا .
قطع نجيب حديثى قائلا :

- لقد رفعت دعوى على وزارة الأوقاف .

قلت له :

- لماذا ؟

قال :

- ان لى درجة متأخرة منذ عشر سنوات .

وصمت قليلا وأنا أفكر ثم قلت له :

- لقد كنت مستحقا لهذه الدرجة وأبى وزير ؟

قال :

- نعم .

قلت :

- مع كل هذه الصلة التى بينى وبينك وزرتنى فى البيت وطالما أخبرتك أن أبى معجب بك ولا تخبرنى أنك مستحق لدرجة يستطيع أبى أن يمنحها لك بجره قلم .

قال فى عدم مبالاة وفى ابتسامة :

- وهل كنت أعرفك من أجل أن تسعى لى فى درجة .. أترضى

لى هذا ؟

هذا هو نجيب محفوظ .. انسانا لا نعرف له شبيها بين الناس .

فى عام ١٩٦٧ وبعد الكارثة الحربية رأيت أنه من العار على الكتاب أن يصمتوا جميعا ووطنهم يدمر هذا التدمير فبدأت أتصل بالمتقنين وأعرض عليهم أن نكتب بيانا ونقدمه الى رئيس الجمهورية نطالب بالحرية وبعودة الديمقراطية حتى تستطيع مصر مجتمعة بأراء المثقفين والشعب مواجهة هذه المصائب التى حاقت بالبلاد .

ووجدت عندهم جميعا حماسا منقطع النظير وكتبت البيان واشتركوا
جميعا معي في كتابته • وبدأت مرحلة التوقيع •

فكان عجباً •• لقد وقعت أنا ووقع نجيب •• فقط •

لقد وجد كل من اشترك معي في كتابة البيان عذرا ولم يوقع واحد
منهم على البيان الذي اشتركنا في كتابته • وأصبح ارسال البيان عبثاً •
فأنا ونجيب نستطيع أن نمثل أنفسنا ولكننا بحال من الأحوال لا نستطيع
أن نمثل جميع المثقفين ، وهذا هو نجيب محفوظ •

عين نجيب محفوظ رئيسا لمجلس ادارة مؤسسة السينما وكانت له
سيارة مخصصة من المؤسسة وكانت ماركة مرسيدس ولم يكن عند نجيب
سيارة خاصة • فاذا هو في بساطة وفي تواضع يأبى أن يركب سيارة
المؤسسة ويتركها لمن يليه في الوظيفة وقد كان شيوعيا معروفا بشيوعيته
وشيوعيته لم تمنعه من ركوب السيارة ولا يفوتني أن هذا الرجل من خيرة
الناس الذين عرفتهم رغم شيوعيته •

ولكن هذا هو نجيب محفوظ •

بيان البيان :

وقد مرت بي وبالأستاذ نجيب وبعميدنا الأستاذ الكبير توفيق الحكيم
تجربة فريدة في يناير عام ١٩٧٣ ، وقد رأيت أن أثبتها هنا ما دمت قد
تعرضت لنجيب فمن الطبيعي أن تذكر أحداث هذا البيان الذي عرف وقتها
باسم بيان توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباطة • وقد كتبت ظروف
هذا البيان للذكرى واني أنقلها مما كتبت في ذلك الحين ، كنت أكلم
توفيق بك في التليفون فطلب الى أن أذهب اليه في الغد لأنه كتب شيئا
ويريد أن يطلعني عليه • فلما كان الغد ذهبت اليه في مكتبه بالأهرام
ولم أكن عينت به بعد فوجدت عنده ابراهيم منصور ووظيفته الرسمية
شيوعى وكان الأستاذ نجيب محفوظ في مكتبه الخاص بالأهرام مشغولا
بحديث اذاعي • وحين جلست الى توفيق بك قرأ على بيانا أعده يعبر عن
أفكار طالما تحدثنا فيها سواء في سميراميس أو في بترو بالاسكندرية أو
في غزفته في جريدة الأهرام ووجدت البيان معبرا تماما عن رأينا ولم أعدل
فيه شيئا الا أنني طلبت حذف بعض الجمل في صدر البيان تتحدث عن
أمجاد رئيس الجمهورية وعظمة تاريخه الوطني وأذكر أنني قلت لا داعي
لذكر هذا التاريخ وقبل توفيق بك حذف هذه الجمل وخرج البيان في
صورته التي ظهر بها •

أرسل توفيق بك البيان ليكتب على الماكينة وفي أثناء انتظاره سألت من الذى سيوقع على البيان فأخرج لى ابراهيم منصور قائمة بالذين يتوقع أن يوقعوا على البيان وحين قرأتها وجدتها جميعا من الشيوعيين فقلت له ان البيان بهذا الشكل سيكون معبرا عن رأى الشيوعيين وحدهم ولا يكون معبرا عن رأى الأدباء والكتاب الذين جاء فى صدر البيان أنه يعبر عن رأيهم . وسألنى ابراهيم منصور : ومن ترشح للتوقيع غير هؤلاء ؟ قلت أرشح كثيرين وأمسكت بورقة وكتبت فيها أسماء تزيد فى عددها على الأسماء التى كتبها وجميعهم من غير الشيوعيين . وأذكر أنه فى أثناء النقاش سألنى عن بعض أسماء من التى كتبها ان كنت أعتقد أنها شيوعية فقلت نعم انهم شيوعيون فقال وماذا نفعل ان كان الكتاب شيوعيين فقلت له هذا غير صحيح فأغلب الذين ذكرتهم ليسوا كتابا بالمعنى المفهوم وانما هم نقاد أما الكتاب فقلة بين الشيوعيين والأغلبية الكاثرة من الكتاب الخلاقين لا يدينون بالشيوعية وحينئذ سألنى عن أرشح فكتبت الأسماء فقال هل تعتقد أن هؤلاء سيوقعون البيان قلت أنا لا أدري ما يمنعهم من توقيعه .

وجاء البيان وكان الأستاذ نجيب محفوظ قد فرغ من حديثه الإذاعي فانضم الينا فى غرفة الأستاذ توفيق الحكيم . وراجع الأستاذ توفيق البيان فوجد فيه بعض أخطاء مطبعية رأى أن يصلحها وكتب على موعد أرف فسألته هل سيغير شيئا فى الصفحة الأخيرة فقال لا فقلت اذن أوقع أنا وأذهب الى موعدى . ووقعت البيان مراعىا أن أترك مكانا لمن هم أكبر منى سنا ليوقعوا قبل وتركتهم وذهبت الى موعدى .

حاولت فى يوم الاثنين ٨ يناير أن أتصل بالأستاذ يوسف السباعى لأخبره عما فعلنا فلم أجده .

شغلت فى يوم الثلاثاء ببعض شأني وذهبت يوم الأربعاء ١٠ يناير الى مكتب توفيق بك بالأهرام . فوجدت نجيب بك محفوظ وعبد الحكيم قاسم ودار بيننا حديث لا أذكر تفاصيله الا أنني أذكر منه أنني قلت اننا يجب أن نرسل البيان الى جهات رسمية حتى لا يتخذ شكل المنشور وسأل عبد الحكيم قاسم وماذا يضر لو أصبح منشورا فقلت هذا عمل لا يليق بنا. ونحن نعمل عملنا فى وضوح النهار ولا نعمل شيئا من شأنه أن يخفى . وأذكر أيضا أنني قلت اننا يجب أن نختار الأسماء التى توقع على البيان فالاسم الذى يحمل تاريخا غير الأسماء الصغيرة ولكن يبدو أن هذا الرأى كان متأخرا لأن ابراهيم منصور كان قد جمع فعلا أغلب التوقعات التى رشحها في بادئ الأمر .

وقال توفيق بك : لقد رشحت أسماء للتوقيع فقلت اننى قادم خصيصا لأخذ النسخة التى سيوقعون عليها . وقلت ان الأستاذ عبد الحميد جودة منتظرنى فى مكتبه ليوقع على البيان وسأذهب بعده الى الأستاذ يوسف السباعى . فقال توفيق بك : عظيم . وأعطانى نسخة من البيان . فطلبت منه أن يوقع عليها فقال لقد وقعت فقلت ولكنك لم توقع هذه النسخة ولا بد أن توقعها أنت . ونجيب بك ووقع توفيق بك . ونجيب بك ووقعت وطلبت من عبد الحكيم قاسم أن يوقع فتخرج قائلا : انه قادم ليوقع ولكنه كان يفكر أن يوقع على الصورة التى مع ابراهيم منصور ، فقلت له انه لا فارق بين الصورتين ووقع عبد الحكيم قاسم وهممت أن أدع الغرفة ولكن توفيق بك استوقفنى ليحملنى رسالة الى الأستاذ يوسف السباعى فى مكتبه وأخبره توفيق بك أنه وقع بيانا هو ونجيب بك وثروت فقال يوسف بك وأنا أوقعه وأعطانى السماعه فقال يوسف بك ما دمت وقعت البيان فانى أوقعه فقلت أنا قادم اليك فقال أنا منتظرك وليس معى سيارة وسأنزل معك لتوصلنى الى نادى القصة فقلت أنا فى الطريق . ونزلت وذهبت قورا الى دار الهلال فوجدت يوسف بك ومعه السيدة سكيمة السادات . وقال يوسف بك انه علم أن الأستاذ توفيق الحكيم كتب بيانا فى غاية العنف فقلت أنا لا أرى هذا الرأى وقدمت اليه البيان وقرأه فأرى أنه فعلا عنيف وقدم البيان الى السيدة سكيمة السادات وقرأته فاذا بها تتور وتقول : أين كنتم قبل اليوم وأنا سأخبر نجيب محفوظ أنه ما كان يجوز له أن يوقع مثل هذا البيان وأى جديد فى أن البلد تغل الكل يعرف أن البلد تغل وهذا كلام لا يصح أن يكتب ، وقال لها الأستاذ يوسف السباعى اتركى لى هذا الموضوع فليس من المفروض أن تكونى قد قرأت البيان فقالت وهى نائرة أنا لا شأن لى وسأترككم وخرجت دون أن تهدأ ثورتها وقال يوسف بك كيف توقع بيانا كهذا قلت أنا لا أرى فيه شيئا وسألنى أين توفيق بك فقلت له فى مكتبه وكلمه يوسف بك وقال ان الرئيس لو قرأ البيان لصعق وعلى كل حال ما حاجتك أن تكتب هذا البيان تستطيع أن تقابل الرئيس وتقول له ما تشاء ووافق توفيق بك واتفقنا على أن يذهب توفيق بك ونجيب محفوظ فى صحبة يوسف بك الى الرئيس لمقابلته وإبلاغه فحوى البيان وطويت أنا البيان ونزلت دون أن ينزل معى يوسف بك فقد عدل عن الذهاب الى نادى القصة .

وذهبت الى منزلى معتقدا أن لا داعى أن أجمع توقيعات لبيان لن يرسل الى أية جهة .

فى صباح الخميس ذهبت الى بعض شأنى ثم ذهبت الى مكتب الأستاذ السحار وتذكر ، أنتى كنت طلبت الى الأستاذ يوسف السباعى أن يعين

شخصاً ما من البلد فأجبت أن أسأل سكرتيره حسين رزق عما تم بشأن هذا التعيين فطلبتة وأجابني عما سألته عنه ثم أخبرني أن مكتب الدكتور عبد القادر حاتم سأل عن تليفوني وأن الدكتور يريدني . طلبت بييتي فأخبرتني زوجتي أن مكتب نائب رئيس الوزراء اتصل بها وأخبرها أن الدكتور يريد أن يقابلني الواحدة والنصف وكانت الساعة حينئذ تقترب من هذا الميعاد فنزلت الى مكتب الدكتور حاتم فأدخلت فوراً الى المكتب ووجدت الأستاذين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ واستقبلني الدكتور حاتم ببشاشة وقال أين أنت لا تراك الا في التليفزيون وقد أخذت نصف الشاشة ولكنك جميل والناس تحب أن تراك فقلت اذن أعطوني عمولة على ما يشتري من أجهزة التليفزيون وضحكنا ثم بدأ الدكتور حاتم يتكلم في الموضوع الذي استدعانا من أجله فقال سمعت أنكم كتبتم بياناً وقعه توفيق بك وتجبب بك ورثوت بك وأمل دقل وفهمنا أنه لم يكن يريد أن يوقع معنا الشباب الصغير والشيوعيون فقلت اننا وقعنا البيان حقاً ولكننا لا نعرف شيئاً بشأن من وقع عليه بعدنا فقال ان كثيراً من هؤلاء الذين وقعوا يتقاضون مرتبات من سفارات أجنبية ، ثم قال انه حين عرف أسماء من وقعوا البيان قال أن هناك ثلاثة لا شك في اخلاصهم وبقاء ضمائرهم وهم نحن الثلاثة . ثم بدأ يشرح الموقف فقال اننا أخطأنا اننا لم نعلن الهزيمة يوم ٥ يونيو ونوقع الصلح وهذا الخطأ هو الذي نعانيه حتى اليوم ونحن اليوم نعبى قوتنا ولكن الرئيس يرى أن كل تأخر انما هو في مصلحتنا . وقال ضمن ما قال انه حين كان في لندن استطاع أن يحصل على وعد باعطاء أسلحة من انجلترا وأنهم يحصلون على أسلحة فرنسية عن طريق ليبيا وأندونيسيا . تقدم ما تستطيع من الأسلحة .

وحيث انتهى من حديثه بدأ توفيق بك الكلام فقال ان الخطأ الذي وقع لم يقع يوم ٥ يونيو وانما وقع يوم ١٤ مايو في ثورة التصحيح ، فقد كان يجب على الرئيس أن يعلن في ثورة التصحيح أن كل الذي قيل قبل اليوم كان نوعاً من البذل ثم يعلن حقيقة الموقف . ثم استطرد توفيق بك أنه لم يحدث في التاريخ أن تهزم دولة وتعلن في نفس اليوم أنها ستحارب كما لم يحدث أن حاربت دولة مهزومة بعد خمس سنوات أو ست من هزيمتها ثم ضرب مثلاً بألمانيا في الحرب العالمية الأولى فقال انها لم تهزم على أرضها وانما كانت جيوشها منتصرة في فرنسا ولكنها حين علمت أن أمريكا ستدخل بجيوشها الجديدة أعلنت الهزيمة لأن قوادها كانوا يحسنون التفكير ويقدرون الأمور تقديرًا سليماً بعقليات متفتحة تنظر الى الحقيقة وتتصرف على أساسها ، وقد أدرك هؤلاء القواد أنه لا قبل لجيوشهم المتعب بقوات أمريكا التي كانت في كامل قواتها وهكذا أعلنت ألمانيا هزيمتها

ولأول مرة في التاريخ كانت الدولة المنهزمة تملئ شروطها على الدولة المنتصرة . وحين فكرت ألمانيا في خوض حرب أخرى لم يعن هتلر ذلك وإنما راح يعد جيوشه في صمت وفي نفس الوقت يبعد الأنظار عن الجيش بالمنشآت الكبرى في ألمانيا ويهتم حتى بالأولمبياد الرياضية ويصرف الأنظار عن أى تفكير حربي من جانبه ، ورد الدكتور حاتم بأن الأستاذ توفيق الحكيم على حق وقال ضمن ما قال أنتم عقلاء البلد ، فقلت مادمت ترى ذلك فلماذا لا تستشيرون عقلاء البلد؟! وقال الأستاذ نجيب محفوظ اذا دخلنا في حرب مع اسرائيل فان الاحتمال المتوقع أن تكون الحرب سجلا فحين المستبعد أن نهزمها هزيمة ماحقة من الجولة الأولى وحين يتفاءل نستبعد أن تهزمننا مرة أخرى هزيمة ماحقة من الجولة الأولى فخير الاحتمالات أن تكون الحرب سجلا ، وقال الدكتور حاتم : نعم . وقال الأستاذ نجيب : في هذه الحرب من المتوقع أن تصاب المنشآت عندنا والمرافق . وقال الدكتور : نعم . فقال الأستاذ نجيب : ولن يسمح لنا بعد ذلك بهزيمة اسرائيل هزيمة نهائية بل سيتدخل الدول وحينئذ سنضطر أن نقبل ما يعرض علينا الآن . فلماذا لا نقبله دون أن نخرب بلدنا ؟ فقال الدكتور حاتم : وماذا نقول للشعب وماذا نقول للشعوب العربية وماذا نقول للحكومات العربية وللفدائيين ولأهل فلسطين ؟

وحينئذ قلت : لقد قال لنا الرئيس في الاتحاد الاشتراكي في اجتماع كان الكتاب قد اشتركوا فيه ان أمريكا تعطى الأسلحة باغداق لاسرائيل وكرو ما كان قد قاله أحد المسئولين الأمريكيين من أن أمريكا ستعطى السلاح لاسرائيل رغم علمها بأنها متفوقة في السلاح . وقال الدكتور حاتم : نعم فقلت : وتقول سيادتكم اننا نأخذ الأسلحة من روسيا وانجلترا وفرنسا . فقال : نعم قلت : ألا ترى أن أمريكا تفوق هذه الدول مجتمعة فقال : وماذا تفعل أمريكا لقد جاء اليها مندوبها وحين عرضنا عليه ما تقبله قال انه لا يريد منا خيرا من ذلك ، فقلت : نعم ولكنكم وقعتم المعاهدة المصرية السوفيتية بعد هذه الزيارة بيومين . وسكت الدكتور حاتم .

ثم تكلم عن الطلبة واستحالة اجابة مطالبهم فقال الأستاذ نجيب محفوظ : ولماذا لا تجتمعون بهم وتبينون لهم وجهة نظرهم ؟ ثم تطرق الحديث بعد ذلك الى البلاد العربية فذكر أن موقعة الطيران الأخيرة التي دارت في سوريا سبق فيها ست طائرات لسوريا واثنان لاسرائيل في حين كانت البيانات تقول شيئا يخالف عن هذا كل الاختلاف وفي نهاية الاجتماع سألتى الدكتور حاتم ماذا كنتم تنوون أن تفعلوا بالبيان فقلت : كنا ننوي أن نرسله إليك وإلى رئيس الجمهورية . وانتهى اللقاء عند ذلك .

وفي نفس اليوم مساء ذهبت إنا والأستاذ نجيب الى الحرافيش بمنزل الأستاذ محمد عفيفي وجاء الينا هناك الأستاذ طلال سليمان مندوب الأنوار اللبنانية وقد تعود أن يسهر مع الحرافيش كلما جاء الى القاهرة .
وقد أخبرنا الأستاذ طلال أن صديقا له قدم من بيروت وأخبره أن البيان نشر هناك . ودهشت أنا والأستاذ نجيب محفوظ ولم نعلق .

في صباح الجمعة ذهبت أنا والأستاذ الشرفاوي الى الأستاذ يوسف في منزله وذكرت له ما دار بيننا وبين الوزير . وفي مساء الجمعة التقينا أنا والأستاذ نجيب في مقهى ريش وسأل الشبان عما دار في لقاء الوزير فتركت الحديث كله للأستاذ نجيب وكان حريصا كل الحرص فلم يذكر أية تفاصيل وإنما اكتفى بأن قال لنا اننا قلنا للوزير رأينا بكل صراحة .

في مساء السبت أخبرني الأستاذ يوسف السباعي أنه سيكتب بيانا آخر ويريدني أنا والأستاذين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ أن نوقع عليه فقلت له : اسألها . وكنت على موعد في دار الأدباء لحضور اجتماع مجلس ادارة جمعية مؤلفي الدراما . واتصلت من هناك بالأستاذ توفيق الحكيم وذكرت له ما يريد الأستاذ يوسف السباعي فقال : انه يرفض التوقيع على أي بيان حتى لو كان أعنف من بيانه هو ، لأنه قال كلمة ولا ينوي أن يتراجع عنها أو يزيد عليها . وكلمت الأستاذ نجيب محفوظ في مقهى ريش ، لأن السبت كان بداية اجازة العيد وأحببت أن أسأله رأيه قبل أن ألتقي بالأستاذ يوسف السباعي . وكنت أعلم أن الأستاذ نجيب سيسافر فجر الأحد الى الاسكندرية لقضاء الاجازة وأخبرني الأستاذ نجيب أنه لا يرفض التوقيع في ذاته ولكنه قال : لابد أن يوقع على هذا البيان كل من وقع على البيان الأول حتى لا نخرج عن قوم وثقوا بنا ووقعوا البيان تضامنا معنا ، وأنهى حديثه بقوله انه يفوضني في هذا الأمر فاذا وقع الأستاذ توفيق وقعت أنا فهو يوقع معنا .

قابلت الأستاذ يوسف السباعي بدار الأدباء وأخبرته برأي الأستاذين توفيق ونجيب وطبعا لم أذكر شيئا عن نفسي معبرا أن عدم توقيعني أمر مفروغ منه . وبدا على الأستاذ يوسف الامتعاض ولكنه لم يقل شيئا .

مضت اجازة العيد وسمعنا في أثنائها أن البيان نشر في جرائد عربية منها البيروتية والسياسة الكويتية وغيرها ثم سمعت أنه نشر بجريدة الأنوار التي يصدرها سعيد فريجة بدعم من مصر . ثم علمت من توفيق بك أنه أرسل البيان الى لجنة تقصي الحقائق ، وفي يوم الجمعة الذي تنتهي به الاجازات ذهبت الى الأستاذ توفيق في جلسته الأسبوعية بفندق

سميراميس فأخبرني أن مكتب الوزير كلمه قبل أن ينزل ليخبره أن الوزير يريد أن يلقاه في اليوم التالي يوم السبت في الساعة الحادية عشر ، وأن الوزير يريد أيضا الأستاذ نجيب محفوظ كما يريدني فقلت له ان أحدا لم يطلبنى والأستاذ محفوظ في الاسكندرية وذكر لي الأستاذ توفيق أنه سأل السكرتير عن سيكون موجودا غيرنا في هذا الاجتماع فقال الأستاذ سعيد فريجة صاحب جريدة الأنوار .

وفكر الأستاذ توفيق قليلا ثم قال أنا لن أذهب فقلت وكيف لا تذهب ؟ وماذا أعمل أنا وحدي ؟ قال : أنت حر ولكن أنا لن أذهب فقلت له : وأنا لن أذهب اذا لم يكن الأستاذ نجيب معي فقال : هذا شأنكما فقلت : أسأل عن الأستاذ نجيب وذهبت الى تليفون الفندق وطلبت الأستاذ نجيب فوجدته قد وصل لتوه من الاسكندرية ووجدت مكتب الوزير قد اتصل به فقلت له : توفيق بك لا يريد الذهاب فأندهش لهذا وقال : دعني أكلمه وطلبت الى توفيق بك أن يكلم نجيب بك وقد استطاع نجيب أن يقنعه أو خيل لي ذلك على الأقل .

وذهبت الى منزلي وقالت لي زوجتي ان بعضهم سأل عنى وقال مكتب النائب وقال انه سيعود الى الكلام في الساعة الثالثة وقيل أن تكمل حديثها دق جرس التليفون وأبلغت بالموعد .

وقبل أن أتناول الغداء دق جرس التليفون مرة أخرى وكان المتحدث توفيق بك ووجدته يخبرني أنه لن يذهب فهو لا يقبل أن يستدعيه السكرتير وكأنه موظف عند الوزير وقال : لقد كان أبوك وزيرى فعلا وكأنا يكبرني في السن ومع ذلك كان يتخرج أن يستدعيني وناقشته طويلا قائلا : انى والأستاذ نجيب ستكون في موضع حرج فقال : هذا شأنكما . أما أنا فلن أذهب فقلت له : اذن دعني أبلغ الوزير على الأقل أنك عاتب أنه لم يكلمك هو شخصيا وطبعاً سيحاول هو أن يصحح هذا الخطأ وسيستدعيك شخصيا وتجيء فوافق توفيق بك واقتنعت أنا بسداجة أنه قبل هذا الاقتراح :

وفي مساء الجمعة ذهبت الى نجيب بك في مقهى ريش وانتحيت به جانبا وأخبرته عن موقف توفيق بك الجديد وسألته ماذى يرى بشأننا ؟ فقال : نذهب نحن ، لأنه لا يليق بنا ألا نذهب وننفذ ما اتفقت عليه مع توفيق بك .

وفي الموعد المحدد ذهبت الى مكتب الوزير فوجدت نجيب بك قد سبقنى ودخل ووجدت في مكتب السكرتير الأستاذ سعيد فريجة كما

التقيت بالشاعر نزار قباني . ولم أكن أعرف الأستاذ سعيد فريحة فقام
السكرتير بعملية التعارف .

وحين دخلت مكتب الوزير وجدت الوزير قد علم بعتب توفيق بك
وحاول الاتصال به فلم يستطع وحاولت أنا من مكتب الوزير الاتصال به
فلم أستطع وكلف الوزير سكرتيره أن يكرر المحاولة وان كنت قد أدركت
أن توفيق قد عملها ونوى ألا يجيء بأى حال .

وكان فى مكتب الوزير مع نجيب بك الدكتور جمال العطيفى وكيل
مجلس الشعب وظننت أن حضوره كان صدفة ولكن تبين من المناقشة أن
حضوره كان مرتبا .

وقبل أن تبدأ المناقشة قال الدكتور حاتم لسكرتيره : من بالخارج ؟
فقال السكرتير : الأستاذ سعيد فريحة فالتفت الوزير الينا وقال : أظن أنه
لا بأس أن يحضر معنا فهو منا وعلينا وكان الأمر محض صدفة .

ودخل الأستاذ سعيد فريحة وسلم علينا مرة أخرى وجلس وبدأت
المناقشة فقال الوزير : هل أرسلتم البيان الى الأنوار ؟ فقلت له : كيف
نرسله الى جرائد لبنانية ؟ كان الأحرى لنا أن نرسله الى الجرائد المصرية
إذا كنا نفكر فى نشره ، فقال : فكيف وصل البيان الى لبنان ؟ فقلت له :
هل أرسلنا لبيان اليك ؟

فقال : لا . قلت فكيف وصل اليك البيان ؟ وكأنه لم يكن يتوقع هذا
السؤال فراح ينظر حوالياً وهو يقول أنا . أنا . فتذكرته لحظات ثم قلت
له : لقد وصل الى لبنان بنفس الطريقة التى وصل بها اليك فنظر الى الأستاذ
سعيد فريحة وقال له : شفت أنهم لم يرسلوا البيان فقال الأستاذ سعيد
فريحة : ن مندوب الأنوار فى القاهرة طلال سلمان وهو شاب شيعى هو
الذى أرسل البيان وقد نشرته حين وجدت عليه توقيع توفيق الحكيم ونجيب
محفوظ وثروت أباطة وحينئذ سأل الدكتور العطيفى عما أردناه بالبيان
فقلت : الحرية فقال : وهل كانت هناك حرية قبل العهد الحاضر ؟ فقلت انه
لا شك أن قدرا من الحرية قد تحقق ولعل هذا القدر هو الذى أتاح لنا
أن نكتب هذا البيان ولكن الحرية لا تتجزأ . وقال الأستاذ فريحة : ما هى
الحرية التى تريدونها ؟ فقلت له : لا تحتاج الحرية الى تعريف فهى معروفة
تماما . فقال مستنكرا : هل تطلب الحرية فى زمن الحرب ؟ فقلت له : لا تذكر
الحرب فقد كان برنارد شو يلعن أيو تشرشل على الجزمة فى أشد أوقات
الحرب العالمية الثانية عنفا ولم يصنع تشرشل شيئا الا أنه كان يقول نحن

نعمل والبهوان يلهو • وكمان يا أستاذ سعيد نحن لسنا فى حرب منذ
٥ يونيو سنة ١٩٦٧ نحن لسنا فى حرب • فقال الأستاذ سعيد فريحة
فعلا هذا صحيح •

وقال الدكتور : وما هى مظاهر عدم الحرية فقلت له لقد وصلت
الرقابة الى القصص فقال مثل ماذا ؟ فقلت له مثل رواية الحب تحت المطر
للأستاذ نجيب محفوظ التى مزقتها الرقابة فقال : وهل أنا مسئول عنها ؟
فقلت انك على رأس الجهاز فأنت مسئول عن كل موظفيه فقال وماذا أيضا
فقلت له لقد منعت لى قصة فى الجمهورية فقال يا أخى أنت صديقى
وتزورنى فى بيتى •• والواقع أننى كنت أزوره قبل أن يعود الى الوزارة
كما أننى أكن كل حب وتقدير - فلماذا لا تخبرنى ؟ فقلت أنا أزورك فى
بيتك لأسأل عن صحتك أو لنتكلم فى مسائل عامة ولا أرى من اللائق أن
أزورك لأقول لك ان قصة لى منعت من النشر • فقال الوزير : انكم أنتم
الدولة ولكنكم تعرفون الظروف التى نمر بها وقال الأستاذ نجيب : ان رئيس
الجمهورية قد دعا الى حرية الرأى فاذا لم نقل رأينا فكأننا لا نعبأ بدعوة
رئيس الجمهورية وهى أشرف دعوة يمكن أن توجه الى أصحاب الرأى •
ولا شك أنكم تعرفون أننا توفيق بك وثروت وأنا لسنا من طلاب البطولات
وقال الدكتور جمال العطيفى الواقع أن الحياة النيابية سواء فى العهد
الماضى أو فى عهد الثورة لم تشهد حرية برلمانية كالتى شهدتها فى ظل
مجلس الشعب الحالى فقلت : لا لا يا دكتور جمال مش للدرجة دى فقال :
كيف أنا أستطيع أن أتحدث فى هذا الموضوع ؟ فقلت : كلنا نتحدث أنت
لا تستطيع أن تنسى أن مجلس النواب الوفدى فى عهد الوزارة الوفدية
قد منع قانون الصحافة أن يصدر فقال آه تقصد الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٥٢
فعلا لقد كانت أحسن الفترات فى العهد النيابى فقلت كانت أحقر الفترات
فى العهد النيابى •

وفى نهاية الحديث قال الدكتور جمال لى لقد قلت جملة مهمة وهى
أن قدرا من الحرية قد تحقق ان هذا القدر هو الذى جعلكم تكتبون
البيان • ولا أدرى لماذا توقعت من هذه الجملة أن اجراء معين سيستخدم
ضدى ؟

وقد عزلت •• عزلت من الاتحاد الاشتراكى ولم أكن عضوا به فى
يوم من الأيام ولكنها كانت الوسيلة الوحيدة لاعلان غضب الحكومة على
ولجرمانى من الكتابة أو التعامل مع وسائل الاعلام التى تشرف عليها الدولة
من اذاعة وتليفزيون وسينما ومسرح وطبعا يلحق بذلك معنى من السنفر •
ومنع اسمى من أن يذكر فى أية جريدة أو أى جهاز من أجهزة الاعلام

أما بالنسبة لتوفيق بك ولنجيب بك فقد صدرت الأوامر بمنعها من التعامل معه كما صدرت الأوامر بعدم نشر أى شيء لهما أو عنهما دون أن يرد اسم أى منهما فى قوائم العزل وهذا هو البيان :

بيان من الكتاب والأدباء :

نحن الكتاب والأدباء الموقعين على هذا البيان قد رأينا من واجبنا أن نعاون ونشارك من مواقعنا فى المجتمع - مؤسسات الدولة فى تقصى الحقائق فى حالة الاضطراب التى بدت بوادرها الآن فى بعض الأحداث الجارية . يدفعنا الى ذلك شعورنا بالمسئولية التاريخية وثقتنا بشعبنا وتقديرنا لوطنية رئيس الدولة . واعتقادنا منا بأن فى استطاعته الامساك بالزمام للسير بالبلاد فى طريق محفوف بالمخاطر تهب عليه الزواجر من كل جانب ويحتاج الى الحكمة وسداد الرأى لتجنيب الوطن ويلات الشطط وتوجيهه الى حيث يجد نفسه ويؤكد شخصيته ويسترد قوته .

ولما كان من خصائص الكتاب والأدباء بحكم رسالتهم فى الأمة أن يكتشفوا باطنها وضميرها . فى حين أن مهمة الصحافة هى تحرى أخبارها ومهمة الهيئات الرسمية هى تقصى حقائقها من واقع أحداث معينة قد تكون مجرد بشور خارجية لمرض دفين . ودخان ظاهرى لنيران متأججة تحت رماد . لذلك كان علينا نحن الكتاب والأدباء أن نكمل الصورة ونقدم المعونة بابرار ما استتر وتخفى مما يعتمل الآن ويضطرم فى باطن الأمة وضميرها .

وليس ذلك فقط لمجرد استكمال عمل تقوم به الهيئات الأخرى . ولكنه أيضا للخشية من أن يهمل أمر هذا الغليان الذى يفور فى نفوس الناس فيجد طريقه فى أى لحظة الى الانفجار وتقع الكوارث . وذلك أنه مما لا شك فيه لدينا أن البلد يغلى فى الباطن على نحو لم يعد يخفى على أحد . وقد لا يعرف كل الناس تعليلا لما يشعرون به من قلق واضطراب وغليان داخلى . وقد يبدى البسطاء من الناس والأبرياء من الشباب تعليقات مختلفة يسوقونها بغير تفكير أو تمحيص ويرددونها فى أحاديثهم أو يصعدونها فى منشوراتهم . وهذه التعليقات أو المطالب أو الاحتجاجات قد تبدو فى أغلبها سطحية أو غير ناضجة أو مدروسة . ولكن يكفى الحقيقة التى لا شك فيها وراء كل هذا وهو شعورهم جميعا بأنهم قلقون بشيء ما أو أنهم ما عادوا يحتلمون ما هم فيه من احساس بالضيق .

والآن ما هو منشأ هذا الاحساس العام بالقلق والاضطراب والضيق فى نفوس الناس ؟

لعل السبب الأهم فى ذلك هو عدم وضوح الطريق أمامهم ، فالصيحة المرتفعة فى كل حين بكلمة المعركة وأن الطريق هو المعركة كان

من الممكن أن يكون هو الجواب على أسئلتهم والطريق الواضح أمام
أعينهم .

وهذا لا شك ما أرادت الدولة أن تقدمه كجواب أو مصباح الرؤية
في طريق المستقبل المعتم .

ولكن مع الأسف تمضى الأيام وتصبح كلمة المعركة مجرد كلمة
غامضة لا حدود لها ولا أبعاد لمعناها ولا تحليل لعناصرها ، مجرد كلمة
مطلقة تلوكها الأفواه . مجرد لقمة مستهلكة لكثرة مضغها . ويصبح
الناس ويمسبون وهذه الكلمة تتردد على جميع النغمات في الأناشيد
والأغاني والخطب والشعارات حتى فقدت قوتها وفعاليتها بل وصدقها
وصارت اللقمة المضوغة في الفم غصة . لا هم يستطيعون ابتلاعها ولا هم
يجرؤون على لفظها . وأصبحوا في حيرة من شأنهم وأصبح طريق المستقبل
أمامهم مرة أخرى مسدودا وهم في ضياع .

ولما كان الشباب هو الجزء الحساس في الأمة ، وهو الذى يعنيه
المستقبل أكثر من غيره ، فهو لا يرى أمامه الا الغد الكئيب فهو يجهد
في دراسته للحصول على شهادته النهائية فاذا هى شهادة القذف به في
رمال الجبهة لينسى ما تعلمه ولا يجد عدوا يقاتله . وهذا أيضا هو
الضياع . أما بقية المواطنين فهم يعيشون بالنسبة اليه في حياة صعبة
سيئة الخدمات العامة . وكل نقص واهمال أو توقف أو عبث يخفى خلف
صوت المعركة وفي انتظار المعركة وتمحكا بالمعركة واذا بالأمر في نظرهم
ينقلب الى مهزلة والى سخط والى قرف عام .

هذا بعض ما استقر في الضمائر هذه الأيام . ولا بد من حل سريع
لهذا الوضع . ولا يمكن أن يكون هناك حل الا فى الصدق . والصدق
وحده ، لأن الصدق هو الذى ينهى الحيرة ويقنع الناس ويهدى النفوس .

ولأن الغليان فى باطن الاناء يهدأ اذا كشف الغطاء فان الشعب يريد
أن يقتنع بشيء لأنه غير مقتنع . ولا بد لراحة باله واقتناعه من عرض
حقائق الموقف أمامه واضحة ، وهذا يقتضى النظر في تغيير بعض الاجراءات
التي تسير عليها الدولة اليوم . ومنها حرية الرأى والفكر وحرية المناقشة
والعرض لالقاء الضوء على كل شيء حتى تتضح الرؤية . وليكن ذلك داخل
المؤسسات ، اذا كانت السرية فى ظروفنا الحاضرة تقتضى ذلك . على أن
لا يكون للدولة رأى مسبق تضغط به على أهل الرأى وتجعلهم مجرد أبواق
لترديده وترويجه .

بل أن تكون الدولة آخر من يبدى الرأى بعد أن تستمع وهي جادة صادقة الى رأى مصر الحر أولا • وأن تصوغ هي رأياها من رأى الشعب وممثليه لا أن تصوغ الرأى وتضع الشعار وتلقى به الى الناس وتفرضه عليهم فرضا •

آن للدولة فى هذه الظروف العصبية أن تتخفف هي من كل العبء والمسئولية وتضعها على ظاهر الأمة • ان فى ذلك مصلحتها ، وصيانة لها أمام التاريخ •

الاثنين ٨ يناير سنة ١٩٧٣ •

هذا هو البيان كما نشرته الصحف العربية وقد كان من نتيجة نشره أن أصدر الاتحاد الاشتراكي قرارا بفصلى وتلك كانت عجيبة يندر مثلها فى العجائب ، لأننى لم أكن فى حياتى عضوا فى الاتحاد الاشتراكي ، وقد سحب هذا الفصل الضورى أمر بالألا يظهر اسمى فى الصحف على أى صورة من الصور • وإنطبق هذا الاجراء الأخير على الأستاذين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وقد سعدت فى هذه الفترة سعادة منقطعة النظر ، لأن كل الذين كانوا يصنعون الكلمات المتقاطعة كانوا يصرون على أن يأتى اسمى من تركيب الحروف مع بعضها البعض •

ويجب اليوم أن أشهد أن هذه العقوبة التى أنزلت بى وبتوفيق الحكيم وبنجيب محفوظ تعتبر شيئا هينا بسيطا غاية البساطة بالنسبة للعقوبات البشعة التى كانت ترتكب فى العهد السابق على عهد السادات •

واستمر عزلنا الى أواخر سبتمبر عام ١٩٧٣ •

وقامت حرب أكتوبر ٧٣ •••

وانقلبت الموازين منذ رأينا مصر تنتصر لأول مرة فى تاريخ العرب منذ صلاح الدين •

وأصبح ثلاثتنا توفيق بك ونجيب بك وأنا أشد المتحمسين لهذا النصر • فقد كنا نتوقع أى شيء الا أن نحارب ونتصر ، وقد أعربنا عن توقعاتنا فعلا وتصورنا هذا ونحن نناقش الدكتور حاتم •

فقال توفيق بك انه من غير المعقول أن تحارب دولة ما فى نفس اللحظة التى تعلن فيها انهزامها وليس من المعقول أن تحارب بعد خمس سنوات أو ست ، لأن النتيجة معروفة لا شك فيها • فأى جديد يمكن أن يحدث فى هذه السنوات القليلة ليقلب الأمر بالنسبة اليها من دولة مهزومة الى دولة منتصرة •

وقال نجيب بك للدكتور حاتم : المؤكد أن الحرب لو قامت فستكون سجّالا ووافقه الدكتور حاتم وقال نجيب بك : اذن فالحرب ستستمر فترة بيننا وبين اسرائيل ومعنى ذلك أن نخرب مصر تماما ونحن بعد هذه الحروب لا نطبق هذا الخراب فلماذا لا ننسى الحرب ونلتفت الى مراقبتنا المنهارة ونحاول اصلاحها بدلا من زيادة تخريبها ؟

وقلت أنا : نحن واثقون أنه ليس هناك حرب منتظرة وأن الأمر لا يعدو أن يكون دعاية ليلهيننا عن أوضاعها الداخلية فخير لكم ولنا أن تعطونا الحرية من الادعاء بأننا سنحارب فالشعب كله يعرف أننا لن نحارب . ويكفي مقالات محمد حسنين هيكل دليلا على أن الحرب مستحيلة .
استحالة مطلقة .

- ولكن السادات صنع الحرب . ولكن السادات انتصر .
- وحقق معجزة لم تكن تخطر لنا على بال .
- وهكذا أصبح ثلاثتنا من أشد المؤيدين للنصر ولصانع النصر .



- ٨ -

رواية الرواية

تعودنا لسنوات أنا ونجيب محفوظ أن نقضى بعد الظهر من أيام الخميس معا ثم نسهر معا في الحرافيش وكان دأبنا أن نذهب معا الى مقهى عرابي بميدان الجيش-بالعباسية ونجلس هناك مع أصدقاء العباسية وأغلبهم من رفاق الطفولة والصبا والشباب الباكر لنجيب محفوظ وكانوا جميعا يعرفوننى بحكم اقامتى فى العباسية ولهذا كنت أشعر بينهم بألفة لا يحسها الإنسان الا مع أصدقاء قدامى • وكنا نتركهم فى الثامنة ونتجه الى مكتب الأديب الفنان المحامى عادل كامل بشارع فؤاد وكنا كثيرا ما نضطر أن نترك السيارة فى مكان بعيد بعض الشيء عن مدخل المكتب الذى كان لابد أن يخترق من أجله مقهى بين عمارتين ضخمتين • وكنا نجلس قليلا بمكتب عادل كامل ثم نتجه جميعا الى سهرة حرافيش بعد أن نكون قد اشترينا - أو اشترى نجيب على الأصح - كيلو كباب من العباسية وكيلو حلويات شامية من ميدان الاوبرا • وكان نجيب يشارك فى أكل الكباب ولا يذوق الحلويات الشامية تنفيذا لأوامر الطبيب التى يصدع لها بكل الأمانة التى نعرفها عن نجيب فى كل ناحية من نواحي الحياة • اتصلت هذه الناحية بخاصة شأنه أو بشأن الآخرين •

تركنا السيارة فى مكان تصادف أنه كان بعيدا بعض الشيء عن مكتب عادل كامل ومشينا نتناقل الحديث فى شئوننا السياسية وقجأة وجدتني أقول له :

- نجيب بك ان أحدا لم يتكلم حتى الآن فى شرعية حكم الطاغية •
- وصمت نجيب لحظات ثم قال :
- فكرة جيدة •
- قلت :
- ربما حاولتها •

وانتهى الحديث عند ذلك وقضينا سهرتنا كما تعودنا أن نقضيها .
ولكن الفكرة ظلت تدور في ذهني وتلح علي في اصرار شديد .
وما لبثت الأيام أن أنضجتها ووجدت نفسي أميل كل الميل أن أرمه
الى الشرعية بالزواج .

وهكذا كان لا بد لي أن أقرأ الفقه على المذاهب الأربعة وأركز في
قراءتي على عقد الزواج . فوجدت أبا حنيفة وهو الذي نطبق مذهبه في
أحوالنا الشخصية يقول ان الفتاة اذا لم تعط الوكالة لمن يزوجهها يقع
الزواج باطلا نسبيا . والبطلان النسبي يختلف عن البطلان المطلق .

فالبطلان النسبي يمكن أن يزول ويصبح العقد صحيحا اذا زال
سبب البطلان أما البطلان المطلق فلا يصح أبدا .

ويقول أبو حنيفة في حالة زواج البنت بتوكيل باطل : يزول البطلان
اذا عادت البنت وقبِلت الزواج فانه في هذه الحالة يصبح زواجا صحيحا
خاليا من البطلان .

وكتبت رواية (شيء من الخوف) معتمدا على هذه القاعدة الشرعية
حتى اذا فرغت منها وكتبت على الآلة الكاتبة وفكرت أن أجعل نجيب
يقرأها قبل أن تنشر .

وبينما هو يقرأها كنت أنا ألتقي بالروائي الكبير والصديق الأصيل
فتحى غانم في لجنة القصة بالمجلس الأعلى . وكان في ذلك الحين رئيس
مجلس ادارة دار روز اليوسف وصباح الخير طبعاً . فرأيت أن أعرض عليه
فكرة أن تنشر صباح الخير روايتي الجديدة فرحب الرجل ترحيبا شديدا .
وحين فرغ نجيب محفوظ من قراءته طالعني برأيه أن الرواية
شديدة الوضوح وقال :

- لا أدري ان كنت رأيته كذلك ، لأنك أخبرتنى عن مضمونها أم لأننى
أنا استنتجت هذا . . . لماذا قلت لى مضمونها ؟

فضحكت وقلت :

- وماذا ترانى كنت أفعل وفكرة الرواية خطرت لى وأنا سناثر
معك .

فقال :

- ربنا يستر .

وبعد أيام قليلة كلمت فتحي واتفقت معه أن أمر عليه في مكتبه .
وهناك قال لي كلمة فيها كثير من المجاملة والتحية :

— اذا جاءتني مقالة من طه حسين فأنا أرسل بها الى المطبعة فوراً
وكذلك حين تجيئني رواية لك فاني أصنع نفس الصنيع . لقد أرسلت
الرواية الى المطبعة .

والحقيقة أن تحية الصديق مست قلبي ولكنني أشفقته أن يفعل فانه
لا يرضيني بحال أن يرفق فتحي غانم من وظيفته ، هذا اذا لم يتعرض
لما هو أشد وأتقى من أجل أن أنشر أنا رواية مهما تكن أهميتها .

وقعت في حيص بيص كما يقولون .
كلمت نجيب بك فقال :

— لا بد أن تبحث عن طريقة تجعله يقرأ الرواية .

طلبت فتحي غانم في البيت ، وقلت له :

— ليس نشر الرواية هو المهم وانما المهم أن أعرف رأى روائي أعز
برأيه فيها فأرجوك أن تقرأها .

وبعد أيام قلائل التقينا في لجنة القصة فأبدى اعجابه الكبير بالرواية
وقال :

— ادعها مثل قطعة الخشب العربي (الأرابسك) الذي يتكون من قطع
صغيرة متراسة والتكوين في ذاته يعطى الصورة الكاملة التي أرادها
الفنان .

أنا لا أشك لحظة أن فتحي غانم فهم الرواية كل الفهم ولا أشك لحظة
أنه حين نشرها كان غاية في السمو والشجاعة في وقت معا . فالرواية
مخالفة لرأيه الشخصي وهي في نفس الوقت كفيلا أن تعرضه لما لا يعلمه
الا الله وحده . وأن ينشر مسئول عملاً روائياً وهو في نفس الوقت روائي
لا يمكن أن يفوته ما فيها من رمز دليل على أن فتحي غانم رجل يندر مثيله
بين الرجال ودليل على أنه أكبر من كل ما يكبل حرية الرجال . فليس
عجيباً أن أكن لهذا الرجل في نفسي كل اجلال واكبار وحب . وقد أثبتت
لي الأيام فيما بعد أنه مطبوع على هذا الشرف ولا يتخذ في موقف ثم يتخلى
عنه في آخر . وانما أشهد الله والحق أنني ما رأيت الا بهذا السمو وهذه
الرجولة ولو يختلف بيننا الرأي ما شاء الرأي أن يختلف .

ولكنه رجل استطاع في كل المواقف أن يمثل لي الانسان حين يرتفع
الانسان الى أرفع درجات الانسانية .

نشرت الرواية بمجلة صباح الخير . وكنت فى ذلك الحين أنشر كتيبى
بدار المعارف عائدا إليها فعرضت الرواية على الأستاذ عادل الغضبان
وقراها وقال لى :

- اننا الآن نحاول أن نرتفع بسلسلة اقرأ وقد أخذنا كتابا جديدا
من الدكتور طه حسين ونريد أن ننشر (شىء من الخوف) فى هذه
السلسلة . فقلت لا بأس وقد نشرت (شىء من الخوف) فعلا فى مارس
١٩٦٧ . بعد أن تم نشرها فى صباح الخير قبل ذلك .

تلك هى قصة (شىء من الخوف) الكتاب وبقي أن نروى قصة شىء من
الخوف فى السينما .

حين بدأت صباح الخير نشر القصة وقفت فى اشارة وتصادف أن
وقف بجانبى صلاح ذو الفقار بسيارته . وصلاح كان زميلى فى مدرسة
فاروق الأولى الثانوية وبيننا صداقة دائمة من أيام المدرسة . حيانى وقال
انه يريد أن ينتج روايتى التى تنشر فى صباح الخير . قلت : لا بأس .

وانتهى الحديث عند ذلك .

وسافرت الى الاسكندرية . وفى ليلة عدت الى بيتى متأخرا فاذا بى
أجد الأستاذين العزيزين حسام الدين مصطفى وعبد الحى أديب ينتظراننى
فى سيارة أحدهما أمام البيت وكأنما خجلا أن يصعدا الى البيت وينتظروا
فيه وفوجئت بحسام يقول لى :

- الرواية التى تنشر فى صباح الخير . هل أخذها أحد منك
للسينما ؟

قلت :

- لا .

قال :

- طيب يا أخى ألسنت أنا الأولى بها وقد أخرجت لك هارب من
الأيام ؟

قلت :

- تحت أمرك .

قال :

- هل عندك نسخة منها ؟

وصعدت الى بيتى وأحضرت نسخة من نسخ الآلة الكاتبة وأعطيتها
للمصديقين لكريمين واتفقنا أن نلتقى فى اليوم التالى بكازينو جليم الذى
يقع منزلى أمامه مباشرة .

وقال حسام :

- ان هذه القصة تشبه هارب من الأيام .

وأنا متعود ألا أناقش رأيا رآه أحد فى أى رواية لى مرتسنيا أن
المناقشة عبث مضحك فالرواية كتاب يقرؤه القارئ وحده ويكون رأيه
وحده فكيف أستطيع أن الألق القراء فى كل ناحية لاناقتهم رأيهم ،
ولهذا أجبته دون أى تفكير :

- مادمت ترى هنا فلا بد أنك محق من وجهة نظرك على الأقل .

فقال أسفا :

- اذن فالى اللقاء فى رواية أخرى حتى لا أكرر ما فعلته فى هارب

من الأيام .

قلت :

- ان شاء الله .

وفى صباح اليوم التالى مباشرة ذهبت الى مقهى بترو فاذا بى أجد

كاتب السيناريو صبرى عزت الذى أسرع الى قائلنا :

- لقد دخت بحثا عنك .

وجلسنا وسألته عما يريد فقال :

- صلاح ذو الفقار يريد أن ينتج رواية شىء من الخوف للقطاع العام

وعرضها على حسين كمال ففتن بها ويريد أن يخرجها بأى طريقة .

واتفقنا أن نساغر الى القاهرة ونلتقى بسعد وهبه الذى كان رئيسا

لشركة القاهرة للانتاج السينمائى وكان صلاح ذو الفقار وحسين كمال

قد حادثاه فى شأن الرواية .

وذهبت الى الصديق القديم سعد وهبه وسألنى فى بساطة عن

موضوع الرواية فلخصتها له فطلب عقدا وقدمه لى ووقعته وقدر أجرا

سبعمائة جنيه وكان مبلغا طيبا فى عام ٦٦ . وأعتقد أنه ينبغى أن أشيد

هنا بشجاعة سعد وهبه فهو مسرحى محترف وقد فهم - بطبيعة الحال -

مغزى الرواية ولكنه كان من الشجاعة بحيث يوقع العقد فورا .

وبدأنا العمل . فى منزلى أحيانا وأحيانا فى منزل صلاح ذو الفقار ،

ووقعت حرب ٦٧ ونحن نعمل فى الرواية . فتوقفنا أياما قليلة ثم عدنا

الى العمل .

ثروت أباطة - ٢٢٥

وقبل أن يتم السيناريو تبرع صديق لنا بمكتب الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة في ذلك الحين بكتابة تقرير للوزير أن الرواية مقصود بها رئيس الجمهورية وأنها هجوم عنيف عليه وعلى الحكم جميعا .

ويشاء الله أن يكون نجيب محفوظ هو مستشار الوزير للشئون الفنية في هذه الفترة فكان طبيعيا أن يرسل الوزير ملخص الرواية والتقرير الى الأستاذ نجيب محفوظ وكتب رأيه بمنتهى الأمانة والصدق مع النفس مرتثيا أنها رواية وطنية . وقد كان هذا رأيه والوزير سأله عن رأيه . فقال :

وتم تصوير الرواية . وكان حسين كمال سعيدا بعمله غاية السعادة فرأى أن يعرضها على الوزير .

وفي عرض خاص بدأت الرواية تعرض على الوزير ووكيلين للوزارة معه . وانتهى عرض النصف الأول من الرواية وكان الوزير على موعد لم يستطع الاعتذار عنه فأضيئت الأنوار ورأى الحاضرون الدموع تملأ وجه الوزير من الاعجاب وقال في فخر لحسين كمال :

- لقد عبرنا بهذه الرواية البحر الأبيض المتوسط .

وذهب الوزير الى مواعده وطلب اليهم أن ينتظروه ليعود فيكمل مشاهدة الفيلم . وتم ذلك ورأى الوزير النصف الآخر من الرواية وأضيئت الأنوار . لقد فهم الوزير معنى الرواية فهما تماما . وتداول الرأي مع مستشاريه فأنتهى بهم الرأي أن تعرض الرواية على سامي شرف في رئاسة الجمهورية .

كان الوكيلان صديقين لي فكلمت أحدهما ولن أذكر اسمه فإذا هو يقول :

- أنا خصم ولا يجوز أن أكون قاضيا .

فضحكت في نفسي كثيرا فلم أكن أتصور أن المسألة وصلت الى خصومه وقضاء .

ما سمعته بعد ذلك أن سامي شرف أعفى نفسه من رؤية الرواية وعرضها على عبد الناصر مباشرة وسمعت أنه قال حين انتهى من مشاهدتها :

... لماذا تعرضون على هذه الرواية ؟ هل أنا عتريس هذا ؟ إذا كنت أنا عتريس والشعب لم يقتلني فهو شعب من الحمير !

وأمر أن تعرض الرواية دون أن يحذف منها شيء مطلقاً .
وفي عرض خاص ضم جمهوراً كبيراً شاهدت الرواية وكان معي
الأخ الصديق عبد الرحمن الشرقاوي . وحين انتهى العرض قبلني
الشرقاوي بحماس شديد . ووقف أحد المشاهدين وطلب أن يسألني سؤالاً
وسأل :

– ألا ترى أنك جعلت الشعب المصري سلبياً الى أقصى درجة .
وجدتها فرصة لا مثيل لها قلت له :

– أين هو الشعب المصري هذا ؟

قال :

– أهل القرية .

قلت :

– ومن قال ان أهل القرية هم الشعب المصري . . اسمع أنت
والآخرون ، ان أى اسقاط على هذه الرواية يكون من داخل المسقط وعليه
وحده أن يتحمل مسئوليته ! .

وذاعت هذه الكلمة فامتنع المعرضون عن اعلان ما أدركوه من
اسقاط . ولكن الشبان لم يمتنعوا يوماً من أيام عرض الرواية
ولأسابيع بعدها عن مهاجمتي في ضراوة ، وهذا أمر أسعد به دائماً فليس
أحب الى من أن أسمع مذمتي من هؤلاء الرهط .

كثير من الصحفيين سألونني حتى اليوم : أليس في عرض هذه
الرواية دليل على الحرية ؟ وأضحك أنا . فلو كان هناك حرية ما كتبت أنا
هذه الرواية أصلاً ولما كتبتها رمزا أما أنها عرضت فرئيس الجمهورية
الأسبق لم يكن من الغباء الى درجة منعها . فلو كان منعها بعد أن أصبحت
فيلماً مكتملاً لهرب الفيلم وسبقته الدعائية أنه الفيلم الذي منعه رئيس
جمهورية مصر واني لأعجب لمن يبحث عن أى حرية في ذلك العصر ولكن
ماذا تقول الا أن نضرب كف عجب بكف دهشة ونقول مع القائلين : والله في
خلقه شئون .

توفيق الحكيم

أمام البنك الأهلي الذي أصبح اليوم البنك المركزي المصري على ناصية شارع شريف عند التقائه بشارع قصر النيل، كانت هينناك مقهى وكان يجلس إليها أستاذنا توفيق الحكيم وكنت أمر كثيرا بهذا المكان فالشارعان في مكان من الطبيعي أن يكون المرور به كثيرا، كنت حينما أرى توفيق الحكيم أعبر الشوارع وأقف أمام البنك الأهلي. وأظن أنظر إليه دقائق ثم أمضى لسأني وأنا سعيد بما تمكنت من النظر الى توفيق الحكيم بأكمله .

وبدأت بعد ذلك الكتابة في مجلة الثقافة . ودعاني أحمد بك أمين أن أحضر ندوة لجنة التأليف والترجمة والنشر فكنت أذهب كل خميس في الساعة الخامسة مضطجبا الأستاذ عثمان نويه ونشهد الندوة التي كانت في حجرة منسقة الأثاث فيها سعة غير فادحة وكان نجوم الندوة أحمد بك أمين طينعا وعبد الواحد خلاف بك الذي كان ناظرا علي في مدرسة فاروق الأول حينما كنت في السنة الأولى لها وهو من أعظم الرجال الذين عرفتهم وكان بين العمالقة الدكتور أحمد زكي الرجل الذي جمع النبوغ الشامخ في العلم الى الموهبة الشاهقة في الأدب . وكان معهم أيضا اسعاف النشاشيبي وكان النقاش يحتمل بينه وبين هؤلاء الأعلام حول الدين والعلم . وكان غفر الله له ملجدا عميق الالحاد . وكان توفيق بك الحكيم حريصا علي حضور هذه الندوة وكان يحضرها أيضا الفيلسوف العملاق والأديب الباذخ الدكتور زكي نجيب محمود أطل الله عمرهما . كنت أطل طوال الجلسة صامتا لا أفرج شفتي عن كلمة .

وحين أصبح أبى وزيرا للشئون الاجتماعية كان توفيق بك الحكيم موظفا في الوزارة وقد دعساه الى الغداء في البيت كما دعا الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني . وقد يعجب القارىء أنني لم أتهيب في حياتي

الى هذه السن لقاء أحد لا أستثنى من ذلك رؤساء الوزارات . ولكننى تهيبت لقاء العملاقين وخجلت أن أحضر معهما الغداء واكتفيت بأن نزلت الى الشارع من الباب الخلفى لمنزلنا بالعباسية ورأيتهما يخرجان من الباب الرئيسى وظلمت أنظر الى ظهريهما وهما يغادران البيت مشيا على الأقدام توفيق الحكيم يعتمد عصاه والمازنى يطلع فى خطاه وكأن مشيهما عندى ورؤيتهما أروع فى نفسى من رؤية أى رئيس وزارة مهما تكن سيارته فخمة فارهة ومهما يكن لحراسه من هيئة فى الهيئة أو فى الملابس .

وظل الأمر بينى وبين توفيق بك على هذا الحال وانتقلت لجنة التأليف والترجمة والنشر من شارع كرداسة قرب العتبة الخضراء الى دار أنيقة وشارع فسيح بحى المنيرة وكان للدار حديقة متوسطة الحجم ذات ممشى يؤدى الى الدار . وظلمت على حرصى أن أحضر الندوة وكنت قد بدأت أكتب تمثليياتى فى الاذاعة ولكن الاذاعة شئ وأن أتكلم بين هؤلاء شئ آخر . كان صمتى فى دار المنيرة هو نفس صمتى الذى كان فى شارع الكرداسة حتى كان يوم انتهت الندوة ودخلت أنا الى الاستاذ عبد العال المدير الادارى لمجلة الثقافة وأحسب أننى كنت أسأله عن مقالة لى كنت أرسلتها وأردت أن أطمئن الى وصولها . وربما مكثت بضع دقائق أتحدث الى الأستاذ عبد العال وخرجت وأنا واثق أن جميع من كان فى الندوة قد انصرف عن الدار ولم يكذب حدسى الا فى شخص واحد وجدته واقفا وقد ركن الى عصاه فى منتصف الممشى ناظرا الى باب الدار مترقبا فى وضوح ظهور شخص ما . وفى صمت واطراق حاولت أن أميل عن وقفته متخذاً سبيلاً أمماً الى الباب الخارجى ولكن توفيق بك عاجلنى :

– هل أنت ثروت أباطة ؟

قلت :

– نعم يا سعادة البك أنا هو .

قال :

– أنا معجب برواياتك فى الاذاعة جدا . لدرجة أننى حين أقرأ فى البرنامج أن لك رواية أمكث فى البيت ولا أخرج .
للقارىء أن يتصور ذهول وفرجتى فى تلك اللحظة ولم أجد شيئاً أقوله الا :

– أصحيح هذا الذى أسمعه ؟ أنا يخيل لى أنتى أحلم !

فقال فى بساطته المعهودة .

لا والله فعلاً .

قلت :

- اذن هذه الروايات تستحق أن تجمَع في كتاب .. ترى أتقبل أن
تكتب له المقدمة ؟

وعجبت لنفسي أن أقول هذا الكلام ولا أدري حتى اليوم كيف وجدته
على لساني ؟

وقال توفيق :

- لا مانع .

قلت :

- متى أرى سعادتك ؟

قال :

- أي وقت في دار الكتب .

وأخذت رواياتي وذهبت في اليوم التالي إلى مكتب توفيق بك .

ووجدت سكرتيره صديقي الذي كنت قد تعرفت به وأحبته كل الحب
في جريدة المصري الأستاذ محمود يوسف وقد توثقت صلته بي بعد وكننت
أعتبره من أقرب الناس إلى قلبي حتى اختاره الله إلى جواره .

دخلت إلى توفيق بك وقدمت إليه التمثيليات وتحدثنا عن المقدمة
فلم أجد عنده حماسا . ولكنه قدم لي كتابه العظيم الذي كان قد ظهر في
هذه الأيام (فن الأدب) وقال :

- خذ هذا الكتاب حتى لا تكون أحضرت لي شيئا دون أن أقدم لك
شيئا في مقابله .

وأخذت الكتاب وذهبت إلى بيتي وكننت قد تزوجت حديثا . فقد
كان هذا اللقاء في خريف عام ١٩٥٠ . قرأت الكتاب جميعا في يوم واحد
وأعجبت به كل الإعجاب وأصبحت واثقا أنه لن يكتب مقسمة لكتابي
المزعوم . فقد وجدته يقول ما معناه إن كاتب التمثيلية الإذاعية ليس كاتباً
بالمعنى المفهوم .

وقد ناقشت توفيق بك في هذا ولكنه قال : انك استثناء من هذه
القاعدة ، فاعتبرت هذه الكلمة تحية منه تحاول أن تخفف من أثر رأيه في
نفسى . ولم أحاول أن أتكلم عن المقدمة وعدلت عن جمع هذه التمثيليات
فلم أجمعها إلا بعد ذلك بشمانية عشر عاما . وعدلت أيضا عن طلب
مقدمات من أحد مطلقا . لدرجة أنني بعد ذلك بقراءة خمسة عشر عاما

كنت عند الدكتور طه حسين باشا وعند انصرافي خرج معي سنكوتيره فريده شحاته يودعني فقال لي :

- كنت تقول للباشا انك انتهيت من رواية وهو كتب لك مقالات عن رواياتك السابقة فلماذا لا تحضر هذه الرواية ليكتب لها مقدمة فهو ليس مشغولا في هذه الأيام ؟
فقلت :

- أحب أن يكتب لي عنها بعد أن تصدر إذا كانت تستحق ولكنني لا أريد أن أتشفع للقارئ مسبقا بمقدمة .
فقال :

- معك حق .

وفعلا كتب الدكتور طه باشا مقالة عن هذه الرواية وهي (ثم تشرق الشمس) ونشرت المقالة بمجلة الهلال .

توثقت صلتني بعد ذلك بتوفيق بك . وأصبحت أذهب اليه كثيرا في دار الكتب كما كنت أجلس معه في ندواته . في جروبي بالقاهرة وفي بترو بالاسكندرية .

وكنا في الاسكندرية نخرج أنا وهو وصديقه المترجم الأستاذ محمود ابراهيم الدسوقي كل أسبوع مرتين نتناول الغداء ثم نذهب الى السينما ثم نتناول الشاي في اتينيوس ثم أصبحنا نتناوله في نادي السيارات بالاسكندرية . وكان كل منا يدفع حسابه . ولكنهما وجدنا أن من الأيسر أن يدفع لي كل منهما جنيها واحدا وأتولى أنا الانفاق وكان توفيق بك بذكائه المعهود يعلم أنني أدفع فتسوق كل جنيته ثلاثين أو أربعين قرشا من جيبى وكان هو سعيدا غاية السعادة أن استطاع توفير هذا المبلغ الضخم ، وكذلك كنت أنا سعيدا أن أدفع هذا المبلغ وأعفى نفسي من محاسبتها في آخر الرحلة التي كنت أعتبرها مرانا وتدريبيا على حساب الملكين . وكثيرا ما كان يصحبنا الأستاذ نجيب محفوظ في الذهاب الى نادي السيارات لتناول الشاي الذي قد يمتد الى العشاء .

ومن الطرائف التي أذكرها في هذه الأيام أننا علمنا ونحن في نادي السيارات أن والدة الأستاذ أنور أحمد توفيت ولم يكن معنا الأستاذ الدسوقي واتفقنا توفيق بك ونجيب بك وأنا أن نرسل بريقة واحدة تحمل أسماءنا نحن الثلاثة وكاتت الفكرة طبعاً من تأليف توفيق الحكيم . ورأينا أن تكون الصيغة : أحسن الله عزاءكم . ونحن أرسلنا البريقة مع

ساعى النادى وعاد بياقى الجنيه وجدنا أن تكاليف البرقية لا تقبل القسمة على ثلاثة فقال توفيق بك :

– البرقية لم ترسل بعد أوقف ارسالها ونختصرها .
فقلت :

– كيف نختصر من ثلاثة كلمات ؟
فقال توفيق بك :

– بسيطة ... أليست البرقية تقول : أحسن الله عزاءكم ..
فلنقل : أحسن الله وكفى .

ولك أن تتصور شخصا مفنودا بوفاة والدته ويجد برقية تسعى اليه
لتقول : أحسن الله . فقط .

ومن طرائفه أيضا التى لا أنساها أبنى كنت معه وحدى نتناول
الغداء فى أحد مطاعم الاسكندرية وجاء النادل يسألنا عما نريده حلوا .
وكان توفيق بك منهمكا فى الحديث بحرارة فقال :

– عندك عنب ؟

– نعم .

– هات عنب .

وحتى لا أقطع عليه الحديث قلت أنا أيضا فى سرعة :

– وأنا الآخر .. هات لى عنب .

وإذا بالجزع يرتسم على وجه توفيق بك ويقطع حديثه المتدفق ويلقف
النادل قبل أن ينصرف :

– انتظر ... انتظر .

ونظر الى

– أنت تريد عنب ؟

قلت :

– نعم ... لا بأس .

فاذا هو يقول للنادل وكأنه يحتسب الله :

– طيب هات لى أنا تين بقى .

وأراد أن يكمل الحديث فلم يجد منى مستمعا وإنما قاطعته :

– ماذا جرى ... لماذا هذا ... ؟

– ماذا ؟

– لماذا امتنعت عن المنب لما طلبت أنا لنفسى عنبا ؟
– آه • اسمع اياك أن تطلب طلبين من نوع واحد فى مطعم أبدا •
سيحضرون لك نصيبا واحدا ويحسبونك عليك نصيبين
ومازلت حتى اليوم أعمل بهذه النصيحة الغالية •
وفى أول يوم زرتة فى مبنى الأهرام الجديد نادى محمد ساعى مكتبته
وقال له :

– هات قهوة لثروت بك •
فاذا بمحمد يبقى مكانه ولا يتحرك ويقول :
– ليس عندى بن •
واذا بتوفيق بك يضحك ويقول له :

– لا ••• لا ••• لا ••• ثروت بك مستثنى ••• جيب له قهوة •
وفهمت طبعا أنه مصدر أوامر لساعى المكتب أن يقول دائما انه ليس
عنده بن للقهوة وبقي أن تعرف أن ثمن فنجان القهوة فى الأهرام فى هذه
الأيام كان عشرين مليما « قرشين » • وطبعا حين عينت بالأهرام أصبحت
أتولى مسألة القهوة هذه كلما زرتة فى مكتبته •

ومن عادات توفيق بك اللطيفة أنه اذا أراد أن يعزى أى شخص من
العاملين معه فى الأهرام يقطع ورقة على حجم البرقية ويكتب فيها صيغة
برقية ويرسلها مع الساعى ويعفى مصلحة البريد من متاعب إبلاغ
البرقية •

ولكن كل هذا الذى أرويه يخفى الحقيقة المؤكدة وهى أن توفيق بك
من أكرم الناس الذين عرفتهم فى حياتهم • وأنا لا أعرف انسانا أغلى
على أسرته المرحومة زوجته والمرحوم ولسده الوحيد إسماعيل والسيدة
الفاضلة ابنته أطال الله عمرها ما أغدقه توفيق بك على أسرته هذه •

ومن طرائفه مع المرحوم ابنه أنه طلبنى يوما فى التليفون الداخلى
فى الأهرام •

قال : هل عندك أحد ؟

قلت : نعم كثيرون •

قال : كنت أريد أن أجيء اليك •

قلت : هل عندك أنت أحد ؟

قال : لا •

قلت : اذن أجيء أنا اليك •

وذهبت اليه واذا هو يقول في عجب :

- اسماعيل يريد منى خمسمائة جنيه وأنا أريد أن أعطيها له ولكن
أريد أن أقول اننى استلقتها منك حتى يردها كما يعد •

ضحكت وقلت :

- تحت أمرك •

قال :

- سأكتب لك كميالة وأريها له لعله يرد المبلغ كما يقول •

وضحكت من هذه المسرحية المفككة وقلت :

- أنا تحت أمرك •

وأنا أقدر فى نفسى أشياء كثيرة أبسطها أن اسماعيل يعرف أن
الصلة بين والده وبينى لا يمكن أن تكون المعاملة فيها بالكميالات • ولكنى
لم أشأ أن أبدى أى اعتراض وكتب الكميالة ووقع عليها ووضعها فى
جيبه •

ومرت شهور وقال لابنه يوما :

- ثروت بك يريد المبلغ •

فقال اسماعيل رحمه الله فى ذكاء •

- يا بابا هذه أول مرة تكون فيها الكميالة مع المدين وليس مع
الدائن !

وأدرك عميد المسرح العربى الى أى حد كانت مسرحيته ساذجة ،
ولا عجب فالجمهور فى هذه المسرحية هو ابنه الحبيب •

ان صلتى بتوفيق الحكيم هى صلة بنوة من ناحيتى وأبوة من ناحيته •
وهو يشعر بينوتى شعورى بأبوته • وهو دائما يقول وزوجتك وابنك
وابنتك أسرتى أحس أن ابنتى زينب أخت لكم ، هكذا دائما أشعر بكم ،
وهو يعلم أن هذا هو شعورى وتلك هى مشاعر بيتى جميعه نحوه •

الدكتور طه حسين

حين توفي أبى فى ٢٢ يناير عام ١٩٥٣ أقيمت له حفلات تأبين من أسوان الى الاسكندرية . وأقام له مدنى بك حزين وأسرته مأتما فى بلدتهم العظيمة اسنا ووقفوا يتلقون العزاء وأرسلوا الى فى غزالة - حيث أقمنا ثلاث ليالى المأتم - برقية يقولون فيها : أقمنا المأتم باسنا فنعتذر عن حضور المأتم فى غزالة .

وكذلك فعل أبناء الزقازيق فى الأربعين فقد أقاموا ليلة الأربعين فى الزقازيق وأحياه الشيخ عبد الباسط عبد الصمد وكان هذا فى أول ظهوره .

وكان من الطبيعى أن يقيم له زملاؤه فى حزب الأحرار الدستوريين حفل تأبين مع أن الحزب كان قد حل الا أن الرجال رجال فى حزب كانوا أو لم يكونوا .

وبدأ هيكل باشا يعد لحفل التأبين . وكنت بمنزله فاذا هو يقول فجأة :

- أنا أريد طه حسين يشترك معنا .

والتفت الى أحد مساعديه وقال :

- أطلب لى الدكتور طه .

وطلب المساعد الدكتور وقال لهيكل باشا الدكتور طه على التليفون وكنت أقف بجانب التليفون مباشرة وقال الدكتور هيكل باشا :

- يا طه . .

وأصبت أنا بنوع من البهر . . هل يمكن أن يقول أحد للدكتور طه حسين باشا بأكمله يا طه ، وما لبثت أن تنبهت بعد لحظة أو هنيهة أن

التكلم هو الدكتور محمد حسين هيكل باشا رفيق عمره وصاحبه على الطريق
من أول الطريق . وقال هيكل :

- نقيم حفل تأبين لدسوقي يوم كذا وأريدك أن تشترك فيها .

وسمعت صوت الدكتور طه قادمًا الى أذن هيكل باشا وكانت تلك
هى المرة الأولى التى أسمع فيها صوته فى التليفون .
قال ، وما أعظم ما قال :

- فى هذا اليوم أنا عندى محاضرة سألقياها فى الجامعة . سألقى
المحاضرة وأعتذر عنها وأحضر التأبين وأتكلم .

ملأنى التأثر بهذا الحديث القصير . وأقيم حفل التأبين . وكان من
أروع حفلات التأبين التى شهدتها مصر .

وتفضل الأستاذان الكبيران العوضى الوكيل وأحمد عبد المجيد الغزالي
فجمعوا فى كتاب واحد ما قيل فى حفلات التأبين التى أقيمت فى أبى كمال
جمعوا فى الكتاب كل الكلمات التى نشرتها الصحف فى رثائه .

وظهر الكتاب بعد حوالى عام من وفاة أبى وظهر فى نفس الوقت كتابى
(ابن عمار) .

ورأيت من الطبيعى أن أقصد الى الدكتور طه حسين باشا وأقدم اليه
كتاب الرثاء شكرًا منا أو محاولة شكر لكلمته الرائعة التى ألقاها فى التأبين
ولوقائه العظيم الذى جعله يلغى محاضرة له . ينتظرها الآلاف ليشارك فى
التأبين ، ومحاضرة طه حسين لا ينوب عنه فيها أحد ولكن التأبين يمكن
أن يتم اذا هو اعتذر عن عدم الحضور فيه .

طلبت موعدًا من الدكتور طه حسين وأعطانيه . وقصدت اليه فى
بيته بالزمالك . فى الشارع المسمى باسمه اليوم ، وكان هذا قبيل انتقاله
الى الهرم بشهور قليلة . وصحبت معى فى زيارتى له رواية (ابن عمار) .
وفى هذه الجلسة لم أشعر الا بالانبهار فلم أكن أتصور أننى سأجلس الى
طه حسين فى حياتى .

وأذكر بعد ذلك أننى ذهبت اليه فى هذا البيت مرة أو مرتين وبدأت
العلاقة على كثير من الاستحياء من جانبى . فأنا من أشد المعجبين بطه
حسين عميد الأدب العربى وأعتبره أكبر علامة فى جيله الأدبى . وكان
الدكتور طه حسين دستورياً وكان يكتب فى السياسة جريدة الحزب ،
وكان على صداقة بأبى فى هذه الفترة وقد ذكر الدكتور طه أبى فى كتابه

(حديث الأربعاء) • ثم ترك الدكتور طه الحزب وكتب بعض مقالات كان أبي يخالفه الرأي فيها وخاصة حين كتب عن حافظ ابراهيم ما معناه أن مدحه لملكة الانجليز يشبه مدحه للأسرة الأباطية فرد عليه أبي بمقال غاية في العنف لا أريد أن أذكر منه شيئاً وان كنت معتقداً أن أبي كان على حق • ومع هذا الخلاف فإن أبي كان دائماً الاعجاب بأدب طه حسين ودائماً المديح له حتى لنا نحن بنيه وأهل بيته فأننا لم أر رجلاً في حياتي يعدل في حكمه مثلما كان يعدل أبي • لعلك تذكر كيف كان يمتدح حسن صبرى باشا كرئيس للوزراء مع أنه هو الذى حال بينه وبين دخوله وزارة محمد محمود • ولم يختره معه فى الوزارة مع أنه كان سكرتير عام الحزب وأولى رجاله بها ولكن هذا جميعه لم يمنعه أن يراه من أحسن رؤساء الوزارات الذين تولوا الحكم • ولم يحاول وهو البرلماني المتمرس الخبير أن يحرجه ولو لمرة واحدة فى مجلس النواب •

كذلك كان هو • وقد كان اعجاب أبي بطه حسين وأسلوبه لا حد له مع أن الدكتور طه كان وفدياً من الحزب المعارض لحزب أبي •

وكان الدكتور طه يروى لى دائماً كيف أنه احتاج يوماً لاطارات لسيارته أيام الحرب وكانت وزارة المواصلات التى كان أبى وزيراً لها هى المختصة باعطاء الأذن للاطارات وكان أخو الدكتور طه الشيخ أحمد حسين قد عمل مع أبى فى وزارة الأوقاف فطلب الدكتور طه الى أخيه أن يرجو أبى ليعطيه الاطارات التى يريدونها •

ويذكر الدكتور طه فى سرور بالغ أن أبى غضب لهذا الطلب كل الغضب وطلب الى الشيخ أحمد حسين أن يصله بالدكتور طه تليفونياً وقال له حين سمع صوته :

— هل وصل الأمر أن ترسل لى وساطة بينى وبينك؟! لم أكن أنتظر منك هذا أبداً •

وأرسل اليه الاذن الذى يطلبه ••

حدث أن تناول أحدهم على أعلام الأدب فكتبت مقالة عنيفة أهاجم هذا التطاول ونشرتها فى مجلة الرسالة الجديدة التى يرأس تحريرها الأخ الأعز يوسف السباعى وفى نفس الأسبوع كنا فى اجتماع كبير بنادى القصة وحضر الاجتماع رئيس النادى الدكتور طه وأبدى اعجابيه بمقالى ففرحت ولم يكن فرحى باعجابى قدر فرحى أنه يقرأ لى :

لا أدري لماذا كنت محرجاً أن أوثق الصلة بينى وبينه ؟ ربما كان

ذلك لشعوري أنه عملاق عظيم ومن حقه ألا يسطو أحد على وقته مهما يكن هذا الأحد معجبا متحمسا غاية التحمس في اعجابه .

وحدث أن كتبت روايتي (هارب من الأيام) وظهرت في الأسواق عام ١٩٥٧ وكنت وأنا أكتبها يجمع بي الخيال وأسأل : ترى هل يقدر لهذه الرواية أن يقرأها طه حسين؟ وما تلبث نفسي أن تردني في عنف : حنانيك .. ومن أنت حتى يقرأ لك طه حسين لم يبق الا أن يقرأ للبادئين من أمثالك ... اعرف قدر نفسك أيها الشاب .

ولكنني مع ذلك لم أتردد أن أذهب بالنسخة الأولى الى بيت الدكتور طه في الهرم وأترك الرواية مع بطاقة لي دون أن أستأذن في الدخول ودون أن أسأل عما اذا كان الباشا موجودا أم لا .

ومرت أيام قلائل واذا بصديق العمر أخي الذي قل أن أعرف أحدا في وفائه ورحابة قلبه أمين يوسف غراب يأتي الى البيت وهو يكاد يطير من الفرح .

– الباشا يريدك .

– حقا !

قال في فرحته الغامرة :

– انه معجب بهارب من الأيام وعاتب عليك ، لأنك لا تزوره .

فقلت له وقد أصبحت فرحته في نفسي طيوراً مجنحة دائمة الدف بجناحيها :

– وماذا تنتظر ؟ هيا بنا .

ورحب بنا الدكتور طه ترحيبا زاد من فرحتي . وبعد لحظات أخذني فيها زهول الفرح تبينت أنني سلمت دون وعي على الأستاذ الأديب عباس خضر كما سلمت على آخرين لا أذكرهم اليوم .

وقال الدكتور :

– لقد أعجبت بروايتك كل الاعجاب .

فقلت :

– انه شرف لي أن تقرأها ، فكيف اذا أعجبت بها ؟!

قال هذه الجملة التي أعتبرها أعظم وسام نلتها حتى اليوم .. اليوم وأنا في السابعة والخمسين من عمري .. ولكن ما تزال هذه الجملة أعظم وسام نلتها مكانه مني القلب لا ظاهر الصدر ;

- باخلاص لم يكتب في تاريخ العربية عن الريف المصرى مثلما كتبت أنت في روايتك (هارب من الأيام) .

وتاهت منى الكلمات وشرقت بها ورحت أجمع الحروف لأقول :

- أنا لا أتحمّل كل هذا يا معالي الباشا .

وصمت قليلا وبدا أنه يفكر كيف يقول ما يريد دون أن يفهم الجالسون ما وراء جملته وما لبث أن قال :

- أنت أديب قلت ما تريد أن تقوله عن طريق الرواية .

وفهمت اشارته فقد كانت الرواية تفضح الطغيان وتدينه بعنف .

وتغير الحديث ومكثنا بعض الوقت وجاء الوقت الذى ينبغى فيه أن نستأذن للانصراف فاذا الدكتور يقول :

- سأشذك من أذنك لا تظن أنك ستقرأ لى مديحا فقط توقع أن أشذك من أذنك .

فقلت وقد زادت سعادتى :

- ستجدنى أسعد الناس أن تشد يدك أذنى .

وخرجت . ما هذا الذى حدث ؟ ان الحياء يمنعنى أن أذكرك من هؤلاء ، فى تاريخ الأدب الذين كتبوا عن الريف المصرى . وسيشد أذنى . اذن سيكتب عن هارب من الأيام . يكتب عن أول رواية من خلقى فابن عمار لم تكن لتكتب لولا التاريخ أما هارب من الأيام فروايتى الأولى .

ذلك والله ما لم تستطع أن تسمو له أحلامى . وأنى اليوم أذكر كلما قالها عميد الحقد الأدبى الدكتور لويس عوض وكنا جلوسا فى الحرافيش فاذا هو فجأة يقول لى على غير انتظار أو توقع وبعد سنوات من ظهور هارب من الأيام كانت ظهرت لى فيها عدة روايات أخرى قال الدكتور عميد الحقد :

- أتعرف لماذا لا نكتب نحن عنك ؟

وأدركت أن نحن هذه تعنى الشيوعيين طبعا وطبعا أيقنا وأنا لا أتوقع أن يكتبوا عنى طبعا أيضا وانما أحببت أن أعرف بماذا يطمثنون ضمائرهم الأدبية فقلت :

- لا .. لا أعرف .

قال فى وقاحة جديرة به :

— لأن طه حسين كتب عن روايتك الأولى • ماذا هـل ولدت عملاقا
مثل التليفزيون ؟

وقلت فى بساطة :

— على كل حال ان كتابة طه حسين عنى تغنينى عن كل نقاد العالم •
ونقلت الحديث الى غير ما خاض فيه حتى لا أفسد السمر على الحرافيش
فى بيت أخينا العزيز الراحل محمد عفيفى •

مرت أيام قليلة بعد خروجى من عند الدكتور طه حسين وطلبتنى
جريدة الجمهورية تسألنى أن أرسل لها صورة لى لتنشر مع مقالة
الدكتور طه •

ولم أتم تلك الليلة وفى الفجر كنت أقرأ الجمهورية ووجدت المقالة
فوق ما أتوقع ووجدت الدكتور يأخذ على مأخذ فهمت ما يريد منها وفى
العاشرة من الصباح كنت على باب منزله لأول مرة أزوره على غير موعد
وقلت :

— أنا فعلا لا أعرف ماذا أقول •

قال :

— الله اذن أنت لم تزعـل •

قلت :

— فمتى أفرح فى حياتى إذا زعلت اليوم ؟

قال :

— قل لى ماذا تقصد بروايتك ؟

قلت :

— مغاليك قلت أنت أديب قال ما •••

ولم يجعلنى أكمل وقاطعنى :

— دعك مما قلت أنا وقل لى أنت ماذا تقصد ؟

قلت فى بساطة وصراحة :

— أنا أصف عهد الطغيان الذى نعيش فيه •••

فاذا الرجل يقول فى أبوة حانية :

— هيه ••• أنا فهمت هذا •

فقلت :

— وإذا لم تفهم أنت فمن ... وأنا فهمت إنك هاجمت بعض أفكار
من الرواية لتجيبني :

قال :

— برافو .. نعم هذا ما قصدت إليه حتى إذا سألك أحد يقول اسأل
طلة حسين فهو يقول غير هذا .. إنما اسمع .. أنا أستحلفك بحياتي
إذا كنت تجبني وأستحلفك بأبيك الذي أعرف أنك تحبه وتقدره إلا تقول
هذا الذي قلته لي لأى انسان ولا حتى لزوجتك ؟ هؤلاء قوم مجرمون
والله يعلم ماذا يصنعون بك إذا فهموا هذا الفهم .

كان برنامجي أن أسافر الى غزاة فى هذا اليوم فخرجت الى غزاة
وكتبت له خطابا قلت له فيه ان كتابتك عنى أهم حدث فى حياتى ولكنى
ربما كنت أصل إليها بعد سنوات إذا فاتنى أن أصل إليها اليوم .

ولم أكن أتصور أننى سألقى سعادة أكبر من أن تكتب أنت عنى
ولكنك كشأنك تسمو الى مدارج يعجز مثل أن يتصور أن انسانا يصل
إليها

انه لشيء عظيم أن يتقدنى ظاهرة من الظواهر الكونية فى التاريخ
الأدبى . ولكن الأعظم منه أن أجد فىك الأب الذى فقدته . وقد يتاح
للانسان من أمثالى أن يصلوا الى النجاح الأدبى . ولكن هيهات أن يتاح
للإنسان أن يجد أباً بعد أن يفقد أباه .

وتوثقت الصلة بينى وبين الدكتور طه حسين وكتب لي بعد ذلك عن
رواياتي « قصر النيل » و « ثم تشرق الشمس » و « لقاء هناك » .

وأذكر أننى كنت جالسا معه مرة فقلت له : إن مجلة كذا كتبت عن
معاليك مقالة أقرأتها ؟

فقال :

— لا .. ماذا قالت ؟

قلت :

— تمدح معاليك .

قال :

— من أى ناحية ؟

قلت :

— تتكلم عن جملة المشهورة العلم كالماء والهواء .

فقال :

— هيسه .

ثم ضمت قليلا وقال :

- والله يا ثروت لا أعرف ان كنت قد أصبت أم أخطأت بهذه

الشعار .

وكانت مسنويء التعليم المتسع دون اعداد علمي له قد بدأت تظهر
فأثرت الضمت وكنت اذا تأخرت في الذهاب اليه يبادرني قبل أن يسلم على
ببيتين أصبحت أحبها غاية الحب :
ان كنت أزمعت على هجرنا

من غير ما ذنب فصبر جهيل

وان تيسدلت بنا غيرنا

فحسبنا الله ونعم الوكيل

كان طه حسين من أكرم الناس الذين عرفتهم . . طالما شهادته يعطى
الفقراء ، وكان كثير من مكفوفى البصر يقصدون اليه ولا أنسى أول مرة
زاره أحدهم في وجودى ومد كل منهما يده للآخر ولكن اليمين لم يعرفه
طريقهما في الظلام الدامس الذى يعانىه صاحب كل منهما وبسرعة تقدم
لفريد شحاته وهدى اليمين الى الطريق وتضافحا . وتأثرت أنا وطفرت
الدموع الى عيني وحمدت الله أن الرجلين لم يريا دموعى التى حاولت أن
أخفيها عن فريد أيضا .

ذهبت يوما لزيارة الدكتور أنا والصدىق أمين يوسف غراب وسأل
الباشا أمين :

- ماذا تكتب الآن يا أمين ؟

وكان أمين فى الطريق روى لى موضوع قصة يكتبها وقلت له ان
الفكرة تتعارض مع الشريعة فسارعت أنا باجابة الدكتور طه :

- يكتب قصة تتعارض مع الشريعة .

ورويت له المسألة الشرعية فقال :

- أطلقك على حق . يا فريد هات المصحف .

وأحضر فريد المصحف وقال الدكتور :

- افتح على سورة النساء . اقرأ الآية التى أولها كذا . اقرأ بعدها
بآيتين . فاذا هى الآية التى تحمل القاعدة الشرعية موضع النقاش . وتلك
ذكرة لا تتأنى الا لطفه حسنين . وقد كان رحمه الله لا يسمع فى الاذاعة
الا المصحف المرتل . ولكن المشايخ القراء اذا سألتهم فانهم يقرءون السورة
كلها ليصلوا الى الشاهد الذى تريد .

أجريت عملية جراحية للدكتور طه تدهورت صحته بعدها فأصبح
يمشي بصعوبة بالغة ولكن الرجل الذي صارع اظلام البصر فصرعه استطاع
أن يصارع قيود المسير فيصرعها . فهو حريص دائما أن يرأس جلسات
مجمع اللغة العربية الذي كان يسميه الأكاديمي أو الأكاديمية ، كما كان
يعراض على إعطاء المحاضرات . وظل كذلك إلى قبيل وفاته بسنتين .
وفي هذه السنة تدهورت صحته بصورة مفاجئة ولكنه كان يصر أن يرافق
السيدة زوجته إلى فرنسا كل عام .

طلبته يوما في التليفون وكان فريد قد تركه . ورد على سكرتيره
قائلا الباشا سيسافر الآن إلى الاسكندرية ويريد أن يراك فوراً ، وبعد
دقائق كنت عنده وصعدت إليه في حجرته وكان مستلقيا في فراشه
وجلست إلى جانبه وحاول أن يخرج يده ليصافحني فلاحظت أنه يبذل جهدا
كبيرا ليحركها فأدخلت يدي تحت الغطاء وأبقيت يده حيث هي حتى
لا أجهده وانتظرت أن يقول لي شيئا يبرر قول السكرتير لي انه يريدني
ولكنه لم يقل الا . . .

— أنا متعب جدا يا ثروت . أنا متعب جدا .

وعجبت أنه مع هذا التعب سيسافر من فوزه إلى الاسكندرية في
طريقه إلى فرنسا .

انصرفت وقلبي يرتجف خشية ألا أراه بعد ذلك . ولكنه عاد وقضى
العام في القاهرة . وفي يوم طلبني سكرتيره وأخبرني أن الباشا يريدني
فذهبت فإذا هو يريدني ليهدى إلى كتابه الأخير الجزء الثالث من الأيام .
ولياذن لي القارئ أن أذكر صيغة الأهداء فهي وسام آخر أضبعه في القلب
منى مع وسامه الأول : إلى الأستاذ فلان أوفى الأصدقاء وأبرع القصاص .

وفي صيف عام ٧٣ سافر الدكتور طه إلى فرنسا .

وفي أكتوبر كانت حربنا المنتصرة وكنت في البيت ولا أدري لماذا
قفز إلى ذهني أن أسأل عن موعد مجيء الدكتور طه وطلبت الرقم وأجابني
السكرتير فإذا هو يقول في دهشة بالغة :

— غير معقول . . . لا يمكن .

قلت له :

— ماذا ؟

... الدكتور في هذه الملحظة كان يقول لي : أطلب لي ثروت لأعزبه
في وفاة عزيز باشا .

تفضل الدكتور سيكلك :

وتكلم الباشا وحياتي وعزائي وسألته :

... متى شرفت معاليك ؟

فاذا هو يقول :

... الآن .

وتعجبت أن أطلبه ساعة وصوله وسألته عن صحته فقال :

... أنا متعب جدا . . متعب جدا . وأريد أن أراك . سأطليك بعد
يوم أو يومين لأراك .

... مات الدكتور طه ولم يقدر لي أن أراه . فقد مات بعد يومين .
وسارعت الى منزله . ولقيتني سكرتيره والدموع في عينيه وهو يقول لي :

... لقد قرأ الدكتور روايتك الأخيرة «جنود في الهواء» أربع مرات وكنت
كلما قلت له اتنا قرأناها يقول نعم أعرف ولكن أريد أن أقرأها مرة
أخرى .

وغامت عيناي بالدموع

... ودخلت السيدة زوجته حجرة مكتبه حيث كنت جالسا فمع بعض
زين واذا بالسيدة الجليلة تيختضنني في حنان أم وتقربت كتفي وتبكي
على كتفي وهي تقول بالفرنسية : كان يحبك جدا يا مسيو أباطة كان
يحبك جدا .

وهي لا تدري أن حبه لي مهما يكن شأنه هو بعض حبي له .

وحسب هذا الحب عمقا أنني وأنا رجل صناعتي الكلام عاجز كل
العجز أن أصف بعضا منه .

حمام والديب وأحمد عبد الغفار باشا

لا أذكر متى عرفت مصطفى حمام . ولكن المؤكد أنني عرفته ونجحت بعد في بيت الملك الناصر ، وقد تركنا هذا البيت وأنا بين الحادية عشرة والثانية عشرة . والحقيقة أنني لم أعرف في حياتي شخصا قادرا على أن يجعل الجلسة ممتعة شيقة مثل مصطفى حمام .

لقد كان كل جالس يجد عنده ما يشتهي . فهو زاوية خيارة للشعر يحفظ أجمله وأرفعه وأكثره رقة ، وهو زاوية لا مثيل له للزجل . وهو قبل شاعر إذا شاء ارتجل الشعر ارتجالا وتحسبه جهده في صنعه كل الجهد فأنت تجد في شعره جمال السبك وحلاوة اللفظ وتماسك المعاني وتدافعها . ومهما أحاول فناني لن أستطيع أن أقل اليك المتعة الرائعة التي يفيضها حمام على أي مجلس هو فيه . يؤيده في ذلك ذكاء بارع في اختيار ما يقال في كل مجلس بحاسة لا تخطئ . يختار حديثه فإذا عمرو يجتذب الجالسين كقفل الساحر الخبير .

وأشهد أنني لم أسمع حمام عمري يذم انسانا أو ينتفض منه . وهو يملك لسانا عذبا يرضى به كل متحدث اليه ، ولعل من أطرف المواقف التي رأيتها فيها يوم طلب أبي من القاهرة وكنا نحن مع أبي في بلدتنا غزالة . وأخبر أبي أنه قادم الى غزالة وأراد أبي أن يفاجئه فأمر فنجعت من رجال البلدة مظاهرة ضخمة في مقدمتها طبال القرية وزمارها وأعدوا للقادم حصانا صافنا أصيلا وذهبت أنا بالمظاهرة ننتظر حمام على القطار في محطة أبو الأخضر التي تبعد عن غزاله كيلو مترين . ووقفت القطار وارتفع الهتاف يحييا الأستاذ حمام وذهل الرجل فقد كان يتوقع أن يكون السائق في انتظاره وان جمع الخيال فلاكن أنا مع السائق أما مظاهرة وطبل وزمر وحصان وأنا فهذا فوق ما كان يتخيل . ونزل مبهورا وركب الحصان ولم يكن قد ركب حصانا في حياته ، ويشاء حظه أن يكون الحصان عربيا راقصا فراح يوقع يحوافيره مع موسيقى الطبل والزمار . وكاد يغمر

على حمام واستحلفنى أن يركب حماما والامات من الحوف فى وسط الطريق
ورحمته وأركبته حماما وجدناه بالصدفة فى طريقنا ووصل الموكب والزعيم
القادم يركب حماما واستقبله الشاعر الكبير ابن غزالة أحمد عبد الحميد
الغزالي بقصيدة عصماء كان مطلعها :

أنت فموجيا بك يا حمام

وفى كنف العلاء يحلو المقام

وقضى معنا فى غزالة أياما لا تنسى .

أراد حمام أن يقدم عبد الحميد الديب الى أبى فجاه به وألقى عبد الحميد
أبياتا لأبى رائعة أذكر منها :

جابر الخروم وهاب المنن

جبر الله به صدع الوطن

أنت إبراهيم فاني نايف

فجع الكفار فى حطم الوطن

وكان هذا اللقاء فى أوائل الأربعمئات وكان أبى قد خرج منتصرا على
الوفد فى المعركة الانتخابية الشرسة التى رويت لك أنباءها والتى جرح
فيها عمى فكرى أباطة ولف أبى خمسة جنهات فى هيئة سيجارة وقدمها
الى عبد الحميد الديب . وخرج الديب وحمام وعاد حمام البنا فى اليوم
التالى ليخبرنا أن الديب كاد يجن من الفرح وراح يقول لحمام :

— لماذا لم تعرفنى بهذا الرجل من زمان ؟ خمسة جنهات مرة واحدة !
أنا لا أراها الا فى الأحلام .

وبعد أيام عاد البنا حمام وقال لأبى : اسمع يا معالى الباشا الشعر
الجديد الذى قاله الديب فى الأباطية .

وساله أبى :

— ماذا قال ؟

وقال حمام :

قال :

أبلغ أباطة عنى أنهم ورثوا

ملا ولم يرثوا ديننا ولا خلفا

واندهش أبي وراح يضحك لهذا الانقلاب وسأل حمام عن سره
فقال حمام :

— سألته :

وقال أبي :

— فماذا قال ؟

قال حمام :

— قال : خمسة جنيهات ايه يا أستاذ هو باع القطن بكام السنه دى .
وضحك أبى ولكنه قال فى ذكاه السياسى المحنك :

— المسكين وقع فريسة لحبيث أراده أن يهجوني حتى يقطع عنه
ما أعطيه .

وصاح حمام :

— أطال الله عمرك يا باشا . هذا فعلا ما حدث لقد أغراه بك كامل
السنواى .

ولم يفضب أبى من عبد الحميد الديب وظل يصله

وحدث بعد ذلك بسنوات أن ذهب عبد الحميد الديب الى معالي
البحر حوم أحمد باشا عبد الغفار فوجد الياشا فى الطابق الأعلى فأرسل اليه
أبياتا يمتدحه بها فأرسل له أحمد باشا خمسين قرشا ففضب عبد الحميد
الديب وأعاد الخمسين قرشا ومعها هذه الأبيات :

كسرت ابا عثمان قلبى وخاطرى

وقد خلت منك العطف فى العيش جابرى

وما جئت استجديك خمسين لعنة

ولا مر هذا الميل يوما بخاطرى

ففى كل غفار خلال ذميمة

وأخلاق نذل ساقط الأصل داعر

إبالة اسمى منكمو فى نجارها

واندى اكفا فى صلوات العشائر

وأذكر اننى كنت فى صباح ذلك اليوم واقفا بجانب أبى وهو يحلق
ذنبه فى حجرتة على عادته ولم يكن عندنا أى فكرة طبعاً عما حدث

لأحمد باشا ، وإذا بالتليفون يضرب ويخرج إلى أذني صوت أحمد باشا عنيفا ودون تحية الصباح ودون أن يسألني من أنا فقد كان يعرف صوتي من كثرة ما أجبته في التليفون :

- فبن أبوك ؟

وأعطيت السماعه لأبي وطل صوت أحمد باشا يصل إلى أذني وكانني أضع السماعه على أذني .

- انت باعت لي الواد بتاعك يشتمني على الصبح

وعجب أبي وقال :

- واد مين ؟

وروى أحمد باشا لأبي القصة ولم يكن محتاجا أن يؤكد أبي له بأنه لا يعرف شيئا عن هذه الحكاية ولكن أحمد باشا قال :

- دي آخرة تدليك للعيال الشعرا بتوعك رول

وراح أبي بعد أن وضع السماعه يضحك ويخرف كفا بكف وهو يقول لنا في مرح ضاحك :

- بس أنا مالي . . . ما دخلي أنا ؟

وزحنا نحن أيضا نضحك مما فعله الشاعر بعد الحميد . وبما أنني رويت عنه فأنني أحب أن أثبت هنا ما وصلت إليه في شأنه . لقد كان هذا الشاعر يستعذب الفقر والضعف . وكان يخشى أن يجزى المال في يده فلا يقول شعرا . وهو فعلا لا يستطيع أن يجيد إلا في شكوى الزمن . اسمعه يقول :

بين النجوم أناس قد رفعتهموا

إلى السماء فسيتبوا باب أرزاق

ومن جنبه الطلاب اخلاق نشوتها

عدا على الكاس طورا أو على الساق

وقد اتصلت أسبائلي بالرجل أحمد باشا قبل الغفار بعد وفاة أبي . وكان هذا طبيعيا . ففي حياة أبي كانت ضلته مباشرة ولم يكن أتصور أن أحمد باشا من أحسن الذين يقرءون الأدب وله فيه ذوق رفيع وحس رقيق . وكان في جلسته متحدثا لبقا وكان كاهلنا في القرى يروى الكثير من الترائع . ومما رواه أن أحد وزراء الداخلية استعده في أحد الأيام وهو بعد شاب في أول حياته السياسية وكان يريد أن يتعرف رأيه في المرشحين

وكان أحمد باشا حزيناً وفاقاً بالصوت المرتفع الجهور . ومن أطرف النكات التي تروى عنه أنه حين كان وزيراً للزراعة جاء أحد أصدقائه ليقابله فاستقبله السكرتير قائلاً له إن الباشا مشغول . وجلس الضيف وإذا بصوت الباشا يملأ أجواء حجرة السكرتير وشعر السكرتير بالحجل فأراد أن يعتذر للضيف فقال :

– لا مؤاخذه يا سعادة اليك أصل الباشا يكلم تلاً . وتلامي قرية الباشا وفيها زراعة التي كانت معروفة في مصر جميعاً أنها زراعة نموذجية بحيرة الباشا القائمة بفلاحة الأرض . وتلامي قرية من المتوفين .
وإذا بالضيف يقول في سرعة خاطر رائعة :

– ولماذا لا تقولون للباشا يكلم تلاً بالتليفون بدلاً من هذا الزعيق؟!
رحم الله أحمد عبد الغفار باشا الذي عاش رجالاً ومات رجلاً على رغم كل ما أحاطه به الدهر في أخريات أيامه من تحديات واجهها في شموخ العظمة وفي كبرياء الكرام .

★

الدكتور محمد حسين هيكل باشا

كنت كما أخبرتك في رأس البر حين ظهرت نتيجة الثقافة . وولدت شهادة الثقافة وأصبحت طالبا بالتوجيهية . وأزحت عن كاهلي مشقة انتظار النتيجة وانطلقت أقرأ ما كنت أهفو الى قراءته من الكتب . وما كان انتظار النتيجة مانعي عن القراءة ولكن ما أبعد الفارق بين قراءة مفزعة يملؤها رعب انتظار النتيجة وقراءة هائلة خالية من الخوف . وكنت قرأت حياة محمد قبل هذا بسنوات ولكن طاب لي أن أعيد قراءتها . وكنا في رمضان فكنت أنزل الى البحر حتى الساعة الواحدة ظهرا ثم أعود الى العشة والبس ملابس العادية وأجر كرسيًا ومظلة بحر وكتاب «حياة محمد» . ولا أشعر بالحياة حتى تغرب الشمس وأضيق بغروبها كل ضيق وربما كانت هذه الأيام الوحيدة في حياتي التي كنت أرجو فيها وأنا صائم ألا يأتي الغروب .

وكان المرحوم محمد حسين هيكل باشا يصطاف في رأس البر معنا فهد كان الجميع يصطافون في رأس البر في زمان الحرب العالمية الثانية التي أثرت أعظم الأثر في الدول المشتركة فيها وغير المشتركة .

وبعد الانفطار كنت أذهب مع أبي ليجلس مع أصدقائه في فندق كورثيل على النيل . وسألني هيكل باشا :

— ماذا تقرأ الآن يا ثروت ؟

فأجابه أبي :

— يقرأ «حياة محمد» للمرة الثانية وأنا أنصحه بأن يذاكر للبكالوريا التي سيمتحن فيها العام القادم .

وقال هيكل باشا :

— اتركه يا دسوقي يقرأ ما يريد فكتب المدرسة سيقروها على أي حال ولكن ربما لا يجد فرصة أخرى ليقرا ما يقرأ الآن .

كنت في هذه الجلسات أجلس صامتا كشأنى في جلسات لجنة التأليف والترجمة والنشر . وكان جلوسى غالبا بجانب هيكل باشا .

مال يوماً على وقال :

• هل فرغت من « حياة محمد » ؟

قلت :

• نعم .. وأحسب أنني سأعود إليه مرات بعد ذلك .
وفعلاً عدت وكتبت عنه تمثيلات إذاعية أذاعتها محطات العالم العربي
كله بعد ذلك بسنوات قليلة وعاد هيكل باشا يسألني :

• لماذا تقرأ الآن ؟

قلت :

• أقرأ الموثقيات .

قال :

• ما آخر قصيدة قرأتها ؟

قلت :

• مصائر الأيام .

قال :

• أتخفظ منها شيئاً ؟

قلت في حجل :

• نعم .

قال :

• قل .

فبدأت أقول :

وأجيد بأيامه أحبيب

ألا حينذا صحبة المكتب

ومضيت فرويت له بضعة أبيات وسكت مقدرًا أنه ربما يريد أن يعود
إلى مشاركة أصدقائه حديثهم ولكنه قال في ذكاء وادراك لما أفكر فيه :

• أتخفظ بعد هذا ؟

قلت : نعم .

قال :

• أكمل .

وأكملت ، ظلمت أسنكت ويطلب مني أن أوصل حتى رويت له
القصيدة كلها وكنيت حفظتها عن ظهر قلب .

وأصبح هيكل باشا يصحني بعد تلك الجلسة في مشيته الطويلة
حول رأس البر وما كنت وما أنا حتى اليوم من هواة المشي ولكن إذا كان
المشي في صحبة هذا العلامة من علامات التاريخ الوطني والسياسي فلتذهب
هواياتي كلها الى الجحيم .

ومن الأحاديث التي أذكرها في هذه المشيات أنني قلت له يوما :
- لا بد أن شوقي كان شجاعا كل الشجاعة يا معالي باشا .

قال :

- لماذا ؟

قلت :

- ألم يشتم الأمير حسين الذي أصبح السلطان حسين كامل حين ذهب
الى حفلة توديع كرومر بقوله :

شهد الحسين عليه لعن أصوله

وتصدر الأعمى بها تطفيلًا

فقال هيكل باشا :

- للأسف لم يكن شوقي كما كنا نود من الشجاعة .

فالأمير حسين في ذلك الحين كان مغضوبا عليه من السراي .

وقد كان شوقي يمدح من في الحكم ولا يعارض الا اذا كان وانقا أن
شرا لن يناله .

قلت :

- عجيبة

قال :

في تصور أنه بدأ يكتب قصصه في مدح محمد باشا محمود وهو
رئيس وزارة ١٩٢٨ وسقطت الوزارة فلم يكمل القصيدة .

- أتذكر معاليك شيئا من هذه القصيدة ؟

قال أذكر البيتين اللذين قالهما . قال :

هات الأمانة يا محمد هاتها

راعى الأمانة أنت وابن رعاتها

أنا لا أرى صداً الحديد على يد

رددت الى الأوطان جرياتها

وكان بهذا يرفع عن محمد باشا تهمة صاحب اليد الحديدية التي أطلقها عليه خصومه مستغلين فرصة كلمة قالها انه سيقضى على القوضى بيده من حديد .

قلت لهيكل باشا :

- ومع ذلك فمعاليك كتبت له مقدمة رائعة للجزء الأول من ديوانه .
فقال :

- وإذا طلب مني أن أكتب له مقدمة في أى وقت ما تأخرت . اننا يجب أن نفرق بين الشاعر والسياسي . وشوقي الشاعر هو أعظم شعراء العربية على الإطلاق .

وفي يوم كنا في القاهرة وكان هيكل باشا عندنا في البيت يشرب فنجان قهوة واقفا لا أدري لماذا ربما لمجرد أنه لم يكن يرغب في الجلوس . وقرأت أنا في مجلة أن راقصة تقاضت مبلغا كبيرا من المال في مقابل رقصة لها وأحببت أن أفأكه الباشا فقلت :

- أرايت هذا الخبر يا معالي الباشا راقصة تتقاضى كل هذا المبلغ في رقصة كم تأخذ معاليك في كتاب بأكمله ؟!

فأجاب في جدية :

- يا بني لا ما هكذا يكون الحساب . هؤلاء الراقصات ذفن الجوع والاذلال فترات طويلة من حياتهن أما نحن فقد عشنا عمرنا كراما على أنفسنا وعلى الناس والحمد لله .

وبعد الثورة استدعته محكمة ثورية ليشهد شهادة تكون ذات اثر في ادانة فؤاد سراج الدين فاذا هو وهو رئيس الحزب الذي يعتبر المعارض الأول لحزب الوفد حزب الأحرار الدستوريين يعلن في شجاعة منقطعة النظير أن منابن المجالس النيابية لم تشهد نائبا ولا شيخا في ذكاء فؤاد سراج الدين وبراعته الا في النادر من الرجال . وأعجبت بما قاله وقصبت اليه أهنته فقال في كبرياء :

- وهل كنت تنتظر مني غير ذلك ؟ الحارب خصما وهو في مازق ؟

وهو محق فقد ذكرت له لحظة ذاك يوم تخطاه الملك في رئاسة الوزارة وعين ابن ايمم باشا عميد الهاوي وأراد الملك أن يعتذر اليه فاستدعاه وقال له في لطف :

ت ستأتي اليك رئاسة الوزارة يا باشا لا شك .

فاذا هيكل العملاق يقول له :

- يا جلالة الملك أنا حين أجلس الى مكتبي وأكتب تصغر أمام عيني كل كراسي الحكم .

وقد أوشك الرجل أن يقول حتى كرسى عرشك .
ولهيكل باشا حديث معى لا أتصور أن أتحدث عنه ولا أذكره . فقد توفى خالى سعد الدين أكبر أخوالى وأكثرهم حنوا على وأقمنا المآتم بالزقازيق .

وكنت أنتظر نتيجة التوجيهية أو الثانوية العامة كما يسمونها الآن فرأيت أن أعجل بالسفر الى مصر لأتلقف أخبار النتيجة وكان أبى سييبت فى غزاة ودار الحديث أمام هيكل باشا فقال فى بساطة :

- تعال معى . . أنا فى السيارة وحدى مع خالتك عزيزة .

وسارعت بالقبول .

وفى السيارة سألتنى :

- تنتظر نتيجة التوجيهية ؟

قلت : نعم .

قال :

- وعلام تنوى ؟

قلت :

- الحقوق ولو أننى أفكر أحيانا فى الآداب

فقال :

يايك ، ان الذى ستحصله من كلية الحقوق لا يمكن أن تحصله الا من كلية الحقوق أما الآداب فتستطيع أن تدرس علومها دون كلية .
وهأنذا أمامك دراستى حقوق والماجستير والدكتوراه حقوق ومع ذلك يقولون عنى أنى أديب .

ولم أعد أفكر فى كلية الآداب بعد ذلك ، وتذكرت أن هذا الرجل الجالس أمامى نال الحقوق واللغة الأساسية الإنجليزية وكذلك الماجستير ثم نال الدكتوراه باللغة الفرنسية . . انه ظاهرة كونية هذا الرجل .

فى هذا اليوم الذى ذهبت لأهنته بشهادته ذات الرفعة والاباء قال لى ساقص عليك قصة كلما رويتها أعجبت بأبطالها وحزنت ، لأنهم كانوا مع ذلك غزاة محتلين . يراعون العدل مع الأفراد ولا يراعون العدل مع

الأمم • في يوم من الأيام جاءني استدعاء الى محكمة الانجليز العثمانية • وحمل الاستدعاء ضابطان بريطانيان ضحيتان في سيارة محترمة الى المحكمة • وجلست في مقاعد المحامين حتى جاء دور القضية التي طلبت من أجلها فنودي اسمي ومثلت أمام المحكمة • وأمسك القاضي بجريدة السياسة وسألني : هل أنت رئيس تحرير هذه الجريدة ؟ فقلت : نعم • قال : أهذا يصح ؟ وأشار الى مقالة قرأت عنونها فعرفتها كانت مقالة يهاجم فيها د • طه حسين الأستاذ محمد أبو شادي وكان الانجليز يعتقلونه عند ظهور المقالة فتعجبت : ما هذا الذي لا يصح !؟ اننا نهاجم رجلا انتم تعتقلونه ماذا في هذا ؟ فقال القاضي : في هذا اننا نعتقله • ألا تدري اننا حين نعتقله تصبح كرامته امانة في أيدينا ؟ كيف تهاجمون شخصا لا يملك الرد عليكم ؟ فقلت في سرعة : من هذه الناحية انتم محقون وأعدك ألا يتكرر هذا • فقال : شكرا • وانصرفت وأنا أتعجب : كيف يكون للانسان عندهم هذه القدسية وتجدهم في معاملتهم للدول قراصنة بلا خلق ولا ضمير على الاطلاق !؟

توثقت صلتى بالمرحوم هيكل باشا يزيدها لأنها كانت علاقة عائلية فالذمتى صديقة زوجته وابناء وبناته نعتبرهم طول عمرنا في بيتنا اخوة لنا •

و شاء القدر أن يلحق بالرفيق الأعلى عام ١٩٥٧ وأردت أنا والأستاذ الشناوي أن نقيم له حفل تابين وأخبرنا بذلك أحمد باشا عبد القفار فدعانا للقاءه مع كبار رجال الحزب في نادي محمد علي ولم يكن والشناوي أعضاء فانتقل اليها الباشا وأصدقائه في غرفة الضيوف وعرضنا رأينا واذا بوزير سابق من وزراء الحزب آكن له كل اكبار واجلال يقول :

والله أنا أرى الوقت ليس مناسباً فالقورة الآن باطشنة وليست الطال كما كان عند وفاة المرحوم وذلك وأرى أن لا داعي أن تشير علينا البراكين وتعطل مصالحنا •

وساد بعض الصمت بعد حديث الباشا فوجدت نفسي أقول في سرعة وفي جسم :

يظهر يا معالي الباشا أنني لم أحسن عرض فكرتي • أنا لم أخضر للقاء معاليكم والباشاوات لنستأذن في إقامة الحفل ، وانما جئت أنا والأستاذ الشناوي لنخطركم أنني والأستاذ الشناوي سنبقى تابين لهيكل باشا ونسألكم فقط إن كان أحد منكم يحب أن يشترك فيه أم لا ؟ انما الحفل سيقام على أي حال يا معالي الباشا •

وصمت الباشا فترة ثم قال :
- أفكر .

• أما الباشاوات الآخرون فقد وافقوا على الاشتراك جميعهم في الحفل .
وأقيم حفل التأيين وأشهد أمام الله وأمامكم أن الباشا الذي حاول
أن يمنع اقامة حفل هيكل باشا ألقى كلمة اعتبرها أنا أجراً كلمة ألقيت
في الحفل جميعا .

رحمهم الله جميعا رجالا حين يعز الرجال . جمعوا الاباء والكبرياء الى
العلم الباذخ والحلق المتفرد الرفيع .

العوضى الوكيل

كنت أنتظر الشهادة الابتدائية بفزالة حين أمرنى أبى أن أصحب
الشاعر العوضى الوكيل الى الزقازيق ليستقل القطار الى القاهرة وكانت
وسيلة المواصلات المتاحة عربية حنطور .

وفرحت أننى سأصحب هذا الشاعر الذى أقرأ له فى الأهرام فترة
ساعة تقريبا .

وبدا الحديث . أكلمه فى السفر ويكلمنى فى المقرر وكان واضحا أنه
يرفض أن يقبلنى كأحد هواة الأدب والشعر فأسلمت أمرى الى الله
وسكت كل منا .

وبعد ذلك عرفت أن سكوته كان أعجوبة فى ذاته فهو بطبيعته لا يحب
أن يسكت أبدا .

التقينا بعد ذلك فى القاهرة وعرفتى العوضى تمام المعرفة وعرفته
تمام المعرفة فلم أر فى حياتى شخصا نقى السريرة طيب النفس محبا للخير
مثل هذا الرجل .

تعودت بعد ذلك أن أسمع شعره وأعجب به ، الا أننى كنت كثيرا
ما أداعبه فأنقده بعض الألفاظ فى أبياته فكان لطيبته وسلامة نفسه يرتج
عليه وترتسم على وجهه معالم الحيرة .

وقد عرف هذا عنى بين أصدقائنا من الشعراء والأدباء . حتى لأذكر
أن الشاعر الرصين الأستاذ خالد الجرنوسى أنشد قصيدة فى حفل أقامه
أدباء العروبة بمناسبة حصولى على ليسانس الحقوق ، وقد كان هذا الحفل
تحية من هذه الجماعة العظيمة الوفاء لأبى وليس لى بطبيعة الحال وخاصة
أنه لم يكن وزيرا فى ذلك الحين . وكانت قصيدة الأستاذ خالد الجرنوسى
غاية فى الجمال وقوة السبك وأستاذن فى ذكر هذا البيت منها لأستشهد به
على ما كان بينى وبين الأستاذ العوضى من مداخلات :

الناقد الطين اللبيب رأيت

يتفزع العوضى من نقدانه

وأذكر وأنا أنتظر نتيجة التوجيهية أن دعائي العوضى لانزل ضيفا على كابينته فى أبى قير التى كان قد استأجرها واضطره العمل مع أبى فى القاهرة - فقد كان يعمل فى مكتبه - ألا يذهب الى أبى قير الا بعد عشرة أيام من تاريخ عقد الإيجار وقبلت الدعوة ودعوت معى أيضا الأستاذ عثمان نويه .

وقبل سفرنا بأيام قليلة كان قد ظهر للعوضى الوكيل ديوان أصداء بعيدة وكان قد استكتبنى فيه كلمة عن الهجاء فى الشعر العربى . وكنت فى ذلك الحين أكتب نقدا فى جريدة الرسالة فكتبت كلمة قاسية عن الديوان وأشهد اليوم أننى ما أردت بها الا مداعبة الشاعر العظيم واتهمته فى الكلمة أنه يكتب شعره بسرعة فائقة لا تسمح له بالتجويد . وسلمت الكلمة للأستاذ محمد سكرتير تحرير الرسالة وسافرت أنا وعثمان نويه لنقض أسبوعا فى كابينته العوضى الوكيل وكنت أرجو أن تتأخر الكلمة فى النشر حتى لا تظهر وأنا فى ضيافة الرجل . ويشاء العلى القدير أن تظهر الكلمة فى نفس اليوم الذى أنتظر فيه العوضى وعائلته على القطار لأسلمه مفتاح الكابينة . وكنت أعتقد أنه سيحمل الأمر على محمل المزاح كما تعودنا ولكننى وجدته حزينا وأخبرنى أن السيدة حرمه بكت لما قرأت الكلمة فرحت أمرح معه وأسترضى السيدة العظيمة زوجته حتى ضحكا وزال تماما ما علق بأنفسهما وقال العوضى :

- على كل حال أنا كتبت ردا عليك سيعلمك ألا تصنع هذا معى

أبدا .

فقلت له فى مرح الشباب وغروره :

- وليه يس ؟ طيب أنا سأرد على الرد وأريك .

ضحكنا وسلمته الكابينة وكان أبى قد جاء الى الإسكندرية وذهبت لأقيم معه فى البيت الذى استأجره فى عامنا هذا وظهرت مقالة الأستاذ العوضى فوجدته يقول فيها : « ان معالى والده معجب بسرعتى فى كتابة الشعر » ووضعنى هذا القول منه فى مركز خرج ولكننى وجدت منقدا . فكتبت كلمة قصيرة جدا قلت فيها : « يظهر أن الأستاذ العوضى الوكيل قرأ مقالتي بنفس السرعة التى يكتب بها قصائده . أرجو أن يقرأ مقالتي مرة أخرى » ونشرت الكلمة فى نفس اليوم الذى كنت أتمشى فيه مع العوضى فى ميدان المنشية بالإسكندرية والتقىنا هناك بالشاعر السكندرى الكبير عبد اللطيف النشار ولم يكن يعرفنى فاذا به يبدأ العوضى وهو يصفحه بقوله :

- ثروت أباطة قتلك اليوم بالرسالة .

فصاح العوضى :

- هذا هو ثروت أباظة يا سيدي
- وضحكنا جميعا

ومن المداعبات التي لا أنساها مع العوضى أنه عين بعد ذلك مديرا لمخازن البريد وكان فرحا بالمنصب غاية الفرح فكتبت عنه مقالة في جريدة المقطم قلت فيها : انه يضع على باب حجرتة حاجبا له شارب كعارضة المرور فاذا أراد أن يسمح لأحد بالدخول فانه يرفع شاربه ليسمح للدخول بالمرور .

وأذكر أنني قلت في آخر المقالة لقد خسر فيه الأصدقاء شاعرا مجيدا وما أظنهم كسبوا مديرا جديدا .

وفي يوم الجمعة التالي لظهور المقال كنت مع العوضى عند عملاق الأدب الاستاذ العقاد فقال له بصوته العظيم كصاحبه : ان ثروت قال عنا ما نريد أن نقوله لك . وكان العوضى من أبناء العقاد المقربين وكان يعجب بشعره غاية الاعجاب .

والحقيقة أن العوضى الوكيل يعتبر علامة وضيئة في جيله . وكان عزيز باشا أباظة يعتبره أكثر شعراء جيله رصانة وقوة سبك وتدققا . وأنا لا أستطيع أن أنسى فضل العوضى على أستاذا في اللغة العربية . فهو أعلم من عرفت بأصول اللغة وقواعدها سواء كان ذلك في النحو والصرف أم في علم البيان . وقد كان متفوقا في ذلك على اخوانه وهم العلماء الكبار في هذا الميدان فهم أبناء دار العلوم التي أرسيت قواعد اللغة العربية عهدا عهيدا من الزمان والتي ظلت علما خفاقا في هذا الميدان . ولم ينكس العلم الا حين أصبحت كلية تقبل أى منتسب لها بعد أن كانت لا تقبل الا حملة ثانوية الأزهر الذين كانوا يدخلونها وهم حافظون للقرآن الكريم جميعا مع ألفية ابن مالك ومع اتقان لعلوم الأزهر التي تعد الشاب أحسن اعداد لتلقى الدراسة العليا في كلية دار العلوم .

والاستاذ العظيم العوضى لم يكن يدرس لى أثناء السنة ولكنه كان يوفائه الذي لا مثيل له يبيت في منزلنا ليلة امتحان اللغة العربية ويراجع معى كل القواعد لا يترك منها شيئا . وكانت تكفينى هذه المراجعة لأحصل على درجة مشرفة في مادة اللغة العربية .

وقد كرم الله العوضى الوكيل اكراما لا مثيل له في أبنائه فابنه البكر ممدوح طبيب عظيم في الولايات المتحدة الأمريكية وابنه الأصغر شريف حاصل على الدكتوراه في العلوم وأستاذ في جامعة الأزهر وابنته الوحيدة . شفيق حاصلة على الدكتوراه في الهندسة وأستاذة هي أيضا .

وقد درس شعر العوضى الوكيل في عديد من الكليات في مصر والخارج
وكتبت عنه دراسات كثيرة وأنا مهما أتحدث عن عظمة شعره لن أبلغ
ما أريد في وصف هذه العظمة ، رحم الله الشاعر العظيم في الخالدين .

وبعد فهذا نثار من ذكريات لا يجمعها في نفس جامع الا الحب
لمن ذكرت . لم أذكرهم لأكثر عددا ولكنني لم أجد بيني وبينهم من الذكريات
ما يجوز له أن يروى .

فقد عرفت مثلا شيخ القضاة الرجل الذي كان جبلا ضخما في عصره
من الفقه والخلق الأدبي الرفيع عبد العزيز باشا فهمي ولكنني عرفته كما
يعرف الحفيد جده . وعرفت الرجل الذي كان سمة عصره في الكبرياء
والوطنية ابراهيم باشا عبد الهادي وكنت منه لفترة طويلة بمثابة الابن
وعرفت غهما كثيرا من اعلام العصر أو من الأصدقاء الذين أبادلهم أجمل
الحب وأكثره صفاء ويبادلون . ولكن لم أجد شيئا يهد لي العذر أن
أذكرهم عندك .

أم كلثوم

نشأت وأنا أجد أم كلثوم صديقة لوالدتي ولأسرتي جميعا . فمنذ وعيت أراها في بيتنا كأنها واحدة من أسرتنا لا نفرق بينها وبين قريباتنا إلا أن اسمها لا يحمل لقب أباطة . وقد كان عمي عبد الله فكري أباطة وزوجته من أكثر الناس صلة بها . وقد كان يدعوها الى بيتنا في غزاة دعوات متكررة تروح بها عن نفسها وتترك نفسها على سجيتها ، وكان لنا قريب مقيم بالريف اسمه السيد حسن أباطة . وكان يحب أن يمازح الناس وكان مزاحه في غالب الأمر شتيمة وسبابا . وقبل أن أروى مازحة السيدة أم كلثوم له أذكر عنه قصة من أطرف القصص التي سمعتها .

ركب يوما حصانا وأخذ طريقه الى بلبيس وهي تبعد عن كفر أباطة حيث يقيم حوالي عشرة كيلو مترات . وكان في ذلك اليوم يلبس حلة بيضاء ناصعة وكان يعتنى بشاربه كل العناية ويبرمه الى أعلى في فخامة وضخامة أيضا ويلبس الطربوش طبعاً .

سار في طريقه الى بلبيس وراح يمازح ضباط الشرطة في النقطة التي يعملون بها وكانوا جميعاً أصدقاءه . وكان الحرقان فكان يميل على كل نقطة يشرب ماء أو ما يقدمونه له من مياه غازية .

ووصل الى بلبيس وراح يمازح في شتيمة وسب الضابط المسئول عن النقطة الواقعة على مشارفها ثم تركه وراح يقضى ما جاء من أجله الى بلبيس وبينما هو عائد مال على ضابط النقطة وراح الضابط يسرف في تحيته وأقسم ان يقدم له زجاجة مثلجة من الكازوزة وقابل التحية بالشتيمة وشرب الزجاجة وانصرف .

وما هي الا بضعة خطوات حتى أدرك ما صنعه به ضابط الشرطة . فقد سقاه شربه شديدة المفعول زاد من قوتها تقافز الحصان في مشيته . ولك أن تتصور رجلاً وقور المظهر ذا شارب يقف عليه الصقر يلبس حلة ناصعة وطربوشاً أنيقاً تفاجئه الحاجة في عرض الطريق دون بيت يستر أمره .

وراح يقضى حاجته في الحقول كل خمس دقائق أو عشر ، والطريق

طويل والحرق قائل وضباط النقطة يعلمون جميعا ما صنعهم زميلهم في
بليبس فقد أخبرهم به بالتليفون الذي يربط بينهم فهم جميعا يترقبون
مرور السيد بك :

– انفضل يا سيد بك .

ويعرف من وجوههم أنهم على علم بالمؤامرة .

– الله يخرب بيتكم جميعا . والله لانتقم منكم شر انتقام .

ولكنه متقطع الأنفاس لا يكاد يقيم أوده على الحصان وقد اجتمع عليه
الحرق والحصان والعرق ومفعول الشربة .

وحين بلغ بيته كان قريبا من الموت لولا أن أهله أسعفوه بما يسعف
به من في مثل حالته .

ومع ذلك لم يكف السيد بك عن المزاح الشاتم لأصدقائه الذين
كانوا يحبونه كل الحب .

وكانت أم كلثوم تحب أن تمازحه وتستخف دمه فكان اذا جاءت
الى غزاله يأتي فيقيم في بيتنا طوال المدة التي تقضيها أم كلثوم في غزالة ،
ومن أجمل ما سمعناه منها له تلك النكتة الشهيرة التي أصبحت على كل
لسان . نظرت اليه طويلا بعد نوبة سباب انهال بها عليها ثم قالت له :

– يا سيد بك .

ودون توقع منه قال في وقاحة :

– نعم يا بنت الشيخ ابراهيم .

فاذا هي تقول له في بساطة :

– شنبك متربى أحسن منك .

ويحمر وجهه من الغيظ ويدرك أن هذه النكتة ستلاحقه طول حياته
وأن مصر جميعها سترددوها ويحدث ما توقعه ولا يبقى من السباب الذي
راح ينحدر من فمه شيئا .

كنت في العاشرة أو أقل في هذه الأيام التي كانت السيدة أم كلثوم
فيها عندنا في إحدى زياراتها . ولا أستطيع أن أنسى ليلة فيها اجتمعنا
كلنا حولها أبي ووالدتي وعمي عبد الله والسيدة زوجته التي كنا ندعوها
ثيتا . وراحت أم كلثوم تغني دون أن يطالبها أحد بذلك فقد كانوا جميعا
يقدرون أنها ان جاءت الى غزالة لتكون على كامل حريتها وكانها في بيتها .
وهكذا طاب لها هي أن تغني فغنت وبغير موسيقى وأشعر يومذاك أبي

أحسست وأنا في سنى الصغير هذه أننى انتقلت الى عالم سماوى وأصبحنا جميعا مع هذا الصوت الذى حسبت أنه قادم من السماء مباشرة وكانما أدركت الفنانة الملهمة المشاعر السماوية التى أحاطت بنا فإذا هى تبسمل وتستعيد من الشيطان الرجيم وتبدأ فى قراءة القرآن • الملائكة فى هذه الساعات حولنا والظلام الذى يلف الكون أصبح نورا الهيا ما شهدنا له مثيلا من قبل ولم تشاهد له مثيلا من بعد وظلت هذه المعجزة الربانية وتساعد بنا الى السموات حتى الفجر وأنا طفل مفيق لا أفكر فى النوم وأن يظل طفل ملاً يومه باللعب والجري طول اليوم يقظا مفيقا حتى مطلع الفجر أمر لا يحدث الا أن ذلك الطفل يشهد معجزة لا عهد للبشر بها •

وكانت نهاية تلك الليلة جديرة بها • فان أم كلثوم حين أدركت أن الفجر قد شق اليوم الجديد قامت وقمنا وراءها وخرجت الى شرفة البيت وبأجمل صوت سمعناه أذنت أم كلثوم لصلاة الفجر • وبيتنا فى القرية يبعد عن بيوت القرية بمسافة لا تقل عن الكيلومتر • ولكن أهل القرية استيقظوا على صوت داعية السماء المعجزة وتقاطروا وتتقاطر منهم أمواه الوضوء ووقفوا صفوفا يستمعون الى أجمل أذان سمعوه فى حياتهم ثم اتجهوا الى مسجدنا فى القرية وأقاموا الصلاة وظلت صلتنا بالسيدة المعجزة وطيدة طوال حياتها •

وأذكر أن أبى قبل الحرب كان يحلو له أحيانا أن يقضى جانباً من الصيف فى أوروبا ليعالج الروماتزم فى بلاد تخصصت فى ذلك فكان عمى عبد الله فكرى يستدعيني أنا وأخى شامل لنقضى الصيف معه فى رأس البر • وكانت السيدة أم كلثوم تصطاف فى ضيافة السيدة زوجته وكان يصحبها ابن أخيها صديقى محمد دسوقى وأخته • وأذكر واقعة تدلك على قيمة الجنيه المصرى فى ذلك الحين • حدث أن دعيت أم كلثوم لاقامة حفل زفاف فى القاهرة قبيل انتهاء الصيف • وأرادت أن تعتذر فقد كان عندها رغبة شديدة أن تكمل مصيفها • وتداولت الأمر مع عمى عبد الله وانتهى رأيهما أن تطلب مائة وخمسين جنيها لاقامة الليلة • وكان هذا الطلب على سبيل التعجيز لأصحاب الفرح • وكنا فى منتصف الثلاثينات قبل الحرب العالمية الثانية ببضع سنوات ولم يكن فى رأس البر كلها الا تليفون واحد له كابينه على النيل وطلب الى عمى عبد الله أن أذهب فى الموعد المضروب الى هذه الكابينه وانتظر تليفونا من القاهرة يطلب أم كلثوم وأجيب الطالب وأذكر له أن الأنسة أم كلثوم تقبل أن تقيم الحفل بشرط أن يدفع لها مائة وخمسين جنيها • وتم الأمر على هذه الصورة فإذا الرجل الذى يحدثنى يقبل دون ريب من تفكير وأخبارها بذلك وتوافق هى تحتسب الله فى المصيف •

واسنمرت الصلة وكبرنا وتوفى عمى عبد الله ولكن صلة الأسرة بأم كلثوم بقيت كما هي . وحدث في الستينيات أن كلفني الأديب الكبير المرحوم عبد الحميد جودة السحار وكان في ذلك الوقت رئيس مجلس إدارة مؤسسة السينما أن أكتب فيلما سينمائيا معتمدا على مجنون ليلى لأحمد شوقي وأن أختار من رواية شوقي قصائد لم يسبق لها أن غنيت وأتفق مع أم كلثوم وعبد الوهاب أن يغنيا هذه الأغاني على أن يقوم بتمثيل دوريهما ممثلة وممثل وأعجبتني الفكرة ونفذتها مع الفنان الكبير يوسف فرسيين ككاتب للسيناريو وتوليت أنا تأليف القصة وكتابة الحوار . واختارت المؤسسة المخرج العظيم كمال الشيخ .

وأتمنا العمل ولم يبق الا موافقة أم كلثوم وعبد الوهاب وأنا على صلة بمعجزة الموسيقى والغناء العربي عبد الوهاب منذ عام ٤٦ تقريبا وهو صديق لكثيرين جدا من أسرتنا . وليس عجيبا أن يوطد صلتى به حتى الذي لا حدود له لأمر الشعراء الذي يعتبره عبد الوهاب أباه الروحي . كلست موسيقار الأجيال في التليفون وأرسلت اليه السيناريو وفيه الشعر الذي اخترته وسعد به غاية السعادة .

وأخذنا موعدا من المعجزة الأخرى أم كلثوم وأذكر أنني ذهبت اليها ومعى السحار وكمال الشيخ لنعرف رأيها في السيناريو بعد أن كنا قد أرسلناه اليها قبل الموعد ببضعة أيام .

ووافقت هي الأخرى عليه دون ملاحظات ثم رحنا نخوض في أحاديث عامة . وأذكر أنها قالت في هذا اليوم جملة ما زلت معجبا بها حتى اليوم :

— لقد حاولت الصحافة أن تصنع منى بطله سياسية بعد ثورة يولية فرفضت هذا تماما وقلت في تصريح لي : اننى فنانة لا أتدخل في السياسة ولو كان الملك فاروق قد دعانى لأغنى فى قصره يوم ٢٦ يولية عام ١٩٥٢ للبيت الدعوة وأنا سعيدة .

ولعل هذه الجملة من سيده لم تعرف عنها الا كل ما هو تقى وشريف ورفيع من الخلق تكون درسا للمهرجين الذين يحاولون فى أقلامهم أن يجعلوا الرقصات والساقطات معالم مصر التاريخية .

وكان من أعظم ميزات أم كلثوم حبها للأدب وحفظها للشعر وحساسيتها الراقية فى اختيار أغانيها وتلك ميزة يتمتع بها محمد عبد الوهاب . كنت معه فى بيته عش البلبل الذى بناه فى الهرم وطلبه مؤلف أغان وراح يسمعه كلمات فى التليفون وطبعا لم أكن أسمع شيئا مما يقول ولكننى أخذت بعبد الوهاب يقول لمحدثه :

– يا أخى مش عارف ليه كلمة دمعة اللي بتقولها بتفكرنى بالموخية .
وضحكك معجبا بحساسيته العظيمة باشعاعات اللفظ والاحاطة بكل
ما يتيرة من معان . .

أما أم كلثوم فتحفظ كثيرا من الشعر ونطقها للعربية قمة في النقاء
وما هذا بغريب على سيدة بدأت ثقافتها بحفظ القرآن وتجويده وتلاوته .
حدث لى حادث سيارة اضطرني أن ألزم الفراش بضعة أسابيع فى بيتى
الذى أقيم فيه الآن فى الزمالك . وجاءت السيدة أم كلثوم لزيارتى .
وكان المفروض أن تبقى بضع دقائق ريثما تشرب ما يقدم لها أهل البيت
من اكرام ولكن حلا ليا أن تكلمنى فى الشعر فاذا زيارتها تمتد ثلاث
ساعات كاملة دون أن نشعر بالوقت .

ومن أعظم سجايا أم كلثوم أنها لم تنتكر لماضيها قط .
دعتها والدتى الى الغداء فى بيتنا بالعباسية . وقبل الغداء قالت لها
والدتى :

– انى أعددت لك مفاجأة على المائدة أعتقد أنها ستسرك كل السرور .
فقالت :
– نشوف .

وحان موعد الغداء وقمنا اليه وكانت هناك صينية تتوسط المائدة
وعليها غطاء وجاءت والدتى ونحن ما نزال وقوفا ورفعت الغطاء فى فخس
وثقة لتظهر أم كلثوم المفاجأة التى أعدتها لها . ونظرت أم كلثوم العظيمة
الواقفة بنفسها ثم قالت فى لهجة غاية فى خفة الدم والطرافة .

– ما هذا ؟ حميض . . ايه جابك هنا ؟ . . والله زمان يا حميض .
ونظرت الى أمى وقالت :

– هى دى ياختى المفاجأة !؟ . . والله زمان لا أدوقه أبدا هو أنا كان
لى شغلة أيام الفقر الا لم الحميض من الشيطان وأكله . . . شيبلى . . .
شيبلى .

والحميض نبات شيطانى ينبت فى حقولنا ويأكله من لا يستطيع
شراء غيره .

أرأيت مثل هذه العظمة وهذا الصدق ؟ . . رحم الله أم كلثوم علامة
أجيال فى الفن وفى الخلق على السواء .

وبعد فهذه نثار من ذكرياتي ما رجوت منها الا أن أنادمك اذا قرأتها
في نهار أو أسامرك ان قرأتها في مساء ، وقد أطلقت نفسي تمتع من معين
الأيام ما يحلو لها . فهي تختار ولا تؤلف .

والاختيار عسير ولكنه ممتع اذا أحس الانسان أنه قال ما يجب أن
يقول .

فان كنت قد بلغت من نفسك ما تمنيت أن أبلغ فأحمد الله اليك
والا فحسبي أن النية صدقت عندي وأقدمت على هذه التجربة الجديدة في
دنيا الكتابة أو فلنقل الجديدة على قلمي أنا بعد أن مارس مخاطبة الناس
نيقا وأربعين عاما . ومع التجربة لا يكون العثار مأمونا . . . فاذا كان القلم
تعثر هند أعتابك فاني واثق أنه من وسيع سماحتك ومن رضى خلقك
ما يغتفر جرأته . وفي رحمة الله الخفور التواب مثابة تسع الدنيا جميعا
ولا بأس أن أجد عند الذي نعبد طمعا ورهبا اثاره من الغفران وفضلا من
الرحمة جل شأنه وتقدست آلاؤه ؟

لَوْلَقُ وَأَصْدَافًا

لؤلؤ وأصداف

(١)

كان المستشار عزام أبو الفضل وهو يجلس الى الكرسي الذي تعود أن يجلس عليه في منزله يفكر في حفل الوداع الذي عاد منه في يومه هذا . كان زملاء المستشار مذكور نبهان يحتفلون باحالتهم الى المعاش عند زميلهم عبد العزيز البرعي ، وكان عزام يحب زميله الذي صاحبه فترة طويلة من حياته القضائية وما هي الا ذقائق من جلوسه حتى وجد نفسه يقول في صوت مرتفع وكأنه يكلم شخصا موجودا معه :

— كلها كام سنة وتقام لنا نحن أيضا حفلات التوديع . . الحمد لله قاربنا الشاطئ ونحن ما نزال أصحاب في ضمائرنا وفي أجسامنا وكم شهدنا كم شهدنا

ثم وجد نفسه يمضي مع الذكريات ويستجيب لها . يستعذب الحلو فيها ويشعر بالسعادة أيضا أنه مر من أزماتها وأنه استطاع أن يجتاز عصبيتها في صلابة وإباء . وأنه كان قادرا أن يخفي مايمور في دخيلة نفسه من اضطراب أو قلق .

حتى زوجته مجيدة التي كانت تصل الى البعيد من أغواره لم تكن تستطيع أن تبلغ مواطن الاضطراب في نفسه عند الأزمة .

فارق كبير بين ابنه ياسر الأصغر الذي تخرج في كلية التجارة وابنه البكر وجدان الذي تخرج في كلية الحقوق . وقد حصل الابن علي الثانوية العامة من كلية فيكتوريا . فكلاهما يتقن الانجليزية كل الاتقان . وقد جعل هو من نفسه مدرسا لها في اللغة العربية فاتقناها هي أيضا

اتفانا لا يتوفر لكثير من زملائهما حتى أولئك الذين تلقوا تعليمهم بالمدارس المصرية .

وقد كان وجدان هاويا للدراسة لا يؤديها مكرها وانما كان شغوفاً بها فلم يكن عجباً أن يكون متفوقاً دائماً . ولم يكن عجباً أيضاً أن يحصل على تقدير جيد جداً حين تخرج . وكان من الطبيعي أن يلتحق بالنيابة ويسير في الطريق الذي سار فيه أبوه . ولكن وجدان رغب الى أبيه أن يكون محامياً ، وكان عزام حريصاً دائماً أن يترك لولديه حق الاختيار المطلق ولكنه كان أيضاً يقدم رأيه وكأنه صديق ثم يترك لمن يناقشه منهما الحرية الكاملة في اتخاذ القرار .

ويوم جلس اليه وجدان ليعلنه أنه اختار المحاماة .

– لماذا .

– أنا أملك لغتي العربية وأتقن الانجليزية ودرست الفرنسية . .
وأنا أحب القانون فلماذا لا أنتفع بكل هذا في ميدان المحاماة .
– لك ما شئت ولكن ما مصير القضاء في مصر اذا قال كل متفوق ما تقوله .

– أنت تعرف يا بابا أن القضاء الواقف يخدم العدالة مثل القضاء الجالس .

– على أن يكون القضاء الواقف أميناً .

– وما رأيك في ابنك .

– أرى العهد الذي نبدؤه اليوم مليئاً بالمفريات المادية .

– ألا تراني أهلاً أن أقاومها . ثم أليس لكل عهد مفرياته ولكل مهنة أيضاً .

– أنا قاضٍ وعسير على أن أحكم قبل أن أرى ظروف الدعوى .

– ما ظنك بي . .

– ان معرفتي بك تزيدني خوفاً عليك .

– هل أمانتي هشة .

– يا ليتها كانت كذلك .

– أكاد أفهمك .

– ستدخل في صراع عنيف أخاف عليك منه .

- وانت يا ابا حين كنت تجلس على كرسي القضاء وتحكم على
انسان ما بالقتل او بالحرمان من الحرية . . ألم تكن تتعرض لصراع
- في اول عهدي بالقضاء نعم . أما فيما بعد .

- بل قد كنت أشهدك وانت عائد بعد الجلسة ذاهلا تبتلع لقيمت
وتسارع الى غرفتك متظاهرا أنك تريد أن تنام ، وكنت أكاد أدرك ثقلمب
في فراشك ، وكنت أوشك أن أسمع نبضات قلبك تصيح أنك ربما ظلمت
أو تشددت أو قسوت أو تهاونت .

- هل كنت تحس هذا جميعا .

- كنت أحسه أنا وياسر وماما ، وينظر بعضنا الى بعض ولا نتكلم ،
فقد كنا تعودنا ولكن التعود لم يستطع أن يجعلنا ننجو من الاشفاق عليك
والقلق على صحتك .

- لكل مهنة متاعبها . ولكن أخشى أن يغريك المال فتنسى ضميرك .
وأنا أعلم أنك تحب ضميرك حبا يكاد يكون قاتلا .

- سأجرب نفسي .

- الميدان الذي تدخله مليء بالأنياب والأظافر الشرسة القاتلة ويندر
أن يجد صاحب الضمير طريقا فيه .

- لعل أشق هذا الطريق .

- فشأنك اذن . ولكن ليكن قرارك النهائي بعد أن تؤدي الخدمة
العسكرية .

- وهو كذلك .

ويذكر عزام هذا الحوار جميعه وينفطر قلبه على ولده وجدان فيها قد
مرت سنة وبعض السنة وهو في مكتب اسماعيل العدوي المحامي وقلما
يحدثه عن شأن من شئون قضاياها .

ان وجدان يذكره بنفسه وهو في حضارة الصبا وحضارة الشباب
ومطالع الفتوة .

كان أبوه عبد المجيد أبو الفضل عمدة الديدمونة علمه بعض القرآن
في القرية ثم استأجر هو وعمه بيتا أقامت فيه أمه نفيسة وأقام هو معها
فكان الأب يزور أسرته كلما سمح له عمله وكان يصحبهما الى القرية في
كل الاجازات . وكان احترام الناس له منذ هو طفل يجعله دائما يشعر

بأنه ينبغي عليه ألا يرتكب ما يجلب له الاحتقار . وقد كان هذا فى الطفولة
والصبا أمرا هينا ولكنه حين شب عن الطوق وخطت به السنون إلى الشباب
كان الأمر عسيرا .

شاب فى مقتبل العمر ليس مضيقا عليه فى الرزق ، يُقيم مع أمه
فى القاهرة والشباب فتوة وقوة وعرق ينبض والرغبة سعيه والأغراء لهيب
وما يهفو إليه قريب قريب لو مد يده لنال . وهو بعد فتى السمات جذاب
الملامح فيه أصالة المصرى تضيئها براءة السنوات الخضراء ومشاعل الشباب
التي تجعل الحياة كلها نورا . وحوله الصحاب وما أكثر ما يروى الصحاب
منهم الصادق ومنهم المبالغ ومنهم المخلوق . ولكن كل ما يرويه الصحاب
يشير فى نفسه ما يحاول أن يكتمه من رغبات .

انه يريد . . بكل ذرة من ذرات جسمه يريد . . . وبكل قطرة من
قطرات دمه يريد . . ولكن شيئا ما يمنعه .

لا ينسى يوم صحبه عثمان صديقه الى الماخور ودفع الأجر وجلس
ينتظر دوره . . . ولكن ما هى الا دقائق معدودات حتى وجد نفسه يفتخ
الباب الخارجى ويجرى هاربا ومن ورائه عثمان يناديه وهو لا يلوى عليه
ولا يجيب . . كان فى هذه اللحظة لا يريد شيئا الا أن يهرب . . وهرب .

وفى يوم آخر قال له فريد :

- أتكون خائبا يا ولد يا عزام ؟

ونظر إليه عزام طويلا ثم قال :

- يا ليت .

- فما هذا الذى يرويه عنك عثمان ؟

- لا أدري . . لا أتصور أن أصنع شيئا اذا عرفه عنى أهل بلدتى
يحقرون أمرى .

- الظاهر ان الولد عثمان لم يعرف كيف يتصرف معك .

- كيف ؟

- المسألة تحتاج الى تمهيد .

- لا أفهم .

- وكيف يمكن أن تفهم . . اسمع ما رأيك أن تسهر الليلة فى

الأريزونا .

- فى الأريزونا ؟

- في الأريزونا .
- وماذا حدث ؟
- لا . لا تخف . لن تذهب الى الراقصات هناك . ما زال الطريق أمامك طويلا حتى تصل الى الراقصات .
- فلماذا نذهب اذن ؟
- اليوم حفلة خيرية . ومعى تذكرة اعتذر صاحبها .
- وماذا فى الحفلة الخيرية ؟
- سأعرفك بفتيات من رائلات الحفل مثلنا .
- فتيات مرة واحدة .
- ولك أنت أن تختار .

الليل نهار من كثرة النور . والضياء يخبو مع الجمال الساطع من أولئك الفتيات . كل مليحة منهن بمذاق ، رائحات غاديات كإفكار جميلة تخطر على أذهان شعراء . كأملاك السماء ان تجسدت الملائكة فى أزياء آدمية . السمراء عذبة وقراقة مشرقة كفرحة ، مقبلة كقبلة ، مدبرة كحلم . والشقراء أمل تحقق ، أو دنيا تغدق بالعطاء ، أو موسيقى تعزفها السماء .

عزام فى تيه من البهر ، وفريد يمسك بيده وكأنه طفل لا يعرف الطريق ، وقد كان فعلا فى هذه اللحظات طفلا لا يعرف الطريق ، وفى لسان متعثر وعقل غائب يقول لفريد :

- أين نحن ؟
- ويقول فريد وعيناه تجوسان خلال الحفل جميعا .
- اسكت .
- وهل أنا قادر على الكلام ؟ نحن فى مصر ؟
- فى مكان أضوائها . بين المصابيح المصرية والجمال الذى لم تره خيبتك من قبل .
- ولكن أنا تائه .
- طيب اسكت قبل أن أتوه أنا الآخر .
- اياك فلا أمل لى هنا الا أنت .
- اسكت . انتظر . ها هما .
- من هما ؟
- تعنال .

وقاد يده المطيعة وجسمه الذي أصبح بلا وزن الى مائدة جلست اليها
فتاتان احدهما شقراء والاخرى سمراء . وقبل أن يصيلا وقف فريد
وسأله :

- أترى هاتين الفتاتين ؟
- مالهما ؟
- أتريد الشقراء أم السمراء ؟
- ماذا ؟
- انطق قبل أن تراني احدهن .
- وقال دون وعى :
- الشقراء .
- اذن تعال .

ورحبت الفتاتان بهما ترحيبا عجيبا لا مبالغة فيه ولكنه ألقى نفس
الوقت يحمل كل معاني الاقبال . وقالت السمراء :

- تأخرت .
- وقال فريد :

- أنا أبحث عنكما منذ نصف ساعة . صديقي وزميلي عزام
أبو الفضل .

- وضاحت الشقراء :
- أهو أنت ؟ .
- وفغر عزام فاه ووقف مشدوها ثم وجد نفسه يقول :
- وتعرفيني يا ست ؟
- وتضحك ضحكة فارحة يضيع صداها في ضجيج الخفل ويرتجف
قلب عزام وتكمل الفتاة :
- كل المعرفة .
- ويخشى فريد من الربة التي غمرت عزام ويسارع قائلا :
- الآنسة نرمين .
- وفى ذهول يقول عزام :
- تشرفنا .
- وتقول الأخرى :
- أهلا وأنا سعيدة .
- ويقول عزام وكأنه يرد تحية ولكن دون أن يقصد الى النكتة :

• سعيدة مباركة •

ويحس الجميع أن الإجابة صدرت عنه وكأنه جالسن على مصطبة أبيه في البلدة ودون أن يقصد إلى المفارقة التي وضحت في الإلهجة فينفجر ثلاثتهم في قهقهة عالية ارتفع صداها على صخب الحفل حتى لقد بدأت بعض عيون تنظر إليهم • فينتبهون إلى ارتفاع ضحكهم وعزام في غمرته لا يزال ، وتضع نرمين يدها على فمها وتصدر عنها تلك الهش التي يطالب الناس بها بعضهم البعض بالصمت أو بخفض الصوت • وينتبهون أيضا أنهم ما زالوا واقفين ، وتقول سعيدة :

• وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته اقموا • • اقموا •

وتنظر إلى فريد •

• هذا موديل لم أره في حياتي •

ويقول فريد :

• ابعدي عنه فهو ليس قدك • • عليك أنت به يا نرمين فربما

فهم لغتك • • إنما سعيدة لا يفهمها إلا أنا •

وتفهم الفتاتان أن الصديقين قد اتفقا على هذه القسمة فهما في طريقهما إليهما • ولم تكن الصلة بين أي من الفتاتين وبين فريد وثيقة • إنما هي صلة محددة المعالم لا تسمح لنرمين بالغضب من فريد أنه اختار سعيدة • صلة الفتاتين بفريد صلة محددة المعالم واضحة الأغراض • وليس من بين معاملها حب يثير الغيرة أو حتى يدعو إلى التظاهر بها • وكان عزام يظن أن نرمين ستثير حملة شعواء على فريد ولكنه دهش أنه وجد الأمور تجري طبيعية • بل وجد من نرمين اقبالا عليه وسعادة للتعرف به جعلته يترك دهشته ويلتفت بجميعة إلى الجديد من تجارب الحياة • وأدرك أنه لا بد أن يكون في كامل استعدادة حتى لا يثير سخرية الفتاتين وصديقه فريد •

وقال فريد :

• هل تشرب شيئا ؟

وقالت سعيدة :

• إذا كنت تريد •

وقال فريد :

• أظن أن كاسا من الويسكي لا بأس به •

وقالت نرمين :

• لا يكون هناك بأس مع الويسكي أبدا •

وقال فريد :

- وهو كذلك يا متر ؟

وقال عزام :

- متر .. ما متر هذه ؟

وضحكوا جميعا ، وقال فريد :

- وكيف أناديه ؟

وقال عزام :

- ولكن متر هذه لقب المحامين

وضحكوا مرة أخرى وقال فريد :

- ولقب الخادم هنا أيضا

وفى ذهول حقيقى يقوم عزام :

- متر ١٩

ويستمر الضحك ويقول فريد :

- متر ..

ويقول عزام :

- مثل المحامى

ويقول فريد :

- ولو أن المعنى مختلف

ويقول عزام :

- كيف ؟

ويستمر الضحك ، ويقول فريد :

- المتر هنا اختصار لمتر دى أوتيل .. أى رئيس الخدم أو رئيس

المكان

ويقول عزام :

- وهل نحن فى أوتيل ؟

ويقول فريد :

- هذا لقب اصطلاحى

ويقول عزام :

- لقب اصطلاحى يجعل خادم المستكادى مثل المحامين الذين نشقى

ربع قرن من حياتنا لتصبح مثلهم حاملين لقب متر .. وينال هذا النادل

القريب فى اسمه العربى من التناك دورا إلى جهنم

- ويرتفع الضحك على المنضدة مرة أخرى ويقول فريد :
- وأى فارق بين الاثنين ؟
 - أنت لا ترى فارقا ؟
 - مطلقا .
 - فأتارك كلنية المحقوق يا أخى وأعمل هنا .
 - يا ليت .
 - هل جننت ؟
 - أتعرف أن هذا الذى تسخر منه يكسب خمسين جنيهات فى اليوم على الأقل وقد يكسب أكثر ؟
 - يا نهار أسود من الحير الكوييا .
 - ويضحج الثلاثة بالضحك حتى تلتفت إليهم العيون مرة أخرى ويكمل عزام :
 - مائة وخمسين جنيهها فى الشهر . . مائة وخمسة . . . !!
 - ويقول فريد وهو يقالب الضحك :
 - ماذا يكسب المحامى ؟
 - ان كسب عشرة جنيهات فى الشهر فى أول حياته تكون نعمة .
 - أرايت ؟
 - وبئس ما رأيت .
 - ومع ذلك أى فارق بين الاثنين ؟
 - ويقول عزام فى غضب :
 - يا أخى لا تجتنى .
 - ويقول فريد :
 - أليس كل منهما يودى حاجة للمجتمع ؟
 - ويقول عزام فى غضبه لا يزال :
 - شتان . . هذا يسقى الناس الخمر
 - وتضحك الفتاتان ويقول فريد :
 - لا تقل هذه اللفظة هنا أبدا .
 - لماذا ؟ أليست خمر ؟

ويهمس فريد في جديّة :
- يا أخى أخفض صوتك لا تفضحنا .
ويخفض فريد صوته :
- أليست خمرة ١؟
ويهمس فريد :

- ولكننا هنا نسميها مشروب أو الكول يعنى الكحول أو ويسكى
ونخلص .

- خلاص على كيفك نسميها مشروب ونسأل كيف تقارن هذا الذى
يحمل المشروب بالمحامى ؟

- أليس المحامى يؤدى ما يطلبه الزبون ؟
ويقاطعه عزام :
- الموكل .

- لن نختلف ولكن أليس الموكل زبوننا ؟
ويصمت عزام قليلا ويقول :
- لنفرض .

ويقول فريد كأنه ينتصر :
- وهذا أيضا يؤدى للزبائن طلباتهم .
ويقول عزام :

- خلاص .. انتهى الأمر .. لا فارق بين محام درس القانون ويخدم
العدالة ويبين للقضاء وجهة النظر القانونية فى القضية المطروحة و ...
ويقاطعه فريد :

- نهارك أسود هل ستترافع ؟ خلاص يا سيدى أنا غلطان ..
ولكن ماذا أصنع الآن ؟ لايد أن أقول يا متر حتى يأتى ويكون مشكورا
لو أتى أيضا .. فماذا تريدنى أن أناديه .. أه لو عرفت الوظائف الأخرى
التي يقوم بها .

وتنفجر الفتاتان بالضحك ، ويقول عزام فى دهشة زادت من
ضحكهما :

- وله وظائف أخرى أيضا ١؟
- هامة كل الأهمية .
- غير الخمرة .. أقصد المشروب
- أهم بكثير .

- مثل ماذا ؟
 - يوفق بين الرومى ..
 - فى الحلال ؟
 - ليس هنا حلال .
 - يا نهار أسود ... يعنى ... يعنى ..
 - نعم .
 - وتقول له متر ... خيبة الله عليك وعليه فى لحظة واحدة .
 - اسمه كذا .
 - تشرفنا .
 - هل تسمح أن أناديه ؟
 - تفضل .
- وكانت الفتاتان ... كادت أن يغمى عليهما من كثرة الضحك وصاح
فريد :
- يا متر .
 - وجاء الساقى وقال فريد :
 - أربعة ويسكى .
 - ويصيح عزام فى صوت مرتفع :
 - انتظر .. انتظر يا ريس .. لمن الرابع يا أستاذ فريد ؟
 - ويحسم يقول فريد :
 - لى أنا .. أنا سأشرب اثنين .. هل عندك مانع .
 - وتندخل غضبية عزام وهو يقول :
 - ان كان الأمر كذا فأنت حرا اشرب عشرة إذا أردت .. أنا أريد
ليمون .
 - ويقول الساقى :
 - ليس عندنا ليمون يا بك .
 - يحسم فريد الموقف فى خيرة .
 - هات كازوزه يا متر .
 - وينصرف الساقى وهو يقول :
 - أمرك يا سعادة البك .
 - وتمسك نرمين بيد عزام بكلتا
 - شربات .. شربات مكرر .
 - ويقول عزام :

- وهل أجد هنا شربات ؟ يكون أحسن .
- ويعود الضحك وتقول نرمين :
- ليس هنا شربات الا أنت .
- ويسعد عزام ويحس بدبيب نشوة تتسرب في أعراقه .
- يا ست الله يخليك ... كل ما في الأمر أنك أنتِ دمك خفيف .
- وتقول بسعيدة :
- الله اذن فأنت تشنع عليه يا فريد .. انه يغازل في براعه لا تقدر عليها أنت .
- ويقول عزام :
- أنا والله أقول الحق .
- تقول نرمين :
- أو الباطل .. لا يهمك .. المهم اننى اصدقك .. قل أنت ما تشناه ولا تهتم بسعيدة ، فهي تغار منى لأن فريد لم يقل لها شيئاً .
- ويقول عزام :
- فريد .. فريد في هذا الميدان أستاذنا .. وأين أنا من فريد ؟
- طيب والله يا ست نرمين أنا لم أكلم خرمه فريسة عنى طول عمري الا ذا الوقت .
- ويعود اليهم الضحك وتقول نرمين .
- الذى يندو من كلامك أنك تقديم في الكار .
- ويصيح عزام فى شبه سخريه بنفسه .
- يا ست الله يفتح هليكي .. أنا والله ما أعرف هذا الكار الا اليوم .
- وتجيء الطلبات . ويضع الساقى أمام كل فتاة كأسا ويضع كأسين أمام فريد ويضع الكازوزة أمام عزام . وينصرف .
- ويقول فريد :
- عزام .
- أنفسم .
- لى معك كلمتين .
- قل مائة .
- بشرط .
- وهو ؟

- تسكت حتى أنتهي من كلامي .
- موافق .
- وبشرط آخر .
- نعم ؟
- اذا اقتنعت تنفذ ما أقوله لك .
- واذا لم . . .
- ترفض ولن أتكلم في الموضوع أو ألج عليك فيه .
- الشرطان عادلان ومقبولان .
- اذن . . . قل لي لماذا جئت معي اليوم ؟
- ويرتج على عزام لا يجد جوابا وينقذه فريد .
- انك تمر بتجربة جديدة لتعرف نوعا من الحياة جديدا عليك . . .
- أليس كذلك ؟
- كذلك .
- لا تتم التجربة حتى تكون خضتها الا بكأس من الويسكي .
- وينتفض عزام :
- أنا . . .
- اسكت حتى أنتهي .
- سكتنا .
- أليس لكل قاعدة قانونية أركان .
- طبعا .
- من أركان هذه التجربة كأس ويسكي .
- وان سكرت .
- عيب أن تظهر كأنك مغفل وأنت الذي أوشكت على الانتهاء من دراسة الحقوق ، وأنت الذي تقف دائما في الصدارة من دفعتك .
- وهل يمنع هذا جميعه أن أسكر .
- هل عمرك سمعت أن انسانا مهما يكن شأنه يسكر من كأس واحدة ؟
- أظن لا .
- اذن .
- واحدة .
- واحدة .
- أشرب .

- عظيم ٠٠٠ اشرب رشفة رشفة وانس تماما أنك تشرب ويسكى
واتركه يصنع مفعوله دون أن تضايقه .

ويقول عزام :

- وهل الويسكى أيضا يتضايق ؟

- مثل ومثل نرمين ومثل سعيدة اذا كنت رفضت أن تشرب هذه
الكأس .

- وهل أجروا على مضايقة الست نرمين والست سعيدة ؟

وتقول سعيدة :

- وأنا نرمين تتضايق وتتعب ويصيبنا الغم من كلمة الست التي
تمسك بها هذه .

ويقول عزام :

- ولا أقول ست ٠٠ ولكن يعنى ٠٠ أهذا يصح .

وتقول نرمين :

- بل لا يصح الا هذا يا أخف دم فى الدنيا .

(٢)

عجيبة تلك الصلة التي تقوم بين مجيدة زوجته وزوجة ابنها مرفت . فلو كان لمجيدة ابنة ما أحسنت معاملتها وأحبتها قدر ما كانت مجيدة تحب مرفت . حتى إذا اختلف وجدان مع أمه كانت مرفت تنقف الى جانب حمايتها لا الى جانب زوجها وتدافع عنها بشتى وسائل الدفاع فتلجأ الى وجدان بالحق والمنطق أحيانا فاذا خذلها حق أو وقف بها منطلق لجات في ذكاء الى عاطفة البنوة وما تنتظره الأم عند ولدها . وقد كانت أم مرفت سعيدة هانم النبوى تكاد تغار من حب ابنتها لحمايتها . الا أنها لم تحاول أن تفسد هذه العلاقة أو تمسها . عن فضل منها كان ذلك أو عن يأس أو عن كليهما معا لا أحد يدري .

وكان عزام سعيدا بهذه العلاقة غاية السعادة . وكان حين يحاول أن يقدم الحيشيات لهذا الواقع المضيء في بيته يجد الأسباب حاضرة من قريب .

فزوجته مجيدة ابنة عمه عزت أبو الفضل . وقد كانت صلة عمه عزت بأخيه عبد المجيد والد عزام صلة أخوة وثيقة حتى ان عزت أقام بالزقازيق المدينة تاركا لأخيه الاشراف الكامل على الأرض جميعا . أما عزت فقد تفرغ للجلوس مع الأصدقاء في قهوة باروخه في الصباح ، والجلوس في النادي بعد الظهر يلعب النرد أو الضمننة سعيدا بفراغه هذا غاية السعادة ، لا يسمح بشيء في العالم أن يعكر صفوه أو يفسد متعته . وقد كانت متعة بزينة لا يشوبها منكر . فقد يلعب مع أصدقائه برهان ولكنه رهان هزيل لا يخيف ولا يهدد أية ثروة مهما يكن مقدارها ضئيلا . كان اذا خسر عشرة في النرد يدفع عشرين قرشا فاذا حمى الوطيس وغلت الدماء في العروق وطفى حب الانتقام عليه اذا وقعت عليه الغلبة ارتفع مقدار الرهان وارتفع ثم لا يعدو الخمسين قرشا فقط .

أما في الضمننة فقد كان يخسر عشرين قرشا اذا خسر . فاذا ذكرنا

أن اللاعب في هذه الميادين لا يخسر دائما ولا يكسب دائما نجد أن نفقات عزت في متعته هذه كانت لا تمثل شيئا بالنسبة الى ثروته .

ولم يرزق عزت من زوجته مبروكة النمر ابنة عمدة ميت ركاب الحاج طه النمر الا ابنته مجيدة . وقد أسماها مجيدة تقريبا من اسم أخيه وحبا فيه وكانما أراد أن يقول له ان كنت لم تنجب الا الأولاد فقد رزقك الله بالابنة في بيت أخيك .

وقد أدخل عزت مجيدة مدرسة الراهبات بالزقازيق وظلت بها حتى حصلت على البكالوريا ، فهي مثقفة ثقافة فرنسية عالية . وكان أبوها يصحبها شهرا أو شهرا وبعض الشهر الى الاسكندرية أو رأس البر في المصيف ، أما بقية الاجازة فقد كانت تحب أن تقضيها في العزبة عند عمها ، وقد تزور جدها وجدتها في ميت ركاب ولكن أغلب الوقت كانت تقضيه في بيت عمها .

وكان عزت كثير الزيارة للقاهرة حتى لتذكر مجيدة أن كل الاجازات التي كانت تحل أثناء العام الدراسي كانوا يقضونها في القاهرة في تلك الشقة التي أجرها عمها لتكون محل اقامة لوجدان أول الأمر ، ثم أصبحت موثلا لأسرتي الأخوين كلما قصد أحدهما أو كلاهما الى القاهرة . وقد كان الحاج عبد المجيد بعيد النظر دائما ، ولهذا فقد اختار الشقة واسعة غاية السعة تستطيع أن تحتوى الأسرتين جميعا لا تضيق بالسادة أو الخدم في وقت معا . وهكذا وجد من الطبيعي أن يستجيب لأخيه حين طلب اليه أن يشاركه في ايجارها . هكذا نشأت مجيدة في الزقازيق ولكنها كانت على صلة وثيقة بالحياة ، فقد كانت تذهب الى السينما وتشاهد المسارح وتتابع بما وفره لها تعليمها الحركة الأدبية فهي متفتحة الذهن وهيفة الحس . تعتبر البواكير الأولى للمرأة المتعلمة في العصر الحديث . وان كان سخط العصر الحديث قد طغى على تعليم المرأة في بعض الأحيان فان أصالة تلك الفترة هي التي كانت تحيط بمجيدة في هاته الأيام . وأي أصالة أعظم من واقعها يمكن أن تحيط بها وهي ترى أسرة أبيها وأسرة عمها واحدة يجمعهم الحب الصادق لا زيف فيه ولا مین ولا خداع . . . ولماذا الخداع ؟ . . . وطلب كل فرد مجاب من الأسرتين جميعا بلا تفرقة ، ولا حتى تفكير ما دام الطلب معقولا لا مبالغة فيه ولا تعسف . ولم يكن العنت يعرف طريقا الى البيتين جميعا ، فأبوها رجل سمح طيب المعشر ألوف يحب الناس ويحبونه . وعمها رجل له وقاره ومكانته في قريته وعند الذين يعرفونه .

وهكذا كان عزام يجد أن مجيدة كان يستحيل عليها أن تكون غير

هذه السيدة العظيمة فى تربيتها لابنائها ، وفى حبها لزوجة ابنتها ميرفت
التي تقوم معها وزوجة ياسر أيضا ستؤسس التقى تقيم مع زوجها فى بيت
خاص بهما .

أما مجيدة الزوجة فقد كان حبها لزوجها أمرا مقرونا لا يحتاج الى
أى تفكير ، فقد نشأ كل منهما فى منبع واحد ، وإن كان هو يكبرها
بخمسة سنوات وبضعة أشهر ، فالذى لا شك فيه أن كلا منهما شهد طفولة
الآخر وعرفه أوثق معرفة منذ بدأ كل منهما يعى الحياة والأسماء
والأشخاص .

كان عزام قد أجمع أمره على الزواج من مجيدة منذ بدأت مراهقته
وعرف كما يعرف الناس جميعا أن الشاب ينبغي أن يتزوج .

ويخيل إليه أن مجيدة كانت تدرك ما أجمع عليه أمره دون أن يشير
إلى ذلك بكلمة . وكانت الأسرة جميعا تدرك هذا المصير ولكن أحدا منها
لم يذكره لآخر ، كان أمرا مقرونا فى داخل كل فرد من أفراد الأسرة حتى
لقد ظنوا أن الحديث فى شأنه غيب لا معنى له . ولا يستطيع عزام أن
يذكر الآن وهو فى غمرة هذه الذكريات ان كان أحب مجيدة ذلك الحب
الجارف الذى قرأ عنه والذى شهده يحيط بأخوانه وإملائه ، أم أن اعتبار
مجيدة هى زوجته المقبلة جعل حبه لها من نوع آخر لا يعرفه الا قليل من
الناس ، أولئك الذين تشابهت ظروف حياتهم وظروف الحياة التى نما فيها
عزام . كان حبه لها أمرا مفروغا منه ليس فيه الوجد ، وفيه الوجد وهو
يعلم أن شيئا لن يقف فى سبيل زواجهما ؟ ولا فيه الهيام ولا السهولة
فما كان هناك داع اليهما . ربما كان يتشوق لرؤيتها ، ولكن ليس الشوق
أمرا طبيعيا بين أفراد الأسرة الواحدة ؟

وهكذا كان يعيش حياته فى القاهرة فى اطمئنان على مستقبل البيت
الذى سيقمه للزوجة ، وكان يسعى حياته فى طهر ، لأنه كان يرى أن هذا
هو الأولى به والأخلق .

ثم ظهرت نرمين . فإذا الحياة عنده تسفر عن وجه من المتعة لم
يتصور مقداوها قط قبل ليلته هذه فى الأريزونا .

ذهب مع نرمين الى شقتها . وحين حان موعد انصرافه تخير فإذا
يفعل ، وبخبرة المرأة المتمرسه قالت له :

— فلوس لا أقبل منك . ولكن أحضر لى هدية معك فى المرة
القادمة .

مرة قادمة . . . فكر قليلا وما لبثت تمتعه الجديدة أن صاحت به :

- ماذا بك ؟ وهل في هذا تردد ؟

وقالت نرمين :

- أم تراك لم تنبسط ولن تكون هناك مرة قادمة :

وصاح من فور الغريزة :

- بل مرات ومرات .. المهم ألا تصرفيني أنت .

- لا .. اسمع .. أنا أعرف أنك في السنة النهائية وأعرف أنك

دائما من الأوائل .. وحتى أضمن دوام الصلة بيننا لا أحب أن أكون سببا

في تأخرك عن التفوق .

وصمت عزام قليلا .. فقد واجه العقل الغريزة وقال :

- كلام معقول .

وأكملت نرمين :

- من الطبيعي أن توفه عن نفسك في كل يوم خميس

- معقول .

- إذن فموعدنا الساعة الثامنة كل يوم خميس .

استمرت العلاقة كما اتفقا أن تكون ، وكان يصدق عليها الهدايا ولكنها هدايا طلاب على أية حال وان كانت لا تخلو من ذكاء ، فكان يحاول دائما أن تكون هديته من الذهب وبدلا من أن يأتي لها كل أسبوع بهدية هزيلة يأتي لها كل شهر بما يوازي أربعة جنيهات ذهبية . وكان الجنيه الذهبي في ذلك الحين بخمسة جنيهات . وكثرت مطالبه بعض الشيء من أبيه ، وكان الأب ذكيا يدرك ما قد يحتاج اليه الشباب من بعض الانفاق . ولم يكن الأب واسع الثراء . ولكن المال لم يكن مشكلة بالنسبة اليه على كل حال ، وكذلك كان الأمر بالنسبة لأخيه أيضا .

كان يوم خميس .. لا يزال عزام يذكره وكأنه مر بالأمس القريب .

وذهب في مواعده الى نرمين . وكانت الجلسة تبدأ بينهما بالحديث مع كأس ويسكي ، وكان لا يزيد عن الكأس قط وكان الحديث يتناول أمورا خلقتها الزيارات المتكررة . ولم يكن بينهما في الحديث جسور مشتركة فلكل منهما حياته البعيدة كل البعد عن حياة الآخر . كان هو يذكر بجدية كاملة وإذا أراد أن يروح عن نفسه فديوان شعر لشاعر من القدماء أو شوقي أو حافظ . وكان معجبا بشوقي غاية الإعجاب وكان يعتبره أعظم شاعر في التاريخ العربي قديمه وحديثه . وكان يقرأ كل ما يظهر لأدباء

عصره أولئك الذي نشأ الأدب العربي الحديث على أيديهم طه حسين ومحمد حسين هيكل والعقاد والمازني وأحمد أمين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور والزيات والرافعي . وكان جيل عزام يتلقف أدب هؤلاء نقطة نقطة أو كتابا كتابا . كان جيله أشبه ما يكون بالجالسين على أبواب المطابع يختطفون كل كتاب يظهر ، وهكذا كان الماء يصل إليهم رذاذا غير منهجر . فلم يكن العمالقة قد أكملوا أديهم بعد وإنما كانوا يصنعونه . وفي هذه الفترة التي يعيش عزام في ذكرياتها ظهرت مطالع روايات نجيب محفوظ وقصصه وقصص محمود البدوي ويوسف جوهر وأمين يوسف غراب ويوسف السباعي القصيرة ، وبدأ جيل عزام يتعرف عليهم . ولكن كل هذا كان لا يمد هواة الأدب بمدد الينبوع الدائم الجريان ، فكان عزام يقرأ مع هؤلاء كتب التراث مثل الأغاني والعقد الفريد والعمدة وغيرها ويقرأ الشعر العربي القديم والحديث وهو مدد لا ينفد . والشعر ليس كالرواية . فقد يستطيع الهاوي أن يقرأ القصيدة مائة مرة ثم يعود إليها أما الرواية فهي مرة واحدة فان أعجبته غاية الإعجاب فمرتين .

كانت هكذا حياة عزام . فقيم كان يمكن أن يجري الحديث بينه وبين نرمين وهي لا تعرف اسما واحدا من كل هذه الأسماء الا ربما هيكل باشا ، لأنه كان وزيرا وكانت طبعاً لا تدري لماذا أصبح وزيرا ولا تعرف أى صلة بينه وبين الأدب . بل هي لا تعرف عن الأدب شيئا الا ما تقوله عنه مجلات تلك الأيام مثل المصور وآخر ساعة وروز اليوسف . ومع هذا التنافر في الاهتمامات نشأ نوع من الحديث بين عزام ونرمين . وكان الحديث ممتعا لكليهما . فقد كانت تروى له عن صديقاتها وصلاتها وأصدقائهن ، وكان يروى لها عن زملائه وعن بيته وعن أبيه وعن أمه وعن مجيدة وعن عمه عزت .

في ذلك الخميس الذي لا يتساه صنعت له كأس الويسكي وصنعت لنفسها كأسا وجلسا وبدأت تقول :

- هيه . . . ما الأخبار ؟
- أخبار السياسة ؟
- أعوذ بالله لا أكره شيئا قدها .
- الأخبار يا ستي أن عمى عزت كان يزورنا من يومين .
- وهيه وما أخباره ؟
- الحظ يحالفه في هذه الأيام ويتقلب على كل منافسيه في الطاولة وكسب الشهر الماضي خمسة جنيهات من الطاولة وحدها .

- أصبح ثريا اذن .
- أضاعها فى الضمنة .
- وضحكت نرمين وهى تقول كلمتها المأثورة :
- شربات .
- وقال عزام وعلى وجه غلالة من الجدية :
- أتعرفين يا نرمين . أنا لا أحسد أحدا فى حياتى الا عمى عزت ؟
- أعوذ بالله . أنت قلبك لبن حليب لا يمكن أن يحسد أبدا .
- لا . فعلا أنا أحسده .
- أنت تحسده ؟
- نعم . عمى عزت
- أنت تحببه ؟
- لا أفرق بينه وبين أبى مطلقا ولكنى أحسده !
- أنت تعنى شيئا لا أفهمه فحب وحسد لا يجتمعان
- ربما كان المعنى الذى أقصده لا تعبر عنه كلمة الحسد التعبير الدقيق .
- اذن .
- أتمنى أن أكون مثله .
- يا شيخ لا قدر الله .
- ولماذا ؟
- بل قل لى أنت لماذا تريد هذا الذى تريد ؟
- لا أحمل هما . طيب . لا أزعل من أحد ولا أجعل أحدا يزعل منى الدنيا عندى طاولة وضمنة وتسلية زوجتى تحمل هم البيت وأخى يشرف على الأرض وأنا أسعد خالق الله .
- ونظرت اليه نرمين مليا وبدأت مطالع دموع تقور الى عينيها وهى تقول :
- أهذه حياة ؟
- وما الحياة ؟
- أى شىء الا هذا .
- أرى فى عينيك . . .
- نعم .
- هل ذكرك حديثى بشىء ؟

- كان أبي مثل عمك .. الا أنه كان يغامر بمبالغ طائلة حتى أضاع ثروته كلها .

- بالطبع ليس هذا الذي أقصده .

- وكانت النتيجة ما ترى .. وهو على قيد الحياة ويعرف المهنة التي أحترقها :

- ولكن عمى شيء آخر .

- عمك لن يضيع ثروته ولكنه يضيع حياته .
- وتماسكت نرمين وغاضت الدموع .

- ولكنه سعيد ولم يؤذ أحدا في حياته وربما أعان بعض الناس .

- لا تؤاخذني .. الحمار أيضا سعيد .. والثور سعيد .. في الحياة لا بد أن يكون هناك فرق بين الانسان والحيوان .. والحيوان أيضا لا يؤذى أحدا .. وان كان عمك أعان أحدا فربما تكون هذه هي الجبينة الوحيدة في حياته .. أتراها تكفي !؟

- عمى شخص محترم بين الناس وهو ضئيق لصديقه يعينه عند الحاجة ورجل طيب بمعنى الكلمة .

وصمتت نرمين لحظات قصارا وقالت :

- عندما يقترب أجله .. أطال الله عمره ، ويحتويه الفراش الذي يقدمه الى السماء وينظر خلفه .. بماذا يستطيع أن يلقي في نفسه سعادة ؟ انه صنع شيئا ذا قيمة .. كل ما سيذكره المارس الذي تغلب به على أحد أصدقائه .

- لحظة ويصبح عند الذي لا ينفع عنده مال ولا بنون .

- هذه اللحظة هي العمر كله .. هي وداع حياة بأكملها .

وكان الذهول يستولى على عزام كلما تحدثت نرمين حتى اذا انتهت الى جملتها الأخيرة وجد نفسه يحتضنها في قوة :

- أنت تخفين بكأس الويسكى الذي نشر به ثروة من الانسانية .

- لا أطلع عليها الا من أحب .

- اذن .

- نعم أحبك .. ولكن أرد نفسي عن حبك .

ولم يسأل لماذا وانما يطرق ثم يرفع رأسه :

– نرمين أنا نلت اليوم من المتعة ما يزيد على كل الأيام التي التقينا فيها . كأنما تجمعت أيامنا كلها وتضاعفت مئات المرات اليوم . أنا سأصرف .

واحتضنها كما لم يحتضنها من قبل ، وقبل جبهتها وخديها وانصرف . وتركها وفي نفسها مشاعر ليست غريبة عليها ولكنها لا تريد أن تصدقها .

★★★

نزل الى الشارع وبحث عن تليفون ووجده عند بائع سجائر وكلم والدته :

- نينسا .
- أين أنت ؟
- أنا فى الشارع .
- مالك . . . خير . . . انت قلت انك ستتأخر ؟
- اسمعى ولا تستغربى .
- خير . . . خوفتنى ؟
- ليس هناك شيء مطلقا ولكنى أريد أن أرى أبى .
- ماذا به ؟ هل سمعت عنه شيئا ؟
- من أين أسمع . التليفون بجانبك ولو كان هناك شيء لا قدر الله لعرفت أنت قبلى .
- أنا لا أفهم .
- أتأتين معى اليه ؟
- الآن ؟
- الآن . . .
- كيف ستذهب ؟
- سأستأجر سيارة .
- أمرك عجيب . . . على كل حال وماله . . . خذنى معك .
- هذا فعلا أحسن .
- لكن يا عزام الامتحان اقترب وهذا ليسانس وأخشى أن يفضب أبوك الحاج .
- انه سواد الليل وبكره نتعدى هنا فى مصر .
- الأمر لله . . . وتقول لى لا تستغربى .

- ستعرفين كل شيء هناك .
- هناك ١٩
- هناك .

حين وصل الى بيت أبيه في البلدة كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة بدقائق . وتعجب الحاج عبد المجيد ، ولكن حين رأى ابنه وزوجته سالمين لم يمس مشاعره قلق . انفرد بهما فوراً ولم يتمهل عزام بل سارع قائلاً :

- أبى أريدك أن تخطب لى .
- أخطب لك . . من ؟
- مجيدة طبعاً . . . وهل يمكن أن أخطب الا مجيدة ؟
- وازداد تعجب الحاج :
- تجر أمك في عز الليل وتأتى الى الساعة الحادية عشرة من مصر لأخطب لك مجيدة !
- ولم لا ؟

- وهل علمت أنها ستخطب الليلة الى أحد آخر ؟
- طبعاً لا .
- الكل يعلم أنها لك وأنت لها .
- أعرف .
- فما هذا الهبل الذى تصنعه ؟
- وكانما كان عزام فى غمرة وأفاق . . . ماذا صنع !؟
- وماذا يقول لأبيه الآن وهو يعلم أن أباه يمهده دائماً عاقلاً متزناً لا يأتى شيئاً فى غير روية وتفكير .

أيقول له انه وجد نفسه فى لحظة حاسمة من حياته أن عليه أن يختار بين أن يكون انساناً ذا قيمة فى المجتمع يحترم انسانيته وما وهب الله له من عقل ومن حرية فى الاختيار وبين أن يكون انساناً يبحث عن المتعة وحسدها .

أيقول له انه أحب تلك الصلة بينه وبين نرفين وخشى أن يتمادى فيها فيحس دائماً أن ضميرة غير راض عنه فهو من نفسه فى عذاب وهو من متعته فى هناء . وأنه أراد الليلة وفوراً أن يختار الهناء النفسى لا الهناء الحسمى .

أيقول له انه يعد نفسه لأن يكون قاضيا وان القاضى اذا لم يكن شريفا في داخله فهيئات له أن يكون شريفا في أحكامه .

ماذا يقول ؟ أطرق طويلا ثم رفع رأسه الى أبيه :

– أنا آسف يا بابا .

– لا بد أن تكون أسفا .

– فعلا آسف .

وقالت الأم :

– أتأتى بى فى الظلام لهذا ؟! الله يخيبك يا عزام يا ابن بطنى .

قال عزام مرة أخرى :

– يا نينا اعتبريها جنونة وقامت بدماغى :

وقال الأب فى تودة :

– ثم أنت الآن داخل على امتحان الليسانس . . . فلماذا لا تنتظر

حتى تأخذ الشهادة ؟

وقال عزام فى حسم :

– أنت تعرف أننى سأأخذها .

– وهل تريد أن أخطبها لك الآن أم أنتظر حتى الصباح ؟

– هذا اليك .

– الأمر سيان .

ومد يده الى التليفون وطلب أخاه فى الزقازيق وصاح :

– عزت .

– خير يا أخويا الحاج هل هناك شىء ؟

– انت نمت ؟

– أنا داخل من النادى الآن فقط

– طيب اسمع يا سيدى .

ودوى له ما صنع عزام . . . وتمت الخطبة .

حين عاد عزام الى القاهرة. اشترى هدية ثمينة بخمسين جنيها وذهب الى بيت نرمين فى وقت كان واثقا أنه لن يجدها فيه . وفتح الباب بالمفتاح الذى معه وترك الهدية فى مكان لا تخطئه العين فى البهو ومع الهدية المفتاح ، ولم يكتب شيئا وحين عادت نرمين ووجدت الهدية والمفتاح عرفت كل شىء وأدركت أن مشاعرها يوم تركها لم تخادعها .

منذ ذلك الحين البعيد وعزام يحن الى تلك الأيام غير البرينة ويحس
بها تدغدغ حواسه • ويحس في نفسه شوقا اليها تواقا الى مرحها • حتى
اذا جلس على كرسى النيابة الذى أصبح كرسى القضاء أصبح عزام الذى
يعرفه الناس ، ولا يعرفون عنه الا البعد كل البعد عن مواطن الشبهات •

كان انسانين فى انسان ونفسين فى نفس وقلبين فى قلب • وضميرين
فى ضمير • ضمير يهون عليه اللهو والمتعة حتى وان تبعها سكوت على
الباطل ورضا بالخطيئة على أى لون لها • وضمير هو الأصيل فيه ، طريقه
الحق وسبيله انى أخاف الله رب العالمين •

وكانت آراؤه فى كل شىء تنشد المثل الأعلى ، ولكنه كان يغفر فى
نفسه لمن يجيد عنها حتى وان حكم عليه بأحكام القانون • فالانسان فيه
يعرف ضعف الانسان ويرحمه ويغفر له • والقاضى فيه يعرف حق القانون
ويستقر فى نفسه فى ثقة تقترب من ثقة الايمان بالله أن العالم بغير قانون
فوضى ، الغابة خير منها • فالغابة وهى الغابة لها قانون ، أما اذا غفا
القانون فى دولة أو ناله مساس من استهانة فالحياة كلها ضياع •

★★★

(٣)

ولد وجدان في عام ١٩٥٠ ، فحين جاءت الثورة كان طفلا يحملونه على الأكتاف . وحين بلغ السادسة رأى الشعب في حالة ثورة لا يعرف أسبابها ورأى أباه في حالة حزن وأسى لم يكن أيضا يعرف لهما سببا في ذلك الحين ثم رأى الشعب يتحول من ثورة في الشوارع والطرق الى جنون فرحة تعم الجميع الا أباه الذي ظل حزينا دون أن يدري وجدان لماذا يجد أباه دائما في حالة تختلف عما يراه في المدرسة والشارع ؟ يذكر طبعا أن المدرسين قالوا لهم شيئا عن تأميم القناة ويذكر أنه كان هناك أمر للجميع أن يفرحوا وفرحوا . ثم قالوا لهم العدوان الثلاثي وتحالف قوى الشر ، وكان يسمع الألفاظ ويردها دون أن يدري ماذا يقال له ؟ حتى لقد دخل أبوه عليه مرة في البيت ووجده يقول لمريته :

- يحيا التحالف الثلاثي .
- وتسمر أبوه مكانه ووجم هنيهة ثم انطلق يقهقه وهو يقول له :
- وقعتك سوداء .
- هكذا علمونا في المدرسة .
- ويصيح الأب وهو يضحك :
- لا يمكن .
- التحالف الثلاثي يا بابا .
- يسقط يا وجدان علموك في المدرسة أنه يسقط ولا يحيا .
- وهل أعرف يا بابا ؟ نقول يسقط كثيرا ولا نعرف لماذا ؟ ونقول يحيا كثيرا ولا نعرف لماذا ؟ حاجة تلخبط .
- ويقول أبوه وهو يضحك لا يزال :
- نعم لكن اللخبطة في هذه المسائل تؤدي الى مصائب لا يعلمها الا الله .

- مصائب لمن يا بابا ؟
- طبعاً لك أنت لا يمكن ... كل المصائب ستكون على دماغى أنا .
- اذن يسقط التحالف الثلاثى .
- أنعرف أحسن شىء يا وجدان ؟
- نعم يا بابا ؟
- نحن يا بنى لا شأن لنا .
- أليست بلدنا ؟ ألسنا الشعب ؟
- لم تعد بلد الشعب يا بنى . . انها بلد شخص واحد . . ونحن لا شأن لنا .
- اذن فلا أقول يسقط ؟
- ولا يحيى .
- وقال وجدان فى براءة وفى غير مبالاة :
- . أحسن واحنا مالنا . . . بلاش أحسن . . واحنا مالنا .
- وذهل يومذاك عزام فقد أحس أن الذى قاله الطفل فى براءة من غير فهم .والذى رده كأنه ببغاء كان ضمير الشعب بأكمله حتى أولئك الذين يصرخون فى الشوارع بالهتافات الموضوعية على ألسنتهم .
- وحين بلغ وجدان الثامنة رأى فرحا مجنوناً يندلع فى المدرسة والشوارع وتحيا الوحدة وتحيا سوريا وكانت سن وجدان تجعله يعنى بعض الشىء . ولكن الكلمات لم تكن واضحة المعالم بالنسبة اليه .
- وحين وقع الانفصال بدأت رأسه تدور وهي ترى تناقضاً عجيباً فى بيانات الانفصال . كان يعجب كيف يحدث الانفصال فى سوريا وينزل الحاكم عقابه على مصر ؟
- وحين أعلنت حرب اليمن كان قد بدأ يقرأ الجرائد . وكان فى أشد الحيرة ، الأفراح تملأ الجرائد بالانتصارات . والأحزان تملأ بيوت مصر على القتلى وعلى مصير مصر .
- كان وجدان حائراً ولكنه لم يكن رافضاً للحكم . فهو لم يعرف غيره حتى يرفضه ، بل ربما تصور أن دول العالم كلها تحكم على هذا المنوال . ولم يكن أبوه يتصور أنه يستطيع أن يناقشه . ولكنه كان يفهم من أحاديث أبيه مع أمه أن أباه رافض . وكان يسمع من زملائه فى المدرسة أن آباءهم رافضون هم أيضا . واقتنع هو وزملاؤه أنهم جيلا الثورة وأن آباءهم جيلا

متخلف يدين بالولاء للملك الفاسد وللأحزاب المستغلة المؤلفة من الساسة
المحترفين .

و حين أعلن الحكم الثورة الثانية على الاقطاع كان وجدان قد بلغ
سنا تسمح له بالمناقشة . ولهذا تصدى لأبيه حين وجده نائرا ثورة عارمة
غاضبا كل الغضب لا يكف عن مهاجمة ما يحدث لأعراض الناس وحياتهم
وكرامتهم .

قال لأبيه :

— أليس من حق الثورة أن تحمي نفسها ؟

— تحمي نفسها من ماذا ؟

— من أعدائها .

— أين هم ؟

— هؤلاء الاقطاعيون .

— ماذا يملكون ؟

— المال .

— ألم تأخذ الثورة أموالهم ؟

— ولكنها وجدت عندهم غيره .

— وان كان هذا صحيحا فما الذي يستطيعون أن يصنعوه به ؟

— يستطيعون أن يحاربوا الثورة بالمال .

— ثورة يحميها جيش بأكمله يحاربها بضعة أفراد ببقايا مال تتوهم

الثورة أنهم يملكونه .

— أهي تتوهم !؟

— لا شك . . . بعد قوانين الاصلاح الزراعي والمصادرات والتأميم

والاستيلاء أى ثروات يمكن أن تبقى ؟

— بابا أنا أعرف أنك قمة في العدل . . . ولست أنا فقط الذى يقول

عنك هذا ، بل كل من يعرفك . . . ثم ان الثورة لم تمس شيئا من أرضك

ولا من أرض أمي .

— أرضنا معا أقل من كل القوانين .

— ولكنى مع ذلك أخاف أن يكون كرهك للثورة سببه أنها جعلت

الفلاحين أصحاب كرامة .

وأوشك عزام أن يغضب ولكنه مال الى بعض الهدوء وهو يرى ابنه

يحاول أن يستنتج ويحاول أن يناقش :

• الفلاحون أصحاب كرامة طول حياتهم • وكانت صلتهم بأصحاب الأرض صلة مشاركة • والكرامة لا يعطيها أحد لأحد • الكرامة بذرة في النفس لا تزول عن صاحبها مهما ناله من ظلم • والبلاء الذي يقع اليوم يقع على الفلاحين ، لأن كل المصريين فلاحون • ولم يكن بينهم أحد لا يعتبر فلاحا الا الأسرة المالكة ، لأنها أسرة غيبية لم تحاول أن تلتحم بالشعب ، بل كوّنت لنفسها طبقة مستقلة وأحاطت نفسها بسور من العظمة الكاذبة وابتعدت عن الشعب حتى اللغة العربية لغة الشعب لم تحاول أن تتعلمها • تعلمت لغات العالم أجمع ولم تحاول أن تتعلم لغة البلاد التي جعلت منها أسرة مالكة •

وفي فرحة غامرة صاح وجدان :

• الله • بابا • اذن فأنت لا تحب الملك •

• وما الذي جعلك تظن أنني أحبه •

• زملائى يقولون : ان آباءنا جيل ملكى يرفض الثورة •

• بل انى أكره الملك وأعتقد أنه هو السبب الرئيسى فيما حل

بنا • ولكنى يابنى أكره الظلم • ليس لأننى قاض ولكن لأننى انسان •

• أترى فى الاستيلاء على بعض الأموال ظلما ؟

وقال القاضى :

• الاستيلاء على مليم ليس لك ظلم • هكذا شرع الله ومن شريعة

الله جاء القانون والقانون يطبق لينشر العدالة وما لا يتفق مع العدالة ظلم ،

ويا ليت الأمر وقف عند الاستيلاء على الأموال وانما تعداه الى الاعتداء على

أعراض الناس ••• أنتصور أن ترى أمك عارية أمام شهود يهددك أحدهم

بالاعتداء عليها ؟

وانتفض وجدان قافزا صائحا :

• لا • لا • لا •

• ألم تسمح أنهم يصنعون هذا ؟

• انه تشنيع •

• يا ليت يا وجدان يابنى يا ليت • ولكنى أنا أعرف فاعضاء

النيابة فى هذه الأماكن هم الذين يخبروننى ••• انهم يعرفون كل ما يقع

فى البلاد فى الأرياف والسجون والمعتقلات •

• لا يمكن غير معقول لا يمكن •

• والاعتداء على الأرواح ••• والاعتداء على الكرامات وبيد من ؟ بيد

الحكم الذى قال انه وهب الكرامة للشعب المصرى •

- ولكن أنكر يا أبى ان اسم مصر أصبح على كل لسان ؟
- قل لى يا وجدان أيهما المهم الشهرة أم نوع الشهرة ؟
- لا أفهم .
- أقصد هل هو شىء عظيم أن تصبح لصا شهيرا . وقتلا شهيرا ؟
- طبعا لا .

- اذن المهم هو نوع الشهرة . . . أن تشتهر بالأمانة بالحق بالخلق . . . انظر الى شهرتنا قلنا لرئيس أمريكا اذا لم يعجبه البحر الأبيض يشرب من البحر الأحمر وترجموه هناك بالانجليزية فليذهب رئيس أمريكا الى الجحيم . . . ورئيس الدولة هو رمزها والاعتداء عليه اعتداء على الدولة كلها . . . وهكذا هاجمنا أقوى دولة في العالم ، وربما فى التاريخ ولم نترك زميلتها فى القوة فهاجمنا رئيس الاتحاد السوفيتي وقلنا عن الشعب الانجليزى تحكمه امرأة وقلنا للشعب الألمانى ينفلق لن ندفع له دينه ، وقلنا ان موقف المدين أقوى من موقف الدائن وفى الساحة العربية عبرنا الملك حسين باسم والدته ولا أدرى أى عيب أن يكون اسمها زين ، واعتدنا على ملك بلاد الاسلام المقدسة الرجل الوقور الذى يحظى بالتقدير من كل العالم وتحدثنا عن ذقنه . . . وبهذا يا وجدان يا بنى قلنا الشهرة . . . ولم نكتف بهذا بل أقبحنا أنفسنا فى حروب لا شأن لنا بها ونحن شعب فقير ولكننا مع ذلك أخذنا الأموال التى يجب أن تنفق على مرافقتنا من كهرباء وماء وصرف وتليفونات ننفقها فى حرب اليمن والكونغو ومالى . . . وبهذا يا بنى قلنا الشهرة . . . أتعجبك هذه الشهرة !؟

وأطرق وجدان لحظات فى وجوم شديد ثم قال :

- يا أبى اننى من جيل نشأ فى هذه الثورة . . . وهى أملى وإن فقدت أملى فيها فقدت أملى فى مصر . . . أنا أصغر من أن أناقشك ولكننى مازلت مقتنعا أن الثورة ورئيسها هما أملنا الوحيد .

- وأنا يا بنى لن أحاول أن أخيب أملك . . . ولكن أرجو أيضا ألا تخيب الثورة نفسها ثقتك فيها فليس هناك أبشع من جيل بلا أمل .

وحين وقعت كارثة ٦٧ قال وجدان لأبيه :

- اليوم يا بابا أصبحتنا جيلا بلا أمل .

ونظر الى أبيه فوجد الدموع تجرى مدرارا على وجنتيه .

- تبكي يا أبى . . . ألم تكن تتوقع !؟

- فرق كبير يا وجدان يا بنى بين توقع الكارثة ووقوعها .

منذ ذلك الحين لم تعد السياسة تشغل وجدان • بل انه في كثير من الأحيان كان يقرأ الجرائد من آخرها ولا يكاد يلقى نظرة على الصفحة الأولى فيها •

وسار وجدان طريقه في الدراسة وحصل على ليسانس الحقوق في عام ١٩٧١ وكان لابد أن يؤدي الخدمة العسكرية •

وارتمى مع زملائه خريجي المدارس على شاطئ القنال يرون الممر المائي العظيم الذي حفره أجدادهم والذي سألت من أجله الدماء منذ قريب والعدو اليهودي على الشاطئ الآخر منه ينعم به وتشتعل في نفوس الشباب نيران لا يعرفها الا من زار هذه المناطق في تلك الأيام السود الداكنة السوداء • اذا تمثل الخزي في أرض ما فهو هذا المكان واذا تجسد الغار محسوسا ملموسا فهو هذا المكان • واذا اجتمع الجهل والغيب والحقد والفجور لتكون أشياء ترى بالعين فهي هذا المكان •

حياتة القيادة للشعب كانت هذا المكان ، استهانة صاحب القرار بأصحاب المصير كانت هذا المكان •

جملة قرآنية كانت دائمة الرجيب في قلب وجدان في هذه الأيام حين يصف سبحانه وتعالى من شاء له عذاب جهنم بقوله لا يموت فيها ولا يحيى • كان الشاب هناك في جهنم من الخزي والعار والجهل والغباء والحقد والفجور والخيانة ثم هو لا يموت هناك ولا يحيى • وكان كل شاب قد أصبح والموت في سبيل مصر حين عاد إليها اسمها مصر أملا • • وأعجب شيء أن يصبح الموت وهو الموت أملا وأعجب من ذلك أنهم يعلمون أنه أمل مستحيل التحقيق ويذكر منهم من يحب الشعر بيت المتنبي الخالد العملاق :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

وحسب المنيا أن يكن أمانيا

سيناء أرض مصر ومسرى النبيين والمشرقة بذكر كتاب الله لها ومجلى روحانية مصر ونبعت الفخر لنا نحن المصريين ، ان أرضنا مصر أثرة عند صاحب العرش ذي الجلال والاکرام يدنسها شرادم . كانت في الأرض بددا تتسول الانتماء الى وطن أى وطن ، والشباب من جيل وجدان يشهدون بأعينهم كيف تنتهك أعز حرمانهم ؟ وكيف تدنس الأرض الطهر ؟ وهم يعرفون التاريخ ويا ليتهم كانوا لا يعرفون • فالجرح في نفوسهم يزداد في كل لحظة عمقا حتى يبلغ الأغوار البعيدة من كرامتهم المصرية ، وحتى يدمر أعلامهم البوردية التي موهنتها عليهم الدعاية الكاذبة والهتاف الصارخ

واللافتات التي يتبينون اليوم أنها كانت مرفوعة على فراغ فنكستها الكارثة . ويسخرون من أيامهم الماضية ويقول قائلهم للآخر : لم تكن الحرب هي النكسة وانما كانت نوعا من الخزي والعار لا تعرف اللغة له وصفا ، لان اللغة لم تشهد له مثلا . انما النكسة كانت تنكيس هذه اللافئات ليتضح أنها كانت تخفى وراءها اللاشيء الا الاعتداء على أعراض الناس وحرمات الدين وكرامات الانسان وأمجاد مصر . ويجد الشباب نفسه يصلى . ويتجه الى السماء يسألها العون على ما يلاقون فقد ضاقت بهم الأرض أن تنبت لهم أملا ولو كان من سراب .

هناك يتجه الشباب الى الله وقد رسخ في الثوابت من يقينهم انه لا يردهم الى كرامة الانسانية الا معجزة . . وهو وحده سبحانه القادر أن يصنع هذه المعجزة .

سنتان والشباب من زملاء وجدان في هذا الجحيم يهوت بما يرى ويحيا بلا اله الا الله وبمحمد رسول الله . سنتان كلمة تكتب في خمسة أحرف وتنطق في هنيهة من زمن ولكنهما مرتا بهم هناك واللحظة تزحزح اللحظة فلا تزحزح والدقيقة تدفع الدقيقة فلا تمضى .

ثم أصدر السادات القرار . ثم جاءت الأوامر بالحرب ، ثم صدق الله عباده أبناء مصر وعده ، وتم العبور من تاريخ الى تاريخ ومن زمن الى زمن ومن هوان الى كرامة ، ودوت الله أكبر بالنصر لتظل طنيننا عاليا في أسماع الحاضر والمستقبل ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها .

★★★

كان عزام في أثناء الحرب ملهوقا لهفة أب يحب ابنه ويعجب به ويعتبره وأخاه أملة الوحيد الذي يعيش له . وكان في الوقت نفسه فخورا أن ابنه يشارك في هذه الحرب التي بدأت تباشيرها بعلمات الانتصار . أما مجيدة فكانت بين الأمهات عجا . . كان الذعر يفتت نفسها . وكان الرعب يسد عليها أقطار الحياة ، وكان قلبها لهفة ولحظات أيامها قلقا مبيدا آخذا . . . انها الأم . ولكنها بكل قوة المرأة وبكل ثقافة العلم وبكل عزم مصر لا تبدى لزوجها الا الثبات والاشراق والأمل والرضاء بحكم الله مرحية بما يأتي به . وعند ثباتها يجد عزام المرفأ ويخفى وقد كان عاجزا أن يخفى ويتماسك وقد كان أضعف من أن يتماسك لولا زوجته مجيدة .

أما ياسر فقد كان مذعورا لا يخفى ذعره . وكلما شهد ثبات أمه وقناع الصلابة على كيان أبيه عجب من أمرهما . أترهما لا يجباننا ؟! أترانا

وأخى عندهما عينا يسرهما أن ينزاح نصفه؟! ولكن انهما فيما نرى منهما
هما الحب والاشفاق والايثار والتضحية في سبيلنا وتكليف النفس
بما لا تطيق في سبيل ابتسامة منى أو من أخى .

وغاب عن ياسر أن الايمان في نفس أمه وأبيه يفعل من العجائب
التي يحسبها أمثاله ممن يحسبون الحياة أرقاما ما لا يستطيع هو أن يفهم
وما يستحيل عليه أن يصل الى أسراره .

(٤)

عمل وجدان في مكتب الأستاذ اسماعيل العدوي . وهو مكتب من أكبر مكاتب المحاماة . فما كاد ينهى خدمته العسكرية حتى راح يعمل في المكتب ، وكان أبوه متفقا مع الأستاذ اسماعيل من قبل أن يقضى وجدان فترة التمرين عنده .

وبدأ وجدان يكتب المذكرات ، وبدأ يتذكر القانون شيئا فشيئا فسننات في الميدان كفيلتان بأن تجعله ينسى الكثير . ولولا أنه كان يصحب معه بعض كتب القانون لكان قد نسي أنه تخرج في كلية الحقوق .

وممارسة المحاماة أمر مختلف كل الاختلاف عن الدراسة النظرية التي يتلقاها الطالب في الكلية . ولكن فضل الكلية يتضح في أن المحامي تجت التمرين ما يلبث في بضعة شهور أن يلم بأسرار العمل ويتقن مبادئ العمل في المحاكم ، وقد قصد اسماعيل العدوي أن يجعل وجدان يكتب المذكرات حتى يخفف عنه رهبة لقاء المحكمة . فهي رهبة يعرف كل من عمل بالمحاماة مداها .

لاحظ وجدان أن بعض المذكرات التي يطلب اليه أن يكتبها لا تتفق دائما مع الحق ، ووجد نفسه في صراع . وكان في كل مرة ينسب في نفسه هذا الصراع يقصد الى الأستاذ اسماعيل ويناقشه في القضية . ولم يكن اسماعيل يجشمه عناء المناقشة وإنما كان في كل بساطة يقول له :
- اترك لي هذه القضية وخذ هذه .

وتكرر هذا الحوار القصير فوجد وجدان نفسه يقول لاسماعيل بعد أن طلب اليه أن يترك قضية حاول أن يناقشه فيها :

- أترك يا أستاذ اسماعيل تعاملني معاملة خاصة ، لأن أبي صديقك؟
- مطلقا أنا لا أعاملك معاملة خاصة .
- اذن فلماذا لا تناقشني في القضايا التي أعرضها عليك ؟
- هذه هي أصول العمل .
- هذه هي الأصول ؟

- أولا أنت في أول عهدك بالمحاماة ولا بد أن تقتنع كل الاقتناع بالقضية التي تترافع فيها حتى ولو كانت المرافعة مكتوبة .

- ولماذا لا تحاول أن تقتنعني أنت ؟ فلا بد أنك وأنت من أكبر المحامين في مصر قبلت هذه القضية لأسباب قانونية تجعلها مرجحة الكسب .

- هذه هي الخطوة التالية . . حين تتقن كتابة المذكرات من ناحية الشكل وأجد مذكراتك قد أحاطت بكل النقاط القوية في القضية وردت على مواطن الضعف فيها بالنسبة لنا تأتي مرحلة مناقشتك .

- أشكرك . . أنا فعلا اقتنعت .

- ان كونك ابن صديقي سيجعلني أضغط عليك بما لا أفعل مع المحامين الآخرين الذين يعملون معي فلا تخف .

- شكرا .

استراح وجدان لما قاله له أستاذه ووجدته معقولا يتمشى مع منطق الأمور . وهكذا أصبح يكتب المذكرات التي يطمئن فيها الى العدالة المطلقة . فسعد بأيامه هذه سعادة لا مثيل لها . واطمأن به ضميره لا ينازعه ولا يثير عليه تائرا من شك .

كان وجدان جالسا في مكتبه المخصص له في مكتب الأستاذ اسماعيل العدوى حين طرق الباب ودخل عبد السميع وكيل المكتب :

- أهلا عبد السميع .

- أهلا بك يا سعادة البك . . بالخارج أنسة عندها قضية في الاصلاح الزراعي . . استأذنت لها البك فأمر أن تقابلها أنت .

- عجيبة .

- لا عجب هناك .

- لماذا ؟

- يبدو أن والدها كان صديق البك ويبدو أن المكتب سيطلع بالقضية بلا شيء . .

- بلاش . .

- آه . . من القضايا التي نسميها قضية مكتب .

- وهل هذا يعنى ألا يقابلها الأستاذ استماعيل ؟
- هو عادة يقابل للاتفاق على الأتعاب . . . والقضية هذه بلا أتعاب فقيم المقابلة ووجع القلب ؟
- ألم تقل إن أياها صديقه ؟
- أقول كان صديقه .
- يعنى .
- يعنى أبوها تعيش انت .
- ما زلت لا أرى معنى الأيقابلها . . بل لعل مقابلتها أصبحت أكثر وجسوبا .

- هذا عند المحامين الطيبين أمثالك .
- تقصد تقول السذج أمثالي .
- المغوى يا سعادة البك .

- وبلا غفرو أيضا . . عبد السميع لابد أن أرى الأستاذ أولا قبل أن أقابل الأنسة التى تنتظر . . فأنا لا أتصور أن أقابل زبائن فهذا من شأن صاحب المكتب وحده فى المقابلة الأولى وأخشى أن تكون أنت قد فهمت خطأ .

وابتسم عبد السميع ابتسامة ساخرة مستخفة وحاول أن يخفيها وقال :

- أنا يا وجدان بك وكيل محام من أكثر من عشرين سنة ومثلى لا يخطئ الفهم أبدا . . وعلى كل حال سعادتك تفضل قابل البك .

وقصد وجدان الى مكتب اسماعيل :

- مساء الخير . . أهلا وجدان . . هيه هل قالمت بالآنسة ميرفت ؟

- اذن فعبد السميع لم يخطئ .

- ولماذا تصورت أنه أخطأ ؟

وقال وجدان فى تردد :

- موكل جديد وطبيعى أن تقابله حضرتك .

- عجيبة انك مع حداثة عملك فى المحاماة تعرف آداب المهنة هذه المعرفة . . على كل حال أشكرك . . أولا انت انسان شريف غاية الشرف ، بل لعلك مبالغ بعض الشيء فى الشرف ولا يمكن أن يحاول مثلك أن يأخذ موكلا من المكتب لحسابه الخاص مثلما يفعل بعض المحامين تحت التمرين وثانيا والد الأنسة ميرفت رحمة الله عليه كان صديقى وقد كلمتني والدتها أمس وانفقت معها أن تاتى ميرفت اليك وتسلمك أوراق القضية . . والمكتب لن يتقاضى أتعابا على القضية .

- حسنا .. سأذهب لمقابلتها اذن
- اقرأ الملف وأخبرني عن رأيك فيه .

وخرج وجدان من مكتب الأستاذ اسماعيل وقصد الى مكتب عبد السميع وبهره وهو على عتبة الباب وجه ملاك يشع فيه نور فيه مصالحة مع الحياة وتملكته نورانية شفيفة وردد في نفسه . سبحان الخلاق العظيم ، وأوشك أن يلحظ الجالسون جميعا ما ارتسم على وجهه من بهر . أما عبد السميع فقد أدرك في اللحظة الأولى ما أصاب الأستاذ . ووقف عبد السميع ومرت لحظات قبل أن يقول وجدان :

- عبد السميع :
- أفندم يا وجدان بك .
- الآنسة ميرفت تتفضل في مكتبي .

واستقر به المقام على الكرسي ولكن ذرات كيانه جميعا كانت مشغولة بهذا الجمال الذي رآه عند عبد السميع والذي لا يعرف عنه شيئا والذي منعه مكانه في المكتب وحيأؤه أن يحاول التعرف به .

- وطرق الباب ودلفت ميرفت الى حجرة المكتب .. انها ..
- أنت ١٩
- أتعرفني ؟
- وتلعثم لحظات ثم قال :

- لا .. أبدأ .. مطلقا ... ولكن الحقيقة يا آنسة أنت حين رأيتك الآن في مكتب عبد السميع لم أتمالك نفسي من الاعجاب والتسبيح بصنع الله جل جلاله ... أنا لم أقل هذا الكلام لأحد قط .. ولا أظن أنني سأقوله لأحد أبدا ، ولذلك أرجوك أن تنسيه وتعتبريه مجرد ابداء رأى لا شك انك سمعت مثله كثيرا ..

ابتسمت فكان السماء أرسلت الى قلب وجدان لحنا لم يسمعه أحد من قبل . وتماسك . وقالت ميرفت :

- أكذب عليك لو قلت لم أسمع مديحا من قبل .. ولكن الحقيقة لم أشعر أنه صادر عن صدق وشرف مثلما أشعر الآن .. وأكذب أيضا اذا لم أقل لك اننى سعيدة بما أرى وما أسمع .

- الحمد لله ... والآن هل أنت مجرد رسول أم موكل
- لا أفهم .

- أعنى هل ستسلميننى أوراق القضية وأقروها أنا أم ستشترحين

القضية ؟ ربما تكون الوالدة هي التي تعنى بهذه الشئون وانت.
لا شأن لك .

- ماذا تظنني يا أستاذ ؟ اني محامية مثلك .
- صحيح ؟ غير معقول .
- أنا تخرجت في آخر دفعة وبتقدير أيضا .
- ولماذا لا تعملين ؟
- سأعمل طبعا فقط أعطى نفسي بعض الوقت .
- ألف مبروك . . . وما القضية ؟ لا شك أنك تعرفين أسرارها .
- جميعا .

- انها شغل البيت الشاغل منذ ست سنوات ، وربما دخلت أنا .
كلية الحقوق من أجل هذه القضية .

- هل هي معقدة ؟
- هي بسيطة بساطة تجعلها في غاية التعقيد .
- لقد بدأت شغل المحامين فعلا .
- حين صدر القانون ٥٠ لسنة ١٩٦٩ كان أبى وامى يملكان أكثر
من المائة فدان بحوالى مائة وسبعين فدانا .
- يا خبير .

- منها عشرون فدانا لامى والباقى لأبى . . . أجروا التنسيق وأبقوا
لامى أرضها وقبل أن تتم الاجراءات توفى أبى .
- البقية في حياتك .
- شكرا . . . وهنا تبدأ القضية التي ستضطلع بها .
- وأين كانت القضية طوال هذه السنوات ؟

- في مكتب محام يعلم أننسا أصبحنا فقراء . أهمل القضية غاية
الاهمال . . . كان دائم التأجيل لها بينما أعتقد أنا أنها تنتهى في جلستين .

- ولماذا قلت جلستين ولم تقولى جلسة واحدة ولو على سبيل المبالغة
المعروفة في هذا السياق ؟

- لأن القضية لا بد أن تنتظر في لجان الطعن في مصلحة الضرائب .
- وفي محاكم الاصلاح الزراعى .
- كيف ؟

- استولى الاصلاح الزراعى على الأرض الزائدة .

- ١٤ - معقول .
- وقعت مصلحة الضرائب الحجز على بقية الأرض المحتفظ بها وقيام
 - تضريبية التركات معتبرة أن أبي حين مات كان يملك الأرض كلها التي
 - احتفظ بها والتي استولى عليها الاصلاح الزراعي
 - ما هذا ؟ أهذا معقول ؟
 - لم تعترف مصلحة الضرائب بالاستيلاء وقدرت تضريبية التركات
 - على هذا الأساس .
 - هناك سؤال يفرض نفسه
 - طبعي . . . ولك أن تسأله . . . نعيش من العشرين فدانا التي
 - تملكها أمي . . . وخالي أعزب فجعلنا نعيش معه وأجرت أمي شقتنا
 - مفروشة . . .
 - سبحانه لا يقفل بابا الا فتح آخر .
 - الحمد لله .

- لم تعمل ميرفت وانما تزوجت من وجدان بعد أن عرف عنها كل شيء .
- ***
- استمر وجدان في العمل بالكتب ولكن الأمور راحلت تنكشف له
- ومرت السنان اللتان لا بد منهما للتمرين الا أن وجدان في السنة الأخيرة
- كان في حراج قاتل مع نفسه .
- لقد أصبحت قضايا المكتب جميعا أو أغلبها على الأقل بين يديه . . .
- لا ، ما هكذا ينبغي أن تكون المحاماة .
- وقال أبوه :
- ولكن من يدافع عن المجرم اذا لم يدافع المحامي ؟
 - يدافع بالحق
 - أيمكن هذا ؟
 - هذا ما يجب .
 - أتظن أنك تستطيع أن تستمر ؟
 - في مكتب غير مكتبي . . . مستحيل .
 - ماذا تريد من المحامي ؟ أن يرفض القضية الخاسرة .
 - هذا ممكن .
 - أليس من واجبه أن يحاول اقالة عشرة المخطيء لعله يستقيم ؟
 - يطلب التخفيف ولا يغير الحقائق . . . هذا في القضايا الجنائية . . .

أما في القضايا المدنية فعليه أن يقف في جانب الحق . وإذا رأي موقف
موكله ضعيفا فعليه أن ينصحه بالصلح . . . أو يتخلى عن القضية .
- ما هو عمل المحامي في رأيك ؟

- أن يقدم للقضاء وجهة النظر الأخرى . . . سواء كان ذلك في
القضايا الجنائية أم القضايا المدنية .
- هذا تعريف دقيق .

- على أن يكون شريفا . . . فالقاضي إنسان وعمل النيابة والمحاماة
في الجنائيات أن يقدم وجهتي النظر . . . أما في القضايا المدنية فعلى كل
محام أن يفتح أمام القاضي جوانب القضية من وجهة نظر موكله . .
بالحق . . على هذا أقسمنا . . وبهذا ينبغي أن نلتزم .
- أتريد أن تكون نبيا ؟!

- أنا جزء منك . . وأنا لا أحاول أن أصلح الآخرين ولكن أحاول
أنا أن أكون شريفا . . النبي يصلح الآخرين أنا لا أفكر في هذا كل
ما أحاوله ألا أقوم أنا بعمل وأنا غير مقتنع به .

- قيل أن تؤدي الخدمة العسكرية كنا اتفقنا أن تعيد التفكير .
- أذكر هذا الحوار ولكنني كنت مصمما . . ومن أين لي أن أعرف
سراديب المحاماة .

- أنا كنت أعرفها .

- وأنت خير من يعرف أن الانسان يجب أن يخوض تجربته بنفسه .
- لو أن الأبناء انتفعوا بتجارب الآباء لأصبحت الدنيا نعيما مطلقا .
- وبما أنها دنيا وليست عليا فلا بد فيها من الخطأ ، ولو انتفع
الناس بتجارب من قبلهم لانتفى الخطأ وأصبحت جنة لا أرضا .

- هذا حق . . والآن ماذا ترى ؟

- لو فتحت مكتبا فلن يدخله أحد . . فمن يعرفني حتى يأتي الى

مكتبي .

- وهذا ذكاء منك .

- إذن فليس أمامي الا النيابة فأنا الآن محام ابتدائي فلاعمل في
النيابة بأقدميتي مؤقتا ثم أعود للمحاماة .

- لا أظن أن هناك صعوبة في ذلك ، فالنيابة والقضاء في حاجة دائمة الى عناصر جديدة مستوفاة لشروطها .
- أعلم ذلك .
- أنحب أن أكلم أحدا ؟
- أطال الله عمرك . . . لا أظن الأمر محتاجا الى كلام من سعادتك . .
- سأتولى أنا الأمر ، وأعتقد أن تقديري في التخرج ومشاركتي في المعركة وعلمي في المحاماة ستكون جميعا شفيعا لي . . . وطبعا اسم سعادتك سيفتح لي جميع الطرق . . وأنا لن أستعمله ولكنه هو سيعمل وحده . . قالانتساب الى قاض شريف شرف في ذاته .
- على بركة الله .

(٥)

النيابة خصم شريف هكذا تعلم المتخرجون في كلية الحقوق ، وقد وجد فيها وجدان مكانا يتفق وأخلاقه ، وهكذا لم يكن عجيبي أن يقبل على عمله الجديد في حماس ورضا . وبدأ يعمل في التحقيقات وتبين له أن عمل يوم واحد في النيابة يكسبه من الخبرة قدر ما يكسبه في مكتب المحامي مهما يكن شهيرا في شهور عدة .

تواءمت نفس وجدان مع عمله وازداد سعادة أن ميزت بشرته بأنها حامل . فالدنيا أمامه كلها جميلة . لا ينقصها إلا مناقشات المستمرة مع ياسر حول نظرة كل منهما إلى الحياة إلا أنه سرعان ما يزيج عن نفسه ما يستشعره من ضيق في نقاشه مع ياسر . فهو يعلم أن الآراء المطلقة شيء يختلف كل الاختلاف عن تصرفات الانسان .

فاذا تحدث وجدان مع أبيه عن ياسر . رآه يصمت ويسبح بعينيه في فراغ ويخيل إلى وجدان أن أباه انتقل إلى زمن آخر . ويقول وجدان :
- ولكنك تصرف أن الآراء المطلقة لا تعبر عن الخلق الحقيقي للانسان ، فقد يكون الانسان شريفا كل الشرف ومع ذلك يدافع عن التصرفات غير السليمة ، وياسر الآن في عصر نجح فيه كثيرون بوسائل غير كريمة .

ويصمت الأب طويلا ويعجب بوجدان ، ومن أين له أن يدرك ما يدور بنفس والده ؟ ويقول الأب :

- لا أرجو من الله شيئا إلا أن يكون رأيك هذا صحيحا مع ياسر يا وجدان .

ويصمت عزام مرة أخرى ويعود وجدان إلى العجب ومن أين له أن يعلم هذه الهاجسة التي تلح في نفس أبيه أن يكون ياسر هو الوجه الآخر له الذي عاش عمره يحن إليه ويقمه حتى نجح في مجوه من حياته ؟ من أين لوجدان أن يعرف ماضى أبيه مع نرمن وختين أبيه في هذه السنوات الطويلة إلى هذه الأيام العربية في حياته هذا الحنين الذي ينتهي دائما بأن

يصبح عندما مع ذكريات كثيرة وآمال فاسقة وأفكار رغاء كلها حمق تراود
النفس الانسانية الدائمة التقلب ثم ما تلبث أن تمحى ، ومضة من خاطر
ما لاح حتى اختفى .

فاذا طال صمت عزام قال له وجدان :

- ان ياسر ابنك .. ولا بد أن يكون ابنك شريفا .

وتصيب الكلمة عزام في المكان الذي يخشاه . وكم كرر وجدان
المسكين هذه الكلمة وهو يظن أنها تمنعه أباه ولا يدرى أنه بها يزيد أباه
خوفا على ابنه . فلم يكن أحد يعلم أن عزام كان في وقت ما شخصين في
شخصين وضميرين في ضمير وأقبالا واحكاما في وقت مما وعريده وتعبدا
في لحظة واحدة .

ويقول عزام :

- ماذا ترى مفهوم الشرف عندك ؟

- نقاء النفس وتوافق العمل مع الضمير .

- لقد صيقت على نفسك وعلى الناس كان الله في عونك .

- فماذا تراه أنت ؟

- ربما أكون أنا الجاني عليك يا ابني يا وجدان - فانا أيضا أراه
كما تراه . ولكن هناك كثيرون يرون أن الدوران حول الحياة . وقبول
الحيلة . والبحث عن الأحسن من الناحية المادية هو الحياة . ويطمئنون
أنفسهم أنهم ما داموا هم لا يسرقوا ولا يرتشون ولا يرتكبون ما يحرمه
القانون فهم شرفاء وأنهم أذكى الناس في هذه الحياة وأنهم فهموها
في حين جهلنا مثلك ومثل .

- وماذا ترى في هؤلاء ؟

- لو عرضت على قضاياهم في محكمة القايون بزاتهم ولو عرضت

على قضاياهم في دنيا الضمير حكمت عليهم بالمقاب !

كان ياسر قد تخرج في كلية التجارة وأدى الخدمة العسكرية وقد
استطاع بظنناقته، جنج رؤسائه من الضباط والجنود أن يجعلها خدمة هينة
لا تعب فيها ولا نصب وكان يبيت أغلب الليالي في بيته . وكان وهو
في الخدمة العسكرية يخطط لمضيره وانتهى به الرأي أن خير مكان له
بئسك من البنوك الأجنبية الجديدة ولن يجد عسرا في العمل به بما له من

أبوة فليس المستشار وظيفة هينة في الحياة وبما يملك أيضا من لغة أجنبية
يتقنها كل الاتقان .

وصح ما توقعه . وتسلم عمله في البنك البريطاني الدولي فور انتهائه
من الخدمة .

البنك الأجنبي حياة مستقلة عن الحياة في مصر . المرتبات خيالية
ولكنهم يأخذون من الموظف عملا أكثر بكثير من مرتباتهم الهائلة . فالمواعيد
محددة والعمل طوال اليوم لا يجد الموظف لحظة خالية فهم حين قدروا
مرتباتهم كانوا يعلمون أنهم الكاسبون . وهم يختارون لوظائفهم في حرية
مطلقة . وبطبيعة الحال كثيرا ما تكون للوساطة يد في هذا الاختيار .
ولكن البنك أيضا يقدر أن يكون صاحب هذه الوساطة شخصا يستطيع
أن يستفيد منه البنك الفائدة المرجوة .

– فإذا أودع شخصا ما – مثلا – مليون جنيه في البنك وطلب أن
يعين ابنه أو ابنته في البنك كيف يجرؤ البنك أن يرفض له مطلبه !؟

وهكذا كان زملاء ياسر من نوع خاص يستحيل أن يجتمعوا في مكان
واحد ، فكلهم هناك صاحب شفيح ان لم يكن شفيعا من مال فهو شفيح من
منصب . والمال دائما يكون مالا جما . والمنصب غالبا ما يكون منصبا
ذا خطر . وهكذا وجد ياسر نفسه محاطا بقوم أغلبهم أغنى منه مئات ان
لم يكن آلاف المرات ، أو هو محاط بمن أبأؤهم لا يقلون عن أبيه مكانة
وخطر شان .

(٦)

الحاج خليل المعلاوى نشأ في قرية منشأة البكرى في محافظة الغربية ، والعجيب في شأنه أنه نفر من الفلاحة مع أن أباه ترك له فدانين وست قراريط باعها وفتح في طنطا محلا لقطع غيار سيارات الحرث . وهو عمل ندر ما يقبل عليه فلاح ، لأنه يحتاج إلى خبرة ميكانيكية . ولكن يبدو أن الحاج خليل كان هاويا لسيارات الحرث في صغره . وكان يمشى مع السائقين أينما حرثوا فعرف هذه القطع واتخذ خطواته الجريئة هذه دون أن يستشير أحدا وفتح المحل . ودهش أبناء القرية جميعا حين وجدوا أن خليل المعلاوى الذي أصبح الحاج خليل نجح في عمله نجاحا باهرا وعادت عليه هذه التجارة بالمال الوفور .

وكان في القرية ابن عمه نجيب المعلاوى وكان يعمل سمسارا في الحبوب وسمسار الحبوب أقل السماسرة دخلا . فالحبوب ليست مرتفعة الثمن عادة ثم إن المدى الذي تتراوح فيه أثمانها محدود . ولهذا فما يناله السمسار أيضا محدود . يكفيه ذلك السؤال ولا يصل به أبدا إلى حال من الغنى أو مشابهه للغنى . وكان لنجيب ابن عمه صفوت وكان نجيب حريصا غاية الحرص على أن يعلم ابنه هذا . ولكن صفوت أيضا كان حريصا على اللعب حرصا لم يجد معه اصرار أبيه . وبين تنافر الحرصين من الأب وابنه حصل صفوت على الابتدائية وهو في السابعة عشرة من عمره وقد كانوا يحصلون على الابتدائية في ذلك الحين في سن تتراوح بين العاشرة والثالثة عشرة على الأكثر . وهكذا لم يجد نجيب مناصا من أن يفقد الأمل تماما في تعليم صفوت وصحبه إلى الحاج خليل المعلاوى .

— يمسك حساباتك وهو خير من الغريب .

— أنا عندي كاتب حسابات . . ولكن لا أستطيع أن أرفض لابن عمي طلبا . . سأجعله يقف معي في المحل ويناول الزبائن .

— افعل ما تشوفه ، المهم ألا يقعد في البيت كالعامل الردى .

وعمل صفوت مع الحاج خليل وما هي إلا سنوات قلائل حتى أدرك مير الصنعة وعرف كل المشترين . بل لقد تعرف أيضا على التجار الذين

يشترى منهم عمه خليل . وبدأ هو نفسه يمارس تجارة صغيرة من حجراته التي استأجرها في طنطا . ومرت سنوات قلائل أخرى واختفى صفوت من طنطا تماما دون أن يعرف أبوه أو الحاج خليل أين ذهب .

كان مع خيبته في المدرسة شعلة من الذكاء في التجارة . فما إن وجد في يده مبلغا من المال يصلح رأس مال صغيرا حتى قصد الى القاهرة . ونزل من القطار الذي ركبه باكرا الصباح الى وكالة البلج . وكان يعرف طريقه كل المعرفة . ذهب الى المعلم أخنوخ جنا :

- صباح الخير يا معلم .

- أهلا صفوت .

- تذكر حديثنا عن المحل الذي وعدت أن تجده لى .

- هل جهزت المبلغ ؟

- كله .

- تعال معى .

واستأجر شبه حجرة في وكالة البلج . وكانت تجارة قطع الغيار في هذه السنوات قد انتقلت الى وكالة البلج بعد أن أقفل النظام منافذ الاستيراد .

وانتعشت حال صفوت وراح ماله يزداد زيادة جنونية وكان من بين زبائنه رياض البحراوى وهو شاب فى كلية التجارة كان أبوه زكريا صاحب عمائر وحين ضاقت الحياة على أمثاله ضاقت عليه معهم الا أنه لم يقع تحت طائلة الحراسة ولا انتزع منه ملك فاستطاع أن يشتري لابنه رياض سيارة صغيرة قديمة فكان طبيعيا أن يشتري لها رياض قطع غيار لاصلاحها فهي دائما فى حاجة الى اصلاح .

ومع كثرة ترده على صفوت تعرف صفوت على العائلة وما كانت سيارة الأب بأحسن حالا من سيارة الابن فهي أيضا تحتاج الى كثير من الاصلاح والى كثير من قطع الغيار .

دعا رياض صفوت الى البيت وهناك رأى أخت رياض حنان وتمنى أن يتزوجها وكان صفوت حسن الملامح وكان يحاول دائما أن يبدو فى ملبس نظيف فهو منذ أصبح صاحب تجارة يحرص أن يبدو فى أحسن صورة ينتقم بحسن ملبسه من أيام عمله مع الحاج خليل حين كان يلبس الخلاب والظاقيه فى الصيف ثم لا يزيد هذا الملبس شيئا فى الشتاء الى جاكته متهرئة . أما اليوم فهو يشتري أحسن الأقمشة بل انه أيضا .

يحرص أن يكون عماله في أحسن مظهر فتنظف أصغر الخفيف في الصيف
ومعظم أزرع ثقيل في الشتاء . أما العمال الذين لا يراهم الزبائن فحال
ملابسهم شر من حال ملبسه هو حين كان عند الحاج خليل المعلوي .

زيارة ثم زيارتان ثم قال صفوت لزكريا :

- أنا حاصل على الابتدائية .

وقال زكريا :

- وأنا حاصل على الابتدائية .

وقال صفوت :

- لعمرك لم تتصور كم أكسب اليوم ؟

- بل أكاد أتصور .

- لا تستطيع .

- لهذه الدرجة !!

- أنا لولا القوانين التي تحكمنا لبنيت عمارة في الزمالك أو

جاردن سيتي .

- لهذه الدرجة !!

- ولكن الظروف التي نحن فيها تحتم على أن أعيش في شقة قديمة

وأضع أموال في خزانة حديدية في بيتي لا يستطيع أحد أن يراها أو يعرف

مكانها حتى ولو كان العفريت ابن العفريته .

- هذا الكلام طريق الى كلام آخر ؟

- ما رأيك ؟

- أكمل الكلام .

- لقد فهمته .

- في مثل هذه الحالة لا يكفي الفهم لابد من التصريح .

- حنان .

- والله .

- طبعا أنا لن أستطيع أن أقول اننى ابن بك أو ابن باشا . وإذا

حصل نصيب ستعرف عنى كل شيء . أنا أبى سمسار محبوب فى منشأة

البكرى فى الغربية . لم أنفع فى التعليم ونفعت فى تجارتي هذه

ماذا ترى ؟

- وهل أنا ابن بك أو ابن باشا . أنا أيضا كنت تاجر جنة

أقفلت تجارتي بعد الثورة بسنتين وأعيش على ريع ثلاث عمارات .

- - انا الحمد لله فى غنى عن مالك .
- - اسمع يا بنى . . . ان كان الراى لى وحدى لقرات معك الفاتحة
- الآن . . ولكن البنيت متعلمة .
- - اهى متعلمة ؟
- - يعنى مثلنا كذا انا وانت .
- - الحمد لله .
- - ولا بد من اخذ راىها .
- - الامر لك .

وتم الزواج وأنجب صفوت من حنان سوسن عام ٥٦ . وتخرجت
سوسن عام ١٩٧٦ فى كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية .

وبين مولدها وتخرجها كان أبوها أصبح يملك ما يزيد عن العشرين
مليوناً من الجنيهات . فانه ما أن رأى بوادر الخير تهب على السوق حتى
عمل فى استيراد السيارات وتصدير الأحذية . وراحت ثروته تتضاعف
بصورة سرطانية فى جنون . فكل الأموال التى كانت حبيسة مثل أمواله
فى خزائن الظلام عرفت طريقها الى الحياة وانفجرت الثروات وفجرت فى
وقت معا . وعلماء الاقتصاد يقولون الجنيه فى الخزنة ورقة ولكنه فى
السوق حياة . وهكذا دبت الحياة فى الورق بصورة وحشية . وأصبحت
الألوف من الجنيهات لا يملكها الا الفقراء المساكين الذين يحاولون بها قى
جهد مستميت أن يعيشوا مستورين .

وهكذا كان من الطبيعى أن تصبح سوسن صفوت المعلاوى زميلة
لياسر عزام أبو الفضل فى البنك البريطانى الدولى بحرسها فى وظيفتها ،
ويمكن أقدامها فى البنك ثلاثة ملايين من الجنيهات الاسترلينية مودعة
باسم أبيها فى خزائن البنك . وهى من بعد ومن قبل موظفة لتشغل فراغها ،
فالصباح بالنسبة اليها فارغ وهى تحب أن تشغله بشىء وما دامت ابنة
صفوت بك تريد أن تشغل فراغها فلا بد أن يكون ما يشغل فراغها أمراً
يتفق وكرامة صفوت بك المالية . وليس أقل من البنك البريطانى الدولى .

(٧)

- سأله وجدان :
- أهي جميلة ؟
 - في نظري .
 - وفي المقاييس العامة ؟
 - مقبولة .
 - ولماذا لا تتزوج من جميلة ؟
 - جميلة وعشرون مليوناً في وقت واحد . . . أنا لست طماعاً الى هذا الحد .
 - وما شأنك أنت بهذه الملايين . . انها ملك أبيها اليس كذلك ؟
 - ستري حين أتزوجها أنه لا يملك منها شيئاً .
 - ألم تفكر في جمعها ؟
 - اذا لم يكن جمعها عن طريق شريف فهذا شأنك أنت بصفتك وكيل نيابة وليس من شأني .
 - قد يكون الطريق غير شريف والأدلة على الجريمة غير موجودة .
 - اذن فهو ذكي أذكى من القوانين العاجزة .
 - وهو أيضاً بلا ضمير .
 - مسألة الضمير هذه من اختصاص الله وحده سبحانه وتعالى .
 - ونحن .
 - لنا ما نراه .
 - فأنت مطمئن .
 - أنا أعطى لكل ذي حق حقه . هو صاحب عشرين مليون جنيه لغهو عبقرى ، هو غير شريف هذا من شأن القانون . هو استطاع أن يتغلب على القانون هو ذكي . . . ضميره أمر لا يعلمه الا الله . . . أهذا منطوق فيه شك ؟
 - اذن فغير الشريف الذي يسرق ويهرب من القانون شريف عندك ؟

ثروت أباطة - ٢٢١

- حتى يصدر ضده حكم .
- وهل ستعيش على حساب زوجتك ؟
- وأى بأس فى ذلك ؟
- ألا ترى فى ذلك بأسا ؟
- لقد عشنا أنا وأنت على حساب أبينا أليس كذلك ؟
- أترى انفاق الزوجة على زوجها مثل انفاق الأب على ابنه ؟!
- ألا يربطنى بها رباط شرعى ؟
- هذا الرباط الشرعى يحتم عليك أن تنفق أنت عليها لا أن تنفق
على عليك .

- لا فرق .
- هذا رأيك ؟
- واضح أنه رأى والا ما قلته .

★★★

- وسأله أبوه :
- هل تحبها ؟
- الحب يأتى بعد الزواج
- وإذا لم يأت ؟
- سأجعله يأتى غضبا عنه .
- نعم أعرف . . . وهل تحبك ؟
- لم أسألها
- وكيف ستتزوجها ؟
- ستطلبها لى سعادتك .
- وان سألها أبوها ورفضت ؟
- عرفت أصل أبيها وجدها . . انها أسرة يهملها كل الأهمية أن
تناسب مستشارا .
- أنا أعد نفسى للمعاشن .
- هذا لا يهم فى شىء . . المهم اللقب .
- ان كان هذا صحيحا بالنسبة لابيها وأسرتهما ماذا يكون موقفك
إذا لم يكن هذا رأياها .
- تقصد . . . ؟
- نعم أقصد أن تكون مرتبطة عاطفيا بشاب تعرفه قبلك مثلا .

- مستحيل .
- تبدو واثقا ؟
- لو كانت كذلك ما قبلت تقربى منها وتلميحى لها .
- لقد أعددت لكل شيء عدته ؟
- أعتقد ذلك .
- أنا لست مرتاحا لهذا الزواج .
- ولكن هل تمنع فيه ؟
- هل سألت والدتك ؟
- وقالت مجيدة :
- لو كان وجدان هو الذى يطلب هذا الزواج ما ترددت فى قبوله
أما أنت . . .
- ما الفرق ؟
- الفرق بعيد .
- مثل ماذا ؟
- أنت الموازين عندك كلها فلوس .
- وهل فى هذا عيب ؟
- عيب كبير .
- أى عيب فى هذا ؟
- الفلوس خائنة .
- والقلوب خائنة .
- ولكن الشرف لا يخون والضمير لا يخون . . حين أراد وجدان
الزواج تزوج فتاة مستورة ولكن كان واثقا من كل شيء حولها .
- ومن قال لك اننى لست واثقا من كل شيء حول سوسن ؟
- أنت سألت عن مالها وعن الطريقة التى توصلك اليها ولم تسأل
عن شيء آخر .
- وذهل ياسر لحظات هو يقول دون وعى :
- كيف عرفت ؟
- أنت ابنى . . اذا لم أعرفك أنا فمن يعرفك ؟!
- اذن فأنت لا توافقين على الزواج ؟
- وهذا أيضا لا أستطيع أن أقوله فأنا لا أعرف عن البنت شيئا
يسىء اليها الا أن ثروة أبيها غير طبيعية وان رأى غيرى هذا حسنة فأنا أراها
شيئا يثير الخوف ولكنه على كل حال لا يصلح سببا للرفض .

- اذن .

- نتوكل على الله .

وصح كل ما توقعه ياسر . . سعدت نسوسن بالزواج من ياسر فهو جميل الطلعة ممشوق القوام ، وهو ابن سعادة المستشار . وما دامت هي تفتخر بأنه ابن المستشار ففخر أبيها وأمها أكبر وأعظم . . فالمال موفور وما كانت الأسرة فى حاجة الا الى نسب مرموق يرتفع به مكانها فى المجتمع وتم لها ما أرادت .

دفع ياسر المهر خمسة آلاف جنيه فاذا بهذه الآلاف الخمسية تصنع المعجزات شقة ثمنها مائة وعشرون ألف جنيه ملك أبيها وخصصت لهما . وفرش وديكور يفوق المائة ألف جنيه بألاف أخرى لا تستحق أن تذكر فى زحام هذه المبالغ الفلكية .

وبعد أن تم الزواج بشهرين تقدم عزام بطلب اجازة المعاش وكانها أحس ان لقبه أدى المطلوب منه أو ربما أحس أن ابنه تاجر بهذا اللقب فأحب أن يصبح المستشار السابق بدلا من المستشار فقط .

(٨)

أنجبت ميرفت لوجدان ولدهما الأول بعد أن تأخرت في الانجاب .
بعض سنوات . وسمى ابنه عزام وسعد الأب بالانجاب والتسمية معه أما
مجيدة فكانت تقول :

— أنا جدته من ناحيتين .. ميرفت بنتي مثلما وجدان ابني .

وحزم وجدان أمره على شيء ولكنه أبى أن يفتح فيه أباه أو أمه في
الشنهور الأولى من مولد عزام-الصغير حتى لا يتغصن عليهما الفرحة . ثم
انتهز فرصة خلوه بأبيه وقال له :

— أريد أن أبحث عن شقة .

جزع الأب جزعا حقيقيا وقال له :

— ولماذا يا بني لا قدر الله ؟

— عزام الآن لعبة لك ولسته ولكنه ما يلبث أن يكبر ويصبح مصدر
ازعاج لكما وأنتما الآن لا تحتلان طفلا في سنه يعيش معكما بالبيت .

— هل طلبت منك ميرفت هذا ؟

— أنت تعرف أنني لا أكذب .

— نعم أعرف هذا .

— اذن فميرفت لا تعرف أنني سأطلب هذا الطلب أو أفكر فيه .

— واذن فاسمع .. أنا منذ خرجت على المعاش وأنا أترقب مولد
ابنك هذا وحين جاء أحسست أن حياتي تجددت به فلماذا تريد أن تحرمني
من هذا الشعور ؟

وظفرت الدموع الى عينيه ودخلت مجيدة فجأة ورأت الموقف الحائر
من وجدان والحزين من عزام :

— ماذا كفى الله الشر ؟

وتمالك عزام نفسه وهو يقول :

- تعالى شوفي ابنك ماذا يقول .
وقال وجدان :

- لا داعى ... نتكلم فى هذا فى وقت آخر .
وقالت مجيدة :

- لماذا أكنت زوجة ابيك ؟ ماذا قلت لأبيك حتى جعلته بهذه
الحالة ؟

- يريد أن يترك البيت :

ودقت صدرها وهى تقول :

- ماذا ؟

وقال وجدان :

- أخشى أن يزعجكما عزام .

- اذن اترك البيت وحدك ان كنت تريد اما ميرفت وعزام فباقيان

معى .

وعلا صوتها وهى تقول :

- أهكذا يا جدان ؟ الأنى أحب زوجتك كل هذا الحب تريد أن

تحرمنى منها ومن ابنها ؟

وسمعت ميرفت الصوت المرتفع الذى لم تتعود سماعه فى هذا البيت،

وسارعت الى مصدره وعرفت موضوع النقاش والتفتت الى وجدان :

- ماذا تظننى عندك ، قطعة من اثاث ؟ كيف سمحت لنفسك أن

تتكلم فى هذا الموضوع دون أن تستشيرنى ؟

وأطرق وجدان وقد أحس أنه أخطأ فى حق زوجته :

- أنا آسف .

وقال الأب :

- وهذا الموضوع لا يفتح مرة أخرى .

وقال وجدان :

- أمرك .

وحين خلت ميرفت بوجدان قالت له :

- أليس معنى طلبك أنك تريد عشرة آلاف جنيهه أو ثمانية على الأقل

لندفعها خلو رجل ؟

وذهل وجدان وأوشك أن يصيح :

– أنا أَدفع خلو رجل ٠٠ أنا وكيل نيابة ٠

– عجيبة ٠٠ اذن فكنت تريد أن تشتري شقة ٠

وعجب وجدان من نفسه وقال :

– ولا فكرت في هذا أيضا ٠٠٠ ومن أين لنا بـشمنها ؟ ٠٠ كل

ما فكرت فيه أننى خفت أن يزعم عزام أبى أو أمى ٠

وقالت ميرفت :

– يا ليت الدنيا كلها مثل أببك وأمك ٠٠ انهما يحبان عزام أكثر

من حبك له ٠٠ والحقيقة أننى لا أستطيع أن أترك نينه أبدا أمى وهى أمى

لا تعاملنى معاملتها لى ٠٠ اننى اذا تركتها تجد نفسها لائصة فى

البيت ٠٠ اننى أنا الذى أقوم بكل شىء هنا ٠

ضميرك هذا يرتكب أخطاء كبيرة دون أن يفكر ٠٠ وأنت الآن البك

وكيل النيابة والبك وكيل النيابة لا يجوز له أن يخطيء ٠

وابتسمت ٠٠

ونظر إليها طويلا وابتسم وهو يقول :

– أظال الله عمرك لى ولعزام ولست عزام ولجد عزام ٠

(٩)

بدأ وجدان مرافعاته وسجع القضاة لغة يندر أن يسمعوها، لها
عربية واضحة بينة الملامح ، وفي نفس الوقت دقيقة في التعبير حادة في
الإشارة لا تلجأ إلى الحلية لمجرد الحلية ولا تحاول الاستعراض . التيم
جلية الملامح أساسيتها القانونية مستقيمة ليس فيها تعنت أو تحيف على
النص أو الواقعة .

وسرعان ما أصبح أعضاء النيابة يتنادون في الجلسات التي يترافع
فيها وجدان . وأصبحت مرافعاته حديث المستشارين والقضاة وإخوانه
من أعضاء النيابة .

وبدأ المختصون يندبونه للقضايا التي تحتاج إلى مرافعة ذات شأن
وأخس وجدان أخيرا أنه يحقق ذاته . فلا شيء يخالف ضميره وإذا لم
يرض عن اتهام في قضية طلب حفظها . ونسى وجدان ما كان ينتويه من
عودة للمحاماة ، أو تناساه . وأصبح المجرم إذا عرف أن وجدان سيترافع
ضده زميل له يقول له ضمننت السجن حتى وإن كان محاميك الهلباوى .
وتبلغه هذه الأقوال فيعتز بها وتبلغ عزام فيشعر بزهو وتوشك النعوج
أن تظفر إلى عينيه من الفرح ويقول لنفسه ، الآباء وحدهم في الحياة هم
الذين يتمنون أن يكون أبنائهم خيرا منهم ولعلمهم بهذا يحسون بأن أجمل
أجزاء فيهم أصبحت خيرا منهم فمشاعر الأب تتعاطم حتى يحس أنه وابنه
جسم واحد مثلما هم روح واحدة .

الأم تفرح وتنتشى وتفاخر بمن أنجبت ولكن الأب يشعر وكأنه هو
الذي صنع ما يمتدحه الناس في ابنه ويكاد يحس أنه أحق بالتهنئة من
ابنه نفسه أليس ابنه هذا جزءا من روحه ؟ فليكن هو جزءا من روح ابنه .
وعزام معذور حين تحيط به الفرحة بهذه الصورة فإن يبرع وجدان في
نفس الميدان الذي كان يعمل فيه أبوه أمر يجعل فرحة الأب مضاعفة لأنه
يعرف أسرار هذا الميدان ويعرف المواهب المتعددة والجهد الخارق والحرص
على اللفظة والإشارة والانتباه إلى نغمة الصوت من غلظة إلى رقة ومن لين
إلى قسوة ، وإلى درجة ارتفاع الصوت ودرجة انخفاضه التي يجب أن يلزم
بها جميعا وكيل النيابة المترافع حتى يصل إلى تلك المكانة التي تجعله مشار

اعجاب منصة القضاء وأعضاء النيابة ومثار رعب المجرم ومصدرا من مصادر يأسه .

ولم يكن عجيبا أن يسمع صفوت حمو يأسر بهذا النجاح الذي حققه وجدان .

ويدق جرس التليفون في مكتب وجدان :

- نعم ٠٠٠ من ؟

- أنا يا أخي تسيبك الذي لم تشرفه في البيت حتى الآن .

- من يا أفندم ؟

- أنا صفوت .

- أهلا صفوت بك مرحبا ٠٠ أنا تحت أمرك .

- فتعشى معا هذا الأسبوع ٠٠ مرت شهور على النسب ولم تشرفنا .

- لا مانع مطلقا من سيكون معنا يا صفوت بك ؟

- كثيرون ممن سمعوا عن مرافعاتك وقرعوها في الجرائد وأعجبوا بها ويتمنون أن يتعرفوا بسعادتك .

- ما رأيك يا صفوت بك أن تكون العزومة عائلية ما دامت المرة

الأولى التي تشرف فيها بدعوة منك والأيام جائية كثيرة .

- أمرك ٠٠٠ سعادة الوالد والوالدة سيشرfan طبعا وإذا أذنت لي

صديق أو صديقان أعتبرهما كاخوة .

- أمرك .

- العزومة على شرفك بمناسبة القضايا العظيمة التي ترافعت فيها

فمتى تحب أن تشرف ؟

- والله يوم الخميس غالبا هو أنسب الأيام بالنسبة لي .

- علم وينفذ يا سعادة البية يوم الخميس وسأكلم سعادة الوالد

وحنان ستكلم الهانم والست والوالدة .

لم يكن وجدان يكثر من الذهاب الى ياسر فوكيل النيابة بطبيعة عمله

قل أن يجد وقت فراغ ولكن العجيب أن زوجته ميرفت أيضا كانت قليلة

الزيارة لسوسن . لم يكن وجدان قد تنبه الى هذه الحقيقة الا حين كلمه

صفوت هذه المكالمة وحين عاد الى البيت أراد أن يخبر ميرفت بالدعوة فاذا

بها تخبره أن الست حنان قد دعتهما فعلا كما أكدت سوسن الدعوة وذكره

اسم سوسن لما انتبه اليه وسألها :

- أراك قليلة الزيارة لسوسن ؟

• فعلا ؟

• لماذا ؟

• أنت تعرف أنني لست من هواة الزيارة وهي تعمل كل صباح في البنك .

• ميرفت ... ليس هذا هو السبب ؟

• هل ستعمل وكيل نيابة في المحكمة وفي البيت ؟

• لا والله إنما فقط أردت أن أعرف .

• الحقيقة أننا لم نرفع الكلفة بيننا تماما . فهي على كل حال جديدة علينا والزيارات الكثيرة تبدأ قليلة حتى يتعود بعضنا على الآخر .

• ولا هذا هو السبب ؟

• حتى أكثر من الزيارة لا بد أن أشعر حين أزورها أنني في بيتي وأنها لا تفكر في مواعيد أخرى تجعل الزيارة محددة الزمن وهذا أمر يحتاج الى وقت .. وسوسن مشغولة دائما بمواعيد أخرى ان لم يكن الكوافير فصدقات أخريات في النادي .. وهي تلعب سكاوش أيضا .. أما في الصباح فهي موظفة في البنك كما تعلم .

• هذا هو السبب .. انها نوع آخر غيرك .

• لا تخش شيئا سنتعود على بعضنا البعض .

• كل ما في الأمر أنني عارضت ياسر في زواجه ولا أحب أن يشعر من ناحيتي الآن بما يضايقه .. لقد تزوج وقضى الأمر .. والزيجة في ذاتها حتى الآن ليس فيها عيوب واضحة فليظل ياسر أخي فأنا واثق أنه سيحتاج الى ولا أحب أن يتردد اذا احتاج الى أن يفاتحني .
• معقول .. حاضر ..

ذهب عزام ومجيدة ووجدان وميرفت الى دعوة العشاء . وتساءل في نفسه وهو يصعد المصعد .. فيم سيكون الحديث ؟ وسرعان ما جاء الجواب . هذا رجل صنع الملايين ألا يستطيع أن يجد موضوع كلام يعجب جماعة من السذج أمثالنا . لن يعدم وسيلة لخلق موضوع اذا لم نتكلم نحن .

كان الترحيب حارا بسعادة المستشار وبالسيدة حرمه وبسعادة وكيل النيابة والسيدة حرمه . وبدأ ياسر وهو ينظر الى المفروشات الفاخرة

والثريات الهائلة والتباويل على الحائط والتحف على المناضد أنه يريد أن يقول لأخيه ولأبيه ولأمه : هيه رأيتم ان ابنكم وقع واقفا .

وكان بين المدعويين غريبان قدمهما صفوت على أنهما صديقان له لتصيقان ثم عرف وجدان بعد ذلك أنهما يملكان شركة للتصدير وأنهما كانا بسبيلهما الى توقيع عقد مع صفوت فأراد أن يتفاخر أمامهما بنسبه الجديد .

ودار الحديث في كل شيء . وبطبيعة الحال بدأ بمديح من عزام للمفروشات وحين أجاب صفوت أدرك وجدان أنه شخص غاية في الذكاء . قال :

— تعرف سعادتك الابيسون الذى تجلس اليه هذا كان لقطه لا مثيل لها ، ملك لتاجر صديقى كان معروضا عند عبد اللطيف شهدي وحين عرضه على عرفته فقد زرت صاحبه عدة مرات وجلست عليه عنده . طلب فى الطقم عشرة قلت ثمانية آلاف وأنا أعرف أن صديقى كان داخلا فى صفقة يحتاج فيها الى مال سائل من أى طريق واشترت الطاقم .

لملك تتعجب يا سعادة البك كيف عرف فلاح مثلى بدأ فى وكالة البلح الابيسون والكريستوفل وما أشبهه ؟ أنا كنت صديقا لتاجر لبنانى اسمه عطار . كان الله يرحمه لا يقيق من السكر وأنا والحمد لله لا اشرب كنت اجلس معه دائما يشرب هو وأكل أنا المرة ويتكلم عن هذه الأشياء ولم أكن سمعت عنها ، ابيسون مركبت رى كريستوفل والخشب المطعم بالنحاس ويسمونه البول كله عرفته منه .

وقالت حنان :

— أكان لابد أن تذكر وكالة البلح ؟

— اسمعى يا بنت زكريا بك . . . الذى يتنكر لأصله لا حاضر له . . ولا تعملى نفسك ذكية يا أختى . . عزام بك سأل عنا قبل الزواج وان لم يكن هو سأل فوجدان بك وأعضاء النيابة يعرفون البنائه فبا بك بالشئ الذى يعرفه الجميع ، وإن لم يكونا قد سالا فهما مخططان وجاهسا لله أن يخطئ سعادة المستشار وهو يزوج ابنه أو يخطئ سعادة وكيل النيابة وهو يزوج أخاه الأصغر .

وقهقه الجميع بالضحك فالحديث بسيط وفيه صدق وفيه ذكاء . ذلك الذكاء الذى يخفى نوعا خطيرا من المكر ، فبشر المكر ذاك الذى يخفيه الحديث الساذج الواضح الطيبة . . وأكمل صفوت :

- تعرف سعادتك كل هذه التحف أعرف أصابها وفضلها بعد الذي
تعلمته من عطار الله يرحمه وهو يسكر .. ولذلك فتجار التحف يتعاملون
معي معاملة الند للند ولا يحاولون أن يضحكوا على أبدا .

وقالت حنان زوجته وهي تضحك في فرح شديد :

- يا أخى دوشننا بالتحف وأنا عندي بشرى عظيمة لست مجيدة
وسعادة البك المستشار وسعادة وكيل النيابة .

وابتسم عزام في وقار وفرح :

- البشرى التي تجمعنا لابد أننا سنصبح أنا وءجياة جادين
وسيصبح وجدان عما .

وقهقهت حنان :

- اسم النبي حارسك وضامنك مستشار عرفها قبل أن نطق بها .
- ولم تستطع مجيدة أن تخفى فرحها .
- هكذا بسرعة يا بنت يا سوسن .
- وماذا عمل يا تنت ؟
- وقامت الأسرة تقبل الأم المنتظرة وزوجها .

(١٠)

كان من الطبيعي أن يضع وجدان التليفون في حجرته في المساء فقد كان كثيرا ما يستدعى في أعماق الليل للتحقيق في حوادث وكان الأب والأم في غنى عن التليفون في مثل هذه الساعات من الليل بل لعلهما كانا في حاجة إلى من يبعده عنهما .

ودق جرس التليفون في حجرة نوم وجدان وصحا كما صحت ميرفت وأجاب هو :

- سعادتك وجدان بك أبو الفضل ؟
- نعم أنا .
- أنا وهبي رشوان من قسم الهرم .
- أهلا وسهلا .
- أخو سعادتك ياسر أبو الفضل ؟
- نعم .
- هل تسمح بتشريفنا .
- مسافة الطريق .
- شكرا .
- ولم تسأله ميرفت إلى أين ولكنه قال لها :
- حادثة .

وكانما خشي أن تكون سمعت اسم أخيه وقالت ميرفت دون اهتمام :

- شيء تعودنا عليه .

كيف ذهب ياسر إلى الشرطة ؟ أمر يحتاج إلى أن نعود إلى بضعة أسابيع يوم كان ياسر وسوسن مدعويين للعشاء والسهرة عند صديقيهما حمدي السلولى وقبلا السهرة واشترت سوسن الفستان الذى ستذهب به حتى كان اليوم المحدد عاد ياسر من البنك ليجد سوسن تقول له :

- ياسر اذهب وحدك إلى السهرة .
- لماذا ؟

- لا ادري ربما للحمل دخل في الأمر .. ليس لي مزاج وأشعر
بدوخة وصداع .

- أعتذر ؟

- لا اذا اعتذرت ستجعلني أذهب غصبا عنى .. حمدي شاب ممتاز
وأحب أن تكون علاقتك به طيبة .

- أمرك اروح وأمري الى الله .

وذهب ياسر وكان عشاء كالذي تعود أن يراه منذ عرف هذه
الدعوات . شرب للويسكى غالبا أو لغيره من العوامل المساعدة من الجين
أو الكمبارى الى قرب الحادية عشرة أو بعدها بقليل ثم العشاء أما السمير
والحديث فطول السهرة طبعاً . الا أن هذا العشاء بالذات تميز بشئ ،
لا يتكرر كثيرا في الدعوات الأخرى . كانت الراقصة الناشئة التي بدأت
تلعب أخيرا مها رمزي مدعوة الى الحفل . بطبيعة الحال التف حولها الشبان
وراحت توزع عليهم القليل الذي تعلمته في عالم الليل .. ألم أقل لك انها
ما زالت في أول الطريق ؟

وقال لها حمدي :

- الأنسة العظيمة مها رمزي هي وحدها صاحبة الأمر في تحديد
الموعد الذي تتناولون فيه العشاء .

وقالت أصوات مازحة : هذا تحيز . وآخرون هذا استبداد .. وهذا
طغيان .. وقالت مها :

- ألا تحبون أن أكون أنا المستبدة وأنتم الرعية ؟

وتعالت الأصوات : ونعم الاستبداد وأهلا وسهلا ويحيا الاستبداد .
وقالت :

- خلاص .. أنا التي أقول متى نأكل .

وتعالت الأصوات : الأمر مطاع .. وتحت الأمر .. ولا لزوم للأكل
كله .. وصاح أحدهم بصوت طغى على الجميع :

- بشرط .

وقالت مها :

- ليس لأحد أن يشترط على .

وقال الصوت :

- اذن برجاء .

وقالت مها في دلال ساذج :

– تقبل الرجوات اذا أعجبتنا •

وصاح صاحب الصوت ولم يكن الا ياسر :

– رقصة •• نرى رقصة •

ونظرت اليه مليا • وكانت قد عرفت عنه كل شيء • عرفت انه أخو وكيل نيابة مهم وعرفت أنه نسيب مليونير فاحش الشراء ••• عرفت كل شيء ••• وحين قدمه اليها حملت في العشاء أعجبت بصورته وقوامه وملبسه فحين طلب اليها الرقص نظرت اليه مليا ثم غمزت له بعينها وهي تقول :

– لأجل خاطرک انت بالذات أرقص •

وهتفت أصوات : تحيا المحسوبة • تحيا الخواطر •• وسارع ياسر الى ملفعته وذهب اليها وقام بربط الحزام حول وسطها وعدلت رباطه وأدير التسجيل وراحت مها ترقص على تصفيق الحضور أكثر مما ترقص على موسيقى المسجل •

وانتهى الرقص وبدأ الاعداد للعشاء وراحت العيون السكرانة تنتلح الى حجرة المائدة • وفي خيرة أدرك كل من ياسر ومها أنها يستطيعان أن يختلسا بضع كلمات فان تكن مها قليلة خيرة بمهنة الرقص فما هي بقليلة خيرة بمهنة المرأة •

– متى ستترکين العشاء ؟ •

– عندما تحب •

– الآن •

– قد يلحظون •

– نتظاهر بأننا معهم على العشاء وننصرف •

– ممقول •

وتم الأمر على ما اتفقا عليه • وفي المصعد :

– معك سيارة •

– معي •

– وأنا معي سيارة •

– تتركها أنت ؟

– وهو كذلك •

وحين أصبحت في الطريق قال لها :

– هذه سيارتي •

- مرسيدس آخر موديل طبعا ياعم .
- تحت أمرك .
- هي من الليلة تحت أمرى فعلا .
- فعلا .
- بكم اشتريتها ؟

وركبا سيارتها ولم تكن قد أصبحت مرسيدس بعد وانما هي تحبو
نحوها وأجاب السؤال :

- أنا لا أشتري .
- طبعا يا بخت من كان النقيب خاله .
- أو حماه .
- وضحكا وهي تقول :
- هدية منه ؟
- يوم الصباحية . . الى أين أنت ذاهبة ؟
- الى الشقة عندي .
- حلو
- ما زال أمامي أكثر من ساعة نقضيها معا .

- فى البيت قبيل خروجهما قال لها :
- أتريين أن أؤجر شقة لنا ؟
- كم كنت ستدفع فى الايجار ؟
- مائة جنيه .
- قل مائة وخمسون .
- مثلا .
- أؤجر لك شقتى هذه وتدفع لى المبلغ . . . ألم تكن ستؤجرها لى
- أنا وأنت فقط ؟
- طبعا .

- ان عرفت أخرى قتلتك . . أنا لست مثل زوجتك تضحك على .
- الخادمة تاتى فى الصباح ومن بعد الظهر الى اليوم التالى وحدى .
- عظيم تبقى المسألة فى بيتها .
- اذن اتفقنا .
- وهذا هو المقدم .

وأعطاهما مائة وخمسين جنيها . فقد كانت الأموال تجري في يده
لا يعرف كيف ينفقها ؟ فبعد الشهر الأول من الزواج أخبرته زوجته :
- أبنى سيعطينا ألفى جنيه في الشهر .
- يعطيك أنت ؟
- أألسنت أنا وأنت واحدا ؟
- طبعاً .

- اذن أنا سأضع المبلغ في هذا الدرج ويكون معك مفتاح وما تريده
خذه وما أريده آخذه .
- وان نفد ؟
- يأتي غيره .

وهكذا أصبح مرتبه الكبير الذى يتقاضاه من البنك شيئاً ضئيلاً
لا يستحق الذكر . فقد أدرك صفوت أن حالة ياسر المانية لن تحتل المظاهر
التي يفرضها عليه زواجه بابنته وطلب الى ابنته أن تقول له ما قالت
متصوراً أن اعطاه مالا لياسر بطريقة أخرى قد تغض من كرامته .

وهكذا لم يكن فى اعطاء ياسر مائة وخمسين جنيها لها أى عسر عليه
وأصبح ياسر يتردد على مها فى أغلب أيام الأسبوع قبل أن تذهب
الى الكباريه . الا أن هذا لم يكن يمنعها أن يذهب الى الكباريه مرة فى
الأسبوع أو مرتين فقد كانت سوسن من هذا النوع الذى لا يحاسب زوجها
وكان يكفيه أن يقول لها انه سيسهر ليلته مع بعض أصدقاء حتى توافق
دون حتى أن تسأله عن هؤلاء الأصدقاء .

وكانت مها فى كل ليلة يأتى فيها الى الكباريه تخرج معه فهو
لا يأتى فجأة وإنما يتفقان على ألا تأخذ سيارتها وتكون واثقة أنها ستجد
سيارته أو سيارة حميه لا فرق - لتصل بها الى منزلها .

بعد هذه المقدمة نستطيع الآن أن نروى الحادث الذى أقض مضجع
وجدان المسكين .

كان الكباريه زاخرا برواده . وكانت هناك منضدة يجلس اليها
جماعة من المصريين . يتصدر أحدهم المائدة وينفق ببذخ واضح . وحين
ظهرت مها لتؤدى رقصتها تركها ترقص بضع دقائق ثم قام اليها وألبسها
عقداً من العقود الجديدة التى لم تعدها الحياة الا فى هذه السنوات
الأخيرة . كان عقداً بألف جنيه موزعة أوراقه ذات المائة جنيه على دائر العقد

وقبلته مها وخلعت العقد وأعطته للطبال واستمرت فى الرقص . بين
تصفيق المنضدة وزياطها .

ومضت دقائق أخرى وقام اليها المعلم تيسير أبو العزم وألبسها عقدا
آخر من نفس النوع . وتقاضى القبلة وزياط المنضدة وقعد .

وانتهت مها من الرقص ودخلت الى حجرتها لتغير ملابسها وتقاسمت
الألفى جنييه مع صاحبة الملهى والموسيقيين وخرجت قاصدة الى المنضدة التى
يجلس اليها ياسر الذى قام وهو يقول لها :

- أنا غير مرتاح لهذه الجماعة هيا بنا .

- ولا أنا هيا بنا .

وهما بالخروج واذا بالمعلم تيسير أبو العزم وجسماعته يعترضون
طريقهما .

- الى أين يا ست ؟

وقال ياسر محاولا أن يحميها :

- وانت مالك .

ز. وقال تيسير :

- يا أفندى انت الذى لا مال لك . . أما أنا فقد قدمت ألفى جنييه

نقوفا كل مائة تنطح مائة وأنا يا أخى لا أكلمك .

وقال ياسر :

- وهل معنى هذا أن تمنعها من الخروج ؟

- لا . . العفو . . انما أظن أنه من باب الذوق أن تاتى وتجلس

مع الثور الذى دفع لها ألفى جنييه فى خمس دقائق .

- وهل هذا أمر ؟ وهل ما دمت دفعت نقوفا تتحكم فيها ؟

- انت كل كم يوم تاتى اليها ولا تدفع قرشا ولا عشرة ثم تأخذها

جاهزة آخر الليل ونحن نرمى الآلاف ولا ننال ولو جلسة . . طيب كلمة . .

طيب ضحكة . .

طبعا كان الناس قد تجمعوا حولهم . وكان المشرف على الكباريه

الخبير بخبرة واسعة بهذه الأحوال قد أبلغ الشرطة ولكن قبل أن تاتى

الشرطة .

قال ياسر :

- هذا تهجم هذه وقاحة .

وقال تيسير :

– أما عجائب يا اخواننا .. الوقاحة أن تدفع وتطلب الأخذ ..
أم تأخذ ولا تدفع .

وتصايحت جماعة تيسير وضرب احدهم ياسر صفقة حاسمة . وهكذا
أصبح من الحكمة أن يتدخل فتوات الكباريه في شكل محاولة للصالح
هيات الفرصة للشرطة أن تأتي في الوقت المناسب وتأخذ الجميع الى
القسم .

وعرف الضابط ياسر من بطاقته وسأله عن تليفون أخيه . وهكذا
دق جرس التليفون في حجرة وجدان وهكذا وجد المسكين نفسه في قسم
الشرطة .

وكان الضابط قد صرف تيسير أبو العزم بعد أن همدده بالحبس اذا
عاد لمثل ما فعل ، فحين جاء وجدان حياه الضابط في تल्पف .

– المسألة لم تكن محتاجة تشريف سعادتك مجرد خنافة عادية
الا أنني حين عرفت شخصية ياسر أحببت أن أقول له شيئاً أمامك .

وكان وجدان في حالة من الألم غاية في الحدة . فهو لم يتصور نفسه
قط قادما الى قسم الشرطة ليتسلم أخاه ، وهذا التباعد بين منهجه في
الحياة وبين ما هو فيه جعله يوشك أن ينهار . قد يتصور أن يذهب الى
ياسر في حادثة مرور بسيارته الجديدة أو في مشكلة روتين أما تشابك
في كباريه بينه وبين سكارى من أجل راقصة .. كان في دوار ولكن ما قاله
الضابط بعد ذلك جعله يفيق على حقيقة أبشع .. قال الضابط :

– يا وجدان بك أنا أقول لأخيك ياسر أمامك ان حماه كل ليلة يظل
يدخن الحشيش في شقته الى الصباح .. ولولا اننا نعلم أنه لا يناجر في
المواد المخدرة لآلقينا عليه القبض ولكن الرائحة فاحت وأصبح سكوتنا أمرا
في غاية الصعوبة بالنسبة الينا .

وارتج على ياسر وازدادت حيرته وهو يرى الأثر المروع الذي ارتسم
على وجه أخيه وساد الصمت لحظات ثم قال وجدان :

– أشكرك يا وهبي بك وأرجو أن تترك لي أنا هذه المسألة .

– شكرا يا وجدان بك وأسف لأزعاجك ... مع السلامة .

وحين خرج وجدان من القسم ومعه ياسر ومها لم يلتفت اليهما وانما
ركب سيارته الصغيرة التي أهداها له أبوه بعد أن عاد من الميدان . وتوجه
الى البيت والفجر يؤذن يدعو المؤمنين الى الصلاة .

وفي الصباح كان من الطبيعي أن يذهب ياسر الى وجدان في عمله .
وكانت الحجرة خالية بهما .

– هل أحسست زوجتك بشيء ؟

– لا .

– أتأخذ أموالها لتنفقها على الراقصات ؟

– ولماذا خلقت أموالها اذا لم تكن للانفاق على الراقصات ؟

– أهذا منطوق .

– انما اخترت زواج المال لأنتمتع به .

– لأول مرة أضطر أن أقول لك انك أوقح بكثير مما كنت أعتقد .

– أنت تعيش في دنيا خاصة بك لم يعد باقيا من معالمها الا أنت

وقلة ساذجة لا تدري شيئا مما يحيط بها .

ووجه وجدان . . . يبدو أن كلام أخيه حقيقة كانت خافية عنه .

انه لا يريد الا أن يكون انسانا سويا لا يعتدى على حق أحد ولا على كرامته

ولا يعتدى أحد على حقه أو كرامته ، ولكن يبدو أن هذا المطلب الذي يراه

يسيرا غاية اليسر بسيطا كل البساطة مستحيل التنفيذ . ماذا صنع هو

حتى يذهب ليرى أخاه في موقف الأمس ولا شك أن الضابط يعرف كل

الحقائق عن أخيه وعن زواجه وعن تصرفاته وعلاقاته ؟ وماذا صنع هو

حتى يكون نسيبا لشخص لم يتدخل في اختياره بل كان يعارض في نسبه

ويصبح بسببه موضع احتقار من الشرطة والمجتمع .

أفاق من خواطره وقال لأخيه :

– ماذا تريد الآن لماذا جئت ؟

– لا شيء . . . مجرد أن أراك وأعتذر عن ازعاجك .

– لا عليك . . هذا ازعاج أنا متعود عليه وليس الازعاج ما يؤلمني

ولكن الذي روعني أن أراك حيث رأيتك بالأمس وروعني أيضا ما قال

الضابط عن حميك .

– ماذا ستفعل معه ؟

– هذا شأنى .

– أرجوك . . لا تفضبه .

– أيضا هذا شأنى . . وعلى كل حال لا تخف هذا نوع لا يفضب

أبدا .

- على كل حال السلام عليكم .
- مع السلامة .

- طلب وجدان التليفون :
- صفوت بك ؟
- أنا .
- أنا وجدان هل أستطيع أن أراك ؟
- تحت أمرك طبعاً . هل هناك شيء ؟
- حين نلتقى أقول لك .
- تشرفنى فى البيت ؟
- لا .
- أجيء اليك فى النياابة ؟
- ولا فى البيت .
- اذن .
- نلتقى فى مكان عام .
- فى الهيلتون ؟
- الساعة السادسة اليوم .

- يا سعادة الوكيل نحن تجار ولنا أعداء كثيرون فى السوق وهذه اشاعات .
- يا صفوت بك الشرطة لا تخلق اشاعات ولا تتصرف بنساء على اشاعات . والذى فهمته أنهم يراعون النسب الذى بيننا . وأنا لا أستطيع أن أتحمل هذا ولا أقبله . نحن أسرة عشنا محترمين ولا نرضى أن يمس أحد سمعتنا التى قدمنا عمرنا لنحافظ عليها .
- يا سعادة البك .
- اسمع . اظن ليس من المعقول أن أستقيل من النياابة لتشرّب سعادتك الحشيش !! أصبح الناس يقولون لك يا بك . يا أخى احترم نفسك على الأقل قدر احترام الناس لك .
- يا بك هذا كلام كبير . وواضح أن سعادتك تعيش فى دنيا أخرى . الحشيش لا يشربه اليوم الا أمثالى البكوات . كلمة بك اليوم ليس مصدرها المرسوم وانما مصدرها الباكو .

– الباكو ١٤!

– باكو الآلاف من الجنيهات .

– هذه دنياكم .

– دنيا الناس اليوم . . ولكنك أنت تعيش في دنيا أخرى ولا داعي

• للكلام

– فهل أنت مصمم اذن أن تظل على ما أنت عليه ؟

– طبعا من اجل خاطرك لن أجعلك تسمع عني شيئا من هذه

الناحية . . وانما كل ما في الأمر أنني لاحظت أنك تتكلم بمنطق أصبح

غريبا على الزمن . . وأحببت أن أكسب فيك ثوبا حتى تصحو على الزمن

• الجديده

– وفر عليك ثوابك . . . أنا عضو في النيابة وقضايا الرشوة

والسرقة والتهرب من الضرائب والتحايل على القانون هي عملي . . ولكن

ليس هذا هو المجتمع . . والذين يفعلون ذلك كانوا موجودين في كل زمان

وهم موجودون الآن في كل دولة .

– ليس بهذه الصورة .

– بل ربما بصورة أبشع . . ولكن أؤكد لك أن الشرفاء هم الأغلبية .

اننا نسمع عن القلة ، لأن القلة هي التي تخرق العرف العام . أما الذين

لا نسمع عنهم شيئا فهم الأغلبية الساحقة وعددهم لا يقارن بالمجرمين

والحشاشين . لا تظمن نفسك أنك ابن زمانك . أنت شذوذ في الزمن

ولم يدخل زمن من شذوذ . . كل ما يؤلمني أن الصالحين وهم الكثرة يتعشرون

أثناء سيرهم عبر الحياة في الأشرار وهم القلة وهكذا يقع الظلم على المجتمع

بأسره مع أنه في مجموعه برى . . عن اذنك يا صفوت بك . . سلام

• عليكم

وقام وانصرف . .

(١١)

لم يذكر وجدان شيئا من كل هذا الذي حدث لأبيه ولا لأمه ولا لزوجته ، وقصد وجدان أن يكثر من زيارته لياسر وكان يصحب معه ميرفت بأمل منه أن يحاول ياسر أن يجعل علاقاته في طلي الكتمان . على الأقل فلم يكن وجدان من السداجة الى درجة يعتقد معها ان ياسر سينعذب الى شخص آخر لمجرد مشاجرة في كباره . فما هنذا ياسر . فالامر بالنسبة اليه ليس تجربة عابرة وانما هو طريق حياة . انه يحب ان يبيس هكذا وان كانت قلة المال قبل الزواج تحول بينه وبين احلامه فيها هو ذا المال يجري في يده مجرى الماء فأى شيء يمكن أن يقف في سبيله الآن .

كان وجدان يحب أن يجلس الى أبيه فقد كان الحديث معه معه . كان التفاهم بينهما تاما وكانت اللغة التي يتحدثان بها واحدة وكانت والدته وزوجته تشاركانهما في الجلسة . وكانت أمه بذكائها وبطول معاشرتها لأبيه تشاطرهما الحديث مشاطرة واعية أما ميرفت فقد كانت بطبيعة ثقافتها تعلق على ما يدور بين المستشار المتبرس ووكيل النيابة الحديث من مناقشات توشك أن تكون مدارس .

التأمت الجلسة في يوم كان وجدان فيه متخففا من العمل . وكان عزام غير راغب في الخروج . وكانت الأحاديث الجارية في هذه الأيام حول محاكمة الذين أثروا ثراء مروعا مستغلين ظروف قراباتهم أو مقدماتهم رشواى الى المسئولين .

قال وجدان :

— هذه ظاهرة خطيرة .

وقال عزام :

— أتراها كذلك ؟

وقال وجدان :

— بل أراها في غاية الخطورة يا بابا .

وقال الأب :

— لا أعتقد ذلك .

وسكنت ميرفت واثقة أن وراء كلام عزام ما يؤيده فهي تعلم أنه لا يلقى الكلام على عواهنه . ولكن مجيدة بطبيعة مناقشة الزوجة لزوجها قالت :

– كيف هذا يا عزام ؟ لا .. أنا من رأى وجدان .
وقال عزام فى هدوء :

– الجرائد جعلت هذه القضايا أشياء خارقة للعادة .. وجعلت منها انهيارا لاقتصاد الوطن وجعلت منها جرائم لم يسبق لها مثيل .. فالذى أقصده أن الأمر ليس بالخطورة التى تصورها به الصحافة .

وقال وجدان :

– كيف ؟ أتعرف سعادتك أننى منتدب فى المرافعة فى قضية تهرب عن الضرائب ؟

– أكذا ؟ عظيم سأحضر المرافعة .

– طبعاً يهمنى جداً أن تحضرها سعادتك .. وأنا الآن أعدها ولن أعرضها عليك حتى تصبح مفاجأة لك وأنت تسمعها .
– وهو كذلك .

– ولكن هذا لا يمنع أن أرجع اليك فى بعض الوقائع لتعاوننى فى التكييف القانونى .

– الوقائع سأعرفها من الجرائد وحديثك معى فيها لن يقلل من جمال المفاجأة عندما أسمع مرافعتك .
– أرجو أن تجد هذا الجمال .

– المؤكد أننى سأجده .. بقلب الأب ان لم يكن بخبرة المستشار .

– وأنا أحب عندك الشعورين معا .. نعود لموضوعنا ألا ترى سعادتك أن عدد الذين يقدمون للمحاكمة أعظم كثيراً مما كنا نتوقع ؟ وأن فى هذا تهديدا لاقتصاد مصر ؟

– أنت محق فى أن فيها تهديدا لاقتصاد مصر ولكن ليس لما تراه . أنت

– كيف ؟

– أين تجد التهديد ؟

– أجدده في أن هناك كثيرين انتهزوا فرصة الانفتاح وانقضوا على أموال الدولة وحقوقها واستغل بعض منهم قراباته ، وهذا بلا شك يضيع على الدولة أموالا ضخمة .

– هنا أختلف معك . . أولا وقبل أن أذكر لك موضع الخلاف بيني وبينك لابد أن نتفق أن كل دولة فيها الكثيرون من أمثال هؤلاء ويتواءم العدد مع كبر الدولة وصغرها وضخامة اقتصادها وضآلتها . فهؤلاء موجودون في أمريكا وفي إنجلترا وفي فرنسا وفي كل دولة . . بل هم موجودون أيضا في روسيا التي لا انفتاح فيها .

– نعم لا شك في ذلك .

– الفارق بيننا وبينهم أن النظام الاقتصادي الذي بدأنا الأخذ به يخالف النظرية الشيوعية التي سار عليها اقتصادنا طوال الفترة الماضية . . قبل الانفتاح كانت سرقات أضخم من هذه تقع وإنما تقع بأيدي الحكام وحدهم فهي تقع في السر وإذا عرفها واحد فإنه يعلم مصيره ان هو حاول اداعتها أو الكلام عنها .

– هذا صحيح .

– ولهذا فسرقه الأفراد من غير الحكام أصبحت بالنسبة إلينا شيئا جديدا لا يعرفه الجيل الحالي . . قد كان قبل الثورة موجودا بصورة ضعيفة باهتة ، لأن البرلمان كان رقيقا عنيدا يصعب مع وجوده الفجور في السرقة .

– وهذا حق أيضا .

– ثم اننا نحن حتى اليوم ليس لنا نظام اقتصادي واضح فلا نحن نمائل حرية الدول الديمقراطية كل المماثلة ولا نحن أبقينا على النظام المغلق الذي تمثله الدول الشيوعية . نحن نظام لا نظام له واضحا . ومجيء التجربة الاقتصادية جعل الذي يقع الآن أمرا غريبا لمن عاش في وضع اقتصادي مغلق قرابة عشرين سنة .

– كل هذا صحيح .

– من طبيعة النظام الجديد أن يوجد معه أمثال هؤلاء المستغلين . . ومن الطبيعي أن يحاكموا ويحكم على المذنب فيهم والقانون كما تعلم مانع رادع . . فهذه الأحكام كانت من طبيعتها ستجعل الآخرين يفكرون كثيرا قبل أن يقدموا على هذه الجرائم مرة أخرى .

• أنا أوافق •

• الذى أختلف معك فيه أن تهديد الاقتصاد ليس آتيا من الجرائم نفسها ، لأن مرتكبيها سينالون جزاءهم وانما هو آت من الضجة التى تثيرها الصحف حول هذه القضايا مما يجعل رأس المال الأجنبى يخاف ويجعل العاملين فى الاقتصاد عندنا سواء فى القطاع العام أو القطاع الخاص فى حالة رعب أن يقعوا فى خطأ غير مقصود يؤدى بهم الى هذه الفضائح التى لا يصلح منها بعد ذلك الحكم ببرائتهم •

ونظر وجدان الى والدته وقال لها :

• أرايت يا نينا ان سعادة المستشار كان قد فكر كثيرا قبل أن يصدر حكمه ؟ واننى أنا وأنت تعجلنا فى المعارضة بينما ميرفت الماكرة تروت فى الأمر وانتظرت الحثيات •

وضحكوا وأكمل عزام :

• وهكذا أظهرت الصحف بما صنعت أنها تستغل الانفتاح الاقتصادى لتنقض به على الانفتاح السياسى ولم يلتفت كثير من الكتاب وفى غمرة اندفاعهم أن البديل عن الانفتاح الاقتصادى هو النظام الشيوعى •

ولهذا كنت ترانى أرى كتابة الشيوعيين متفقة تماما مع مذهبهم حين يهاجمون الانفتاح وكنت أضحك كثيرا وأنا أرى كتابا كبارا من أصحاب رأى الحر أوقعهم الشيوعيون فى الفخ وجعلوهم يهاجمون الانفتاح • وهم لا يدرون أنهم بما يكتبون انما يهاجمون الحرية التى عاشوا يدافعون عنها • والتى عانوا من غيابها القهر والهوان وسفك الدماء •

وأراد عزام أن يستطرد لولا أن دق جرس التليفون واستدعى وجدان الى مكتبه •

(١٢)

متولى عبد القادر هو وكيل أعمال صفوت المعلاوى فى جميع أعماله .
وقد بدأ يعمل معه منذ أنشأ مكتبه . ولم يكن صفوت يضيّق عليه وإنما
كان يكرمه ويعطيه ما يعتقد أنه يكفيه ويزيد .

وكان ابن متولى الأكبر حسان قد نال بكالوريوس الصيدلة . وخطب
أيضا فتاة من زميلاته . فوجد الأب متولى نفسه محتاجا الى مبلغ خيالى
يواجه به مطلبين أساسيين لابنه حسان : المطلب الأول ثمن شقة فلم تعد
هناك شقق بخلو رجل بعد المحاكمات المتتالية لأصحاب العمارات الذين
يتقاضون خلو الرجل . ومعنى ثمن شقة ثلاثون ألفا من الجنيهات .

أما المطلب الثانى وهو طبيعى أيضا فخلو رجل لـدكان كبير فى شارع
رئيسى ليفتح الدكتور حسان صيدلية وخلو الرجل هنا ممكن ، لأن الذى
سيتقاضاه هو المستأجر لا المالك . والمستأجر يستطيع دائما أن يتهرب
من عقوبة الخلو . ومهما يكن التناقض يدعو الضحك المرير فى هذا الشأن
فهو واقع . المستأجر يستطيع أن ينال خلو الرجل لتركة لـمكان لا يملكه
والمالك لا يستطيع الإفلات من عقوبة الجريمة نفسها اذا هو تقاضى خلو
رجل لعقار يملكه ! وكلا الشخصين مستغل لا شك فى استغلاله ولكن
يظل التناقض مع ذلك يدعو الى الضحك المرير .

وهكذا وجد متولى عبد القادر نفسه فى حاجة الى مائة ألف جنيه
لينزج ابنه وهذا حق له مشروع وليفتح لنفسه صيدلية وهذا أيضا حق
له مشروع .

ولو كان حسان يجد أباه مضيقا عليه فى الرزق . ولو لم يكن حسان
يعلم أن أباه يعمل عنده من تفوق ثروته عشرات الملايين لرضى أن يبحث عن
شقة فى هذه العمارات التى يسمونها الاسكان الشعبى . ولرضى أيضا أن
يظل كما هو أجيورا فى صيدلية . ولكن وأبوه وكيل لصفوت المعلاوى فان
من حقه أن يطعم الى ملك بيت وصيدلية . فان أباه الذى استطاع أن
يشترى له سيارة اهو فى أول عهده بالجامعة لابد قادر على أن يشتري
له كل ما تطوف حوله آماله .

ومتولى يدرك هذا جميعا . وهو ذئب عجوز مرن على العمليات المالية من كل لون لها . وهو يعرف صفوت المعلوى كما لا يعرفه أبوه أو أهله وذووه ! فهو يراه حيث لا يراه أحد . ويعرف كيف ينقض على السوق انقضا وحش كاسر لا يرعى حرمة ولا يقف به خلق ولا يرد شرف أو تعطف قلبه رحمة . وفى أثناء العمليات التجارية لا يكون التحديث من صفوت الا الى متولى . وفى هذه الأحاديث تتضح نظرية صفوت فى الحياة وفى التجارة وفى المال . وهى نظرية لا حدانة فيها وهو حين يقولها لا ينشئ فكرا اقتصاديا أو انسانيا أو اجتماعيا جديدا وانما هو يسفر فقط عن انتمائه الى هذه الأفكار التى عرفتها البشرية منذ قتل قابيل أخاه هابيل . وقد رأى متولى أنه ما دام وكيل صفوت فمن الطبيعى أن يكون من حزبه وما دام الأمر كذلك فمتى تنقلب النظرية الى عمل اذا تم تنقلب وهو فى موقفه هذا من ابنه الذى يحرص دائما على أن يرضيه شأن كل أب يحب ابنه . وان كان هو يختلف عن الآباء الآخرين فهذا الاختلاف سببه صفوت . فهو قد تعود أن يجد المال ليستجيب لرغبات ولده . وقد كان ما يحتاجه ابنه قبل الموقف الأخير هذا أمرا يدخل فى دائرة الاستطاعة دون أن يحتاج متولى الى طريق فيه غدر . أما اليوم فهيهات فانه اذا لم يلجأ الى النظريات التى يعتنقها صفوت فلا خروج له من مأزقه هذا .

وفكر متولى أن يواجه صفوت ويشرح له الموقف . ولكن هذه الفكرة ما اثت أن أصبحت موضع سخرية من متولى نفسه . أيقول لصفوت أريد مائة ألف جنيه ؟ . فيقول له وماله تفضل . أيتصور هذا ؟ . أيدخل هذا الرأى فى حيز العقول ؟ انه لو فعل ذلك فان الأمر لن يعدو واحدة من اثنتين : اما أن يطرده صفوت من العمل فوراً ويصدر أوامره فى الشركة ألا يقترب منها متولى أو يتصل بأحد يعمل فيها . هذه واحدة وهى بصفوت خليقة وبه أشبه . أما الأخرى فهى أن يتظاهر صفوت بالقبول وأنه على استعداد لشراء الشقة وفتح الصيدلية لحسان الذى هو بمثابة ابنه ويظل يماطله حتى يحصل على ما عنده من أوراق هو يعلم مدى خطورتها ثم يعصف به بعد ذلك . وقد تصلح هذه الفكرة لصفوت اذا قدر أن متولى لا يجسر على طلب هذا المبلغ الجسيم الا بعد أن يكون قد أعد عدته وتسليح بكل ما يصل به الى غايته .

ومتولى يعرف أن صفوت لن تفوته خطورة ما يحتفظ به متولى من أسرار . ولكن متولى مهما تكن حاجته الى المال شديدة الا أنه يخاف المواجهة ولا يشك لحظة أنه اذا واجه صفوت الذى عاش معه هذه السنوات - وهو بموقف منفذ الأوامر فى حين صفوت فى مكان مضد هذه الأوامر - فانه لن

يلبث أن تنهار منه العزيمة وربما انقضض عليه صفوت واستخلص من بين برائنه كل ما يحتاج اليه ليحصل على هذا القدر من المال .

رجل عجوز متولى . يجيد احكام الخطة وقد كان يشارك صفوت فى الاعداد للعمليات التجارية . بل انه كان أحيانا يقوم بالاعداد الكامل للضربة المالية . فاذا كان يصنع هذا ويصيب النجاح وهو يفكر لغيره فكيف يجوز له أن يخطيء أو يقعد به السعى وهو يعمل لنفسه؟! وهل ابنه الا نفسه وأعز؟! .

ورأى متولى الصحف تنقض على الذين يتاجرون باقتصاد الدولة . ورأى بين المتهمين أشخاصا لم يكن يتصور أن أحدا يجروء على المساس بهم . اذن فالأمر جد لا هزل فيه . واذن فالمعتدون على أموال الدولة مصيرهم الوبال والسجن أو يردوا للدولة حقها .

وعرف أن أجهزة الأمن والنيابة العامة لا ترحم أحدا وأن الاشارة العابرة تكفى حتى تبدأ أجهزة المحافظة على أموال الدولة فى التحرى . فاذا وجدت بصيصا من حق أو شعاعا من احتمال صدق واجهوا المتهم وتركوا عليه أن يثبت عكس ما هو متهم به اذا كان يملك الى هذا الاثبات سبيلا .

وحين دق جرس التليفون ليستدعى وجدان ثم يكن يعلم أن الأمر يتصل بصفوت من أى سبيل . وحين وصل الى مقر النيابة قدم اليه زميله البلاغ الذى قدم الى الجهات المختصة ومعه التحريات التى تثبت أن صفوت قد قام بعمليات تجارية قدم عنها معلومات غير صحيحة كان من نتيجتها أنه حجب نصف مليون جنيهه هى حق الدولة كضريبة أرباح تجارية . واستولى هو على المبلغ بدلا من الدولة . وقرأ وجدان الأوراق فى عناية ثم رفع رأسه الى زميله :

— ولماذا استدعيتنى ؟

وابتسم زميله :

— لا تغضب هذا عرف بيننا . . اذا وجهنا التهمة الى شخص له صلة بواحد من أسرة النيابة فاننا نخطره من باب التدوق فلا تعجب .

— ألف شكر . . وماذا أملك أن أقول الا حسبى الله ونعم الوكيل . ولكن هذه الصلة موهومة .

.. كيف ؟

- هذا الشخص حمو أخى . . فانا لم اختره ليكون حماى وانما:
اختره أخى . . ثم هو نسيب وليس قريبا والحمد لله فمع شكرى الموفور
لك اسدح لى أن أعود أنا الى بيتى وسعادتك تتخذ من الاجراءات ما تراء .
وقد كان صفوت مشغولا فى هذه الساعة مشغولية غاية فى الضخامة
فقد كان يعد مع زوجته حنان وابنته سوسن - وليس مع ياسر - أسماء
المدعويين والطلبات التى يحتاجون اليها بمناسبة الاحتفال بمولد الحفيد
الأول لسعادة صفوت بك المعلاوى والذى استقر الأمر على تسميته صفوت
تخليدا لاسم رأس الثراء فى العائلة التى تفضل فسجل شقة سوسن باسم
حفيدته كما أودع باسمه شهادة استثمار بنصف مليون جنيه . وحين دق
جرس الباب لم يكن يتصور بحال من الأحوال أن يد العدالة هى التى تدق
الجرس .

☆☆☆

(١٣)

فى هذه المرة لم يستطع وجدان أن يخفى عن أبيه السبب الذى ذهب من أجله الى النياية . ولم يعجب وجدان حين استقبال أبوه النبا وكأنه لا يعرف شيئا عن صفوت بك يتصل به بأسباب مصاهرة .

كان كالطود الراسخ وهو يقول فى وقار :

— أمر كنت أنتظره بين لحظة وأخرى .

بل ان وجدان لم يعجب أيضا حين قالت أمه :

— وماذا كنا ننتظر من نسب كهذا . . . أنتظنتى فرحت بالشقة وشهادات الاستثمار ؟ لا وشرفك لا أنا فرحت ولا عرفت هذه الأموال ان تعطينى أى طمأنينة .

صنف آخر من الناس أمه وأبوه : صنف رأى الكرامة فى الشرف ولم يتصور أن المال يصنع كرامة :

وهكذا وجدان . ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يكون فى هدوء أبيه وأمه . فان السن وانتساب الأسرة الى منصة القضاء جعل الأبوين كالجيل الرواسى . كانت التجارب بالنسبة اليهما قد جعلت منهما حجارة كريمة كالماس لا تخف ولا يضيع لها وقار .

أما هو فهو لم يبلغ بعد ما بلغاه من رسوخ وشيم فوجد الغم يملا نفسه :

لماذا كتب عليه أن يختار أخوه هذه الأسرة ؟ بل ولماذا كتب عليه أن يكون أخوه بهذه النظريات التى لا يرى لها أثرا فى بيت أبيه .

ما موقفه أمام زملائه . ربما قدروا أنه هو لا شأن له وأن ما يصنعه حمو أخيه لا صلة له به . وهذا حق ، ولكنه هو كان يتمنى أن يكون كل ما يحيط به شريفا . ومتى أعطت الحياة الانسان كل ما يتمنى !؟

أحبست مرفت ما يعانیه زوجها :

— أعرف أن كل ما يمكن أن أقوله لك تعرفه .

- لا شيء يقال يا ميرفت .
- فقط كلمة واحدة . . . انظر الى عمى عزام بك والى نينا .
- كنت أتمنى أن أكون مثلهما .
- فكن .
- أظنن اننى أستطيع ؟
- إذا لم تستطع اليوم فان الأيام ستجعلك تستطيع شئت هذا أم أبيت .
- دق جرس التليفون فى حجرة وجدان وأجاب .
- نعم أنا .
- وجاءه صوت لا يعرفه يقول له :
- يا سعادة البك أنا متولى عبد القادر وكيل أعمال صفوت بك .
- ولماذا تطلبني ؟ وكيف تجوز على الإتصال بي ؟ أقلل السكة فوراً .
- يا بك اهدأ واسمع الكلام لآخره .
- أنا ليس بينى وبينك كلام .
- أنا أكلبك بصفات كثيرة ومن المصلحة العامة والخاصة أن تسمع .
- لا أريد أن أسمع .
- حتى لو عرفت أننى أنا الذى بلغت عن صفوت .
- ماذا ؟
- استمع اذن . . . صفوت متهرب من مبالغ أكبر من هذه بكثير وعندى المستندات . . . وعندى مستندات أيضا أنه يهرب أموالا الى الخارج وعنده حسابات فى بلدين فى أوروبا .
- يا جدع أنت هل جننت ؟ ولماذا لا تبلغ رسميا ؟ وأنا ما شأنى .
- يا سعادة البك استمع الكلام لآخره . . . عليك أن تبلغ أخاك أنه إذا لم يدفع لى مائة ألف جنيهه فى ظرف أسبوع فستصل هذه الأوراق للنيابة فوراً .
- أنا سأبلغ عنك أنت . . . أنت قاطع طريق وتستهمل وكيل نيابة فى معاونتك .

- ولهذا كلمتك في التليفون .. اذا بلغت عنى سأقول أن آخرين أحبوا أن يستغلوا الفرصة ويندخلوني في موضوع لا شأن لي به .. واذا لم تخبر أخاك أصبحت جريمة نسيبك تهرب من الضرائب وتهريب أموال الى الخارج. وأنت أشرف واحد أعرفه في كل المتصلين بأخيك .. وهذه التهم لن تهمس أحدا منهم ، لأنهم جميعا والحمد لله بلا شرف إلا أنت وطبعا السيد الوالد .

- أتريدني أن أدافع عن شرفي بارتكاب جريمة .
- أي جريمة يا سعادة البك .

- أساعد مجرما على الابتزاز وهو في نفس الوقت يتستر على جرائم من واجبي التبليغ عنها ؟

- تبليغ عن ماذا ؟ اذا بلغت عنها دون أن أقدم مستنداتي من يثبت أى شيء على صفوت .. هذه جرائم أنا وحدي الذي أملك الدليل عليها .. وأظن لا يصح أن يقول سعادة وكيل النيابة كلاما لا يستطيع اثباته ولا يملك أى دليل عليه .. السلام عليكم يا سعادة البك أنا أسف .. ولكنى محتاج الى هذا المبلغ في أشياء شريفة وربما يجعلك هذا مرتاح الضمير بعض الشيء .. السلام عليكم .

ضاعت الدنيا بي ، لأن نسيب أخى متهم فكيف أفعل الآن وأنا على وشك ارتكاب عدة جرائم ؟ اشتراك في ابتزاز وتستر على جريمة تهرب من الضرائب ؟ أتستر على جريمة تهريب أموال الى دول أجنبية .

• أستقيل

• أستقيل

• أستقيل

- وماذا أعمل اذا أنا استقلت ؟

محاميا .. محاميا ؟! محاميا !؟

هل أنسى يوم جاءنى الزبون ليوكلنى في قضية ضرائب كان سيعطينى مقدم أتعاب ألف جنيه ومثلها مؤخر أتعاب وقد رفض أن يوكل صاحب المكتب وأصر على توكيلي أنا بالذات ؟ ويومها استأذنت اسماعيل بك وقبل حين اطلعت على القضية قلت للوكيل :

- لماذا جئت لي أنا بالذات ؟

- شهرة سعادتك .

.. أنا لا شهرة لي .. أنت تعلم أن مأمور الضرائب الذي عنده أوراقك
صديقي .. هذه قضية وساطة .. أنا لا أقبل قضية وساطة ..
وأريد أن أعمل محاميا ..

والحكاية الأخرى .. الأيمن .. والأدهى .. يوم اشترك عند المطلب
ابن مريمي ذادة رثيفة في جريمة قتل .. وجاءني أخوه فوزي لأترافع
عنه مقدرًا طبعًا أنني لن أتقاضى أتعابًا وكانت قضية شهيرة وكان من شأنها
أن تعطيني فرصة ليتبع اسمي وقرأتها ووجدت القرائن جميعها ضد المتهم
ووجدته معترفًا في محضر الشرطة وأن كان رجوع عن اعترافه في محضر
النيابة .. وكان اسماعيل العدوي يقول لي دائمًا أنت لا شأن لك بالمتهم ..
إن ضلتك بالدوسية .. هو الذي يتكلم معك .. أياك أن تسأل متهمًا إن
كان ارتكب الجريمة أم لا .. فهو إما سيكذب عليك .. حينئذ لن تستفيد
شيئًا وإما أن يقول لك إنه ارتكب الجريمة .. حينئذ سيصبح العيب عليك
في المرافعة أكبر من أن تطيقه وخصوصًا مع ضميرك اليقظ هذا .. ولم
أكن مقتنعا بهذه النصيحة .. فأنا لا أتصور نفسي أترافع عن باطل أبداً ،
وحين جاء فوزي ليسألني رأيي سألته :

.. لماذا لم تعط القضية للأستاذ اسماعيل العدوي نفسه ؟

.. ومن أين لنا بأتعابه ؟

وفكرت قليلاً .. كنت أتمنى أن أترافع في هذه القضية .. وقد
قبل الأستاذ اسماعيل أن تكون القضية لي ، بل كان سعيدًا أن تكون أول
قضية أترافع فيها في محكمة الجنائيات ، جنابة قتل مع سبق الإصرار
ووعدني أن يعاونني في القضية ..

لو كنت أتقاضى عن ضميري قليلاً لقبلت القضية ومن يدري ربما كنت
بها اليوم واحداً من كبار المحامين .. فقد كنت محامياً موفقاً في المحكمة
دائمًا .. أما في التعامل مع الزبائن .. وجدت نفسي أسأل فوزي :

.. هل ارتكب أخوك الجريمة ؟

وتردد قليلاً ثم قال :

.. نعم ..

ودون تفكير قلت له :

.. اننا أقسمنا اليمين ألا نكذب .. فأنا مستعد أن أترافع في قضية
أخيك وأطلب تخفيف الحكم ، لا البراءة فإذا قبلت هذا أنت ووالدتك أنا
مستعد ..

.. أرد عليك .

ولم يرتد الى بعد ذلك قط .

أى محام أريد أن أكون .. اننى حين قلت اننى لا أريد أن أفتح مكتبا لم أكن خائفا من عدم الشهرة أو من بقاء البداية وانما كنت خائفا من نفسى .. واليوم وأنا أفكر فى الاستقالة من النيابة لابد لى أن أواجه نفسى .. لا أستطيع مخادعة نفسى .. أنا لا أصلح محاميا .. وما كنت لأترك النيابة حتى ولو لم أوفق فيها هذا التوفيق .

أستقيل من النيابة !؟

ماذا أعمل ... أجلس فى البيت .. أبحث لى عن مقهى .

ماذا أعمل ؟ .. أذهب الى الأرض ؟ .. وماذا أعمل فيها ؟ انها الآن أقل من أن تحتاج الى اشراف .. وماذا أفهم أنا فى الزراعة ؟ اذا ذهبت ضاع الربح .

ماذا أعمل الآن مع هذا المجرم الذى يريد أن يورطنى فى جرائم أنا لا شأن لى بها ؟ أنا أعرف ماذا أعمل ...

نعم أعرف ماذا أعمل .

ان أحدا لم يكلمنى .. من أين أعرف أنا متولى هذا وكيف أعرف ان هذا صوته .. هل أستطيع التجاهل ؟ هيهات .

أنا أعرف ماذا سأفعل .

أنا لى أبلغ أخى شيئا فليست هذه وظيفتى وانما سأبلغ رئيس النيابة غدا بهذا الحديث وأترك له التصرف .. هذه هى وظيفتى كممثل للعدالة .

وكان الفجر قد طلع فقام وجدان من جوار ميرفت التى لم تعرف شيئا عن الدوامة التى ألقى اليها زوجها بهذا الرنين الذى أصدره التليفون قبل أن تنهيا هى وزوجها للنوم .. نامت هى وواجه وجدان الليل كله وحده .

صلى وجدان الفجر .. واتخذ سمته الى مكتب رئيس النيابة .

(١٤)

صنع متولى ما صنع وأدرك أنه لا بد أن يترك القاهرة بضعة أيام على الأقل ٠٠ فقد كان على يقين أنه أثار على نفسه نائرة النيابة العامة والأمن كما أودى بصفوت فى داهية ٠٠ وواجه صفوت النيابة بجراءة يحتاجها الشرفاء فلا يجدونها ٠٠ لا شيء عندي أخاف عليه ، اذا ضاع المال أستطيع أن أعيدته فى أقل من سنة ٠٠ والحمد لله لا شرف ولا مجد ولا شيء أخشاه ٠٠ البنت الوحيدة عندها ما يكفيها وزيادة وان أخذوا مالها يكفيها هى وزوجها وابنتهما صفوت الشقة وتصنف المليون التى أودعتها باسمه ٠٠ وهذا اسمه صفوت ياسر أبو الفضل فلا شأن له بالمعلاوى ولا شأن لى به ٠٠ وزوجتى عندها ما يكفيها فان أخذوا ما أعطيته لها فيكفيها مال أبيها .

فأى شيء يمكن أن يهز منى شعرة !؟

جلس فى التحقيق ٠٠ وعرف التهمة وبعد أسئلة وأجوبة قال وكيل

النيابة المحقق :

- أنت متهم بالتهرب من ضرائب تقدر بنصف مليون وخمسة وستين

ألفا من الجنيهات ؟

وأجاب فى هدوء ، ثابت وكأنه يتحدث عن ملاليم :

- أنا أعمل فى مجال كبيرة وهذه أخطاء حسابية يمكن مراجعتها وأنا

مستعد أن أقدم أوراقى مع المحاسب الى النيابة وفى نفس الوقت أنا مستعد

لأن أدفع المبلغ موضوع الخلاف جميعه للضرائب فان ثبتت التهمة فهو لها

وان لم تثبت يخصم المبلغ مما قد يستحق للضرائب بعد ذلك .

وجد وكيل النيابة نفسه أمام حجة لا مناقشة لها وسأله :

متى تدفع المبلغ ؟

- الآن .

- هل هو معك ؟

- فى بيتى .

- تذهب فى الحراسة وتأتى به ؟

- فورا *

وأفرج عن صفوت وعاد في اليوم التالي الى مكتبه وبعد الظهر كان يقيم الحفل لصفوت الحفيد .. أدرك أن متولى وراء كل هذا فقال لياسر في الحفل :

- حين ينتهى الحفل ابق ، أنا أريدك *

- أمسك *

وخلت بهما الغرفة *

- أتعرف من وراء هذا جميعه ؟

- أنا لم أرتولى فنى مكانه اليوم بالمكتب حين زرتك ولم يأت الى

الحفل *

- لا يخشى عليك ... هو متولى ... أصله فى هذه الأيام محتاج

لمبلغ كبير وكان يخشى أن يطلبه منى لضخامته *

- كم ؟

- حوالى مائة ألف *

- كم ... ؟

- يريد أن يزوج ابنه حسان ويفتح له صيدلية يعمل بها هو وزوجته

الذى تزوجها من الكلية *

- وهل كنت ستعطى له هذا المبلغ لو طلبه ؟

- طبعاً المال كله مستحيل ولكننى كنت سأعوانه بمبلغ وأشتري

له الشقة بسلفة من البنك بضمان الشقة وضمانتى *

- ولماذا لم تقبل له هذا قبل أن يتصرف هذا التصرف ؟

- أولاً أنا أردت أن أعرف كيف سيتصرف ؟ فمثلى أن لم يكن

وأنفا من الذين يعملون معه يتعرض لخطورة فظيمة * وثانياً المبلغ الذى

دفعته اليوم للضرائب كنت أنوى أن أدفعه ، لأن المحاسب الذى يعمل معى

لم يكن مطمئناً للمستندات المقدمة فى هذه العملية وقلت له سيكون المبلغ

جاهزاً وفى اللحظة التى ستخطر فى قلبها أن أدفعه سأدفعه ... وهكذا ترى

أننى لم أخسر شيئاً .. المبلغ حق الضرائب فعلاً ولم أكن أستطيع أن

أخفى أمره .. كسبت أننى عرفت متولى *

- وماذا أنت صانع به ؟

- لى وسائل كثيرة .. ان حماك لا تتوقف صلاته برجال الأعمال ..

- بل ان له صلوات قوية بجماعات أخرى تقوم حياتها على وسائل لا تتصورها
- - بالطبع الأسرار التي عند متولى :
- - تودى فى ستين داهية .. يعرف أموالى فى الخارج ويعرف كل العمليات الأخرى التي لم أدفع ضرائبها
- - فلماذا لا تحاول أن ترضيه ؟
- - وهذا ما أردتك له ... يا أخي ما الذى يعجبك فى المدعوق البنك الذى تعمل به .. أنا تارك سوسن هناك لتلعب وتشغل نفسها .. انما أنت لماذا لا تتركه وتعمل معى ؟
- - ولماذا لا أعمل معك دون أن أتركه ؟ أنت تأتي الى المكتب فى الصباح وأنا أتى بعد الظهر .. وتكون أسرارك فى يدي أنا يعنى فى يدك أنت ولا يتحكم فينا كلب مثل متولى هذا
- - أنا فى عرضك
- - توكل على الله
- - والآن كيف سنتعثر على متولى ؟
- - فى بيته ..
- - وهل تتصور أن يكون فى بيته ؟
- - أين اذن ؟
- - تأخذ حنين السائق وسيقودك الى بيته فى السنبلادين .. قطعاً هو مختبئ هناك
- - متى ؟
- - الآن
- - الآن يظن أننا خائفون .. وأنت مقبوض عليك ألا ترى أن نؤجل الأمر للصباح
- - الآن أفضل فهو سيعرف أنه تم الافراج عنى قطعاً .. فلا شك أن له أعوانا فى المكتب أبلغوه .. وقد يشرك السنبلادين فى الفجر ان لم يكن تركها الليلة
- - وأين تطنه ذهب ؟
- - الى بيته بالاسكندرية وحسين يعرفه
- - وماذا تريد أن تقول له ؟

- ما رأيك أنت ؟
- نقول له كل طلباته مجابة .
- أولا هو لن يصدق . . . ثانيا لن يكتفوا .
- اذن فماذا نقول له ؟
- قل له . . .

- وجده في السنبلالوين واختلى به .
- لماذا لم تقل لصفوت بك ما تريده ؟
- ابعد هذا العمر كله أتصور أن صفوت بك أطلب منه ميلغا كهذا يعطيه لي في هات وخذ ؟
- وهل ما تفعله أنت يصح بعد العمر الذي تتكلم عنه .
- هو يعرف كل شيء عن الموقف الذي أنا فيه . . . لماذا لم يفتح معي الموضوع ؟ انه أراد أن يذلني ويمرغني تحت رجله .
- لعله اعتقد أن عندك الوسائل لمواجهة هذا الموقف .
- انه يعرف كم كوب من الماء أشربه في اليوم !! فكيف لا يعرف انه ليس أمامي أي وسيلة ؟ لن أنسى له موقفه هذا أبدا .
- وتكون النتيجة أن تخون العبر .
- لا خيانة ولا يحزنون . . . المسألة أنني قدمت له عمري فلا أقل من أن يقف الى جانبي لأقيم حياة ابني ولا ينتهز الفرصة ليعتصر كرامتي أمام ابني الشخص الوحيد الذي أريد أن أظل أمامه ذا كرامة .
- وإذا وافق ؟
- اذن فيا دار ما دخلك شر .
- هو موافق .
- نعم ولكن هناك شروط .
- ما هي ؟
- أنا أعرف صلات صفوت بك بالمجرمين والقتلة . . . أوافق أنا من هنا وأخذ المبلغ ويقتلني حتى يستولي على الأوراق الأخرى التي عندي .
- ماذا تقول ؟

ما سمعت يا ياسر بك .. ولهذا أنا أبلغك أنني أمنت نفسي :

- أمنت نفسك !

- ألم يقل لك أخوك وجدان بك اني كلمته ؟

- وجدان ... وما دخل وجدان في هذا ؟

- أنا تظاهرت أنني أريده أن يتدخل في الموضوع ويكلمك وأنا أعرف

أنه رجل شريف وأنه لن يصنع شيئاً من هذا ، ولكنني أردت من هذا الرجل

الشريف أن يكون على علم بكل شيء حتى إذا حدثت لي حادث وضربتني

سيارة أو وقعت من فوق عمارة يكون وجدان بك أبو الفضل وكيل النيابة

على علم بكل شيء وهو في هذه الحالة لن يهمله إلا الحق ولن يفكر لا في

نسب ولا في خلافه .. بل أنا متأكد الآن أنه أبلغ الأمر للنياحة ..

يا نهارك أسود ..

- لا تغضب هكذا يا ياسر بك أنت لا تعرف ماذا صنع نسبيك في

حياته لكي يكون هذه الثروة .. ضرب السيارات والرمي من أعلى العمارات

أشياء ليست جديدة عليه .

- هل أنت جاد ؟

- وهناك أشياء أخرى سأقولها لك في وقتها .

- متى وقتها ؟

- أنا أعرفه .. أنا صاحبي جدا يا ياسر بك .. اطمئن لي تكسب ..

تكسب مني أكثر مما تكسب من نسبيك .

- ما هذا الكلام يا متولى ؟

- اسمع كلامي ... المهم .. نتكلم في الشروط .

- قل .

- عقد عمل بيني وبينه بنفس المرتب لا يزيد الا مائة جنيه في

الشهر .

- بسيطة .

- تقول له كل ما قلته لك وتزيد عليه أن المستندات عنده في

المكتب ، انما صورها عندي .

- طبعاً .

- تخبره أنني أبلغت وجدان بك .. واذا وصل إلى المبلغ غنما

سألكم ووجدان بك وأكذب نفسي في كل ما قلتها . . . وأريدك أنت أن تكون الواسطة بيني وبين صفوت حتى تنتهي هذه الحكاية . . .

- هل ستبقى هنا ؟

- لا . . . تجدني بكرة في بيتي بعد الظهر

صفوت الذي لم يهتز ولم تنخلع له أصبع وهو يدفع للضرائب نصف مليون وخمسة وستين ألفا من الجنيهات انقلب أمام ياسر الى وحش كاسر حبيس في الحديد . . .

- يريد أن يذلني الولد متولى . . . ولا مليون . . . والله العظيم ثلاثة ولا مليون . . .

وتركه ياسر ليهدأ وراح يحدثه عن أشياء بعيدة كل البعد عما هما فيه وصفوت مدرك ما يحاول ياسر أن يقوم به من تهدئته . . . حتى اذا رأى أن الوقت أصبح مناسباً . . . ضحك في وجه ياسر وهو يقول :

- أصدقت ثورتى ؟

وفزع ياسر منتفضاً عن الكرسي وهو يصيح :

- ماذا ؟

- هذا شغل

- شغل . . .

- يابنى الذى يثور لا يكون الثروة التى كونتها . . . تعلم أن هذه الثورات تصنعها عندما يحتاج اليها العمل . . . انما نحن فى داخلنا لا نشور أبداً . . . واذا حاولت نفوسنا الثورة زجرناها فى عنق فلا تظهر ثورتها وتستكين رغم أنفها . . .

- وما لزومها . . . وليس فى الغرفة الا أنا وأنت ؟!

- هكذا أريدك أن تنقلها الى متولى . . .

- ولكن ألا تخاف من متولى ؟

- بل أنا مرعوب منه ولكنه اذا عرف هذا زحمت أنا فى أكبر

مضجبة . . .

- وماذا تريد أن يعرف ؟

- أننى نائر ورافض وأنت تحاول أن تهدئنى . . . وتقدم له اليوم جزءاً من المبلغ وبعد أسبوعين أو شهر تعطيه جزءاً آخر بحيث يعرف أنه

هو المحتاج اليها ولنسنا نحن المحتاجين اليه . . . ولا تذهب اليه فورا بل
انتظر بضعة أيام .

وقال متولى :

— عشرون ألف . . . ماذا أصنع بها ؟! الثورة هذا أيا أعرفها جيدا
يا ياسر بك . . .

اسمع يا بنى يا ياسر . . . قل له كلمتين :

أولا : أنا أعرف كيف أجعله يثور ثورة حقيقية ويصبح بين الناس
مثل الكلب الأجرى .

ثانيا : لا يظن أنني اذا لم أحصل على النقود منه بالرضا سأعجز عن
الحصول عليها بالحكومة ، فالنسبة المئوية التي سأحصل عليها من التبليغ
عن تهريبه من الضرائب وتهريبه للأموال أكبر بكثير من المائة ألف جنيه .
وحيث أن ثار ياسر ثورة حقيقية .

— ما هذا يا رجل ؟! لماذا أنت بهذه السفالة ؟ الرجل يريد أن
يساعدك .

ويقاطعه متولى :

— سفالة . . . سفالة يا ياسر . . . لقد اشتراك بضاعة وتدافع عنه .
— فشرت .

— بل فشرت أنت . . . أنت لا تعرف ما يجرى وراءك .

— ماذا يجرى ؟!

صمت متولى وكأنما أفاق الى حقيقة لم يكن ذاكها وقال له :

— أنا آسف يا ياسر بك يا بنى . . . أنا آسف . . . أنا فى دوامة هذه
الأيام فلا تؤاخذنى .

— ماذا يجرى وراءى ؟

فكر متولى كثيرا يبحث عن شيء يقوله فقد قال كلمة اذا لم يشرحها
لن يمكنه من بعد أن يصل بحديث الى ياسر أبدا . طال صمته ثم قال فى
لحظة من خاطر :

— ألم يعرض عليك صفوت أن تعمل معه ؟

وبهت. ياسر فقد كان الحديث بينه وبين صفوت ولم يكن أحد حاضرا . فكيف عرف 19 لعل الموظفين أخبروه أن ياسر يذهب إلى المكتبة يوميا ولكن هذا لم يستمر الا بضعة أيام قليلة وهو لم يباشر أى عمل . ولم يدرك ياسر أن متولى استنتج وحده أن يعرض صفوت على زوج ابنته أن يعمل معه وقال فى نفسه ألقى بها ولعلها تصيب فأصابته واسترخت عليه ما أراد أن يخفيه عن ياسر الآن وما لعله يجبره به بعد ذلك إذا احتاج الأمر وقال ياسر :

- من أخبرك ؟

- لست أنت المقصود بالعمل . . . انه يريدك أن تعمل ، لأن أخاك وكيل نيابة ولان أباك مستشار سابق وكل الذين يعملون فى القضاء يعرفونه ويراعون خاطرهم .

وصمت ياسر قليلا . ثم قال :

- المهم اقبل هذا المبلغ الآن .

وأطرق متولى . وقد أدرك أن صفوت يريد أن يؤمن نفسه ويريد فسحة من الوقت ليقتله . وكان متولى أيضا فى حاجة الى هذه الفسحة من الوقت لينفذ تديره الذى أحكمه . وقال متولى :

- وماله أقيهه .

- وتقوم معى الى صفوت بك .

- وأقوم معك الى صفوت بك .

ورأى ياسر عجباً . . .

صفوت يلقف متولى ويحتضنه وهو يصيح به ضاحكا فى فرح :

- وهل تستغنى عنى عمرك يا ابن الكلب ؟

ويقهقه متولى وهو يحتضن صفوت :

- خدامك طول عمرى . . . وهل أستغنى عن تراب رجليك ؟

ثم رأى ياسر ما هو أعجب : دموع من عين صفوت صافحتها دموع من عين متولى . كم هو ضئيل شأن الممثلين على خشبات المسارح وفي السينما والتلفزيون بجانب هؤلاء الممثلين على مسرح المال .

(١٥)

حين تفاوض رئيس النيابة ووجدان الرأى فيما رواه له وجدان عن مكالمه متولى انتهى الرأى بينهما انهما لا يملكان ازاها الا الصمت بعد ابلاغ الأمن العام ، ليكون متولى تحت المراقبة وقد أبلغ رئيس النيابة الجهات المختصة وانتهى الأمر فى النيابة عند ذلك .

ولم تكن مفاجأة لوجدان أن يزوره ياسر فى البيت بعد يومين من مكالمه متولى لوجدان . وحاول ياسر أن يفتح الحديث فكان رد وجدان حاسما ومريرا .

- أرجوك ابعدينى عن هذا المستنقع الذى يسبح فيه حموك وموظفوه . . .
ويكفينى خجل أمام كل من يعرف صلتى به . . .

- هل الخلاف مع الضرائب يدعو الى هذا الكلام الجارح ؟

- أنت تعرف ما يدعو الى هذا الكلام الذى يعبر بعض التعبير عما أنا فيه . . . وربما يكفيك أن تعلم أنني فكرت فى الاستقالة . . . وأنا متمسك بالنيابة ، لأنها المرفأ الوحيد لى من حياة مثل حياتك وحياة جيل . . . فلا مرفأ لى من هذه الحياة الا بأن أحاكم الحياة . . .

- أنت تبالغ

- أنا شخص لا أريد شيئا الا أن يكون اسمى واسم أسرته سليما من كل ما يشين . . . وكنت أعتقد أن هذا مطلب يسير على الحياة أن تحققه لى مادمت أنا لا أرتكب اثما ومادام أبى خرج على المعاش شريفا . . . ومادمت أنت حتى قبل زواجك فى حالة مالية تستطيع أن تفى بحاجاتك المشروعة مع البحيوحة فى العيش وبالطبع دون كبريات . . . ولكن الحياة ترفض أن أنال هذا المطلب . . . وتصر على أن أتعرض لأشياء لم أكن أتصور فى يوم من الأيام أن أتعرض لها . . .

- ما دل هذا يا وجدان أمن أجل مكالمه تليفونية كان يمكن أن تأتيك من أى انسان تغضب كل هذا الغضب . . .

- اذا جاءتنى من أى انسان ما اهتممت لحظة .. فوظيفتى هى أن أتلقى البلاغات ، أما أن يلجأ الى موظف عند حميك ليطلب منى أن أشاركه فى جريمة ابتزاز فهذا هو ما يحزننى ، وأكرر لك أن هذا هو ما جعلنى أفكر فى الاستقالة .. وأعرف بعد ذلك أن متولى كلمنى ليحمى نفسه من القتل .. فحموك اذن قاتل أيضا .

- وما ذنب نسيبى ان متولى كلمك ؟

- انها ليست جريمة واحدة التى رواها متولى لى دون أن يشعر .
انها سلسلة جرائم حياة أخرى غير الحياة التى أتصور أن يعيشها أخى .
عالم أعرفه كوكيل نيابة ولا أتصور أننى عضو فى أسرته .. ياسر ، اعمل معروف فى ولنبتعد عن هذا الحديث .. أصبح الكلام الآن لا داعى له فقد أصبحت أبا لطفل من هذه الأسرة والحديث الآن لن يفيد شيئا الا أن يزيدنى ألما ويجعلنى أقول لك عن حميك ما أعتقد أنه شديد عليك .. وهو الآن جد أبتك .

- على كل حال نحن سويتنا الموضوع .

- لا أعتقد أنكم سويتم شيئا .

- فعلا والله .. الأمر انتهى .

- هيهات .. ان ما سمعته فى التليفون يجعلنى واثقا أن هذا الأمر

لن ينتهى الا بمصيبة كبرى .

- يا راجل لا قدر الله .

- أرجو ألا يقدر الله .. ولكننى واثق أنه قدر فعلا وستريك الأيام

اننى على حق .

مر شهران ولم يفكر صفوت أن يدفع شيئا لمتولى غير المبلغ الذى أعطاه له عن طريق ياسر . وأدرك متولى انه يريد أن يطلب منه . ويريد أن يجعل منه كلبا يبصيص بذيله للمأكل فى يد صفوت . وحسان لا يسكت على متولى واليوم الذى يميز يوما على الناس يمر عاما على متولى .

دخل متولى الى مكتب ياسر فى الشركة :

- ماذا جرى يا ياسر بك ؟

- نعم ... فيم .

- أنت الآخر نسيب فيم ؟ ألم تقل لى أسبوعين أو شهر على

الأكثر ؟

- آه صحيح .

- وانت ماذا يهمك ... لو كنت فى الجحيم الذى أنا فيه أمام ابنى وأمه .
- أيلح عليك حسان .
- حسان يلح بالصمت وأمه تلح بالشتيم .
- أنا آسف ياعم متولى .. الحق على أنا .
- يا ياسر يابنى المبلغ الذى يبدو كبيرا بالنسبة لصفوت أقل من ملاليم .
- أعرف .
- اذن فالمسألة اذلال ؟
- يا رجل لا تقل هذا .
- هى اذلال .. وأنا أعرف .
- تعرف .

- نعم أعرف انه يريد أن يدلنى .. وأنا قابل ، لأننى أرى أن الطريق معه هو أقرب الطرق من ناحية الوقت .. ولكن عند اللزوم ملعون أبو حسان وأم احسان وأنا أعرف كيف أحصل على أضعاف هذا المبلغ .
- غدا صباحا يكون الأمر انتهى وأحضرت لك ما تريد .

★★★

- قال ياسر لصفوت :
- لماذا لا تعطيه المبلغ كله وتخلص ؟
- وبماذا أمسكه بعد ذلك ؟
- بمرتبته ، بحاجته اليك . انه سينفق المبلغ فورا وسيصبح فى حاجة الى مرتبه منك ليعيش .
- يتيالك هذا ابن كلب .. سيبقى من المبلغ شيئا ويسوق العوج ويعود الى التهديد .
- يا عمى صفوت ما دام الرجل ابن كلب كما تقول ألا نحايله أحسن .
- هذا لو كنت عبيطا مثلك .. هذه الأصناف أنا تربيت فيها وأعرفها كما أعرف نفسى .. اتركنى أعامله المعاملة التى تضمن لى أن يظل محتاجا الى .

- ماذا تعنى ؟
- أعنى خذ هذا المبلغ واعطه له .
وفتح الخزنة وأعطى ياسر مبلغا نظرس فيه ياسر وقال لصفوت.
منهولا :

- ما هذا ؟ خمسة آلاف جنيه ؟
- نعم .
- وهل هذا معقول . رجل يطلب منك ثمانين ألف جنيه تعطيه
خمسة . . طيب اجعلها عشرين مثل أول مرة .
- اسمع كلامى انت . . خمسة وسيرجوك هو أن أزيدها الى عشرة
وأنت تقول انك ستحاول معى وستحلبنى بصفوت الصغير أعطيك خمسة
أخرى وهكذا .

- يا عمى الرجل أنت لا تعرف حالته . . الشر فى عينيه ويقول
انك تريد أن تذله .
- اذن فهو يعرف .

- يا عمى صفوت أنا طبعا لست فى خبرتك ولا فى عمرها ولكن
الذى أراه من متولى مخيف .
- هذا لأنك جديد فى الصنعة .

- الانسان لا يحتاج أن يكون جديدا فى صنعة أو قديما فيها ليعرف
الشر فى عيون الناس .

- افعل ما أقوله لك وسترى أن عمك على حق .
- أمرك .

أمسك متولى المبلغ ونظر الى ياسر :
- ما هذا ؟

- لا عليك . . الخزنة ساعة ما كلمته لم يكن فيها الا هذا المبلغ .
- نعم ؟
- كذا والله .

- اسمع يا ياسر بك اذا كنت تريد أن تصبح فى غنى صفوت.
فلا تأخذ عنه الصنعة .
- ماذا تقول ؟

- أنت تزوجت ابنته من أجل المال طبعاً • هل كنت عمرك رأيته
الا شهرا وبضعة أيام في البنك ؟

- هل جننت يا رجل وأنا ما ذنبي حتى تتطاول على ؟

- لأنك لا ذنب لك أقول لك ما أقول الآن •

- أنت من عائلة كلها ناس أشراف • أخوك لم يخبرك وبلغ النيابة
أنا عارف لأننى الآن تحت الرقابة وهذا ما أردته من ابلاغ أخيك •• وأبوك
خرج على المعاش ولم يكون ثروة فأنت من عائلة كلها أشراف وأنا مشفق
عليك •

- أنا ما دخل في غضبك •

- اسمع الكلام لآخره •

- أهنأك كلام آخر •

- أنا لم أقل شيئا •

- أنا لا أريد أن أسمع شيئا •• سلام عليكم •

• وخرج ياسر مغضبا ولم يسمع شيئا • مع أنه كان سيسمع عجا •

(١٦)

مخلوق عجيب هذا الانسان لا يعرف أبدا ماذا يريد • وكلما وهبت له الحياة من نعم نظر الى ما لا ينبغي له أن ينظر اليه • وهكذا تسقط الحضارات • فحين تبلغ دولة القمة في مجدها تنظر الى ما لا تطيق فتنفجر من داخلها وتزول حضارتها ويسقط مجدها وتحل مكانها حضارة أخرى • والدول كل الدول هي مجموعة من الأناس • والانسان هو العامل الأساسى فيها • وهو هو الذى يرتفع بمجده دولته حتى يبلغ بها أعلى عليين وهو هو الذى يمزقها فينخفض بها الى أسفل سافلين •

وسبحان بارئ النفوس العالم بأسرارها يقول لئيبه عليه الصلاة والسلام : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » فهو سبحانه يعلم أن الانسان لا يرضى ، ولهذا وعد نبيه والمتقين بالرضى لا بالعطاء • والرضى أقصى ما يطلبه الانسان عند نفسه • وغاية ما يتمناه مخلوق من الخالق • فقد يكون الانسان ذا ثروة لا تحصى • فاذا نسج الرضى ثيابه على نفس انسان جعل منه أغنى الناس طرا وان كان لا يملك قوت يومه •

فالحياة حين تعطى فتغدق وتمنع الرضى فانها تكون قد حرمت من أعطته وأغدقت كل شيء ، انه لا يملك شيئا • انه فقير معدم • وهو وماله ومجده هباءة •

وان أعطت السطوة والشهرة والجبروت وحجبت الرضى فالطاغية الجبار المتكبر المتفطرس ذو السطوة قطعة حقيرة من الهمل لا يساوى شيئا • وهو نفسه الذى يحقر نفسه • وان نفسه هي التى تدمر له نفسه •

هكذا الانسان • وهكذا حطم الانسان الدول •

وهكذا سوسن بنت صفوت المملووى • عندها المال لا تعرف ماذا تصنع به ووهب الله لها وجها ليس فيه عوج ولا قبح وتزوجت من فتى جميل الطلعة متعلم • وهى وحيدة أبيها • وهى لا تعلم شيئا عن علاقات زوجها

بالراقصات أو الكباريهات وهي لا ترى منه الا حبا . هي عندها كل شيء
الا الرضى .

هو لم يعرفني الا من البنك . ولم تمر على معرفتنا الا أسابيع لم
تكتمل شهورا فما الذى جعله يطلب منى أن القاه؟! طبع اعرف أنا ابنة
من؟ لا . لا أظن انه أحب جمالى . ان مثله يستطيع أن يعرف من هي
أجمل منى . يقولون ان للجمال مقاييس تختلف من رجل الى رجل . ولا بد
أن الأمر كذلك والا ما تزوجت الكثرة الكاثرة من البنات . نراهن قبيحات
غاية القبح ويراهن أزواجهن جميلات غاية الجمال ، أما هو فأعتقد أنه
تزوجنى لمالى . لا بأس فى هذا نعم فما ل أبى جزء من مقومات شخصيتى .
ولكننى أحب أن يحبنى الرجل لنفسى . لى أنا . . . ليس مال أبى ولا لسيارتى
ولا لأى شيء الا أنا . فأنا أستحق أن يحبنى الرجل من أجلى أنا .

مثلا باهر حمدى فى النادي . . يغازلنى . . أنا أرده ، من الطبيعى
أن أرده فى أول الأمر . . تعلم الاسكواش خصيصا ليلعب معى . وما البأس
. . باهر حمدى ليس فقيرا . . وان كان هو يعلم أنه لن يتزوجنى فهو
يغازلنى بعد أن تزوجت . . ولا يمكن أن يفكر فى الزواج منى وأنا زوجة
جديدة . . وطبعاً هو لا يطمح أن ينال منى مالا . . بل اننى منذ نعتت معه
الاسكواش أصبح يقدم لى الهدايا . هدايا بسيطة ولكنها معبرة . . زجاجة
برقان . . ايشارب . . فيها تعبير . . فيها حب . . . حب لى أنا .
لم أرد الهدايا . . وأصبحت أقبل غزله . . وتمادى . .

★★★

حين نقل ياسر الحديث الى صفوت :

- أتظل طول عمك عبيطاً ؟

- لماذا ؟

- لماذا لم تسمع له ؟

- ماذا أسمع ؟

- انه يريد أن يعرض عليك صفقة ويجعلك تعتمد على نفسك حتى

تقف معه ضدى .

- وما حاجته الى ذلك ؟

- حتى لا تجعلنى أذله .

- لم تعجبنى طريقة الكلام .

- أتريد أن يسمعك غناه ؟

– وماذا ترى ؟

– لا شيء ٠٠٠ اسكت الآن ٠٠٠ اذا كان مصرا هو الذى سيسعى اليك .

فى المكتب وياسر جالس فى الحجرة التى خصصت له والتى جرى فيها حديثه الأخير مع متولى سمع ياسر طرقا على الباب ولم ينتظر الطارق بل دخل ولم يسمح لياسر أن يقول شيئا وانما قال وهو يقفل الباب بالمفتاح :

– لا تقل شيئا حتى تسمع .
– كلامك جارح .

– هكذا الحقيقة دائما . وما سأقوله أشد ايلاما ، هل أنت رجل نحتمل أم أنصرف ؟

– أحتمل ماذا ؟

– زوجتك تخونك .

واندلع ياسر قافزا عن الكرسي :

– أهذا الحد ؟!

وجلس متولى وقال فى هدوء :

– اجلس واسمع .

– أنا لا أقبل .

– تقبل ماذا ؟ وهل ترانى أقدم لك وجهة نظر ؟! أنا أقدم لك حقيقة والحقيقة حقيقة سواء قبلتها أم لم تقبلها .

– الآنك غاضب من ٠٠٠ ؟

ويقاطمه متولى :

– اذا كان ما أقوله لمجرد الغضب أكون أهبل ٠٠ أنا أقول لك حقيقة وأريد لك الخير مع ذلك واذا استمعت الى ستعرف ان كنت معك أم عليك .

– وماذا يمكن أن أسمع ٠٠ ليس أمامى الا الطلاق ؟

– هكذا ٠٠ بهذه السرعة .

– لا طبعا ٠٠ بمجرد أن أتأكد .

– وكيف تريد أن تتأكد ؟

– هذا بيدك أنت •

– طيب اسمع الكلام المفيد •• هي تخونك مع ولد اسمه باهر
حملى تلعب معا في النادي •• وشقته أمام النادي مباشرة •• قبل اللعب
يخرجان معا ويذهبان الى شقته التي يعيش فيها وحده ثم يعودان الى
اللعب •• والذي رأى هذا لم يسكت وانما حكى للنادى والكل يعرفون
ويتندرون بك •

– أولاد الكلب •

– ومالهم هم حتى تشتمهم ؟

– اذن أراقبها ؟

– وحسبك ؟

– بالطبع •• هذا أمر لا أتصور أن يعرفه أحد •

– فاذا تأكدت ؟

– أطلقها •

– وتضيع عليك الشقة وشهادات استثمار بنصف مليون جنيه •

– وماذا تريدني أن أصنع !؟

– لما جئت لي في السنبلالوين كنت سأقول لك ولكنني تذكرت أن
سوسن نفسها وأنت لا تستطيع أن تتأكد الا بعد أن تزول مبة النفاس •
وقد بدأت المقابلات فعلا ويمكنك أن تفعل الآن ما يحفظ لك المال والشقة •

– كيف ؟

– ألا تعرف ضابط شرطة صديقك ؟

– أعرف طبعاً •

– تخبره •

حين قالت سوسن لوالدتها انها ذاهبة الى النادي بعد الظهر لتلعب
سكواش كان ياسر بجانب التليفون يعيدا عن الجميع • طلب رقما وقال
جملة واحدة :

– أنا ياسر اليوم الساعة الخامسة •

وضبط الزوج زوجته فى حالة تلبس بمعاونة الشرطة وحرر المحضر .
وقال ياسر لأمه :

- هذا ابنى صفوت أنت التى تربينه لا أمه .
- وهل عرفت كيف أربى أباه حتى أربيه !؟ النهاية الولد ما ذنبه
- هذا قدونا نحن هات الولد .

وقال وجدان لياسر :

- أما كان الأولى أن تطلق دون هذه الفضيحة التى سيواجهها ابنك حتى يكبر ؟
- وأترك هذه الأم تربيه !؟
- لا يا ياسر أنت طمعت فى مال الولد وفى الشقة .
- أنا .
- لا عليك . . لقد عملتها وما كان كان .

قال وجدان لأبيه :

- قدمت استقالتى اليوم .
- أعرف أنك كنت ستفعل هذا . . مسكين أنت يا ابنى تعيش فى زمن لا يهتملك !
- أنا كنت أريد فقط أن أظل نظيفا . . أنا لا أدعى المثل العليا ولا أحاول أن أغير شيئا مما حولى . . كل ما كنت أطمح إليه أن أسير طريقى أنا نظيفا ولكن الطريق مليء بالأصداف القاطعة كجد الموس وأنا حافى القدمين لأنى لا أحاول أن أخدع الناس بغير حقيقتى .
- اسمع يا وجدان . . . حين يبلغ الشر لى قصاه اطمئن !!
- وكيف ؟
- لا بد أن ينحسر . . . شهور وربما عام أو عامان وتنحسر هذه الموجة وتعود الى مكانك فى النيابة .
- أظن أن حزنى من أجل النيابة وحدها ؟ حزنى من أجل أخى وجيل أخى الذى هو جيلي .

– أعرف... ولهذا أبشرك أن هذه الموجة لا بد أن تنحسر فكما أن للخير موجات للشّر موجات ثم تنحسر .. الحياة لا تستطيع أن تسير في هذا المستوى الا لفترة ثم تبدل هي نفسها بنفسها .. والناس هم الحياة والناس هم الذين سيجدون أنفسهم سائرين على نفس الأصداف القاطعة التي سرت عليها . وسيعرفون أنهم حفاة وأن أحذيتهم خداع ، حين يجدون أقدامهم كلها ممزقة كنفوسهم سترى .. هم تمزقت نفوسهم وأنت لم تتمزق منك سوى الأقدام . وسرعان ما تزول جراحك ...

– أبيت أعرف ؟

– أعرف أنك واحد من جيلك وما دام فيه مثلك فلا تخش عليه .

– أحس أن ما تقوله هو الحقيقة ... أبيت أعرف ؟

– ماذا ؟

– انى أرجو الله ألا يطول انتظارى .. ولكنى واثق ثقنى بالله وبك .. انك على حق .. وانى سأعود لأعمل وكيلًا للنائب العام .

((تمست))

الحياة لنا

« مسرحة »

الإهداء

الى أبى دسوقى أباطة باشا
ترددت فى أن أرفع هذا الكتاب اليك فانى
أخشى ألا أكون قد بلغت به المستوى الذى
ترضاه ، ولكن ما أسرع ما زيلنى هذا التردد
فمن يقبل منى اذا لم تقبل أنت؟!
فاليك فى أقدس جوار

ابنك

ثروت

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أقدم هذا الكتاب الى القراء ، فكرة لا مسرحية ، ومشكلة قديمة لا رواية ذات تمهيد وقمة وحل . المواقف فيها قائمة للدفاع عن فكرة بعينها ، فلا يأخذن على المشتغلون بالمسرح أننى لم أراع الفن المسرحى كاملا فى موافقى ، ولم أعمد الى أن تثير نهاية هذه المواقف الشكوك والتخمينات فيما قد يحدث فى الموقف الذى يليه ، بل ضحيت بكل هذا لأجلو الفكرة التى كتبت من أجلها المسرحية كلها . وكثيرا ما كنت أتوقف فى مفرق الطريقين بين اظهار الفكرة ومراعاة المسرح فلا يطول بى التوقف ، بل كنت أسير قدما فى الطريق الذى يوضح الفكرة التى أكتب لها .

كان هذا فيما يتصل بالمسرحية ذاتها ، أما فيما يتعلق بأشخاصها فقد قصدت الى الدقة فى تصويرهم بحيث لا تلتوى منى الشخصية ولا تنماع حتى اذا تحولت الشخصية من طريق الى طريق ، بينت - قدر الجهد - أسباب هذا التحول ودوافعه . ولا شك أن تحليل الشخصيات التى أردت بها القصة ، كان ضمن الأهداف التى قصدت اليها من الكتابة .

والقصة فى مجموعها خيالية كما سينضح للقارىء . وهذا يوسع لى أن أرسم من الشخصيات ما يحلو لى ، ملتزما - بطبيعة الحال - القيود الطبيعية ، فقد يرى قارىء - مثلا - أن شخصية مجدى شخصية مثالية لا توجد فى القرن العشرين ، بينما أرى أنها تمثل المثالية العملية التى تسود الفلسفة الأخلاقية فى القرن العشرين . وعلى كل حال هل هناك ما يمنعنا

من الأمل في وجود مثلها؟! واني في هذا اسير مع القائلين :
ان وظيفة الكاتب هي أن يرسم الشخصيات تنبض بالنبضات
الانسانية التي نعرفها ، وليس حتما على الكاتب أن يختار
شخصياته من واقع الحياة نفسها ، بل له أن يضيف عليها
من أماله ونظرياته ما يريد .

وقد اخترت لأسلوب الكتابة اللغة العربية البسيطة ،
لعل المتحاملين على اللغة العربية يخففون الوطأة بعض الشيء ،
فهى لغة تستطيع أن تصل الى الجميع . اذا حاول الكتاب أن
يصلوا بها الى العامة وصلوا ، واذا كان هذا يكلفهم بعض
الجهد ، فلا بد للكاتب أن يجهدوا ما داموا قد اختاروا لأنفسهم
مهنة لا راحة فيها .

على أن اللغة العربية – والحمد لله – سوف تبقى على
الزمان مهما يحاول الزمان أن يفض منها ، فالكاتب باللغة
العامة. في مصر يكتب لمصر فقط ، بل لعله يكتب للقاهرة
وحدها . أما الكاتب باللغة العربية ، فالعالم العربي كله
يستطيع أن يقرأ له ويفهم عنه ، وان الجمال الذي تضيفه لغة
القرآن على الكتابة لتتقاصر دونه كل اللغات العامية في العالم ،
ومهما يقل القائلون فان الناحية الجمالية في الفن كانت
وما زالت وسوف تظل من أهم مقومات الفنون .

ثروت

الحياة لنا

● الفصل الأول

المنظر الأول

« منزل حمادى بك العباسى • غرفة الصالون تجلس بها تحية ومعها ابنة خالتها سناء .. الأثاث منسق فى ذوق جميل وهو أنيق ولكن ليس بالغ الأناقة .. الوقت صباحا .. تحية مضطربة بعض الشيء وقرينتها تحدثها »

- سناء : وتمت الخطبة .
- تحية : صحيح ؟
- سناء : وحياتك .
- تحية : حب كبير ؟
- سناء : جدا .. تصورى خطبها يوم الخميس الفائت ، ويريد أن يتزوج بعد شهر !
- تحية : يا سلام ! وفيه كل هذه السرعة ؟
- سناء : الحب يا حبيبتي .
- تحية : هيه يا سناء .. أحيانا الحب يمنع من الزواج !
- سناء : كلام فارغ .. الحب يعمل المستحيل ..
- تحية : صحيح يعمل المستحيل ، ولكننى لا أراه يعمل الغنى أبدا .. يظهر يا سناء أن الغنى أكثر من المستحيل !
- سناء : من قال ؟ الغنى نتيجة طبيعية للاجتهاد .. والاجتهاد نتيجة طبيعية للحب .
- تحية : أنت غلطانة يا سناء .
- سناء : أنت الغلطانة .
- تحية : تقصدين خطيتى ؟

- سناء : طبعاً أقصد خطبتك .. أنت مخطوبة من سنتين
- تحية : أبى يمنع ابراهيم من التوظف بالحكومة
- سناء : وماله !؟

تحية : والله يا سناء أنا عارفة كل الظروف المحيطة بى وبابراهيم وأعرف أنه لو اجتهد لابد أن يصل

• سناء : وساكتة ؟

- تحية : وساكتة ياسناء ، ابراهيم يعتقد أنه لن ينجح الا اذا توظف
- (تدخل ام تحية اجلال هانم وهى سيدة وقور ذكية)

- اجلال : ماذا جرى يا بنات ؟ الكلام طال بينكم
- تحية : والله يا أمى الكلام جر بعضه

اجلال : وسناء ما ذنبها تقعد بين أربعة جدران .. ؟ انزلى يا بنتى للجنينة

- سناء : أبدا ، والله هنا هواء والجو لطيف

اجلال : على كيفك .. يا ترى العجائز لها مكان هنا ؟

- سناء : أهلا وسهلا .. أنت الخير والبركة

اجلال : (وهى تقعد) ابراهيم يجيء اليوم يا ترى ؟

تحية : أظن يا أمى ..

- اجلال : شباب طيب وابن حلال

سناء : صحيح يا خالتى .. لكن ابن حلال ليست كافية

اجلال : (متعجبة) ليست كافية !؟

سناء : طبعاً ، ومالنا نحن اذا كان ابن حلال أو لا ، ما دام لا يتكلم فى الخطبة التى عفنت

اجلال : سبحان الله يا بنتى .. كل انسان له ظروفه

سناء : وظروفنا نحن يا خالتى ..؟! أليست لنا ظروف نحن أيضا ؟

اجلال : لا أفهم ما تقصدين

سناء : أقصد شاباً يخطب أختى ويسكت بعد الخطبة سنتين .. ومن

الخطبية .. ؟ تحية .. ؟ فتاة كل شاب يتمناها .. طيب يتركها

هو اليوم .. ولا أقول غدا .. بل اليوم يسعى لها ألف خطيب

تحية : (فى غضب) لا .. لا يا سناء .. الا أن يتركنى .. هى المسألة

زواج .. لا يا حبيبتى .. ليس هكذا الكلام .. الا أن يتركنى أنا

لو كنت أريد هذا ما تأخري

سناء : فاهمة .. فاهمة .. حب ..

تحية : طبعا .. وما العيب .. ؟ لو لم يكن الحب لما قبلت الخطبة .
اجلال : الله .. بنت .. هكذا أمامي !؟

تحية : أنت عارفة قبل الكل أن حبي لابراهيم هو وحده الذى نعتمد عليه
فى حياتنا .

سناء : يا حبيبتى .. أين هى حياتك هذه ؟ كل كلامى من أجل حياتك
هذه .. أريدها .. أريد أن أرى بيتك .. حياتك .. أولادك .

تحية : لا .. لا يا سناء .. المسألة زادت .. هذا شيء وهذا شيء .. انه
تأخر .. أو معدور ، مسألة أخرى غير أنى أترك خطيبى .

سناء : كيفك .

تحية : طبعا كيفى ..

سناء : والله لولا أنى منتظرة أخى مجدى لزعلت وتركتك ..

تحية : يا سلام .. كل هذا لأنى أحب خطيبى ؟

سناء : على كيفك .

تحية : عارفة .. قلتها الآن .

(يدخل مجدى وهو شاب انيق وسيم فيسمع آخر الناس)

مجدى : أعوذ بالله ! كلما رأيتهما سمعت الخناق .

تحية : أهلا .. أهلا بالكاتب الكبير والمحامي الشهير والأديب ..

مجدى : (فى تصنع العظمة) أعرف كل القابى يا سيدتى ، فلا تتعبى
نفسك فى ذكرها .

اجلال : بسم الله الرحمن الرحيم .. ماله يتكلم وكأنه لويس الحادى
عشر !؟

مجدى : وماله لويس الحادى عشر أو حتى السادس عشر ؟

تحية : لا .. ربنا يحفظك من السادس عشر يابن خالتى .

مجدى : يا ستى .. ربنا يحفظنا منك أولا .

تحية : الله .. بدمتك أنا عملت لك حاجة ؟

مجدى : لا .. ولكن الاستقبال لم يكن يبعث على الاطمئنان .

اجلال : عجيبة .. لم يكن ينقصها الا أن ننحنى وتتقدم خطوة الى الأمام
وأخرى الى الوراء وتقبل الأرض !

مجدى : يا خالتى .. تحية لا تتقدم لى بالقابى هذه الا لتتبعها باغابتنى .

تحية : لا والله .. قرأت لك كتابك الأخير وأعجبت به حقا .. أعجبت به

فعلا .. ثم قرأت مقالك في الجريدة .. ثم قرأت نقدا لكتابك كله
مديح لك وللكتاب .. فالحقيقة أثنى انتظرت حتى أراك ، لأقدم
أعجابي .

مجدي : صحيح أعجبك ؟

تحية : صحيح والله .

مجدي : (في تعاضم مرة أخرى) أعرف .. أعرف .. الكل معجب به
فلماذا لا تعجبين .. ؟ ومن أنت حتى لا تعجبين به ! ..

تحية : أنا غلطانه .. كان يجب أن أقول الحق اذن .

مجدي : (مقاطعا) في عرضك .. ان الله لغني عن حقاك هذا .. الكذب
أحسن .. واظبي على الكذب .

اجلال : يا أخي شغلتنى عن ضيوف عمك .

سناء : ضيوف عمي ؟

اجلال : عندنا اليوم أصدقاء عمك سيتناولون الغداء معه .

سناء : طيب .. وماذا ستفعلين .. ؟

اجلال : ماذا سأفعل .. ؟! أقف في المطبخ وأشرف (تقوم) على فكرة

يا مجدي أنت وسناء .. الغداء عندنا اليوم .

مجدي : من غير دغوة يا خالتي .. من غير دعوة .. وهل يعقل أن نترك
وليمة بحالها ؟

سناء : عظيم .. أنا سأعمل بأكلي وأشرف معك يا خالتي .

(تخرج اجلال وسناء ويبقى بالمرح مجدي وتحية)

مجدي : قولي لي .. لماذا زعلت سناء ؟

تحية : عبيطة .

مجدي : سناء .. ؟ لا .. جازيز فيها العيوب كلها .. الا أنها عبيطة ..

والظاهر - والله أعلم - أن غيرها هو العبيط .

تحية : الى من تقصد ياسي مجدي ؟ ماذا جرى ؟ أنت وأختك اليوم ..

مجدي : (مقاطعا) ياستى أنت حرة .. لا أنا ولا أختي .. أين الدكتور ؟

تحية : ابراهيم ؟ .. أظنه سيكون في العيادة بعد قليل .. لماذا .. ؟

مجدي : تذكرته فقط .

تحية : لا .. لابد من سبب .

مجدي : نعم .. ألف سبب .. ان لم تكلميه أنت ، تكلمت أنا .

- تحية : تكلمت .. ؟ تكلمت فيم ؟
- مجدي : في خطبتك .
- تحية : في خطبتي ؟
- مجدي : نعم .
- تحية : ماذا تقصد ؟
- مجدي : أعنى اذا لم يكمل الزواج .. وسريعا .. فسأخطبك أنا .
- تحية : مجدي .
- مجدي : (مازحا) وماله ياستنى .. والا بالله كيف يمكن أن أجعله يحسن بطول المدة ، الا اذا هددته هذا التهديد .. ؟
- تحية : لعله يعلم بطول هذه المدة أكثر منك ومنى !!
- مجدي : والله ان كانت الأمور تؤخذ بالظواهر .. وهذا هو الغالب لأن الخافى لا يعلمه الا الله .. فالظواهر كلها ليست فى مصلحة الدكتور .
- تحية : والله يا مجدي هو شاب طيب ومخلص ، لكن ظروفه كلها تعسفة .
- مجدي : أنا لا أعرف شيئا اسمه ظروف .. كلنا نقابل فى حياتنا الظروف السيئة .. ولكن ما الحياة ان لم نلق هذه الظروف ونتخاطب عليها ؟ .. هذه الحياة لنا .. نحن سادتها .. نحن من نتحكم فيها ولا يمكن مطلقا أن نتركها نتحكم فيها .
- تحية : أنت تسرق من نفسك يا أستاذ مجدي .. هذا الكلام فى كتابك الأخير .. ألم أقل لك اننى قرأته ؟
- مجدي : لا والله يا تحية ، هذه هى الحقيقة .
- تحية : نحن نتحكم فى الحياة .. ؟
- مجدي : نعم .. نحن .. الانسان .. لقد خلقت الحياة له ، فهو من يتحكم فيها .
- تحية : فلماذا لا نتحكم فى جنسنا .. ؟ لماذا خلقت امرأة ولم أكن رجلا .. ؟! ولماذا اسمى تحية .. ؟! كيف عرفت الحياة أنى أحب هذا الاسم ؟ ولماذا سأموت يوم تشاء الحياة .. ؟ ولعلها تختار تماما الوقت الذى أريد أن أحيأ فيه .
- مجدي : يا حبيبتي .. هذه ليست الحياة .. انها تمهيدات الحياة .. الولادة تمهيد للحياة ، والموت نهاية لها .. نحن غير مخيرين فى المقدمات أو النهايات .. والا فتصورى بربك لو أن الأمر عرض

عليك قبل ولادتك فرأيت أن تكوني رجلا ، ثم اختار هذا الطريق من بعدك كل الأناث؟! أى حياة سنلقاها أذن ٠٠ ؟ ان الحياة لن تمكث الا بمقدار حياة هؤلاء الرجال ٠٠ على أنه لو كان الأمر كذلك، واختارت أمك أن تكون رجلا ، لما ولدت أنت ، ولتعتلت حركة الحياة نهائيا . فجنس واحد لا يكفي ٠٠ أما اسمك فاسألني عنه أمك وأباك ، فهما من اختارا وهما انسان ٠٠ وأنا أتكلم عن الانسان ككل ، لا أقصدك أنت وأنا فقط ٠٠ أما موتك فانه لابد أن يكون رغم أنك ٠٠ والا لو كان الأمر اختيارا لما تركت الحياة أبدا ، ومن ذلك الذى يترك حياة هو واثق منها الى حياة أخرى لا يعرف عنها شيئا ٠٠ تصورى لو أن الناس لم يموتوا من عهد جدنا آدم وستنا حواء ٠٠ كانت الحياة تصبح مصيبة كبرى ، وأين هذه الأرض التى تحتل كل هؤلاء ٠٠ ؟ ومن أين يأكلون ٠٠ ؟

تحية : اذن فنحن لسنا سادة الحياة كما تقول !

مجدي : بل نحن سادتها ٠٠ انما الحياة هي هذه الفترة الراقعة بين الولادة والموت ٠٠ بل الحياة الحقيقية هي التى تبدأ مع الادراك وتنتهى معه ٠٠ فترة الادراك هي الحياة ٠٠ وهذه الحياة هي التى نتحكم فيها ٠٠ أما منذ الولادة حتى الادراك ، فان أبويننا وأهلينا هم من يتحكمون فينا ٠٠ وأظنك توافقين على أنهم آدميون .

تحية : أستغفر الله العظيم .

مجدي : أستغفره من كل ذنب ٠٠ ولكن ماذا قلت ؟

تحية : تزعم أننا نتحكم فى الدنيا ولا تستغفر ربك .

مجدي : ان ما أقوله هو غاية الايمان ٠٠ وهل يعقل أن يكون الأمر غير ذلك ٠٠ ؟

تحية : كيف ٠٠ ؟

مجدي : تصورى لو أنك قلت لخادمك : اكسر هذا الكوب ، ثم كسره ، أتراك تعاقبينه بعد ذلك ٠٠ ؟

تحية : لا طبعاً .

مجدي : فاذا كنت أيها الانسان الحقير فى عدلك تدركين ذلك ٠٠ فكيف بالله مصدر العدالة ٠٠ ؟ كيف يمكن أن يكتب على أن أشرب الخمر ثم يعاقبني على شرب الخمر ؟ لابد أنى مخير فى أفعالى والا لما وقع الله على الجزاء .

تحيةة : الله . . مجدى أتكلمنى عن الاختيار . . ماذا . . ؟ أتراك أصبحت
فيلسوقا أيضا . . ؟ هذا ما كان ينقصك .

مجدى : جزاك الله . . القضية تنتظرني وأنت لا تسكتين .
تحيةة : أنا التى لا أسكت . . ؟ طيب اذهب . . ولكن انتظر .
مجدى : ماذا ؟
تحيةة : سأذهب معك .
مجدى : الى المحكمة .
تحيةة : الى ابراهيم .
مجدى : (مصدوما) لا . . اذهبى انت فى سيارة أجرة . . أنا لا أطيق .
تحيةة : لا تطيق . . ؟ لا تطيق ماذا . . ؟
مجدى : لا أطيق انتظارك حتى تلبسى . . القضية يا هانم . . القضية . .
السلام عليكم .

(يخرج وتجلس تحية سارحة بوض الوقت حتى تدخل سناء)

سناء : الله . . ماذا جرى . . ؟ أين مجدى . . ؟
تحيةة : ذهب الى المحكمة . . ؟

سناء : صحيح . . هو قال : انه سيستطيع أن يهرب ساعة من المحكمة
ثم يعود .

تحيةة : (سارحة) صحيح . . ؟

سناء : (فى نفس النخمة) صحيح .

تحيةة : سناء . . أخوك عبقرى .

سناء : أعرف . . وكان يجب أن تعرفى هذا من زمن بعيد .

تحيةة : لو عرف كم هدانى الى أشياء فى هذه الدقائق .

سناء : هداك الله الى الصراط المستقيم . . ؟

تحيةة : نعم . . الى الصراط المستقيم فى حياتى . . سناء . . أنا خارجة .
سناء : الى أين . . ؟

تحيةة : الى ابراهيم .

سناء : (فى يأس) ابراهيم .

سناء

المنظر الثاني

« المنظر غرفة طبيب غاية في الحفاوة ، بها سرير كشف خلف « برافان »
قديم به قماش وخيصر ومكتب قديم متناك ، الغرفة ذات باب واحد .
التمورجي يتنظف الحجرة في تراخ شديد وكسل . »

التمورجي : والله الشعراء أحيانا لهم كلام حكم .. العطار .. العطار ..
آه العطار لا يفسد ما أصلحه الدهر .. طيب ماذا تعمل الريشة
أو المسحة في هذه المكسرات !؟

(يندق جرس الباب)

التمورجي : أهلا .. والله زمان ..

(يخرج ويغيب لحظة ويعود مرة أخرى)

التمورجي : فرجت .. جاء أول زبون .. أول زبون .. لا هو مضطر ..
ولا هو مصاب في حادثة تحت العيادة .. ولا هو صديق فقير ..
زبون .. زبون خالص ، زبون فقط بدون تعليق .. (يندق جرس
الباب مرة أخرى ويغيب لحظة ويعود) زبون آخر .. زبون ..
(لا يكمل الكلمة لأن جرس الباب يندق) لا .. الجرس تعب ..
الشلغل كثر مرة واحدة ، وهو من زمان لا يشتغل .. لا يمكن طبعاً
أن يكون زبون ثالث .. أما لو كان ، فاني سأترك الباب مفتوحاً ..
(يخرج ويعود) ماذا جرى ؟ .. أأكون الدكتور اشتهر ؟ .. ولكن
في يوم واحد يشتهر .. ؟ أأكون ارتكب حادثة ، والجرايد نشرت
اسمه .. ؟ متى ارتكب الحادثة .. ؟ لقد كان هنا حتى الساعة
الواحدة ظهراً يا عالم .. ماذا جرى .. ؟ (ينظر من الباب) زبون
رابع .. خامس .. سادس .. سابع .. الدكتور .. الدكتور .. الدكتور

« يدخل الدكتور .. شاب في مقبل العهر يلبس حلة قديمة يعاول

جهده أن تظهر نظيفة مادام لا يمكن أن تظهر أنيقة »

الدكتور : (لا يلتفت الى رقص التمورجي) من هؤلاء .. ؟

التمورجي : زبائن ..

- الدكتور : (مندهشا) من ٠٠ ؟
- التهورجى : زبائن ٠٠ زبائن : - والله زبائن : لا هم أصدقاء ولا هم
- مصابون تحت العيادة ٠٠ ولا هم جيران ٠٠ زبائن ٠٠ زبائن .
- الدكتور : وماذا جاء بهم ٠٠ ؟
- التهورجى : ربنا .
- الدكتور : كل هؤلاء ٠٠ ؟
- التهورجى : كلهم ٠٠ هيه نبتدىء يا دكتور
- الدكتور : نبتدىء .
- التهورجى : (يفتح الباب فى زهو) الأول ٠٠ أنت ٠٠ نفضل .
- (يدخل الزبون ويكون الدكتور قد جلس الى مكتبه به ، اذ يكون له
أحد الكرسى انام المكتب فى احتفاء كبير) .
- الدكتور : أهلا ٠٠ تفضل (يشير الى الكرسى) .
- الزبون : زاد فضلك يا دكتور ٠٠
- الدكتور : نعم ٠٠ ؟ خير .
- الزبون : والله يا دكتور لو كان خير ما جئت لك .
- الدكتور : (يفتصب ضحكة) ان شاء الله خير .
- الزبون : يا دكتور أنا عيان .
- الدكتور : طيب ٠٠ أنا لا أنتظر أن تكون صاحب قضية !
- الزبون : المرض لازمنى سنتين .
- الدكتور : عظيم ٠٠ وما المرض ٠٠ ؟
- الزبون : المرض ٠٠ ؟
- الدكتور : نعم ٠٠ المرض !!
- الزبون : لابد أن تعرف المرض ٠٠ ؟
- الدكتور : طبعا .
- الزبون : أنا متزوج من عشر سنوات ، ومنذ سنتين (يسكت) .
- الدكتور : أقول المرض !
- الزبون : المرض ٠٠ المرض ٠٠ لقد قلت لك المرض ٠٠ متزوج ٠٠ و ٠٠ مريض .
- الدكتور : آه ٠٠ فهمت ٠٠ طيب ٠٠ تفضل ٠٠
- الزبون : أين أتفضل ٠٠ ؟ هل شفيت ٠٠ ؟
- الدكتور : شفيت ٠٠ كيف تشفى ٠٠ ؟ اننا لم نعمل شيئا .
- الزبون : اذن فأفضل الى أين ٠٠ ؟ هنا عظيم .

الدكتور : لا .. تفضل على سرير الكشف .
الزبون : ماذا .. ؟ سرير ماذا .. ؟ هل أنت أيضا لك سرير كشف ؟
مصيبة !!

الدكتور : طبعا .. لي سرير كشف .
الزبون : آه .. جائق .. انها أول مرة أجيء الى دكتور مثلك .
الدكتور : لا .. انت أعصابك منهارة .

الزبون : يا سلام .. ! أنا عارف هذا من أول دكتور .
الدكتور : طيب .. نم ..

الزبون : (مندهشا) وأنام أيضا .. ؟
الدكتور : طبعا .

الزبون : نمنا .

الدكتور : اخلع البنطلون .

الزبون : البنطلون ؟ لا .. أنت لست الدكتور .. لابد أنك دكتور
نصاب مثل كل الدكاترة الذين شفتهم !! لا يا سيدي حكاية خلع
البنطلونات غلط أكيد !

الدكتور : غلط ؟! كيف أكشف عليك وأنت تلبس البنطلون !؟

الزبون : ولماذا تكشف !؟

الدكتور : وهل يمكن العلاج الا بالكشف .. ؟

الزبون : العلاج .. ؟ أنت من اياهم اذن .. يقولون دكتور منوم مغناطيسي
وتقول علاج .. أنت منوم أو دكتور .. ؟

الدكتور : منوم ؟ أنا منوم .. ؟

الزبون : طبعا .. وهل كنت أجيء لك الا وأنت منوم .. ؟ أنا تركت
الدكاترة من زمان بعيد .. أنا أنهيتهم .. أنهيتهم .. فاهم ..
أنهيتهم على آخرهم .

الدكتور : أي دكتور كنت تريده .. ؟

الزبون : (يخرج جريدة من جيبيه) هذا .. هذا الدكتور .

الدكتور : (يقرأ) يمان الدكتور طهستان المنوم المغناطيسي المشهور أنه

نقل عيادته الى شارع معروف رقم ١٢ وكل من يريد زيارته فليشرف
في هذا العنوان .. الأشخاص والأشياء الضائعة و ..

الزبون : ليس هذا شارع معروف .. ؟

الدكتور : لا .. هذا شارع الشيخ معروف .. ولكن أين طهستان من ابراهيم .. ؟

الزبون : وكيف أعرف .. ؟ أنت لا تعلق اسمك على بابك ؟
الدكتور : ولكنى أعلقه على باب العماراة .

الزبون : أنا سألت : الدكتور موجود ؟ قالوا سيأتي ، فدخلت .. أما لافتتك على الباب فلم أقرأها ، لأنى لم أنتظر أن يكون الدكتور قد علق لافتة وهو لم ينقل الا اليوم .

الدكتور : وهل تنوى حقا الذهاب الى الدكتور طهستان .. ؟

الزبون : أنوى .. ؟ لقد نويت فعلا وجئت وسأذهب اليه فى معروف والحاج معروف أو غير معروف .. أنا ذاهب له على أى حال .

الدكتور : إمرنا لله ، مع السلامة .

الزبون : سلامة .. ؟ سلامة من .. ؟ هات الخمسين قرشا .

الدكتور : آه صحيح .. يا حسن .. يا حسن .

حسن : نعم يا دكتور .

الدكتور : هل أخذت خمسين قرشا من الأفندى .. ؟

حسن : طبعاً .. لماذا لا آخذ .. ؟ أليست عيادة لها مصاريف ؟

الدكتور : لا تطول .. هات الخمسين قرشا .

حسن : أمرك .. تفضل .

الدكتور : تفضل يا أستاذ .

الزبون : مع الشكر يا أخ .. سلام عليكم .

الدكتور : (يجلس متهاككا على الكرسي) وعليك السلام (ينظر الى حسن)
رد الى الزبائن ما دفعوه .

حسن : لماذا يا دكتور .. ؟ ترفض الرزق يا دكتور .. ؟

الدكتور : اسمع الكلام يا حسن ..

حسن : أمرك يا دكتور (يخرج حسن) .

الدكتور : أيها القدر .. أيها القدر .

(يدخل حسن فرحا)

حسن : يا دكتور .. الزبائن يرفضون .. يتوسلون اليك يا دكتور أن تقابلهم .

الدكتور : أخرج اليهم يا حسن .

حسن : أحضرهم .. ؟

الدكتور : اخرج اليهم وسأكلهم من هنا .
حسن : أمرك يا دكتور :

(يخرج حسن)

الدكتور : (يفتح الباب بينه وبين الزبائن) يا حضرات .. أنا الدكتور
ابراهيم محسن .. طيب باطنى .. ان كنتم تريدون الدكتور
طهستان فهو فى شارع الشيخ معروف .

(يرى الزبائن يتصرفون واحدا بعد الآخر)

(ينفل الدكتور الباب وينهاك على الكرسي)

(يدخل حسن)

حسن : انصرفوا جميعا يا دكتور .

الدكتور : لم يبق أحد .. ؟

حسن : بل بقي .

الدكتور : زبون .. ؟

حسن : والله يا دكتور .. الله أعلم .

الدكتور : الله أعلم بكل شيء .. ولكن أنت ألا تعرفه .. ؟ أهو زبون ؟

حسن : ومن أين أدرى .. ؟ لقد كنت أحسب كل هؤلاء زبائن !

الدكتور : انهم زبائن نعم يا حسن .. ولكن فقط زبائن لشخص آخر
(ساخرا) لدكتور آخر .

حسن : أحضره يا دكتور .. ؟

الدكتور : أحضره يا حسن .

حسن : (يفتح الباب) تفضل يا معلم .

(يدخل شخص يلبس ملابس بلدية)

الدكتور : من .. ؟ المعلم حسنين .. ؟

المعلم : أنا يا دكتور .

الدكتور : خير يا معلم .. ؟ أنا أسف تأخرت عليك هذا الشهر .

المعلم : الحقيقة يا بنى أنا كنت أريد .

الدكتور : تريد ماذا يا معلم .. ؟

المعلم : أريد أن تكشف على ..

الدكتور : أكشف عليك .. ؟ لماذا يا معلم .. ؟ كفى الله الشر .

المعلم : الحقيقة يا بنى .. الحقيقة .

الدكتور : الحقيقة أنك رجل طيب .

المعلم : أشكرك يا دكتور ، لكن والنبي تكشف على يا دكتور .

الدكتور : لا يا معلم .. عسى سيأتي من البلد اليوم .. وأظن أنه سيحضر
لى القرشين بعد ما باع القطن ..

المعلم : وما شأنى يا دكتور بالقطن وعمك .. ؟ اللهم أنك تكشف على ..

الدكتور : أنت تريدنى أن أكشف عليك حتى لا تكون العيادة خالية ..
... ليس كذلك يا معلم ؟ ..

المعلم : لا حول الله يابنى .. أنت دكتور وأنا عيسان .. وظيفتك أن
تكشف على .. أكشف يا دكتور ..

الدكتور : أمرك يا معلم .. مم تشكو .. ؟

المعلم : أشكو .. أشكو .. أشكو من صداع .. نعم صداع شديد ومغص
.. نعم مغص شديد ..

الدكتور : طيب يا معلم .. قم الى السرير ..

المعلم : أمرك يابنى ..

(يدخلان خلف البرافان)

الدكتور : نفس يا معلم .. اثن رجليك .. ظهرك .. يا معلم .. عظيم ..

(يخرج الدكتور)

الدكتور : ليس بك شىء يا معلم ..

المعلم : (وهو ما زال خاف البرافان) ما هذا الكلام يا دكتور .. ؟ أقول

لك : صداع ومغص ، وتقول لى ليس بك شىء .. ؟ يابنى اكتب

لى دوا .. الله يفتح عليك ..

الدكتور : أمرك يا معلم (يكتب) ..

المعلم : (يخرج حافظة نقوده) أنا لى يا دكتور ستة وثلاثون قرشا وأنت

لك خمسون قرشا ، يكون الباقى لك أربعة عشر قرشا ها هي ..

الدكتور : يا معلم .. هذا لا يصح .. وهل يعقل أن آخذ منك .. ؟

المعلم : والله والله .. ان أم أولادى حرام على ان لم تأخذ حقا ..

الدكتور : يا معلم الناس لبعضهم ..

المعلم : نعم لبعضهم ..

الدكتور : طيب خذ نقودك ..

المعلم : لا يا دكتور الحق حق ، وأظن أيضا أنك لا ترضى أن أطلق أم حسين

ولو أنها أصبحت عجوزا (ويضحك) ..

الدكتور : (وفى عينيه بعض الدموع) أنت يا معلم حسنين يا جزار ،

أرق انسان رأيته فى حياتى ..

العلم : الله يبيحك ، هذا من طرفك يا دكتور .. سلام عليكم .
الدكتور : وعليكم السلام يا معلم .. مع السلامة .
(يخرج المعلم)

الدكتور : (لنفسه) أيرضيك هذا أيها القدر .. ؟ أيرضيك أن يتصدق
على الجزار ؟! الرجل لا يشكو شيئا ، ويجعلني أكشف عليه ليعطيني
أجرة الكشف .. راض أنت أيها القدر ؟! حنبي الله ونعم الوكيل ..
حسبي الله ونعم الوكيل .
(يدخل حسن)

حسن : يا دكتور .. بالخارج رجل عظيم يسأل عنك .
الدكتور : عظيم .. ؟
حسن : عظيم جدا .
الدكتور : دعه يدخل .

(يدخل رجل يلبس الردنجوت ذو لحية كثة ويضع على رأسه عمامة
كبيرة)

الداخل : السلام عليكم .
الدكتور : وعليكم السلام .. نعم .
الداخل : أنا الدكتور طهستان .
الدكتور : أهلا وسهلا .. فرصة عظيمة يا سيد طه .
طهستان : أقول لك أنا الدكتور .
الدكتور : أهلا يا سيد طه .
طهستان : يعنى مصمم .. على كل حال جئت لأشكرك .
الدكتور : علام .. ؟
طهستان : على أنك أرسلت الى الزبائن .
الدكتور : هذا واجب يا سيد طه .
طهستان : ومن أجل هذا جئت أقدم لك خدمة .
الدكتور : خدمة .. ؟
طهستان : نعم خدمة .
الدكتور : وما هي .. ؟
طهستان : أنت ترسل الى المرضى الذين تجدهم ضعاف الشخصية يمكن
للتنويم أن يؤثر فيهم ، وأنا أرسل لك المرضى الذين أجد بهم مرضا
حقيقيا ، ما رأيك .. ؟
الدكتور : عظيم .

طهستان : اتفقنا ؟

الدكتور : اتفقنا .. ولكن هناك مانعا بسيطا ، اسمه الشرف .

طهستان : دع الشرف اذن ينفك .. لقد رأيت اليوم بنفسك كيف امتلأت

عيادتك بزبائني ، وحين قلت لهم : انك لست الدكتور طهستان

انصرفوا جميعا .

الدكتور : وهل معنى تأثيرك في المغفلين أن أتفق معك ؟

طهستان : أنت تتفق مع سمسار ، تقابل منافع يا دكتور .. أي

عيب في هذا ؟ أنت تخدمني وأنا أخدمك ، والناس لبعضهم .

الدكتور : تقول لبعضهم .. ؟ صحيح .. ولكنك للأسف أنت دجال .

طهستان : لا .. دجال هذه لم أعرفها ، ولكنني أعرف أنني أملك العمارة

التي أسكن بها ، وأنت لا تستطيع أن تدفع أجرة الشقة التي

تسكنها .

الدكتور : وهل يغير هذا من الحقيقة ؟

طهستان : الحقيقة هي ما تملك .

الدكتور : الحقيقة هي الواقع .

طهستان : والواقع أنني غني وأنت فقير .

الدكتور : والواقع أنني دكتور وأنت دجال .

طهستان : تعال نخرج معا .

الدكتور : إلى أين ؟

طهستان : إلى أي مكان يعجبك .. إلى الشارع .. إلى القهوة .

الدكتور : وما السبب ؟

طهستان : لترى الحقيقة .. لتعرف الواقع .. ان النبي يقول : السنة

الخلق أقلام الحق .

الدكتور : ان النبي يتكلم عن السنة الخلق البريئة من النفاق ، البعيدة

عن التزلف .. مهما يمدحك الناس أمامك ، فانهم حين تنصرف

عنهم سيقولون : دجال ، أما أنا فمهما قالوا عن فقري فلن يستطيعوا

الا أن يقولوا من ورائي وأمامي ، انني دكتور تعلمت ، واجتهدت

ووصلت .

طهستان : (يضحك ضحكة ساخرة عالية) وصلت إلى أين يا دكتور ؟

إلى أين وصلت ؟ إلى عيادة في مكان كهذا ؟ خالية إلا منك ؟

وصلت يا دكتور ؟ (يضحك) .. اللهم لا تجعل أحدا يصل

الى ما وصلت اليه يا دكتور .. أنت وصلت ؟ فمن اذن الذى لم يصل .. ؟ ايسع كلامى يا دكتور .. الغنى .. الشهرة ..

الدكتور : (فى شبه تخاذل) الغنى .. الشهرة ..
طهستان : انها خدمة أريد أن أؤديها لك ..
الدكتور : وماذا تريد منى .. ؟

طهستان : لقد قلت لك ..
الدكتور : ماذا تفعل اذا أرسلت أنت الزبائن ولم أرسلهم أنا .. ؟
طهستان : يكون الدجال وفى بوعده ، ويكون الشريف أخلف ..
الدكتور : وما دخل الشرف ، وكلانا يسرق .. ؟
طهستان : نسرق .. ؟ نحن نسرق .. ؟

الدكتور : طبعا .. اننا أكثر من لصوص .. اللص يسرق المال أما نحن فنسرق الثقة .. نسرق اعتقاد الناس فينا ..
طهستان : ولماذا .. ؟ أنت دكتور ، وأنا أرسل لك مرضى ..
الدكتور : هذا صحيح .. ولكن هل أنا دكتور ماهر أو لا .. ؟ هل تعرف هذا .. ؟

طهستان : على كل حال أنت دكتور .. فتقة الناس فى مخطيها .. أنا لا أرسلهم الى محام أو مهندس .. الى دكتور ..
الدكتور : عظيم .. وأنا .. ؟
طهستان : دكتور ..

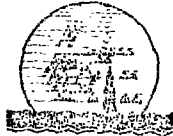
الدكتور : أعرف ، ولكن ما موقفى أنا حين أرسل الناس اليك .. ؟
طهستان : (تظهر عليه الحيرة) أنت .. أنت ترسلهم الى منوم مشهور يا أخى ..

الدكتور : على كل حال يا أخى طه ، أنا أشكرك لثبتك الطيبة ، ولكنى لا أستطيع ..

طهستان : الغنى .. الشهرة ..
الدكتور : أنت لا تعرف كم أنا محتاج لهذا الغنى ، ولكنى لا أستطيع ..
طهستان : أنت حر .. سلام عليكم ..
الدكتور : وعليكم السلام ..

(يخرج ويدخل حسن)

حسن : يا دكتور ..
الدكتور : خيرا يا حسن ..



- حسن : ومن أين الخير ؟ والله لو كان عندي ما تأخرت يا دكتور .
الدكتور : ما هو ؟
- حسن : الزبون . أقصد الخير .
الدكتور : ماذا تريد اذن ؟
- حسن : خطيبتك يا دكتور .
الدكتور : خطيبتي ؟
- حسن : خطيبتك .
الدكتور : دعها تدخل .
حسن : تفضلي يا ست هاتم .
- (تدخل تحية وقد بدا عليها التجهم)
- الدكتور : أهلا تحية .
تحية : أهلا ابراهيم .
الدكتور : مالك يا تحية ؟
- تحية : لا شيء . ولكنني كنت أستمع الى حديث طويل .
الدكتور : عن ؟
- تحية : عنك .
الدكتور : عني أنا ؟
- تحية : ليس عنك أنت بالذات . عن الانسان عموما .
الدكتور : أهذا كل ما كان ؟
- تحية : (في استخفاف) نعم . ونقاش آخر مع صديقة .
الدكتور : وماذا قالت ؟
- تحية : كلام بنات . ماذا تنتظر من بنتين تتكلمان ؟
الدكتور : أكاد أفهم .
تحية : ماذا ؟
- الدكتور : موضوع الكلام .
تحية : يا أخي اترك هذا . ماذا عملت أنت ؟
- الدكتور : فيم ؟
- تحية : ماذا عملت بعد خروجك أمس ؟ لاحظت أنك كنت زعلان .
الدكتور : زعلان ؟ لا . أبدا .
- تحية : لا . قل الحق .
الدكتور : والله يا تحية أنا فعلا كنت زعلان ، وما زلت .
تحية : خيرا . جرى شيء ؟
- الدكتور : وماذا يمكن أن يجرى أكثر من هذا ؟
تحية : وما هو هذا ؟

الدكتور : سنتان الآن ، وأنا خاطبك ، وأنت تنتظرين حتى أجمع المهر ..
ماذا سنفعل ؟ .. ؟

تحية : أنا شخصيا لا مانع عندي أن أنتظر .. ولكن أنت يجب أن تعمل .

الدكتور : المسألة ليست مسألة مهر فقط ، وإنما مسألة حياتنا بعد
الزواج ؟ كيف سنعيش ؟ .. ؟

تحية : الحمد لله .. أبى غنى وأعتقد أنه يستطيع ...

الدكتور : أن يساعدنا ؟ .. ؟

تحية : وما البأس ؟ .. ؟

الدكتور : الله .. الله .. أنا أعيش عائلة على والدك ؟ .. أترضين هذا
يا تحية ؟ .. ؟

تحية : وماذا بيدنا يا ابراهيم ؟ .. ؟

الدكتور : بيدنا أن نقنع أباك بمسألة ..

تحية : الوظيفة ؟ .. ؟

الدكتور : نعم .

تحية : لا تتعب نفسك .. هذه مسألة أساسية .

الدكتور : يا عالم .. يا ناس .. طبيب يريد أن يعمل في قصر العيني

طبيبا .. هل هذا عيب ؟ .. هل هذا يضر بالشرف ؟ .. هل

هذا يسىء الى السمعة ؟ .. هناك بحث عظيم أقوم به بهم أكون

كسبت الشهرة .

تحية : أنت تعرف أنه يكره الوظيفة ويكره سيرتها .

الدكتور : ولكنى أكره الفقر أيضا ، وأكره سيرته .. ماذا يمكننى أن

أفعل ؟ .. حالة العيادة تزيدنى ارتياكا .. أنا أخسر فيها ولا أكسب ،

حرام أن أتركك أكثر من هذا .. أنا موقفي حرج جدا .

تحية : لابد لنا أن نتغلب على كل شيء .

الدكتور : نعم ولكن .. كيف ؟ .. ؟

تحية : سوف يأتى الصبح بعد الليل .

الدكتور : لابد أن تتحرك الأرض حتى يأتى الصبح .

تحية : لا يمكن أن نصل الى ما نأمل ونحن هادئون مستريحون بغير سعى

.. اعمل .

الدكتور : أين ؟ .. كيف ؟ .. ؟

تحية : أنت سلبى خالص يا ابراهيم .

الدكتور : من أين يأتي العمل ؟ اسمعى يا تحية .. أنا لا يمكن أن أرضى لنفسي هذا .
تحية : ماذا ؟ ..

الدكتور : أن أحطم حياة الانسان الوحيد الذى أحبه .. لا يمكن أن أحطم حياتك .. لا أستطيع أن أغشك .. لا أمل مطلقا .. لا أمل .. ولا معنى أبدا أن تنتظرى انسانا فاشلا لا يستطيع أن يتحرر من فشله .. لا يمكن .

تحية : أحس فى كلامك شيئا غريبا .

الدكتور : اسمعى يا تحية .. يجب أن تعرفى أنه لا أمل من زواجنا وأنا على هذا الحال ..

تحية : انك بكلامك هذا تفسخ الخطوبة .

الدكتور : اننى بكلامى هذا أنقذ مستقبلك ، أخاف أن يطول بنا الطريق الى الزواج وأنت لم ترتكبي جرما حتى أجنى عليك أنت أيضا ، ان القدر وأباك يتعاونان على فشلى .

تحية : لا يا دكتور .. هذا الكلام له معنى آخر ، وقد فهمته ، انك تفسخ الخطبة واننى أقبل .

الدكتور : لا .. أنا لم أفسخها بعد .. ولكننى سأحاول تحية : اذن فأنا أفسخها يا دكتور .. (تخرج) .

الدكتور : (مطرقا) أيها القدر ، أيها القدر العنيد ، أين أنت ؟ .. (يدخل شخص من جدار الغرفة ويقف صامتا)

أين أنت لأنتقم منك ، أو لأسأل على الأقل لماذا تعاملنى أنا دون سائر الناس هذه المعاملة الشائنة العنيفة ؟ .. أيها القدر (يرفع رأسه) من ؟ .. من أنت ؟ ..

الشخص : أنا القدر .

الدكتور : أتتهزأ بى ؟ ..

الشخص : بل هذه الحقيقة .

الدكتور : فهل القدر انسان ؟ ..

القدر : كان لابد لى أن أتخذ هذا المظهر حتى ترانى ولا تخاف .

الدكتور : فماذا تريد ؟ ..

القدر : أنا .. لا أريد شيئا .. انه أنت الذى تريد .

الدكتور : أنا ؟ ..

القدر : نعم .. ألم تقل أين أنت أيها القدر .. ؟ لقد كنت شفوفا بك
لدرجة أنني ظهرت لك بمجرد طلبك لي .

الدكتور : فأنت تعلم اذن ما أردتك بشأنه ..

القدر : انك تريد أن تنتقم مني ، وهذا ما لا يمكن أن تفعله .. ثم أنت
تنازلت قليلا فأردت أن تراني حتى تعرف لماذا .. ؟

الدكتور : نعم .. ! لماذا .. ؟ لماذا تفعل بي كل هذا .. ؟ ولماذا اخترتني
دون سائر الأطباء .. ؟ دون سائر الآدميين حتى تجعلني في مثل
هذه الحال .. ؟

القدر : انه أنت .. الضعيف الخامل .

الدكتور : أنا خامل .. ؟ ألم أكن الأول في كل سنين الانتقال في كلية
الطب .. ؟ ألم تكن أنت من أمرضني في امتحان السنة النهائية
فنجحت بصعوبة .. ؟

القدر : وماذا كان مرضك .. ؟

الدكتور : (في تردد) ضعف أعصاب .

القدر : (ساخرا) بمعنى آخر تخاذل .. خوف .. ضعف شخصية .

الدكتور : ألم تكن أنت وحدك من جعل أبي فقيرا .. لم يستطع أن يمدني
بالمال .. ؟

القدر : ان فقر أبيك شيء تسأل عنه إجدادك حين تنشطوا في انجاب الذرية
واستناموا في نوال الرزق .

الدكتور : ومن سواك الذي جعل أبا خطيبتى يخرج من الحكومة ساخطا
عليها . فهو يابى أن أدخلها .. وجعل توظفى في الحكومة معناه
فسخا لخطيبتى .. ؟

القدر : (ساخرا) كلا كما أحقق .. هو أحقق في تصرفه ، وأنت أحقق
لأنك قبلت هذا التصرف .

الدكتور : (في استخزاء) وماذا ترى الآن .. ؟

القدر : انك وحدك الذى تستطيع أن تنقذ نفسك .

الدكتور : كيف .. ؟

القدر : انظر في أمر نفسك .. حده العراقيل التى تقف في سبيلك ..
واعمل .

- الدكتور : ماذا أعمل ؟
 - القدر : اعمل لنجاح نفسك
 - الدكتور : خطيبتى .. أبوها
 - القدر : (يبتسم)
 - الدكتور : أعمل فى الحكومة ؟
 - القدر : (يبتسم فى رضا)
 - الدكتور : البحث الذى بدأته .. انقاذ الآلاف من الامراض .. الشهيرة العلمية
 - القدر : لا تكثر من الكلام ولكن اعمل
 - الدكتور : آمال الشباب .. أحلام المستقبل
 - القدر : (راضيا وهو يختفى فى الجدار) حققها .. واعملى
- بستار

● الفصل الثانی

« نحرقة الجبلوس فی بیت نجیة ۰۰ وحمدی بك ابو نجیة جالس الی نجیب
صدیقہ الموظف »

- نجیب : والله یا حمدی بك اشتقت لك جدا فقلت أزورك .
حمدی : متشكر جدا یا نجیب بك ۰۰ هیه ، وما أخبار المصلحة ۰۰ ؟
نجیب : یا سیدی من یوم ما تركنها أصبحت مفسدة ۰۰ أصبحت مصلحة
شخصیة ۰۰ أصبحت عزبة .
حمدی : أعرف ۰۰ أعرف یا نجیب بك ۰۰ وهل یمكن أن تقول غیر هذا ؟!
۰۰ انما أنا أسألك عن أخبارها فعلا .
نجیب : والله كما تعرف ۰۰ المدير الجدید غاضب دائما ولا أحد یكلمه
ولا یكلم هو أحدا ۰۰۰ والمصلحة ماشیة أو واقفة ۰۰ ولكن فی صمت
على الحالین .
حمدی : وما لزوم الكلام یا أخی ؟
نجیب : نتفاهم ۰۰ نعرف ما یعجبه وما لا یعجبه ۰۰ تفاهم یا سعادة البك
۰۰ تفاهم .
حمدی : الحمد لله یاسی نجیب ، تركنا الحكومة بكل ما فیها من دس ومن
وقیعة ، وبكل ما فیها أيضا من حقارة .
نجیب : حقارة یا حمدی بك !
حمدی : ماذا هل الكلمة غریبة علیك ۰۰ ؟ نعم حقارة ، وهل نفاق الموظفین
الا حقارة ۰۰ ؟
نجیب : ولكننی لا أنافق یا حمدی بك .
حمدی : سبحان الله وهل قلت لك انك تنافق ، كلهم ینافقون وزیر ان
جاء ۰۰ فان لم یكن وزیر فهم ینافقون وکیل الوزارة ۰۰ فان لم ،

فهم يتعلقون بأسباب السكرتير أو الحاجب .. نفاق .. لم أعرف
كيف أنافق فخرجت ..

- نجيب : الواقع يا حمدي بك أن خروجك كان صلابة رأى منك فقط .
- حمدي : يا أخى هل عيب أن أحافظ على رأىي ؟ .. ؟
- نجيب : لم تكن المسألة محافظة على رأى وانما كان عنادا .
- حمدي : أى عناد ؟ .. ؟

• نجيب : صممت أن تكون أمور المصلحة فى يدك ولم ترض أن يرى وكيل
الوزارة منها شيئا ، واعتقد أن له عليك حق الاشراف .

• حمدي : الاشراف غير التدخل فى الشئون .. فى شئون المصلحة نفسها .

• نجيب : نهايته ، لقد تركت الحكومة واسترحت من الوزير والوكيل
والجميع .

• حمدي : ان شاء الله لن أكون فى الحكومة مرة أخرى ، أو فى أى عمل
يتصل بها .

• نجيب : أحسنت .

• حمدي : انما عملت أكثر من هذا .

• نجيب : أكثر من هذا ؟ .. ؟

• حمدي : نعم لقد حرمت زوج ابنتى من التوظيف بالحكومة .

• نجيب : وما مهنته ؟ .. ؟

• حمدي : دكتور .

• نجيب : ألم يشتغل بقصر العينى ؟ .. ؟

• حمدي : ولا هذا .. لقد رفضت أن يتصل بالحكومة مطلقا .

• نجيب : وهل قبل ؟ .. ؟

• حمدي : طبعاً قبل .

• نجيب : والنتيجة ؟ .. ؟

• حمدي : النتيجة أنه دكتور صاحب عيادة عظيمة .

• نجيب : عظيمة ؟ .. ؟

• حمدي : (مترددا) عظيمة .. نعم .. الى حد ما .

(تدخل زوجة حمدي بك اجلال هانم)

• اجلال : حمدي .

• حمدي : خيرا يا اجلال ؟ .. ؟

• اجلال : أنا خارجة أزور عليه هانم .

• حمدي : وما المناسبة ؟ .. ؟

- اجلال : من غير مناسبة .. زيارة عادية .
 حمدي : ما دام لا مناسبة فلا لزوم للزيارة .
 اجلال : ما معنى هذا ؟
 حمدي : معناه ابقى معي .
 اجلال : اذن .
 نجيب : (مقاطعا) تاذن لي أنصرف يا حمدي بك . . . ؟
 حمدي : لماذا يا أخي . . . ؟
 نجيب : والله عندي ميعاد .. لا مؤاخذه .
 حمدي : أمرك يا سيدي .. مع السلامة .
 اجلال : شرفت يا نجيب بك .. مع السلامة .
 (يخرج نجيب)
- اجلال : مالك يا حمدي ؟ كلما أحببت زيارة واحده من صاحباتي
 منعنتي .. ؟
 حمدي : يا ستي أنا حر .
 اجلال : حر .. ؟ نعم .. ولكنك غير منطقي .. ما معنى الحصار الذي
 تضربه علي في حين تترك تحية تخرج كما تريد وتدخل كما تشاء ..
 ألا تلاحظ أن هذا شذوذ غير مقبول .. ؟
 حمدي : تحية أصبحت مسئولة من غيري .
 اجلال : من غيرك .. ؟ من غيرك هذا .. ؟
 حمدي : من خطيبها ..
 اجلال : أهدد كلام .. ؟
 حمدي : طبعاً كلام .
 اجلال : يا سعادة البك الأب مسئول عن ابنته ما دامت في بيته .
 حمدي : لا يا ستي .. أنا رأيي غير رأيك ، ما دام خطيبها رجل صالح
 ولن يتركها فهو مسئول عنها منذ اليوم .
 اجلال : ومن أين عرفت أنه لن يتركها .. ؟
 حمدي : قرأت معه الفاتحة .
 اجلال : يا سلام يا حمدي .. أنت طيب جدا .
 حمدي : لا يا هانم أنا فاهم جدا .
 اجلال : أنت فاهم .. ؟
 حمدي : جدا .
 اجلال : فهل فهمت أن تحية رجعت من الخارج غاضبة ، وأنها تريد أن

تفسخ الخطبة ٠٠ ؟

حمدي : (مندهشا) ماذا ٠٠ ؟ تفسخ ماذا ٠٠ ؟

اجلال : الخطبة .

حمدي : متى ٠٠ كيف ٠٠ لماذا ٠٠ أين ٠٠ ؟

اجلال : اثبت يا رجل .

حمدي : تفعل بي هذا ؟ أنا حمدي العباسي ٠٠ أنا الذي ركلت الحكومة

برجلي ، اينتي تفعل بي هذا ٠٠ ؟ ماذا يقول الناس ٠٠ ؟ ماذا

أفعل ٠٠ ؟

اجلال : صبرك يا حمدي ، الأمور لا تؤخذ هكذا .

حمدي : دبيري يا اجلال ٠٠ ماذا أعمل ٠٠ ؟

اجلال : هدي روعك ٠٠ وانتظر حتى تكلمك في الموضوع .

حمدي : وهل تنوي أن تكلمني ٠٠ ؟

اجلال : لقد طلبت مني أن أكلمك ولكنني رفضت .

حمدي : لماذا ٠٠ ؟

اجلال : لعها تهذا وتسكت ، ولهذا طلبت أن أخرج حتى لا تلح علي .

حمدي : ولكن لماذا ٠٠ ؟ ألم تقل السبب ٠٠ ؟

اجلال : والله يا حمدي لم أسألها .

حمدي : لم تسألها ٠٠ ؟ لماذا لم تسألها ٠٠ ؟

اجلال : لأنني أعرف السبب ٠٠ أعرفه تماما .

حمدي : وهو ٠٠ ؟

(يدخل ابراهيم ويظهر القدر من خلفه ، يلاحظ ان احدا لا يرى القدر

الا ابراهيم)

ابراهيم : مساء الخير يا عمي ٠٠ مساء الخير يا هانم .

حمدي : مساء الخير يا بني ٠٠ خيرا يا ابراهيم ٠٠ ؟

ابراهيم : خيرا يا عمي (مرتبكا) .

حمدي : (مرتبكا) خيرا يا بني .

ابراهيم : (مرتبكا) خيرا يا عمي .

حمدي : أهلا وسهلا (يحاول أن يخفي ارتباكاه) .

ابراهيم : أهلا بك يا عمي .

حمدي : من أين ٠٠ ؟

ابراهيم : من العيادة .

حمدي : وكيف الحال ٠٠ ؟

ابراهيم : الحمد لله .

- حملى : الحمد لله .
- ابراهيم : الذى لا يحمد على مكروه سواء .
- حملى : ماذا ؟ .
- ابراهيم : أقول يا عمى الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواء .
- حملى : أى مكروه يا بنى كفى الله الشر . . . ؟
- ابراهيم : وهل بعد هذا مكروه . . . ؟
- حملى : أفهمنى يا بنى أنا لا أفهم .
- (تدخل تحية)
- تحية : أنا أفهمك يا أبى .
- حملى : أفهمى .
- تحية : لقد كنت عند ابراهيم فى العيادة واتفقنا على فسخ الخطبة . . . ؟
- حملى : هو لعب عيال . . . ؟ تفسخين الخطبة من غير علمى . . . ؟
- تحية : هذا ما حصل .
- حملى : طيب أفهمنى . . . ما السبب . . . ؟
- تحية : من غير سبب .
- حملى : ماذا عملت يا ابراهيم . . . ؟
- ابراهيم : أنا يا عمى لم أفعل شيئاً .
- حملى : كيف . . . ؟
- ابراهيم : انه أنت يا عمى الذى عمل . . . / انه أنت بيديك الذى فسخت خطبتنا .
- حملى : أنا ؟ . . . أنا ؟ . . . ماذا عملت . . . ؟
- ابراهيم : انه أنت (يتخاذل) .
- القدر : تشجع . . . قل . . . انطق .
- ابراهيم : نعم يا حملى بك . . . انه أنت الذى فسخ خطبتنا . . . أنا لا أستطيع الاستمرار على هذه الحال .
- حملى : أى حال . . . ؟ أفهمنى يا أخى . . . ما هذه الألباز (فى عنف)
- انطق .
- ابراهيم : العيادة (مترددا) العيادة .
- حملى : هه . . . ؟ مالها العيادة . . . ؟
- القدر : يا أخى انطق . . . قل . . . مالها العيادة . . . ؟
- ابراهيم : العيادة لا تأتى بإيجارها .

- القدر : أكمل .. وماذا أيضا ؟
- ابراهيم : نعم لا تأتي بايجارها ولا تفي بحاجتى الشخصية و .. و ..
- القدر : أكمل .. أكمل ..
- ابراهيم : نعم .. وبطبيعة الحال لا يمكن أن أجمع منها المهر .
- حمدي : عظيم .. ما شأنى أنا بهذا جميعه ؟
- ابراهيم : (مرتبكا) ما شأنك .. ؟ ما شأنك .. ؟
- القدر : مالك ارتبكت .. انطق .. شأن من اذن ان لم يكن شأنه .. ؟
- ابراهيم : نعم .. شأن من اذن ان لم يكن شأنك .. ؟
- حمدي : شأنى أنا .. ؟
- اجلال : ألم تفهم يا حمدي ؟
- ابراهيم : يا عمى .. لا بد أن أصرح لك .. يا عمى .
- القدر : انطق .
- ابراهيم : لا بد أن أعمل فى الحكومة .
- حمدي : آه .. الآن فهمت .. مؤامرة مدبرة من خلفى .. أنت وتحية ..
- بل واجلال أيضا .
- تحية : لا يا أبى .
- حمدي : (ثائرا) أى لا .. ؟ لقد دبرتم المؤامرة ولكن .. هيهات أن تنجح .. أسمعتم ؟ هيهات أن تنجح مؤامرتكم ..
- اجلال : يا حمدي .. المسألة مستقبل بنتنا .
- حمدي : تماما ، مستقبل بنتنا ، ولهذا لا أريد أن أهديه .. موظف حكومة .. يعنى عيد .. أنا لا أزوج ابنتى من عبد .
- اجلال : لا تنس يا حمدي أنك بقيت عشرين سنة موظفا بالحكومة .
- حمدي : نعم بقيت عشرين سنة عبدا .. لقد خرجت من الحكومة فتلقفتنى الشركات ، تركت مرتب مائة جنيهه لاكسب خمسمائة جنيهه فى الشهر الواحد .
- اجلال : ولكن ابراهيم لا يستطيع أن يكسب هذه المبالغ ، فماذا يعمل ؟
- حمدي : يعمل ما يعجبه ، لا شأن لى بهذا .. أنا أزوج ابنتى لرجل لا يعرف المكان الذى يستقر به ! هو اليوم فى أسبوط ، يصبح غدا فى أسوان ، وبعد غد فى الاسكندرية .. لا يا سيدى ، ابنتى لا بد أن تبقى بجانبى .. ابنتى الوحيدة يا أخى .
- اجلال : هذا هو السبب .. ؟

حمدى : لا يا ستى .. من قال ؟ من قال ان هذا هو السبب ؟ هناك
الف سبب وسبب .. أنا أزوج بنتى من رجل محكوم عليه بالنفاق
والكذب والتضليل ! أنا أزوج ابنتى من رجل لا يعرف مصير نفسه
.. لا يا ستى .. لا يمكن .

ابراهيم : يا عمى المسألة ليست بهذه الخطورة .. أنا سأعمل فى الحكومة
مدة سنة واحدة ثم أستقيل .

حمدى : قديمة يا حبيبي ، سنة تجر سنة ، وتبقى فى الحكومة ، أنا عارف
حلاوتها يا سيدى ، مرتب بلا عمل .. اللهم الا النفاق ، والتزلف ،
والترامى على أعتاب المدير والوزراء .

ابراهيم : اذن تصرف يا عمى .. أرشدنى ماذا أعمل ؟

حمدى : أنت دكتور ، طبيب ، صاحب مهنة ، بل لعنك صاحب اشرف
مهنة عرفها التاريخ ، تريد أن تقتل مهنتك ؟ تقضى على علمك ؟
ابراهيم : يا سيدى ان بقائى فى عيادتى هو انقضاء على مهنتى وعلى علمى ..
بل هو القضاء على مستقبلى .

اجلال : يا حمدى غير معقول .. ان تمسكك برأيك يقضى على مستقبل
اثنين ، أحدهما بنتك .. بنتى .

حمدى : لا يا هانم .. القضاء على مستقبلها ، يكون بزواجها من موظف
حكومة .. لن يكون هذا .. لن يكون هذا أبدا .

(يدخل مجدى)

مجدى : السلام عليكم .

اصوات : السلام .

مجدى : خيرا يا جماعة .. مالكم ؟

ابراهيم : (غير ملتفت لمجدى) يا عمى ان منعى من التوظيف .. ان منعى
من التوظيف ..

القدر : انطق .

حمدى : ليكن ما يكون .. أنا يا أخى لا أمنعك من التوظيف .. ولكننى
أمنع زوج ابنتى من التوظيف .. أنا يا أخى لا أزوج بنتى من موظف
ولو ظلت بلا زواج .

مجدى : (مندهشا) بلا زواج !

ابراهيم : اذن يا عمى .

القدر : انطق .

ابراهيم : اذن يا عمى أنا مضطر لأن أخبرك أنني سأتوظف بالحكومة مهما .

كانت الموانع .. سلام عليكم (يخرج ويخرج القدر من خلفه) .

حمدي : أنت حر .

(ترمى تحية على الكرسي باكية)

حمدي : ابكى ما شئت ، لن أغير رأيي من أجل خاطرك .. هه .. (يترك

مكانه) عندما تفرغين دموعك قابليني .. أنا في حجرتي (يترك

المسرح) .

اجلال : ظلمت البنت يا حمدي .. حسينا الله ونعم الوكيل (تخرج) ..

(لا يبقى بالمسرح غير مجدى وتحية)

مجدي : تحية ، اعقلي .. البكاء لا يفيد شيئا .

تحية : ماذا أعمل .. ماذا أعمل ؟ .. ؟

مجدي : اعلمي أى شيء الا البكاء .. فلا أعتقد مطلقا أن دموعك ستفيد ..

تحية : يا أخى يا مجدى اتركنى بعض الوقت ..

مجدي : أنا مستعد أتركك كل الوقت ، لكن ما الفائدة .. ؟

تحية : (تبكى) .

مجدي : عظيم .. ابكى .. ابكى كما تشائين ، ولكن أنا سأذكر لك نظرية

علمية استنتجتها أنا بالاستقراء .

تحية : (تبكى) .

مجدي : ألا تسألين عن هذه النظرية .. ؟

تحية : يا أخى .. أرجوك ..

مجدي : أقولها لك من غير سؤال .. ثبت فعلا من الاحصاءات والاستقراءات

التي قمت بها أنا شخصيا .. أنا الأستاذ مجدى رفعت المحامى

الشهير .. شهير جدا والله .. ألم تقرئى الصحف اليوم .. لا .. أنت

متأخرة جدا .

تحية : أرجوك يا مجدى .. أرجوك يا أخى .

مجدي : طيب .. أسكت .. (يسكت قليلا) .. لكن كيف أسكت قبل

أن أذكر لك النتيجة العلمية التي وصلت اليها ؟ .. ثبت يا سيدتى

من كل ما تقدم أن البكاء عديم الفائدة في ارجاع ما يبكى عليه ..

فلو أن انسانا وقع على الأرض فجرح فبكى بدلا من أن يذهب الى

الحكيم لتقيح الجرح رغم هذا البكاء .. ومهما قلنا عن هذا الجرح انه قليل الأدب لا يرحم دموع العذارى أو غير العذارى .. حتى ولو كان هذا الباكي رجلا عظيما نابغة .. ودهما قلنا عن هذا الجرح انه قليل الذوق ، فان هذا جميعه لا يمنعه من التقيح كما قدمت .. واذا ترك لشأنه بعد ذلك لآزداد سوءا على سوء .. ولن يوقف هذه الحالة الا أن يذهب صاحبه الى الدكتور .. ؟

تحية : ألا ترى يا مجدى هذا الكرب .. ؟ ومع هذا تضحك وتهزل .. وكأن الأمر لا يهملك فى شيء .

مجدى : لا يهمنى أنا يا تحية .. أنا .. ؟ فمن يهتم بك اذن اذا لم أهتم أنا .. أنت عندى الدنيا كلها يا تحية .

تحية : كلام .

مجدى : بل حق والله .. أنا لا أتكلم ، وانما هي يا تحية ومضة من اشراق يملأ نفسى أنت يا تحية كل شيء لى .. أنت أملى .. أملى الذى كان لى منذ كنا أطفالا نلعب فى الشوارع .. من أجلك تعلمت ومن أجلك كنت الأول فى كل مراحل تعليمى .. ومن أجلك أرغمت المال أن يتدفق فى يدي والشهرة أن تصبح لى .

تحية : مجدى .. أنا آسفة .

مجدى : (وقد صحا من خياله) آسفة .. ؟ أنت آسفة .. ؟ أتعلمين منذ كم سنة أريد أن أقول هذا الكلام ؟ أتذكرين يوما كنا نلعب الكرة فى الشوارع ووقعت وجرحت واهتممت أنت بالجرح ؟ لعلك لا تذكرين ، لأن رعاية الناس شيء فى طبيعتك ، ولعلك لا تذكرين لأنه من الطبيعى أن تهتمى بجرح ابن خالتك ولكن أنا أذكر ، ولن أنسى .. أردت أن أقول لك يومذاك اننى سأكون أعظم انسان فى العالم من أجلك .. وكنت أظن يومذاك أن أعظم انسان فى العالم هو الضابط ، ثم رأيتك لا تهتمين بالمظهر قدر اهتمامك بالحقيقة .. ورأيتك عقلا مشرقا وعاطفة تشف ، فقلت هو العلم ما تريد فكنت الأول ، وكنت الأول فى الليسانس ، وخلصتني يومذاك أستطيع أن أقول لك ما قلته الآن .. ؟ ولكننى فى طريقى اليك بعد أن عرفت النتيجة ، وبعد أن عرفت أننى الأول وبعد أن عرفت أننى سأعين معيدا فى الكلية ، فى طريقى اليك بعد أن عرفت هذا جميعه سمعت اثنين يتحدان فإذا أحدهما يقول للآخر : وما الشهادة العالية ؟ ورقة لا قيمة لها .. المهم هو المال .. لم أكمل طريقى وانما عدت

الى الكلية . واعتذرت عن العمل بها ، واشتغلت بالمحاماة وانقطعت
عن زيارتك الا نادرا حتى لا تكشفى ما أحاول أن أخفى ، كنت أعمل
يومي كله فلا أنام ، وكنت أظل مع القضية الخاسرة حتى تصبح
رابحة . . . وكنت شريفا فيما أقبل من القضايا ، وحين وصلت الى
المال . والى الشهرة ، وحين كنت فى طريقي اليك لأقول لك ما قلته
الآن عرفت أنك خطبت ، فلم أقل ، وأصبحت أعمل لأنسى لماذا كنت
أعمل قبل أن يخطبك الدكتور . . . كنت حزينا أعرف أنك سبب
حزنى ، وما كان لى أن أغضب منك فأنا لم أقل لك شيئا ، وكنت
حاقدا على خطيبك ولكننى ساخط على حقدى ، فالرجل برىء لم يكن
يعرف ما بنفسى . . . ولم أعرف شعورا أقسى من الغضب على انسان
تعرف أنه برىء . . . والحقد على آخر تعلم أنه لم يسيء اليك . . . أنت . . .
أنت لا يحق لك أن تكونى آسفة . . . اننى أنا الآسفة . . . والآسفة
دائما .

تحية : مجدى . . . مجدى . . . ان انسانا فى العالم لا يمكن أن يقول شيئا
يسبب هذه الحيرة التى أوقعتنى فيها الآن . . . هل أفرح . . . ؟ ولماذا
لا . . . ؟ فانك من أجلى قد أصبحت الأستاذ مجدى رفعت المحامى
المعروف ، والغنى الكريم ، والأديب الكبير ، ولكن من أجلى أنا أيضا
أحسست بالفقر والحزن فى أسعد أوقات حياتك ، أحسست به
يوم كنت الأول فى تخرجك ، وأحسست به يوم نلت الغنى ولم
تستطع أن تنال يد من تحب ، وأصبحت شهيرا ولكن من تحب . . .
ولكن أنا . . . لم ألتفت الى هذه الشهرة !

مجدى : لم يكن الغنى ما أردت . . . ولم تكن الشهرة ما سمعت اليه . . .
انما أردت أن تسمعى أنت عنى من غيرى . . . تلك هى الشهرة التى
أردتها لنفسى . . . كتبت فى كل الجرائد والمجلات لتقرئى اسمى
فقرائه ولكن كنت ابنة خالتى وأنت تقرئينه ولم تكونى أبدا حبيبتى ،
كنت تهنئينى على مقالاتى وكتبى وكنت تفرحين بها وبى ولعالك أيضا
كنت تعتزين بها وبى ولكنك أبدا لم تحسى أنها منك أردتها أن تكون
اليك فأخطأت الطريق .

تحية : (تبكى بكاء شديدا)

مجدى : (وكأنما يصحو) يا أستاذة أنا مضطر أن أذكر لك نظريتى مرة
أخرى ، ثبت أن البكاء لا يفيد .

تحية : (تقاطعه بضحكة يشوبها البكاء وتقول بصوت يختلط فيه البكاء
بالضحك) فهمنا يا أستاذ . . . فهمنا .

مجدي : عظيم .. وأذكر لك نظرية أخرى .. ان فهم النظريات أمر يختلف كل الاختلاف عن تطبيقها ، ولا بد لك حتى تظهرى فهمك للنظريات أن تطبيقها .

تحية : ولكن يا سيد مجدى نظريتك هذه عليها اعتراض صغير .
مجدي : وهو .. ؟

تحية : ان الانسان فى أغلب الأحيان يعمل أشياء يعرف أنها لا تفيد ، بل وتضر ، ومع ذلك يعملها .

مجدي : مثل .. ؟

تحية : مثل هذه السيجارة التى تشعلها .. تضر ولكنها تريح الأعصاب ، وكذلك البكاء لا يفيد ويضر ولكن يريح الأعصاب .

مجدي : لا يا أستاذة .. نظريتى لم تغفل هذا الاعتراض .. البكاء عند اليأس راحة .. ولا بد منه فى هذه الأحوال ، وان نظريتى تحبذها وتوصى به ، وترغم عليه فى بعض الأحيان ، ولكن أين نحن من اليأس .. ؟

تحية : هيه يا مجدى .. وهل بعد هذا ياس .. ؟ أما رأيت بعينك ..
أبى مصمم و ابراهيم مصمم .. وبين التصميمين ياس .. ياس كامل .

مجدي : اليأس لا يكون فى تصميم خطيبك أو والدك ، انما اليأس يكون فى نفسك ، وطبيعى أن تحس به الآن بعد هذه المناقشات الطويلة ، ولكن بعد دقائق نبتدى تفكر ونوجد من اليأس رجاء .

تحية : الظاهر يا مجدى أنك متفائل جدا .. ؟ الخطبة انفسخت يا حبيبي .
مجدي : يا سلام .. واذا انفسخت ألا تعود .. ؟ انفسخت آمنا .. ولكن من قال لك أن لا سبيل الى عودتها .. ؟

تحية : يا سيدى واحد سيعين اليوم بالحكومة ويبقى بها على الأقل سنة .
مجدي : ثم يعود .

تحية : ألم أقل لك انك متفائل .. ؟ وهل تظن أن أبى سينتظر هذه السنة .. ان أول من يطلبنى منه سيقبله .

مجدي : أنت تحبين ابراهيم يا تحية .. ؟

تحية : (سارحة) أحبه .. ؟ أحبه .. ؟ (وكأنما أفافت فجأة) بل أكرهه

رجل يفضل الوظيفة عني ، ويتركني . .
مجدي : آه . . أنتظري . . هو لم يفضل الوظيفة ، وإنما خاف على
مستقبله .

تحية : أ يخاف على مستقبله ان تزوجني . . ؟
مجدي : آه من النسوان . . انت عارفة أن زواجك لا صلة له بمستقبله .
ان زواجك لن يأتي له بالمال . . ولا بد من المال حتى يوفر لك
السعادة .

تحية : ولكن الأمر كان سهلا عليه . . استطاع أن يختار في لحظة . .
هو لا يحبني .

مجدي : فعدم حبك له ناتج اذن عن عدم حبه هو لك . . ؟
تحية : (توميء برأسها له)

مجدي : فأنت تكرهينه . . ؟
تحية : (في حزم) نعم .

مجدي : اذن . . فأنا أخطبك .

تحية : (تتهاوى على الكرسي) مجدي . . أنت ؟ الآن ؟

مجدي : ولماذا لا . . ؟ قلت أن أباك سيقبل أي خاطب ، وأعتقد أنني أحسن
من الغريب . . ؟ وقلت انك لا تحبين ابراهيم . . وأعتقد أنك تستطيعين
أن تحبينني . . ؟

تحية : اسمع يا مجدي . . أنا أعرف منذ سنوات أنك تحبني ، ان كلامك
الذي لم تقله سمعته أنا من عينيك ، لم أسمعك كله ، ولكن سمعت
بعضا منه ، ولكنني أقفلت عيني وأذني لأنني أحببتك آخا ولم أرد
أن أفقد هذه الأخوة بالزواج . . أريدك يا مجدي آخى فأنا لا آخ لي .

مجدي : (ساخرا) ولكنك لا زوج لك أيضا . . فلماذا لا تقبلينني زوجا
وأخا . . ؟

تحية : انه لا يمكن للأخ أن يصبح زوجا .

مجدي : ليس هناك حب أخوي يمنع الحب الزوجي .

تحية : المسألة . . المسألة . .

مجدي : المسألة أنه لا يمكن للقلب أن يشغل بأكثر من واحد .

تحية : ماذا تعني . . ؟

مجدي : أعني أنك تحبين ابراهيم .

تحية : (في تخاذل) نعم . . أحبه .

- مجدى : (مقلدا صوتها) نعم .. أعرف .
- تحية : والنتيجة ؟
- مجدى : اقبلى خطبتي
- تحية : ماذا .. ؟
- مجدى : اقبلى خطبتي
- تحية : هل جننت .. ؟

مجدى : جائز .. قد أكون مجنوننا فى بعض الأحيان .. ولكننى الآن
- على ما أعتقد - أعقل مخلوق على وجه البسيطة والمركبة أيضا .
• تحية : لا أفهم .

مجدى : أنت تحبين ابراهيم ، و ابراهيم محجوز لمدة سنة فى وظيفة ،
وأبوك لا يزوجك من موظف ، وأبوك سينزوجك من أول خاطب ،
وأنت خائفة أن يأتى الخاطب فى بحر السنة ، ويضيع ابراهيم الى
الأبد .

- تحية : وأين الجديد فى هذا .. ؟
- مجدى : أنا .
- تحية : أنت ماذا .. ؟
- مجدى : أخطبك .
- تحية : تخطينى .. ؟
- مجدى : أخطبك لمدة سنة .
- تحية : (فرحة مندهشة) مجدى .

مجدى : وما البأس .. أولا أنا فقدت الأمل فى حبك غير الأخوى ، وأنا
أحب أن أكون معك دائما ، أخطبك سنة أبقى معك فيها ، أطول
وقت ممكن وبعد السنة أعيدك الى الأستاذ ابراهيم .

تحية : ولكن .. هذا الوضع .. ؟ ألا يؤلمك .. ؟

مجدى : بالعكس .. فمسألة التضحية من أجل الحبيب هذه مسألة يظهر
عليها أنها مريحة فعلا ، وطالما كنت أحلم أن أراك فى مصيبة مصيبة
كبيرة وأتقدم فأنقذك منها .. ثم أموت .. وها هى أحلامي تتمحق ،
وان كانت المصيبة صغيرة ، وان كنت أنا لن أموت ، ولكن لا بأس .
• تحية : مجدى .. ؟ أنت .. ؟

مجدى : أنبل مخلوق فى العالم .. عارف ، ولكن اعلمى يا حبيبتى ..
يا خطيبتى .. أن أى انسان فى العالم لا يقدم الجميل الا وينتظر

من ورائه خيرا لنفسه ، وأقل هذا الخير أنه يحس بالسرور وهو
يقدم هذا الجميل .. وأنا أحس بهذا السرور ، وهكذا ترى أن
المسألة لا نبيل فيها ولا كرم أخلاق ، أنا أقوم بعمل أنا مبسوط منه .

تحية : مجدى .. مجدى .. أنت .. أنت ..
مجدى : خطيبك .

(تدخل الام وتسمع هاتين الجملتين الأخيرتين)

اجلال : مجدى .. صحيح .. ؟ صحيح يا تحية .. ؟

تحية : (فى فرح غامر) صحيح .. صحيح .

اجلال : أحمدك يارب .. أحمدك يارب .

(تجلس على الكرسي وكأنها تخشى السقوط من الفرع)

مستاد

● الفصل الثالث

« الدكتور ابراهيم في غرفة متواضعة فيها لوازمه فقط والدكتور يغرق في استغراق عميق حين يفتح الباب ويدخل منه صديقه الدكتور لطفى »

ابراهيم : هيه يا لطفى ٠٠ ؟

لطفى : يا شيخ ابعده عني ٠٠

ابراهيم : خيرا ٠٠ ؟

لطفى : ومن اين الخير ٠٠ ؟ قلت لك لا فائدة ما دام هذا الدكتور يحسدك

ويا بى عليك أن تعمل

ابراهيم : يحسدني ٠٠ ؟

لطفى : طبعاً

ابراهيم : لماذا ٠٠ ؟

لطفى : أما انك رجل طيب ٠٠ كيف لا يحسدك وأنت منذ دخلت المستشفى

والمرضى لا يطلبون الا أنت ٠٠ ؟

ابراهيم : وما ذنبي أنا يا أخى ٠٠ ؟ قرأت كثيرا ودرست ٠٠ والمرضى

في نظري محتاج يطلب العون على الشفاء وأنا أبذل جهدي واهتمامي

وأعصابي ٠٠ المريض عندي ليس عملاً حكومياً أؤديه ٠٠ ليس مذكرة

أوقع عليها ٠٠ لا ٠٠ انسان ٠٠ أخى ٠٠ يريدني ٠٠

لطفى : عظيم ٠٠ عظيم ٠٠ ولكن من يمكنه أن يصل الى عقل الدكتور أو

الى قلبه ليفهمه هذا ٠٠ وليجعلك تستعمل المعمل

ابراهيم : والله لو كان ألف دكتور في بعض الما استطاع أن يمنعي عن

أبجائتي ٠٠

لطفى : عظيم ٠٠ ولكن ماذا تعمل ٠٠ ؟

- ابراهيم : أعمل . .
لطفى : أين ؟ . .
ابراهيم : أين ؟ هنا .
لطفى : هنا ؟ . . وأين المعمل هنا ؟ . .
ابراهيم : أصنعه . . أنشئته .
لطفى : هنا ؟ . . وكيف ؟ . .
ابراهيم : لطفى . . أنت لا تعرف ضرورة هذا البحث لى . . أمل كبير متعلق بى . . لابد أن أحققه .
لطفى : أمل كبير ؟ . .
ابراهيم : أمل كبير ، وتضحية كبرى تقدم الى من شخصين حبيبين لى . .
لطفى : طيب . . وماذا تعمل ؟ . .
ابراهيم : أنا آخذ كم مرتيا ؟ . .
لطفى : خمسة عشر جنيها .
ابراهيم : ايجار بيت جنيهان .
لطفى : عظيم .
ابراهيم : أكل وشرب ونور أربعة جنيها
لطفى : أربعة جنيها . . ؟
ابراهيم : القول العجيب فقط لا غير . . والجنيهاات التسعة أقساط لمن يصنع لى معملا هنا .
لطفى : تسعة جنيهاات ؟ . .
ابراهيم : قليلة ؟ . .
لطفى : نبحث .
ابراهيم : نبحث ؟ . . لا وقت عندنا للبحث . . قل نعمل .
لطفى : وأين عمله ؟ . .
ابراهيم : هنا . . فى هذه الحجرة .
لطفى : وأنت ؟ . . أين تنام ؟ . .
ابراهيم : والله فكرة . . أنا سأبيع السرير ، وهذه المكسرات . . أنا لا أحتاج لغير دكة صغيرة أنام عليها .
لطفى : البحث خطير يا ابراهيم !
ابراهيم : نعم خطير . . اتقاذ أرواح من الأمراض . . لابد أن أعمل .
لطفى : كان الله فى عونك .

- ابراهيم : اننى فى شهرين قطعت اكثر من نصف المرحلة .
 - لطفى : عظيم .
 - ابراهيم : هيا بنا نزل . . .
 - لطفى : الى أين . . . ؟
 - ابراهيم : شىء عجيب . . . نصنع المعمل .
 - لطفى : لا يا عم . . . أنا لا أستطيع ملاحقتك .
 - ابراهيم : ضعيف . . . خامل .
 - لطفى : الله . . . ماذا جرى . . . ؟ تشتمنى . . . ؟
 - ابراهيم : أنا لا أشتك ، بل أصفك .
 - لطفى : أكرمك الله يا أخى . . . هيا نزل . . . نزل قبل اعتذار آخر .
- (يخرجان من المسرح ويبقى المسرح خاليا بعض الوقت ثم تدخل تحية ومجدى)

- تحية : ابراهيم .
- مجدى : ليس هنا .
- تحية : ويترك الباب مفتوحا . . . ؟
- مجدى : وعلام يخاف . . . ؟
- تحية : يا أخى دائما تهذر . . . ؟
- مجدى : وماله . . . ؟
- تحية : ألا تقدر الموقف الذى تقفه
- مجدى : موقف عظيم .
- تحية : عظيم . . . ؟
- مجدى : جدا .
- تحية : أبى يريد أن يكتب الكتاب وتقول موقف عظيم . . . ؟
- مجدى : وما البأس يا سيدتى فى أن يكتب كتابى عليك . . . ؟
- تحية : لا . . . مجدى . . . وحياتك أنا لا أحتمل الألباز الآن . . .
- مجدى : يا تحية . . . انها ليست ألباز ! . . . انها مسائل واضحة .
- تحية : واضحة . . . ؟
- مجدى : ابراهيم أمام الطريق الطويل . . . ثم أعتقد أنتى شاب لا بأس به .
- تحية : آه . . . اذن بدأت ترجع فى المعروف الذى تسديه . . . ؟
- مجدى : وأنا . . . ؟
- تحية : مجدى . . . أنا آسفة . . . أنا مقدره الألم الذى تحسن به . . . ولكن . . .
- مجدى : نعم . . . ؟ ولكن ماذا . . . ؟
- تحية : أنت تعرف .
- مجدى : الحب . . . ؟

تحية : وماله الحب ٠٠ ؟ اليس شيئا كبيرا ٠٠ ؟ اليس جديرا بكل
تضحية ٠٠ ؟

مجدي : اعتقد انه جدير ٠٠ جدير ٠٠ امرى الى الله ٠٠ اذن فدبريني ٠٠
ماذا افعل فى مسألة كتب الكتاب هذه التى ظهرت اعراضها اخيرا
على المحترم ابيك ٠

تحية : تذكر انك تتكلم عن ابي ٠

مجدي : هذا موضوع لا يحتاج الى تذكر ٠٠ انا عارفه ٠

تحية : عظيم ٠

مجدي : جدا ٠

تحية : لست ادري ما الذى يجعله يسرع بكتب الكتاب معك انت مع انه
كان صبورا غاية الصبر مع ابراهيم ٠٠ ؟

مجدي : اولاً ٠٠ ابوك رجل نبيل ، وكان يعرف ظروف ابراهيم كما يعرف
ظروفى ٠٠ ابراهيم كان يكون نفسه وأنا تكونت ، وثانياً البسمة
والدتك بالصدفة خالتي فهى تستطيع أن تفتحنى فى الموضوع دون
حرج ، بينما لا تستطيع مفاتحة ابراهيم ٠

تحية : يعنى يا سيدى كان لابد لك أن تتكون هكذا سريعاً ، وكان حتماً
أن تكون ابن خالتي أنت الآخر ٠٠ ؟

مجدي : والله هذه مسألة فاتنى أن أدبرها قبل أن أقدم لخطبتك ٠٠ آسف
٠٠ أقصد لحجزك ٠٠

تحية : النهاية ٠٠ ماذا سنفعل ٠٠ ؟

مجدي : أنا شخصياً عاجز ٠

تحية : كذاب ٠

مجدي : ولماذا ٠٠ ؟

تحية : كذاب لأنك لا تريد أن تفكر فى حل ٠٠ أنت مبسوط من هذا
العارض الذى منعك من اكمال تضحيتك ٠

مجدي : مبسوط أو زعلان مسألة لا أهمية لها فى الموضوع ٠٠ المهم أن
يصل الى حل ٠

تحية : لو فكرت معى لوصلنا الى حل ٠

مجدي : أقسم لك أننى أفكر ٠

تحية : على كل حال أنا أعذك لأنك لا تستطيع أن تكون مخلصا في التفكير .

مجدي : ويوم فكرت في حجزك ، ألم أكن مخلصا في التفكير ؟

تحية : كنت متأثرا بحزني و .. و .. وبأشياء أخرى .. فأومضت الفكرة في ذهنك وبدافع من الطيبة لم تستطع أن تحبسها .

مجدي : والآن ؟

تحية : والآن تفكر في روية وهدوء ، وتستبعد الفكرة التي تراها ضد مصلحتك ، وتقيم أمامها كل العوائق والعراقيل .

مجدي : طيب يا أختي أصبحت طبيبة علم نفس على آخر الزمن .

تحية : طبعاً .. الحقائق المختفية تؤلم اذا ظهرت .

مجدي : كلام فارغ .. وشرفك كلام فارغ .

تحية : أنا لا أنتظر أن تقول عنه ملبان ، وان كان قسمك بشرفي لا لزوم له .

مجدي : آسف .

تحية : العفو .

(يسمع طرق على الباب)

تحية : تفضل .

(يدخل رجل يحمل اسبنة فيها زجاجات فارغة وأوعية)

الرجل : أهذا بيت الدكتور ابراهيم ؟

تحية : نعم .

الرجل : ولكنه لم يقل انني سأجد أحدا .

تحية : لا بأس نحن أصدقاء .

الرجل : لقد أرسلني أحمل هذه الأدوات

تحية : وأين هو ؟

الرجل : قال انه سيأتي بعد قليل .

تحية : وما هذه الأدوات ؟

الرجل : للمعمل .

تحية : طيب .. ضعها هنا .

الرجل : (يضع الأشياء) وأنا ؟ أين أنتظر ؟

تحية : بجانب الباب سأعمل لك فنجان قهوة .

- الرجل : شكرا .. لا أشربها .
- تحية : (تنهد في ارتياح وثقول لنفسها) الحمد لله .
(يخرج الرجل)
- مجدى : معمل ٠٠ هنا ؟ ٠٠ في هذه الحجرة ٠٠ ؟
- تحية : لا بد أنه ينوى اقامته هنا والا ما أرسل الرجل وطلب منه أن ينتظره .
- مجدى : والله شيء يفرح .
- تحية : انقلب .. أصبح ايجابيا .. صمم أن ينجح .
- مجدى : وسينجح .
- تحية : الحمد لله .
- مجدى : ولكن من أين له المال .. ؟
- تحية : لا بد أن أساعده بكل قوتي .
- مجدى : لا .. حذار أن تفعلى .. هو يريد النجاح بيده وحده لا يريد يدا .
أخرى تساعده .
- تحية : ولكنه يقبل مساعدتك أنت في ادعائك خطبتي .
- مجدى : بل لم يقبلها .. انه فقط يقدرها .. وهو يقسم فى صميم نفسه أن يرد لى معروفى هذا ، وان كلفه الأمر حياته .
- تحية : ولكنه يعرف أنك تعمل هذا من أجل أنا .
- مجدى : ولكنه يعرف أننى أعاونه فى أعظم أمل له .. وقد قال لى ان الانسانية ليست جديرة بهذا الاسم ان لم يكن بين أفرادها تعاون وأخوة ، وهذا التعاون هو محور الحياة .. فلو تعاون الناس ما خاب أحد منهم ، وما ألقوا على الحظ والقدر أخطاءهم .
- تحية : نعم .. هذا كلام من يحمل الجميل ويقدره وينوى ردة .
(يدخل ابراهيم)
- ابراهيم : أهلا .. أهلا .. (يدخل معه الرجل الذى جاء بالأشياء)
(للرجل) وحياتك فى شارع ابراهيم باشا بعض أشياء أخرى تركتها هناك .. أرجوك أن تؤجر عربة وتحملها الى هنا حتى نرتب المعمل معا .
- الرجل : أمرك .
- ابراهيم : خذ .. هاك أجره العربة .
- الرجل : السلام عليكم .

ابراهيم : و عليك السلام .

(يخرج الرجل ويواصل ابراهيم حديثه مع تحية)

تحية : ابراهيم .. أتقيم هنا معملا ؟

ابراهيم : نعم !

تحية : هذا شيء عظيم .. لكم أحب يا ابراهيم أن أساعدك .

ابراهيم : أكثر من مساعدتك هذه ؟ لا .. شكرا .

مجدى : والله يا ابراهيم كنا نحب أن نحتفل بمعملك ، الا أن هناك أمرا

خطيرا .

تحية : أبى يريد أن يكتب الكتاب حالا .. يظهر أن القدر يقف في وجهنا

دائما .

ابراهيم : هذا ليس اسمه القدر .. وانما اسمه أبوك .. حمدى بك

العباسى ، وليس حمدى بك القدر .

تحية : المهم .. ما العمل ؟

ابراهيم : نحلها ان شاء الله .

تحية : عجيبة .. أراك وكأنك تعرف أن ليس هناك عقبة تستطيع أن

تقف أمامك .

ابراهيم : عقبة وحيدة ، لا يستطيع الانسان أن يتغلب عليها .

تحية : وهى ؟

ابراهيم : الموت .

تحية : وكل ما عدا هذا ؟

ابراهيم : كل ما عدا هذا من صنع الانسان ، ويستطيع الانسان أن يتغلب

عليه .

تحية : تغلب اذن على كتب الكتاب .

ابراهيم : سأتغلب .

مجدى : وحدك ؟

ابراهيم : وحدى أو مع غيرى .. المهم أن الانسان سيتغلب .

تحية : ألا تقول ان شاء الله ؟

ابراهيم : سبحانه كل شيء بمشيئته ، ولكنه دائما سبحانه يترك الانسان

يتصرف فى أموره ، والا لما أعد له فى الآخرة ثوابا وجزاء .

تحية : وأين المشيئة اذن ؟

ابراهيم : انه يعرف ما ساعمله فى اللحظة القادمة ، ولكنه لم يأمرنى به ،

وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وهو يريد أن

يتركنا أحرارا ليعد لنا الحساب .. ومشيتته هي أن يتركنا أحرارا.
.. تلك هي مشيتته .

تحية : (سارحة) سبحانه !

ابراهيم : (لمجدي) طبعاً فاتحتك اجلال هانم في الموضوع بصفتها خالتك .
مجدي : قالت لي أنت والحمد لله تكونت وأظن لا مانع من ...

ابراهيم : (مقاطعا) تكونت ؟ ..

مجدي : أظن ذلك !

ابراهيم : ظن خاطيء .. غرور ..

مجدي : غرور .. ؟

ابراهيم : (متجاوزا) اسمح .. ألم تقل لي يوما : انك فكرت في دراسة
الدكتوراه في الحقوق ، وانك درست فعلا القسم الأول ؟

مجدي : نعم .. ! ولكن ..

ابراهيم : حمدي بك غاوى علم ، ولو قلت له انك تريد أن تكمل دراسة
الدكتوراه .

مجدي : أكملها .. ؟

ابراهيم : وما الأساس .. ؟

مجدي : لا بأس .. ولكن ..

ابراهيم : قل له انك عرضت الفكرة على تحية ، وانها وافقت بسرور أن
تؤجل الكتاب حتى تنال الدكتوراه .

مجدي : والله أعتقد أن حمدي بك لن يمانح .

ابراهيم : على العكس ، سيفرح بك كل الفرح ..

تحية : أنت عبقرى .. هيا يا مجدي .

مجدي : الى أين .. ؟

تحية : الى أين .. ؟ الى أبي .. هيا ..

(تجره وتخرج في سرعة - يجلس ابراهيم مرتاحا باسمها)

ابراهيم : هيه أيها القدر .

(يظهر القدر)

القدر : ماذا تريد ؟ .. ؟

ابراهيم : ما رأيك .. ؟ .. ؟

القدر : فيم .. ؟ .. ؟

- ابراهيم : فيما عمل .
- القدر : أنت لم تعمل بعد .
- ابراهيم : ولكنني عملت وأعمل وسأعمل .
- القدر : الحياة لا تعرف ساعمل .. ولكنها تعرف عملت وأعمل .
- ابراهيم : اذن !
- القدر : اعمل .
- ابراهيم : البحث خطير .. والجهد شديد ..
- القدر : اعمل .
- ابراهيم : كن الى جانبي .
- القدر : أنت وحدك الى جانب نفسك .
- ابراهيم : وهؤلاء الذين يعاونونني .. ؟
- القدر : هؤلاء اخوانك في الحياة يعملون بوحى أنفسهم ، وسيحتاجون اليك يوما ما .. وستكون لهم .. اعمل .
- ابراهيم : هانذا أعمل .

(يدخل الرجل الى العمل حاملا أشياء أخرى عديدة وينتفض ابراهيم في سرعة ليساعد الرجل ويختفى القدر وهو يقول) :

القدر : اعمل .

(يبدأ ابراهيم في العمل في همة ونشاط ، وينسدل الستار في بطنه) .

سسستار

● الفصل الرابع

« عيادة الدكتور ابراهيم انيقة غاية الأناقة ، حسن واقف في وسع
العيادة ينظف أثاثها في فرح وهمة ويغنى في ابتهاج شديد ، يدق
جرس الباب ،

حسن : أعوذ بالله .. ميعاد العيادة لم يبدأ يا عالم .. ابعدوا عنا الزبائن
يا عالم .. هل خلا البلد من الدكاترة .. الأمر لله ..

(يخرج حسن ويعود بعد لحظة ومعه مجدى)

حسن : أهلا سعادة البك المحامي .

مجدى : أهلا بك يا حسن .. أين الدكتور .. ؟

حسن : ميعاده بعد نصف ساعة .

مجدى : طيب .. أكله فى التليفون .

حسن : أمرك يا سعادة البك .

مجدى : (يضرب التليفون) آلو .. ابراهيم .. أنا يا سيدى .. أنا

الخطيب مع وقف التنفيذ .. أهلا بك .. عندى أخبار مدهشة ..

لا .. فى التليفون غير ممكن .. غير ممكن طبعا .. تحية .. تحية

ستأتى حالا .. ننتظرك .. ؟ طبعا .. بسرعة .. سلام .

(يضع السماعة) (يدخل حسن)

حسن : قهوة يا سعادة البك الدكتور .. أحسن بين ..

مجدى : طيب ياعم حسن .. لا بأس .

(يضرب جرس الباب - يذهب حسن يفتحه فتدخل تحية)

حسن : أهلا بالهانم .. أهلا وسهلا ..

تحية : أهلا بك يا حسن .. والنبي فنجان قهوة .

حسن : حالا ..

تحية : هيه .. كلمت ابراهيم يا مجدى .. ؟

- مجدي : طبعاً ؟
تحية : وعرف ؟
مجدي : فضلت أنتظر حتى يأتي .
تحية : طيب .. نازل نشترى بعض حاجات ونرجع .
مجدي : أنت عصبية جدا ، القهوة على النار .. والدكتور على نار أخرى
وفي غمضة عين سيكون معنا .
تحية : والله يا مجدي أنا محتارة .. كيف أشكرك ؟
مجدي : رجعتنا للكلام القديم .. يا سيدتي العزيزة والله أنا الكسبان .
تحية : سنتان الآن وأنت تمثل على الناس .. على أبي وأمي بل أنت تمثل
على وعلى نفسك .
مجدي : هواية ، أنا أحب التمثيل ؟
تحية : جازز ولكن أعنى الناس الذى يمثل على نفسه ..
مجدي : أنا أولا لم أعترف أنني أمثل .. ولكن افرضى .. ما الباس ؟
أنا أمثل السعادة .. والسعادة غالبا فى أولها تمثيل ثم ينتهيا
للإنسان أن التمثيل حقيقة ، ثم .. يصبح سعيدا حقيقة بغير
تمثيل .
تحية : أنت يا مسكين لا تمثل السعادة .. أنت تمثل على نفسك تمثل
على قلبك .. تدعى أنه تخلص من حبي وهو كل يوم يصرخ بأعلى
صوته أنك كاذب وأنه لا يزال على حبه القديم ولكنك بتمثيلك
تخرسه حتى يخرس .. وتدعى السعادة ..
مجدي : (مقاطعا) حتى أسعد .. وأى ضرر فى ذلك ؟ ان صراخ قلبى
صحيح حقيقة هو يصرخ ويصرخ كثيرا .. الا أنه فى هذه الشهور
الأخيرة أصيب المسكين بضجة فأصبح ضوته الذى كان عاليا مرتفعا ،
ضعيفا خافتا ، لا أسمعه الا اذا كنت وحدى ، وأسمعه حين أسمعه
مستعظفا بعد أن كان أمرا ، وهكذا أحسست أنني تغلبت عليه .
تحية : يا صديقى الكبير .
مجدي : طبعاً كبير .. ولا يمكن لواحد كبير مثل أن يسمح لقلب ..
مجرد قلب فى حجم قبضة اليد أن يتغلب على ..
تحية : أخاف يا مجدي أن أكون سببت لك من المتاعب أكبر مما كنت
تنتظر .
مجدي : أقول الحق .. اننى فى أول الأمر لاقيت من هذه القبضة المسماة
بالقاب متاعب كثيرة جدا ، ولكن حين رأيت الدكتور ابراهيم يبنى

مجده و يقيم مستقبله ، وحين أحسست به يشقني ليسعد بك ،
ويبحث ليهدى اليك اسما ضخما .. وحين تخيلت ذلك البيت الذي
سيضم الحب ، والمجد ، وحين تبينت السعادة التي ستكون ضمن
محتويات هذا البيت ، حين رأيت هذا جميعه وأحسست به وجدت
نفسى أبني حياة ، أنشئ مستقبلًا ، ليس فقط لك ولا إبراهيم ، بل
لأولادكم وأولاد أولادكم .. أنا هذا الانسان الصغير أنشئ لكم
الحاضر والمستقبل ، أنا أقيم سعادة وحبًا ومجدًا وحياة داخل
الحياة .. أنا ؟ الحق يا تحية وجدت متاعبي قليلة جدا ،
ووجدت مكافأتي كبيرة جدا ..

تحية : (تبكي من الفرح) صحيح يا مجدى .. ؟ صحيح .. ؟ مكافأتك
كبيرة .. كبيرة جدا ، مكافأتك السعادة .

مجدى : شفت .. الحمد لله .

تحية : الحمد لله ، عرفت طريقك الى السعادة .

مجدى : ومعظم الناس لا يعرفون كيف يسعدون .. ويتربون الفرص
للشقاء ، حتى اذا أصبحوا أشقياء قالوا الحظ .. القدر .

تحية : ضعاف .

مجدى : ضعاف .

حسن : القهوة .. واحد سكر على الريحة .. وواحد سكر زيادة .

(ويضع نجانا امام كل من الضيفين ، وفي اثناء ذلك يدخل الدكتور
ابراهيم مبتهجا) .

ابراهيم : (شديد الابتهاج شديد اللهفة لمعرفة الأخيار) أهلا .. أهلا
بخطيبتي وخطيب خطيبتي .

تحية : يا أخى تأخرت .

ابراهيم : أسعفوني بالأخبار .

تحية : لا وحياتك .. لا بد من العمولة أولا .

ابراهيم : أنا فى عرضك .

تحية : زبون جديد .. عمولته أولا .

ابراهيم : لا .. أنا فى عرض من يبعد عنى الزبائن الآن .

مجدى : حتى ولو كان الزبون هو حمدى بك ؟!

ابراهيم : (مندھشا) حمدى بك العباسى .. ؟

مجدى : العباسى !

ابراهيم : أبو تحية .. ؟

مجدي : سبحان الله يا أخى .. لا .. أبو الشوارب ؟

ابراهيم : يعنى عرف .. ؟

مجدي : لا .. عرف هذه ، ستكون هنا !

ابراهيم : يعنى .. ؟

مجدي : يعنى قمنا بواجبنا ، فقم أنت بواجبك .

ابراهيم : كيف .. ؟

مجدي : الدكتوراه كلهم أجمعوا على أنك أنت المختص فى مرض حمدى بك

.. وكلهم أخبروا حمدى بك بهذا .

ابراهيم : بالذمة صحيح .. ؟

تحية : كان الدكتور منهم ينتهى من الكشف ، ويقف فى منتهى الأدب

قائلا : يا حمدى بك أنا آسف جدا ، الوحيد المختص فى مرضك

هو الدكتور ابراهيم محسن .. سعادتك تعرفه .. ؟ ان كنت

لا تعرفه أكتب له .. هو شاب طيب جدا .

مجدي : فينفجر حمدى بك صائحا .. خلاص لم يبق فى البلد غير

سى الدكتور ابراهيم .. ؟ طيب .. لن أراه .

تحية : ويظهر الدكتور الغريب دهشته ويخرج ، ويأتى دكتور آخر ،

ويتكرر نفس المشهد .

مجدي : الا أن المسألة زادت والآن هو مناه يشموفك. ولكن مخه التركى

ما زال يمنعه .

تحية : فاقترحت أنا ..

مجدي : أنت .. ؟

تحية : يا أخى فوت .

مجدي : نهايته .. اقترحت .. اقترحت هى يا سيدى أن نرفع لافتتك

من على الباب ونأتى به ويفاجأ بك داخل العيادة .. ستجعله يدفع

الأجر مثل كل الزبائن .

ابراهيم : (فى غاية الفرح) عبقرية .. عبقرية والله .. يا حسن ..

يا حسن اسمى المكتوب على الباب .

حسن : ماله .. ؟

ابراهيم : ينشال .. ينشال حالا .

حسن : ينشال .. ؟

- ابراهيم : ينشال
- حسن : (ساخرا) وأحط اسمى ٠٠ ؟
- ابراهيم : لا ٠٠ ينشال هو ولا ننحط أنت
- حسن : (يخرج مندهشا)
- ابراهيم : هل هناك أوامر أخرى ٠٠ ؟
- مجدى : لا يا دكتور يا حلال المشاكل
- ابراهيم : ماذا تقصد ٠٠ ؟
- مجدى : أقصد أنك أنت الذى كنت تطلب الى الدكتورة أن يقولوا هذا
- ابراهيم : (ضاحكا) تحية كانت تقول لى اسم الدكتور المقترح ، وبالصدفة كانوا جميعا أصدقاؤى ٠٠ والحقيقة أيضا أننى فعلا المختص ، وكلهم يعرفون هذا
- تحية : وطبعا كنت تشرح لهم الظروف ٠٠ ؟
- ابراهيم : كلهم يعرفون الآن اننى أهرب من الزبائن ٠٠
- مجدى : طيب ٠٠ هيا يا تحية ٠٠
- تحية : نعم لنحضر لك المريض
- مجدى : الى اللقاء يا دكتور
- ابراهيم : الى اللقاء يا دكتور
- يخرجان ويخلع ابراهيم الجاكته ويلبس المعطف الأبيض ويدق الجرس ويدخل حسن)
- ابراهيم : الأول
- حسن : حاضر ٠٠ وأحضر لك قهوة ٠٠ ؟
- ابراهيم : عظيم ٠٠ وأسرع
- (يخرج حسن وبعد قليل يدخل طهستان)
- ابراهيم : (فى ترحيب شديد) أهلا يا سيد طه ٠٠ والله زمان
- طه : (فى أدب شديد واحترام) أكرمك الله يا دكتور
- ابراهيم : شرفت يا سيد طه ٠٠ أهلا أهلا ٠٠ أين أنت يا رجل ٠٠ ؟
- طه : فى الدنيا يا دكتور
- ابراهيم : وكيف حالها واياك يا سيد طه ٠٠ ؟
- طه : الحمد لله ٠٠ هى من جهة المال ما زالت كما هى ٠٠ المغفلون كثيرون والحمد لله
- ابراهيم : هيه ٠٠ وهل عندك عرض جديد فى هذه المرة ٠٠ ؟
- طه : (فى استخزاء) أنا آسف يا دكتور ٠٠ أنت انتصرت على ٠٠ اسمك يملأ الدنيا والحمد لله

- ابراهيم : الحمد لله .. آمنت به وبالقوة التي وهبها للانسان فنجحت .
- طه : الحمد لله يا دكتور ..
- ابراهيم : المهم هذه الزيارة لسبب ، أم تذكرت ... ؟
- طه : والله يا دكتور ان أردت الحق فهي لسبب .
- ابراهيم : خيرا .. ؟
- طه : مرض ...
- ابراهيم : كفى الله الشر .
- طه : ترددت كثيرا قبل أن أجيء اليك ، ولكن كل الناس ، قالوا لا شفاء الا على يدك .
- ابراهيم : ولماذا ترددت .. ؟
- طه : لا أريد أن أرى هزيمتي في انتصارك .
- ابراهيم : يا أخي وما الضرر .. ؟ خلاف في الرأي .. هذا كل ما في الأمر .. وأؤكد لك أن أغلب الناس يميلون الى رأيك أنت .

(يدخل حسن)

- حسن : يا دكتور .. يا دكتور الست تحية .
- ابراهيم : جاءت .. ؟
- حسن : نعم .. ! هي ومعها رجل كبير .
- ابراهيم : عظيم .. عظيم (يلتفت الى طه) يا سيد طه .. هل يمكنك أن تنتظرني نصف ساعة .. ؟
- طه : ساعتين .
- ابراهيم : ألف شكر .

(يخرج طه)

- ابراهيم : (لحسن) أدخلهم وأسرع (يخرج حسن) أخيرا شرفت يا حمدي .
- بك .. أخيرا .

(لا يبقى بالمرح غير مجدى وتحية)

- حمدي : (يرى ابراهيم فيغضب ويحاول الرجوع) من .. ؟ أنت .. ؟
- مؤامرة اذن .. ؟ مؤامرة .. ؟
- تحية : لصحتك يا أبى .. لصحتك .
- حمدي : لا أريدها يا ستي .
- ابراهيم : ما كل هذا الغضب يا عمي .. ؟
- حمدي : سبحان الله .. ! ألا تعرف .. ؟

ابراهيم : أعرف ماذا ٠٠ ؟ أعرف أنك منعتني من الوظيفة ، وخالفت رأيك
والحمد لله نجحت ووصلت الى المكانة التي أعتقد أنك تريدتها لي .

حمدي : (فى ضعف وتردد) ولكنى ٠٠ ولكنى لم أكن أعرف اننى سأراك
٠٠ ولكن (كأنما تنبه الى شيء) أين مجدى ٠٠ ؟ (ثم يقول لتحية)
مجدى خطيبك ، أليس هو من جاء بى الى هنا ٠٠ ؟ يتأمر معك ٠٠ ؟
لا ٠٠ لا تقولى انه كان يتأمر معك .

تحية : ولم لا يا أبى ؟

حمدي : خطيبك يتأمر معك ، ليخطبك شخص آخر ٠٠ من يصدق ٠٠ ؟
تحية : والله لا أظن أن أحدا يصدق ، ولكنها الحقيقة على كل حال .
حمدي : أية حقيقة ؟

تحية : الحقيقة أن مجدى كان يحجزنى حتى يكون ابراهيم نفسه .
حمدي : فمجدى اذن لا يحبك ؟

تحية : (وقد بان التأثير على وجهها) الله أعلم يا أبى ٠٠ الله أعلم .
حمدي : لعب عيال ٠٠ شغل صغار .
ابراهيم : (ضاحكا) لاحظ يا عمى .

حمدي : عمى فى عينك .
ابراهيم : أشكرك ٠٠٠ ولكن لاحظ يا عمى أن الثورة العصبية مضرة بك .
حمدي : يا أخى ما شأنك ؟

ابراهيم : ما شأنى ٠٠٠ ؟! انه شأنى أنا وحدى ٠٠ أنا من اليوم طبيبك
الخاص .

حمدي : طبيبي ! لماذا ؟ لماذا ١٩

ابراهيم : الخاص طبعا ٠٠٠ فأنا سأكون معك ليل نهار أراقبك دائما ،
وأمنعك من أكل معين ، وأسمح لك بأكل معين .

حمدي : الله ٠٠ الله ٠٠ أتظن أنك تتزوجنى أنا ؟
ابراهيم : لا ، ولكنى سأكون ابنك .

حمدي : أمرك يا سيدى ٠٠ تحكم ياسى ابراهيم ٠٠ أمرك ، يعملها الصغار
وتصيب الكبار ٠٠ (يقول وهو خارج) شغل عيال لعب صغار .

(يخرج)

ابراهيم : مع السلامة يا عمى .

تحية : (متخلفة) تجيء الليلة على العشا .

ابراهيم : (فرحا) طبعا .

- تحية : لا تتأخر
- ابراهيم : الله .. ابتدينا
- تحية : لا تتأخر .. سامع
- ابراهيم : حاضر .. أمرك

(مخرج تحية)

ابراهيم : أشكرك أيها القدر .. أشكرك أيها القدر .. اسمع لي أن
أراك لأشكرك

(يظهر القدر)

- القدر : ماذا تريد ؟
- ابراهيم : ألم تعرف ؟
- القدر : لم أفهم
- ابراهيم : ألم تفهم أنني أريد أن أشكرك
- القدر : والمناسبة !؟
- ابراهيم : هذه السعادة .. هذه السعادة كلها
- القدر : فأنت سعيدة ؟
- ابراهيم : (وقد تنبه في غمرة فرحه) أى سعادة تقصد ؟
- القدر : السعادة الدائمة

ابراهيم : وهل هناك سعادة دائمة ؟ انه لا سعادة بغير شقاء .. ان
لم أحس بالشقاء لا أحس بالسعادة

القدر : وأنت ألم تحس بالشقاء ؟

ابراهيم : بل أبدعت في الشقاء فتونا .. ولكنني أقصد أنني حتى بعد
أن نجحت ، لا بد أن يغمر نفسي في كثير من الأحيان شعور بالشقاء ،
ثم ما يلبث وميض بالسعادة أن يشرق .. كما أحس الآن ، فإذا
الدينا كلها آمال تحققت ، وآمال تزحم المستقبل في طريقها الى
التحقيق ، والسعادة أمل تحقق ، وأمل في سبيله الى التحقيق

القدر : عظيم وماذا تريد مني ؟

- ابراهيم : أريد أن أشكرك
- القدر : وما شأنى أنا ؟
- ابراهيم : انه أنت ..
- القدر : بل أنت ..

ابراهيم : ألم تنقذني من هذا الخمول الذي كنت أرزح فيه .. انه أنت
من يستحق الشكر

القدر : بل أنت الذى عملت وسعيت ، وانهم اخوانك من الناس عاونك بعضهم ، وحاربك بعضهم ، وانتصرت .. وانه الانسان دائما ولا شأن لى بك .

ابراهيم : فأنت على الأقل من نصحنى .

القدر : انها نصيحة قد تسمعها من أى انسان وما كنت لتعمل بها .. ولكن (ساخرا) رأيت القدر ينصح فخيّل اليك ان مغاليق الغيب قد فتحت وعملت .

ابراهيم : وأنت ؟

القدر : أنا من ؟

ابراهيم : أنت القدر .

القدر : (منفجرا فى ضحكة ساخرة وهو يتقهقر نحو المكان الذى سيخرج منه) أيها المسكين .. أصدقت حقا أنني القدر ؟

ابراهيم : (ذاهلا) فمن أنت ؟

القدر : أنا أنت .. أنا نفسك ، تجسمت لك عند الشدة .. انه انت أيها المسكين الجبار .. انه أنت الانسان .. الانسان دائما .

سنتار

حَيَاة الْحَيَاة

((مسرحية))

حَيَاة الْحَيَاة

● الفصل الأول

النظر : المسرح مقسم الى قسمين : حجرة مى جزء من بيت ، والقسم
الثانى مقهى فى عهد هارون الرشيد ، الوقت فى الفجر المسرح
مضاء اضواء باهتة ، يسمع صياح الديك والأذان فيستهر الصمت
حيثا لم تخرج السيدة جمالات وهى سيدة فى منتصف العمر .
يبدو عليها انها كانت نائمة . تتقدم الى النوافذ فتفتحها .
فتنفض الحجرة بعض الشيء والأذان مستهزى . المفروض فى هذا
الفصل أن يكون عبور الناس على المقهى مستمرا طوال الفصل
بشكل قوى وملهوس بحيث لا تكاد تهر دقيقة دون أن يمر
عابر سبيل مرووا سريعا فيه لهفة وقلق واهتمام واصرار
ويصن ان يكون هؤلاء المارة لهم علامات مميزة فى ملابسهم .

جمالات : الله أكبر الله أعظم صبحنا وصبح الملك لله يا فتاح يا عليم يا رزاق
يا كريم ٠٠٠ (وتفتح دولابا وتخرج منه بعض الخبز وبعض أطباق
تضعها على المائدة) يا قمر ٠٠٠ قمر ٠٠٠ قوسى يا بنتى ساعدينى
٠٠ قمر ٠٠٠ قمر .

(وتدخل قمر الى المسرح وهى تغالب النوم)

قمر : نعم يا أم .

جمالات : ساعدينى يا بنتى .

قمر : فيم أساعدك يا أم ؟

جمالات : يوه ٠٠٠ ألا تعرفين فيم ٠٠٠ جهزى معى الفطور لأبيك .

قمر : يا أم توكلى على الله ٠٠٠ وهل هناك فطور حتى أجهزه ؟!

جمالات : لماذا ؟ البيت عامر والحمد لله ٠٠٠ هل جعت يوما ؟!

قمر : يا أم الجوع هو الأكل الذى نأكله .

جمالات : يا بنتى قولى يا فتاح يا كريم ٠٠٠ الأكل ملء البيت .

قمر : أين يا أم الأكل ؟ أتسمعين هذا أكلا ؟!

جمالات : ماذا أسميه اذن ؟!

قهر : وتريدين أن أساعدك أيضا ... بالذمة فيم أساعدك؟! لقد
جهزت أنت كل شيء في غمضة عين .

جماليات : وماله قفى معى وتظاهرى بأنك تخدمين أباك .. الرجال يحبون
أن يروا نساء يبوتهن يخدمن طلباتهم ... اعلمى كأنك تجهزين
الأكل وكانك مشغولة يفرح بك أبوك وأفرح أنا أيضا .

قهر : آه ... هذا ما تريدن اذن ...
جماليات : وهل هذا قليل ؟

قهر : قولى اذن هذا ولا تقولى جهزى الفطور .. فان الفطور دائما لا يحتاج
الى تجهيز .

جماليات : يا أختى من يسمعك تقولين هذا الكلام يحسب أنك تطمعين فى
عيشة القصور .

قهر : يا أم توكلى على الله ... مالنا وماللقصور .

جماليات : تحبين فتى معدما لا يحمل الا الكلام المزوق .

قهر : وماله يا أم اسماعيل ... أليس يعمل فى ديوان الخليفة ؟
جماليات : كاتب .

قهر : وما عيب الكاتب ؟

جماليات : بائع كلام .

قهر : ولكنه كلام جميل .

جماليات : يصنعه بأمر رئيس الديوان ثم لا يكسب الا بضعة دراهم ...
قهر : نعمه .

جماليات : دراهم اسماعيل نعمه وأكلنا لا يعجبك .

قهر : وهل قلت ان أكلنا لا يعجبنى ؟

جماليات : فماذا كنت تقولين من الصبح ؟

قهر : كل ما قلت ان الأكل عندنا لا يحتاج الى تجهيز .

جماليات : غدا نرى الأكل فى بيتك .

قهر : لن يكون أحسن من بيتك .

جماليات : فلماذا يا بنتى تصرين على هذا الزواج من هذا الفتى المنكود؟!
بذمتك ما الذى يعجبك فيه؟!

قهر : هو .

جماليات : نعم؟!

قهر : يعجبني هو ... هو بكل شيء فيه ... طيب يحب الخير للناس
ولا يفكر الا في خير الجميع .

جماليات : كسبنا صلاة النبي ... وهل يملك الخير لنفسه حتى يقدمه
للجميع ... أقرع ونزهى .

قهر : ليس المهم أن يقدم الخير للجميع ، انما المهم أن يحب الخير لهم .

جماليات : ومن أدراك أنه يقدم الخير لاحد اذا أصبح غنيا ؟ هذا يا بنتي
كلام الفقراء يقولونه ، لأنهم لا يملكون ما يعطونه ، أما اذا شبع
فعلى حب الخير السلام .

قهر : لا يا أم .. انه ليس كذلك .

جماليات : ليس كذلك ... وكيف عرقت ؟

قهر : لقد كان غنيا وظل يوزع أمواله على الناس ...

جماليات : حتى أصبح على الحديدية ... خائب ... لو كان ذكيا لاستثمر
هذا المال ثم أعطى منه للفقراء .

قهر : نعم ... لعلى أوافقك على هذا ... ليس اسماعيل ذكيا في معاملة
الأموال ولكنه طيب .

جماليات : وماذا ستفعلين بهذه الطيبة ؟

قهر : أعيش في ظلها ... أتمتع بروحه الحلوة .

جماليات : وتجوعين ؟

قهر : لن أجوع ... ثم اننى يا أم تعودت على الجوع فى بيتنا ... لن
تكون حياتى شرا مما هى الآن .

جماليات : وهذا سبب يجعلك تقبلينها ... يا بنتى أنت جميلة ... وألف
يتمنى أن تكونى فى بيته ... طاوعينى يا قهر .

قهر : يا أم أهذا كلام يقال على الصبح ؟

جماليات : يا بنتى وهل لنا فى الدنيا الا أنت ؟

قهر : على كل حال الأمر أمر أبى .

جماليات : أبوك فرحان بوظيفة اسماعيل .

قهر : أنا لا أعصى أمر أبى .

جماليات : لا تطمئننى كل الاطمئنان الى رأى أببك ...

قهر : ماذا تقصدين ؟

جملات : لا شيء . ولكن لاحظي دائما أنه لم يتقدم لك حتى الآن خير من
اسماعيل .

قهر : تقصدين أنه لو

جملات : أنا لا أقصد شيئا . . . هيا نادى أباك ليتناول فطوره . . .

(ينظر في المقهى عمارة صبي انتهى ويبدأ برفع الكراسي واعداد
المقهي لاستقبال الزوار)

عمارة : نرفع الكراسي وننظف المناضد ونعد الفناجين والذي نبئت فيه
نصبح فيه والأرزاق على الله . .

(يعني)

ولقد قالت لجسارات لها

اذ تعرت ذات يوم تبترد

أكما ينعتنى تبصرنى

عمركن الله أم لا يقتصد

لا يقتصد يا ستي لا يقتصد . . . وهل هناك شاعر يقتصد . . .
لا يقتصد ولماذا يقتصدون ؟ هل يدفعون في الكلام فلوسا ؟ كله
مجانا . . . وهات يا شعر ورض يا شاعر فلماذا يقتصد ؟
(يعود الى الغناء)

فتضحكن وقد قلن لها

حسن في كل عين من تود

معلوم . . . حسن في كل عين من تود . . . لو لم يكن حسن في
كل عين من تود كانت قمر تحب اسماعيل ! انما حسن في كل
عين من تود . . . والله كلام حكم . . . قل يا سيدي قل . . . آه
يا كلام . . . وهل شفنا المصائب الا من الكلام . . . اسماعيل يتكلم
وقمر تحب ورحنا نحن في داهية . . . والصفقة خاسرة باذن الله .

(يترنم بالغناء دون أن يتكلم)

جملات : يا بنتي نادى أباك . . . لم تكن كلمة هذه .

قهر : يا أم لقد خوفتني حتى أكاد أموت

جملات : لماذا ؟

قهر : ألم تقولي ان أبي قد يغير رأيه ؟

جملات : أكل هذا من أجل اسماعيل ؟

قهر : القلب وما يهوى يا أم

جملات : هوى الشوم واللوم ... لو كان غنيا ... لو كان أنيقا ..

لو كان جميلا

قهر : لا يا أم لا حق لك ، هل رأيت فى حياتك أجمل من اسماعيل ؟

جملات : اسماعيل جميل !؟

قهر : فى عيني أنا ليس أجمل منه

جملات : عمى فى عينك ... فانت اذن لا ترين أحدا

قهر : يا أم أنا أرى من الرجال أكثر مما ترى بنات بغداد جميعا .. المقهى

تعرض على فى كل يوم أشكالا وألوانا

جملات : وكل من ترينهم فى المقهى اسماعيل أجمل منهم

قهر : فى مرة رأيت رجلا غنيا أنيق الهندام عظيم الشكل مهيب الطلعة

فرحت أقارن بينه وبين اسماعيل

جملات : وماذا كانت نتيجة المقارنة ؟

عمارة : (مغنيا) حسن فى كل عين من تود ... حسن فى كل عين

من تود

قهر : قلت هذا غنى واسماعيل فقير ... هذا وجيه واسماعيل (تصمت

قليلا) ، شاب لا يعتنى بالوجاهة ، هذا شاب واسماعيل أيضا

شاب ، هذا لا أعرف عنه شيئا واسماعيل طيب ...

جملات : اذن فالرجل الآخر أحسن ؟

قهر : أبدا

جملات : كيف ؟

قهر : اسماعيل هو من أحب .. أتعرفين يا أم معنى كلمة أحب ؟ أحب

... هذه الكلمة البسيطة التى جعلت ليلي العامرية تعيش حتى

الآن وجعلت لبنى تحيا معنا كأنها فى عصرنا هذا وجعلت بثينة

واحدة من جيلنا ومن كل الأجيال التى سبقتنا حتى الآن وجعلت

عزة أتعرفين يا أم عزة ؟

جملات : حبيبة كثير

قهر : أتعرفين كثير يا أم ؟

جملات : لا أطيق الشعر ولا الشعراء

- قهر : أنا أتكلم عن كثير الرجل ... أتعرفينه يا أم ؟
جماليات : وهل رأيتني أقرأ أو أكتب !؟
قهر : أعرف أنك لا تقرئين ولا تكتبين ولكن ألم تسمعي عنه ؟
جماليات : منك نستفيد .
قهر : كان كثير قصيرا قبيحا دميما .
جماليات : وبعده .
قهر : ومع ذلك فقد أحبته عزة أشد من حبه لها .
جماليات : كان شاعرا وكانت البنات في ذلك الحين عقولهن فارغة ويفرحن
بالشعر ... أما اسماعيل - اسم النبي حارسه - لا يستطيع أن
يكمل بيتا من الشعر .
قهر : ليس المهم الشعر .
جماليات : يا بنتي هل جئت بسيرة الشعر ... ألسنت أنت التي
عمارة : (مقاطعا) حسن في كل عين من تود ... حسن في كل عين
من تود .
قهر : المهم هو الحب الذي جعل هؤلاء الشعراء يقولون ... ان الشعر
الذي قالوه يا أم هو الكلام الذي أراد المحبون في كل زمان ومكان
أن يقولوه فقالاه عنهم هؤلاء الشعراء .. الحب يا أم هو الذي جعل
هؤلاء الشعراء ينطقون .
جماليات : يا أختي لا تقلقيني ... أى شعر وأى كلام فارغ ألم ترى
الشاعر نور الدين ملقى على المقهى ليل نهار يكتب الشعر فى مدح
الخليفة ثم يكاد يموت من الجوع ؟
قهر : ولكنه سعيد .
جماليات : سعيد !؟ أهذا البائس الشحاذ سعيد !؟ فمن اذن التعيس !؟
قهر : الناس جميعا الا هو ... انه حين يكتب شعره يصبح أسعد الناس
جميعا .
جماليات : يا أختي ومن أدراك .. فهل كتبت الشعر أنت أيضا !؟
قهر : أعرف .. أعرف ... انظري الى نور الدين .
جماليات : منجوس ومنجوس من يومه .
قهر : هذا في رأيك أنت أما اذا نظرت الى حقيقته ... الى مقدار السعادة
التي يعيش فيها .

جماليات : مهرج ... أهذا ما يعجبك فيه ؟ مهرج .

قهر : بل سعيد ... شخص سعيد ... يجب أن يستقبل الحياة
بالضحك دائما ...

جماليات : وهو مفلس ؟

قهر : وما يهمة .

جماليات : يترك أولاده جياعا عرايا وهو يضحك .

قهر : فهل اذا حزن يأتي لهم بالطعام والملبس ؟

جماليات : على الأقل يصحو الى خبيته ... يبكي على حاله .

قهر : انه لو فعل لامتنع الأكل عن أولاده العمر كله .

جماليات : لا يا شيخه ؟

قهر : وحياتك .

جماليات : وكيف هذا وحياة أمك ؟

قهر : انه شخص يعتمد على صفاء روحه ... على روحانيته لو أصبحت

روحه مظلمة ، لامتنع عليه أن يكتب شعرا في مدح الخليفة ، ولأقل

في وجهه باب الرزق الوحيد .

جماليات : ألا يكتب شعرا الا اذا ضحك ؟

قهر : الشعر الذي يعجب الخليفة لابد أن يضحك صاحبه ؟ لو أنه حزن ،

وكتب الشعر لغضب عليه الخليفة ، ومنع عنه الرزق .

جماليات : والنبي يا بنتي رزق الهبل على المجانين صدق من قال ... نادى

أباك .

قهر : يا آبا (تخرج من المسرح)

(يظل عمارة ينظف في المقهى دفنيا يدخل بعض افراد للمسرح ويمبرونه

الى الباب الآخر . يدخل أبو الحسن والد قهر) .

أبو الحسن : يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم ... هيه يا قمر هل الفطار

جاهز ؟

قهر : (تدخل خلفه) جاهز من الصبح يا أباي .

أبو الحسن : اطلعي الى المقهى شوفى ان كان عمارة أحسن تنظيفها

أم لا .

قهر : أمرك يا أباي ... ألا تريد شيئا ؟

أبو الحسن : سلامتك .

(تخرج الى المقهى - يزداد النور في المقهى ويظلمت في البيت)

- قهرة : صباح الخير يا عمارة .
- عمارة : صباح النور يا ست الحسن والجمال .
- قهرة : هل نظفت المقهى ؟
- عمارة : أصبحت كالفل أو كالياسمين . . . من الصبح أنظف فيها وحياتك ان لم تكن مقهالك أنظف مقهى في بغداد فأنا أستحق الضرب والاهانة .
- قهرة : وأين الزبائن ؟
- عمارة : لم يأتوا بعد . . . نحن ما زلنا في أول النهار .
- قهرة : وأين الشيخ الذي أصبح يفتتح المقهى كل يوم ؟
- عمارة : موعده لم يأت بعد . . . اسكتي . . . عرفت من هو .
- قهرة : صحيح ؟
- عمارة : وحياتك .
- قهرة : من ؟
- عمارة : تاجر من أكبر التجار . . . غنى . . . غناه فاحش .
- قهرة : وماذا يريد من مقهانا ؟
- عمارة : الله . . . تعجبه المقهى . . . ألا تعجبك المقهى ؟
- قهرة : فقط . . . ألا يأتى الى هنا لأن المقهى تعجبه ؟!
- عمارة : وماذا في هذا ؟
- قهرة : ولد يا عمارة . . . تخفى شيئا .
- عمارة : الحقيقة . . . نعم . . . أخفى شيئا .
- قهرة : وما هو ؟
- عمارة : الشيخ يحبك .
- قهرة : وهل رأيى ؟
- عمارة : وهل يأتى هنا الا لأنه رآك .
- قهرة : هل جننت ؟
- عمارة : وان جننت للحق وستظني ، لاكلم نعم أبا الحسن .
- قهرة : وهل كلمته ؟
- عمارة : وهل يعقل أن أفعل هذا دون أن أسألك ؟
- قهرة : ألا تعرف جوابي ؟
- عمارة : أعرفه .
- قهرة : فلماذا تسألني اذن ؟

(يمر بائع أشياء قديمة بالمقهى ينادى)

البائع : تحف وهدايا... تحف ... هدايا وتحف ... هدايا .

عمارة : يا عم ... يا عم ... هل أصابك العمى فى نظرك ... هل ترى أحدا فى المقهى حتى تنادى !؟ قل يا صبح يا راجل وتوكل على الله .

البائع : يا بنى هذا عملى ... على أن أنادى والباقى على الله .

عمارة : ألا تنتظر حتى تجد أحدا تنادى له أم هو نداء والسلام ؟

البائع : عملى يا ابنى ... عملى أن أنادى ... تحف وهدايا تحف

(يخرج من الباب الآخر)

عمارة : لعلك تغيرين رأيك .. هل فى هذا بأس ؟ الواجب أن أسالك .

قمر : اسمع ... لك منى دينار ولا تقل لأبى شيئا .

عمارة : لقد عرض هو عشرة دنانير .

قمر : ومن أين لى بالعشرة دنانير ؟

عمارة : من اسماعيل .

قمر : أنت أعلم بالحال .

عمارة : فلماذا تحببته اذن ؟ قسما عظما بالله انى أكسب اكثر منه .. أيعجبك منه الحديث المزوق وقوله كنت مع الخليفة وجئت من عند الخليفة !؟ أهذا كل ما يعجبك منه !؟

قمر : ولد يا عمارة ...

عمارة : (فى ثورة هينة) ألا تقول الحق !؟ الحق دائما ابن كذب يزعل الناس .

قمر : ولد .

عمارة : سكتنا ، ماذا قلت فى الدنانير ؟

قمر : أعطيك كل شهر دينارا .

عمارة : على عشرة أشهر !؟ لماذا !؟ ما الذى يجعلنى أنتظر عشرة أشهر !؟

وراءنا مصاريف يا ست قمر والحال كما تعلمين .

قمر : أعطيك كل شهر دينارين .

عمارة : لا بأس من أجل خاطرك .

قمر : على شرط .

عمارة : و شرط أيضا !

قمر : تقول لهذا الرجل انى مخطوبة ، ولا تجعله يأتى الى هذا المقهى أبدا .
عمارة : وأطرد الزبائن أيضا !

قمر : هذا الزبون فقط . . لو عرف أبى بغناه صمم على زواجى منه . . .
هيه ماذا قلت ؟

عمارة : ولو عرف أنتى طردته طردنى أنا وأصبحت بلا عمل .
قمر : وهل ستطرده ؟

عمارة : ألسنت تريدنى أن أطرده !؟

قمر : أنا لم أقل هذا . . . كل ما فى الأمر أنك ستقول له اننى مخطوبة
وان خطيبى رجل قاتل سفاك لا يتورع عن قتله لو عرف أنه يريد
أن يتزوجنى . . . و . . . فقط .

عمارة : لا . . . بسيطة . . . فكيف يكون الطرد ان لم يكن هكذا !؟
قمر : اذا فماذا ترى ؟

عمارة : سأقول له انك مخطوبة . . . بالله ما الذى يعجبك فى اسماعيل !؟
قمر : لا شأن لك . . . ماذا ستقول للتاجر ؟

(يدخل اسماعيل الى المسرح)

عمارة : و . . . و . . . يا أهلا بالسيد اسماعيل . . . يا أهلا بالكرم
والذوق والكياسية والرياسة .

اسماعيل : كيف أنت يا عمارة ؟ صباح الخير يا قمر .
عمارة : أهلا . . . أهلا .

قمر : كفى يا عمارة . . . كفى . . . اذهب .

عمارة : اذهب ! . . اذهب هكذا دون أن أعرف ماذا يريد السيد السند .
قمر : أهو زبون ؟

عمارة : طبعا .

قمر : (تلتفت الى اسماعيل) هل أنت زبون !؟

اسماعيل : طبعا .

قمر : هل جننت يا عمارة ؟

اسماعيل : لساذا ؟

قمر : ألا تعرف مكانه من البيت ؟

- عمارة : مكانه من البيت أعرفه . . . انما المقهى مقهى وليس بيتا . . .
- قمر : هل جننت ؟
- عمارة : والله ان جئت للحق نعم .
- قمر : ولد .
- عمارة : يا ست قمر خلى الطابق مستورا .
- قمر : هذا لا يصح أبدا .
- عمارة : وأنا ما ذنبي ؟
- قمر : أتقصد أن . . .
- عمارة : نعم .
- قمر : أبى .
- عمارة : أبوك يا بحنى ان خرج طلب ولم يدفع ثمنه .
- قمر : هل سألته عن اسماعيل ؟
- عمارة : من غير سؤال . . . نبه على ألا أسأله .
- اسماعيل : (وقد كان يضحك طوال فترة الحديث) ماذا جرى يا قمر هي الحكاية تستحق كل هذا الاهتمام ؟
- قمر : المسألة مسألة أصول .
- اسماعيل : الأصل أن أدفع ثمن ما أريد فى المقهى .
- عمارة : أبو الأصول أنت والله . . . أبو الأصول يا سيد اسماعيل
- يا عترة .
- اسماعيل : هات فنجان قهوة يا عم عمارة .
- عمارة : شفت . . . وأنت ألا تريدين شيئا .
- قمر : امش يا لكع .
- (يذهب عمارة الى المكان الذى تهده فيه الطلبات)
- اسماعيل : صباح الخير .
- قمر : لم تذهب اليوم الى الديوان .
- اسماعيل : ليس عندنا عمل اليوم قلت أنتهز فرصة الصباح والمقهي خالية
- لعلى أقعد معك على انفراد .
- قمر : خير ما فعلت . . . لقد كنت فعلا أريد أن أراك .
- اسماعيل : أيا ترى عليك وقت لا تريدين فيه أن ترينى !؟
- قمر : لا أدري . ولكنى اليوم فعلا كنت أريد أن أراك .

اسماعيل : قولى لى يا قمر لماذا اجد كل الكلام الذى قيل فى الحب قديما
لا جده فيه ولا طرافة ؟! كلما اردت ان اقول لك كم احبك وجدت

• كلامى سخيفا لا يليق بك

قمر : الهذا لم تقل لى احبك ابدا ؟!

اسماعيل : ارجو ان تعرفى مقدار حبي من تصرفى لا من كلام

قمر : وما عيب الكلام ؟! اليس صناعتك ؟

اسماعيل : هذه هى المصيبة ... لا احب ان اصنع لك الكلام

قمر : ولكنى احب ان اسمعه منك

اسماعيل : حتى ولو كان كلاما قديما قاله الناس قبلنا ملايين المرات

قمر : نعم

اسماعيل : قاله المنافق والكذاب وقاله المتكلف وقاله السخيف الذى يريد

ان يخدع فتاة لا يحبها

قمر : احب ان اسمعه منك

اسماعيل : ولكن انا لا احب ان اقوله لك

قمر : اذن فانك لا تحبني

اسماعيل : ماذا ؟

قمر : فلماذا لا تقول ؟

اسماعيل : لانك عندي اكبر من ان اقول لك احبك ... انت اكبر من

كلمة الحب ومن معنى الحب ... انت حياتى اننى تحيا بها حياتى

... انت ...

قمر : اسكت ... لا تقل اكثر من هذا ... هذا ما كنت اريد ان اسمع

اسماعيل : اكننت محتاجا لان اقول هذا ، حتى تعرفى مقدار حبي ؟

قمر : لا ولكن كنت انا محتاجة لان اسمع منك هذا

اسماعيل : لماذا ؟

قمر : لا ادري ... فقط كنت اريد ان اسمع هذا

اسماعيل : يا حبي يا قمر الزمان

قمر : يا حبي يا اسماعيل

عمارة : القهوة

اسماعيل : (وكأنه صحا من حلمه) ماذا ... آه ... شكرا

عمارة : عفوا (ويظل واقفا)

قمر : قال لك شكرا

عمارة : وأنا قلت عفوا

قمر : فماذا تنتظر ؟! لقد قال لك شكرا

- **عمارة :** فقط شكرا هذه لا أستطيع أن أضعها في حساب أيبك
- **اسماعيل :** آه ... صحيح ... خذ ...
- **قهر :** وماذا تريد أكثر من هذا ؟
- **عمارة :** شكرا ... هذا حساب القهوة
- **اسماعيل :** آه صحيح ... خذ يا عمارة وهذا لك
- **عمارة :** (يأخذ ما يعطيه له اسماعيل ويطبق عليه يده ويقول في استنكار)
شكرا (وينصرف) حسن في كل عين من تود
- **اسماعيل :** لعن الله الفقر يا قهر
- **قهر :** غنى النفس هو كل شيء ... وأنت يا اسماعيل أغنى الناس
نفسا
- **اسماعيل :** هذا كلام اخترعه الشعراء ، لأنهم فقراء
- **قهر :** ولكنه كلام صادق
- **اسماعيل :** لو كان صادقا ، لاجبني عمارة ، ولكنه لا يجبني
- **قهر :** ألا يكفي أن أحبك أنا
- **اسماعيل :** ان حبك لي هو النور الذي يضيء لي جنبات الحياة
- **قهر :** ألا يكفي هذا ؟
- **اسماعيل :** لا ... لا يكفي
- **قهر :** ألا يكفي ان يكون لك نور يضيء لك جنبات الحياة ؟!
- **اسماعيل :** في هذا النور أسير وفي سيري أرى الناس فقراء فأكلهم الحياة
أكلا وتطحنهم بأبوابها طحنا عثيفا قاسيا وينظرون الى يريدون أن
أعينهم ، وأنا لا أقدم لهم الا ما عندي من حيث طيب ، ومن مشاركة
في آلامهم ولكنهم أبدا لا يريدون هذا ... انهم يريدون من يرفع
عن أعناقهم أظافر الفقر المترسة السفاكة فلا يهمهم حديثي في شيء
ولا يجبونني ... فالفقراء لا يجبون الفقراء يا قهر الزمان ...
والأغنياء أيضا للأسف لا يجبون الفقراء
- **قهر :** قد يعطفون عليهم
- **اسماعيل :** الفقر يلهي الناس عن كل العواطف يا قهر الزمان ... الفقير
يريد أن يطمئن على قوت يومه وغده ، وهو أبدا لا يستطيع أن
يطمئن ... هو في خوف من غده دائم ... واذا تسلسل الخوف
على النفس فهي هباء ... لا يستطيع الانسان أن يحصل وهو
خائف يا قهر الزمان
- **قهر :** ولكن لعل الخوف هو الذي يجعله يعمل

اسماعيل : اذا اطمأن الناس عملوا ، واذا احاط بهم الذعر انهارت منهم العزائم .

قهر : ولكن لناس يعملون .

اسماعيل : يعملون بجزء من عقولهم يسير أما الجزء الأكبر من نفوسهم وعقولهم فحبيس الخوف والذعر والقلق من الغد ومن الفقر .

قهر : هكذا الحياة .

اسماعيل : يجب أن تتغير الحياة يجب أن يطمئن الناس سترينهم حينئذ يعملون أعظم الأعمال وأروعها .

قهر : ان لك أفكارا عجيبة .

اسماعيل : وما فائدة الأفكار ؟

قهر : تجعلني أحبك .

اسماعيل : ولكنها لا تجعلني أحصل لك على المهر !

قهر : ان هذه الأفكار تجعلك بين الناس منفردا ليس للناس فيهم مثيل

اسماعيل : ولكنها لا تغني الناس ولا تجعل الفقراء يحبونني . . بل هي حتى لا تجعلني أحترم نفسي مجرد أفكار فقاعات في اليد فقاعات من الهواء تأتي وتقال ثم تمضي بلا أثر .

قهر : ولكن جميع ما حققته الحياة كان نتيجة هذه الأفكار .

اسماعيل : وما الذي حققته الحياة ؟! هذا الخوف للناس وهذا الفقر وهذا الذعر وهذا الكره ؟ ماذا حققت الحياة للناس ؟!

قهر : اسماعيل أنى أحبك .

اسماعيل : مع أنى فقير ولا أستطيع أن أقدم لأبيك المهر الذي يريد لنتزوج .

قهر : ولكنى أحبك .

اسماعيل : أرى الناس وأشقى بشقائهم وأتذكر حبك فكأنما ألقى واحة في صحراء الشتاء وأقول في نفسي ولكن الناس ليس لهم واحة مثل واحتي فأعود الى الشقاء .

قهر : يشغلك الناس عن نفسك !

اسماعيل : اذا عشت معهم ولم أنشغل بهم فالحيوان أعظم منى شأننا .

قهو : ولكن أحدا من الناس لا ينشغل بالناس مثلما تفعل .
اسماعيل : لا أدري ، ولكن لعل حبي للشعر وللجمال يجعلني أتمنى أن
أرى الجمال في الناس .

قهو : وهل لهذا وسيلة ؟
اسماعيل : لا بد أن هناك وسيلة .
قهو : أتعرفها ؟
اسماعيل : لو عرفتها ما شقيت .
قهو : أرى أحدهم قاصدا الى المقهى أراك بخير .
اسماعيل : أراك بخير .

(يدخل رجل تبدو عليه مظاهر الثراء ويجلس الى منضدة وينادي)

الزبون : يا عمارة .
عمارة : لبيك لبيك يا سيدي وسعديك .
الزبون : هل أعددت لي القهوة ؟
عمارة : من الصبح .
الزبون : هاتها لاعدمتك .

(يأتي عمارة بالقهوة ويضعها على المنضدة ويدور حول الرجل فينظر
هذا اليه بعض الحين)

الزبون : تريد أن تقول شيئا ؟
عمارة : حديث بيننا لم يتم .
الزبون : أعرفه .
عمارة : لا بد للحديث أن يتم يا مولانا .
الزبون : فليتم الحديث .

عمارة : قلت لي انك تاجر وغني وقلت لي اطلب قمر الزمان دون أن تذكر
اسمك ؟

الزبون : نعم فعلت .
عمارة : ولكني يا سيدي لا أعرف اسمك .
الزبون : لا تعرف اسمي ؟
عمارة : ومن أين لي أن أعرفه وأنت لم تقله لي .

الزبون : ما توقعت أبدا أن صبيا في مقهى لا يعرف اسم زبون فيها
ان لهم مقدرة لا تتأني الا لهم ما أن يأتي الزبون يوما وثانيا

حتى يكون اسمه وتنوانته وعمله وثورته وأولاده وزوجته معروفة
للمقهي جميعا .

عمارة : الا انت .

الزبون : كيف ؟

عمارة : الذي لا شك فيه أنك من مكان في بغداد بعيد كل البعد عن هذه
المنطقة سألت عنك زبائن المقهى أجمعين فما عرفك منهم أحد
أو لعل عمك يتصل بناس لا يجلسون على مثل هذا المقهى .

الزبون : أحقا ؟

عمارة : وحياتك رأسك . . . ان لك لشأنا لا أدريه

الزبون : اذن فأنت لا تعرفني ؟

عمارة : المنطقة كلها لا تعرفك .

الزبون : وأنت اذن تريد أن تعرف من أنا ؟

عمارة : يا سيدي الناس لا يزوجون بناتهم لعابري السبيل .

الزبون : انك تعرف أنني تاجر وأني غني .

عمارة : هراء . . . من أين لي أن أعرف ؟ ألا انك قلت إنك تاجر ، وانك
غني نصبح تاجرا وغنيا ؟!

الزبون : وماذا تريدني أن أفعل ؟

عمارة : لا بد أن أعرف عنك كل شيء .

الزبون : وكيف ستصدقني ان قلت لك .

عمارة : الحديث من سياقه يظهر صدقه أو كذبه .

الزبون : لعلي خبير في الحديث ألقه كما أشاء فيبدو أشد صدقا من
الصدق .

عمارة : لو كان الصدق فيه واضحا كل الوضوح فهو كاذب أيضا .

الزبون : أنت محق فالحقيقة دائما تحمل جانبا من الخيال .

عمارة : الحياة أروع من يستعمل الخيال في تصرفاتها .

الزبون : لي حديث طويل .

عمارة : وماذا وراءنا ؟ الزبون الآخر الجالس هناك منا وعلمينا وقد

دفع حسابه وبقتيشه الحقيق وليس عندنا عمل والأشياء معدن .

الزبون : أليس عندك عمل على الإطلاق ؟

عمارة : الآن لا .

الزبون : ما أسعدك !

- عمارة : علام ؟
- الزبون : تملك وقت فراغ
- عمارة : أراك أكثر فراغاً منى .
- الزبون : الأنى أجلس هنا ؟
- عمارة : وهل بعد هذا فراغ ؟
- الزبون : لا جعل الله أحداً ينشغل كمنشغلي .
- عمارة : وفيه منشغلك ، وأنت على المقهى منذ الصباح لا تتركها الا في الظهرية؟
- الزبون : التجارة يابنى شغلها كثير .
- عمارة : أما تزال تعمل فى التجارة ؟
- الزبون : ليل نهار .
- عمارة : ونهار أيضاً .
- الزبون : ليل نهار .
- عمارة : يا أخ هل أنت تعمل بالنهار !؟
- الزبون : أغلب عملي بالنهار .
- عمارة : هنا على المقهى !؟
- الزبون : أى وحياتك .
- عمارة : أعز الله حياتك !
- الزبون : ألا تصدقنى ؟
- عمارة : وكيف لا أصدقك ؟ وهل يصدقك غيرى ؟ انى أراك كل يوم وأنت تقطع نفسك من الشغل !
- الزبون : أتسخر ؟
- عمارة : ياعم أقسم بالله أننى ظننتك تركت التجارة منذ زمن بعيد ، وهل ينقل أن يترك تاجر دكانه فترة الصباح جميعاً ويجلس الى المقهى ويظل مع ذلك يدعى أنه تاجر ؟!
- الزبون : وهل قلت اننى صاحب دكان !؟
- عمارة : فأى نوع من التجارة أنت ؟!
- الزبون : أنا أعظم التجار شأننا وأعلامهم مرتبة .
- عمارة : تاجر جواهر أنت ؟
- الزبون : بل أعظم .
- عمارة : هل هناك أعظم من تجارة الجواهر !؟
- الزبون : تجارتنى .
- عمارة : وما هى ؟

- الزبون : لا أقولها ... لا أستطيع أن أقولها لك
- عمارة : لملك تتاجر في ... في ... في المشروعات مثلا ؟
- الزبون : أبدا ... أبدا
- عمارة : فأى نوع من التجارة أنت ؟
- الزبون : يكفيك أن تعلم أنني أكسب مكاسب لا تخطر لك على بال
- عمارة : سعيد أنت ؟
- الزبون : بل أشقى عباد الله
- عمارة : مع هذا الغنى !
- الزبون : أنا يابنى في رعب دائم ... ولا سعادة مع رعب أبدا
- عمارة : أى نوع من الرعب هذا ؟
- الزبون : رعب الأغنياء
- عمارة : وهل للأغنياء رعب !؟
- الزبون : أشد من رعب الفقراء
- عمارة : اللهم رعبا كرعب الاغنياء !!
- الزبون : اسكت ... اسكت فأنت لا تعرف
- عمارة : فعرفنى أنت
- الزبون : رعب الغنى على أمواله وحرصه على الزيادة وخوفه من النقصان -
- عمارة : هذا جنون
- الزبون : وهل الرعب الا جنون ؟
- عمارة : والخلصة ؟
- الزبون : أى خلصة ؟
- عمارة : ألا تخبرنى ما عملك ؟
- الزبون : لا أستطيع
- عمارة : فماذا أقول لعم أبو الحسن ؟
- الزبون : تاجر
- عمارة : تاجر ماذا ؟
- الزبون : تاجر وغنى
- عمارة : هذا لا يكفي
- الزبون : أدفع مهرا ألفى دينار
- عمارة : ألفى دينار

(يدخل الى المقهى نور الدين الشاعر ويتجه الى اسماعيل)

- اسماعيل : أهلا نور الدين ، كيف الحال ؟
- نور الدين : شر حال

اسماعيل : اعوذ بالله هكذا على الصبح ، ماذا جرى ؟

نور الدين : وهل يتعبني الا الصبح يا اسماعيل .

اسماعيل : ما عيب الصبح ؟

نور الدين : أمل خائب ويوم جديد بهم جديد .

اسماعيل : أو يوم جديد بأمل جديد .

نور الدين : ومن أين الأمل !؟ من أين !؟ أتصدق بالله بتنا بالأمس

من غير عشاء ، وكنا في وقت العشاء بغير غداء ، وكنا وقت الغداء بغير

فطور وكنا وقت الفطور بغير عشاء ساقية يابنى من الجوع

الأيام ساقية تخرج جوعا والأولاد أمامى لا أطيق أن أنظر اليهم

. جياع يا اسماعيل جياع !

اسماعيل : هذه أول مرة تشكو .

نور الدين : نعم . لم أكن أشكو .

اسماعيل : كنت في اليأس الشديد تضحك ، وتكتب الشعر ، وتنتظر

الى الغد بعين باسمة . . . هذه أول مرة تشكو .

نور الدين : أتعلم لماذا أشكو ؟

اسماعيل : لا .

نور الدين : أشكو ، لأننى أصبحت أشكو بدلا من أن أكتب الشعر .

اسماعيل : لا أفهم .

نور الدين : كانت لى القدرة دائما أن أفصل بين الشاعر فى نفسى والانسان،

فان رأى الانسان نفسه جوعان وأولاده وزوجته جياع انفصل عنه

الشاعر وكتب شعرا وجاء بالنقود ، فيسكت الانسان وزجته

وأولاده .

اسماعيل : فماذا جرى للشاعر ؟

نور الدين : تغلب عليه الانسان .

اسماعيل : تقصد

نور الدين : أقصد أن الشاعر أيضا أصبح يبكى لجوع أبنائه وزوجته

وجوعه .

اسماعيل : وأين قدرتك على الفصل بين الشاعر والانسان ؟

نور الدين : لى يومان لم أستطع فيها أن أكمل بيتين من الشعر .

اسماعيل : يومان .

نور الدين : قلت المطلع والشطر الأول من البيت الثانى ،

ثم سكت . . .

نور الدين : وقتت أجيل الطرف حول فراغتي

مدامع في عيني لا تنحدو

أهيب بها تهمني فتأبى ترفعا

ثم سكت ..

اسماعيل : هذا هو الشاعر فيك ... لا تخف فما دمت تحس بالترقح

فأنت شاعر وستزول الأزمة .

نور الدين : يومان والأزمة مستحكمة .

اسماعيل : وما يومان .

نور الدين : اليومان ساعات طويلة من الجوع والألم بجوع أولادك والعجز

عن اشباعهم . الساعة في هذين اليومين دهور طويلة فانظر كم من

الدهور مر في اليومين .

اسماعيل : أعطيك نصف ما معي .

نور الدين : لا .

اسماعيل : لماذا ؟

نور الدين : أخاف أن يتعود الشاعر على هذا ولا يقول الشعر بعد ذلك

فنمت جميعا من الجوع .

اسماعيل : ان الشاعر فيك لم يصنع هذا معك الا مرة واحدة .

نور الدين : كل عادة تبدأ بمرة واحدة . . . سلام عليكم .

اسماعيل : الى أين ؟

نور الدين : أسير في الطريق حتى أكمل القصيدة .

اسماعيل : أنتظر . . .

نور الدين : لا أنتظر ، فانك تغريني . . . والانسان والشاعر في ضعفان

. . . لا . . . لا أنتظر سلام عليكم .

فخرج من المسرح ،

عمارة : اذا كانت تجارئك لا تقال فلا شك أنها خطيرة . .

الزبون : سوف تعرفها حين أريد ذلك .

عمارة : ولكن عم الحسن لابد أن يعرفها .

الزبون : اذا استطعت أن تتم هذه المسألة دون أن تعرف تجارتي .
عمارة : ماذا ؟

الزبون : مائة دينار !

(يدخل بائع الأشياء القديمة من الناحية التي يجلس بها اسماعيل)

البائع : تحف وهدايا تحف (يتقدم من اسماعيل) ألا تشتري مني شيئا
يا سيد ؟

اسماعيل : شكرا .

البائع : اعتبرها صدقة فوذات الله العلية لم أذق الزاد منذ أيام ٠٠٠ لا أنا
ولا أولادي .

اسماعيل : ماذا عندك ؟

البائع : ما تريد ٠٠٠ هذه أواني من الفضة .

اسماعيل : (ساخرا) الفضة .

البائع : وهذه أخرى من النحاس .

اسماعيل : وغيرها .

البائع : معي مصابيح جميلة .

اسماعيل : أريد مصباحا رخيصا .

البائع : خذ هذا .

اسماعيل : بسكم ؟

البائع : عشرة دراهم .

اسماعيل : لا أستطيع فهو غالي الثمن .

البائع : انه جديد .

اسماعيل : لا يهمني أن يكون جديدا .

البائع : فخذ هذا .

اسماعيل : بسكم !

البائع : بأربعة دراهم .

اسماعيل : هاته .

البائع : بارك الله فيك .

(يدخل له اسماعيل الشئ ويهضي البائع في طريقه)

البائع : تحف وهدايا تحف .

اسماعيل : انه من عهد نوح ٠٠٠ لا بأس لعل إذا جلوته يصبح أنيقا المهم

أن يضيء لي حجرتي ٠٠٠ ولكن أي جلاء ينفع فيد (يدللكه بيده)

لا ٠٠٠ لا أظن أن أي جلاء سيفيد معه .

(يتقدم شخص إلى منقذة اسماعيل ويجلس عليها في هدوء)

- الشخص : نعم .
- اسماعيل : أنعم الله عليك ... ماذا تريد ؟
- الشخص : بل ماذا تريد أنت ؟
- اسماعيل : يا عم أنا لا أعرفك .
- الشخص : أنا خادم هذا المصباح .
- اسماعيل : ماذا ؟!
- الشخص : اذا مررت بأصبعك على هذا المصباح جئت اليك .
- اسماعيل : نعم ... أتراني عبيطاً ؟ أم أنت تريد أن تهزل ؟
- قم يا بنى الله يفتح عليك .
- الشخص : أقوم ... أمرك (يقف) أين تريد أن أذهب ؟
- اسماعيل : (فى دهشة) هل أنت جاد ؟!
- الشخص : يا سيدي أنا لا أستطيع أن أهزل .
- اسماعيل : أنت عفريت .
- الشخص : دعنا نقول اننى خادم هذا المصباح .
- اسماعيل : حذار أن تكون ساخرا .
- الشخص : عفوا مولاي ، اننى خادمك .
- اسماعيل : سمعنا بمثل هذا ولم نره . . ولكنهم كانوا يقولون ان عفريتنا يشق الأرض أو السماء فيبدو عاليا مندلعا الى الفضاء ثم يقول شبيك لبيك عبدك وبين يديك .
- الشخص : كان هذا ولكن رأينا أن هذا قد يخيف صاحب الشيء المرصود . . . فانتبهنا الى أن نتقدم له فى هدوء كما فعلت أنا ونسأله عما يريد .
- اسماعيل : معنى هذا اذن أنك تفعل كل ما أريد .
- الشخص : كل ما تريد .
- اسماعيل : لابد أن أتأكد .
- الشخص : تأكد .
- اسماعيل : ضع فى جيب عمارة هذا كيسا من الذهب .
- الشخص : لقد أصبح فى جيبه كيس من الذهب .
- اسماعيل : اجعله يحس به .
- عمارة : (يضع يده على جيبه) ما هذا . . . (يخرج الكيس) ما هذا . . .
- (ينظر الى التاجر) هل وضعت هذا فى جيبى ؟

- التاجر : وضعت ماذا ؟
- عمارة : هذا .
- التاجر : كيس ؟ ماذا به ؟
- عمارة : (يفتح الكيس) ذهب . . أنت فعلت هذا .
 - التاجر : أنا لا أحمل أكياسا من الذهب .
 - عمارة : اسمع أنا لا أحب أن أجن .
 - التاجر : وأنا لا أحب أن أبعثر أموالى .
 - عمارة : من أين جاني هذا ؟
 - التاجر : لا أدري .
 - عمارة : ليس معنا أحد الا أنت ؟
 - التاجر : لعله هذا الجالس هناك أراد أن يمزح معك .
- عمارة : من !؟ هذا !؟ اسماعيل . . . انه فى حياته جميعا لم يخرج من جيبه عملة ذهبية . . . ولا يعقل . . . اسمع . . . هديتك مقبولة على كل حال ولكن هذا كثير ، انه أكثر من مائة دينار .
- التاجر : أنت اذن مصر على أننى أنا الذى وضعتها فى جيبك .
- عمارة : اسمع . . . أنا لا أملك الا عقلى وهو أملى فى مستقبلى فان أضعته منى فلن تتم لك الضففة التى تريد ولن تجنى من هذا الا أن أصبح مجنوننا يجرى فى الطرقات يتحسس جيبه لعل الذى أعطاه كيسا فى المرة الأولى يعطيه بعد ذلك دائما . . . فقل لى وسريعا . . . هل أنت الذى أسقطت هذا الكيس فى جيبى ؟
- التاجر : اعتبره هدية منى .
 - عمارة : عظيم . . . نعود الى حديثنا اذن .
 - اسماعيل : اذن فأنت تستطيع أن تفعل ما تشاء .
 - الخادم : عفوا . . . اننى أستطيع أن أفعل ما تشاء أنت .
 - اسماعيل : أى شيء ؟
 - الخادم : أى شيء .
 - اسماعيل : هل تستطيع أن تجعل أهل بغداد جميعا سعداء ؟
 - الخادم : الا هذا .
 - اسماعيل : رأيت .
 - الخادم : نحن لا نستطيع أن نقدم السعادة أو البؤس .
 - اسماعيل : فماذا تستطيع أن تقدم ؟
 - الخادم : الغنى أو الفقر فقط .

- اسماعيل : هل نستطيع أن تكفى اهل بغداد جميعا ؟
- الخادم : أستطيع .
- اسماعيل : تقدم لهم جميعا ما يحتاجون من عيش ، ومأكل ، وملبس ؟
- الخادم : أستطيع .
- اسماعيل : منذ الآن ؟
- الخادم : منذ هذه اللحظة .
- اسماعيل : فافعل اذن .
- الخادم : أفعل ... أتريد شيئا آخر .
- اسماعيل : لا .
- الخادم : ألا تريد شيئا لك أنت .
- اسماعيل : اننى من أهل بغداد ... ألسنت كذلك ؟
- الخادم : أعنى ألا تريد أن أبني لك قصرا وأحضر لك الذهب والجواهر
- وما الى ذلك .
- اسماعيل : لا ... لا أريد الا أن يشبع أهل هذه المدينة جميعا ولا يجوعوا أبدا .
- الخادم : أفعل ... ولكن لا شأن لى بسعادتهم .
- اسماعيل : أشبعهم أنت ولا شأن لك بسعادتهم .
- الخادم : أفعل .

(بهم الخادم بالانصراف فيناديه اسماعيل)

- اسماعيل : انما قل لى .
- الخادم : نعم .
- اسماعيل : لماذا لم تفعل هذا من نفسك ؟! أكان لابد أن أدلك المصباح حتى تقوم بهذا العمل ؟! أتترك الناس جيعا عرايا ولا تمد يدك ،
- لعونهم الا حين أدلك المصباح .
- الخادم : نحن نفعل ما نؤمر به .
- اسماعيل : عجيب أمرك ... على كل حال مع السلامة .
- الخادم : سلاما .

(ينصرف)

(يجلس اسماعيل فترة صامتا ويستمر النقاش بين عمارة والزبون دون حديث تبدو على اسماعيل امارات الفرح والاطمئنان يدخل أبو الحسن)

أبو الحسن : انت هنا يا اسماعيل ؟

اسماعيل : (يقف) صباح الخير يا عم أبا الحسن .
أبو الحسن : المقهى خالية . . . المقهى خالية دائما . . . وأريد أن أجهز لك
عروسك .

اسماعيل : انها كثيرا ما تزدهم .
أبو الحسن : انها لا تزدهم أبدا . . . لا تزدهم أبدا يا اسماعيل . . .
اسماعيل : لكل عمل متاعبه يا عم أبا الحسن .
أبو الحسن : الا المقاهي فمتاعبها فوق الوصف .
اسماعيل : مع أن الناس يحبون المقاهي .

أبو الحسن : أي ناس !؟ انهم الفارغون الذين لا يملكون شيئا يطلبون
الطلب الهائف ويشغلون الكرسي والنضد عشر ساعات . . . ولقاهي
يابني أبخات تجعد مقهى حقيرا لا يساوى درهما ومع ذلك كل الناس
تزدهم فيه كل وقت ومقهى نظيفا كمقهاى ولا يقصده الناس .

اسماعيل : أتعرف يا عم اسماعيل ما الذى ينقصك ؟
أبو الحسن : ماذا ؟

اسماعيل : أن تجعل لمقهاك هذا طابعا معيننا . . . شيئا بذاته يجعل الناس
يقصدونه من أجله .

أبو الحسن : قل لى يابنى ما هذا الشيء ؟
اسماعيل : لا أعرف . . . لو استطعت أن تستأجر مغنيا .
أبو الحسن : يابنى ومن أين أدفع له ؟
اسماعيل : الزبائن هم الذين سيدفعون له .

أبو الحسن : يابنى أنت أغنى الزبائن عنى . . . رواد المقهى كلهم
فقراء ، ولا يستطيعون أن يدفعوا شيئا .

اسماعيل : لا تخف يا عم أبو الحسن . . . سيصبح الجميع أغنياء .
أبو الحسن : ماذا تقول ؟
اسماعيل : سيصبح الجميع أغنياء . . . الجميع .
أبو الحسن : يابنى حكايته لا تشبهها حكاية .
اسماعيل : كيف ؟

(يعلو صوت عمارة)

عمارة : لقد فهمت كل شيء وان كنت الى الآن لم أعرف من أنت .
التاجر : أبعث كل هذا الحديث لم تعرف من أنا ؟

عمارة : لا ولكنني تأكدت أنك تاجر .
التاجر : كيف ؟

عمارة : تستطيع ان تأخذني الى دجلة عطشان وترجع بي الى المقهى وأنا عطشان ما أزال .

التاجر : (ضاحكا) يا بنى هل سألتني عن شيء ولم أجيبك ؟

عمارة : الشيء الوحيد الذي أردت أن أعرفه لم تقله لي .

التاجر : فيم أتاجر ؟

عمارة : فيم تتاجر ؟

عمارة : ألم أقل لك .

التاجر : هات لنا فنجان قهوة .

عمارة : أنا عارف أنني لن آخذ منك حقاً ولا باطلا .

التاجر : يا بنى هات القهوة .

(يقوم عمارة الى المكان الذي يباع فيه القهوة ويرجع وهو يصرخ حاملا العيش واللحم)

عمارة : طيب الكيس وقلنا التاجر وضعه لنا في جيبنا طيب وهذا العيش واللحم . . . وهذا العيش واللحم . . . !؟

أبو الحسن : مالك يا ولد يا عمارة ؟

عمارة : ان الجان والعمارة وسكان البحار السبعة وآبناء طباق الأرضين يدبرون في بغداد حدثا ضخما . . . حدثا ضخما .

(يتجمع الناس حول عمارة بينما يقف الثور في بيت أبي الحسن وتظهر جمالات وترى العيش واللحم على النضد الذي كانت تاكل عليه . . تظهر عليها الفرحة)

جمالات : يعمر بيتك يا أبا الحسن . . . الله . . . اللحم مطبوخ . . . يعني طبخى لا يعجبك . . . من الذى طبخ لك اللحم !؟ والله لأجعل نهارك أسود من هباب الحلل . . . طبخى لا يعجبك يا أبا الحسن . . . بعد هذا العمر كله . . . طيب .

(تخرج)

أبا الحسن . . . أنت يا أبا الحسن

أبو الحسن : مالك يا جمالات . . . أهذا وقتك ؟

جمالات : من الذى طبخ لك هذا اللحم ؟

عمارة : (صارخا) اللحم . . . اللحم . . . انهم يدبرون شيئا في بغداد .
أبو الحسن : انتظر يا عمارة ، أين اللحم يا امرأة !؟

جماليات : هذا اللحم الذي أحضرته . . . ألا يعجبك طبعي يا ضائع يا جائع
حتى تأتي بلحم مطبوخ .

أبو الحسن : (فى غيظ شديد) أى لحم يا جمالات أى لحم !؟
جماليات : هذا اللحم . . . ألا تراه ؟ هذا اللحم .

أبو الحسن : أنا . . . أنا (ييكي) أنا يا جمالات لم أحضر لحما . . . أنا
لم أحضر لحما .

عمارة : (صارخا) صلاة النبى أحسن من كل العفاريث . . . والمعلم لم
يحضر لحما (يرقص) والمعلم لم يحضر لحما والمعلم لم يحضر لحما
. . . والمعلم لم يحضر لحما .

سسستار

● الفصل الثاني

١ يلاحظ ان الجالسين هم الذين كانوا يعرون مسرعين في الفصل الأول
- نفس المنظر الأول - اسماعيل ونور الدين - المكان مزدحم - خادم
المنهى ليس عمارة ،

اسماعيل : (فرحا) مرحبا يا صناجة العصر وشاعر الزمان
نور الدين : فرجت فرجا لا أول له ولا آخر .
اسماعيل : من حيث لا تحتسب .

نور الدين : وهل كان أحد يحتسب . . . من أين للناس هذا جميعا
اسماعيل : الأولاد الآن . . .

نور الدين : (مقاطعا) شبع ودفء وملابس من صنع السماء .
اسماعيل : وزوجتك ؟

نور الدين : كنساء بغداد جميعا . . . كاسية آكلة سعيدة . . . سعيدة . . .
اسماعيل : سعيدة ؟

نور الدين : أتريد الحق ؟

اسماعيل : اذا شئت أن تقول . . .

نور الدين : الغريب أنها ليست سعيدة .
اسماعيل : كيف ؟

نور الدين : تريد الأكل والملبس منى أنا . . . وتريد أن تطبخ وتريد أن
تشكو وتريد أن تلعن سنسفيل أبائي ولكنها لا تجد سببا لشيء من
هذا أبدا فهي غير سعيدة . . .

اسماعيل : هي اذن غير سعيدة لأنها غير شقية ؟

نور الدين : انها غير سعيدة ، لأنها لا تمارس انسانياتها .

اسماعيل : الطبخ والشتيمة والشكوى هي الانسانية .

- نور الدين : أجزاء من الحياة لا يمكن الاستغناء عنها
- اسماعيل : ولكن أنت سعيد ؟
- نور الدين : أما أنا فسعيد غاية السعادة
- اسماعيل : أكل ومرعى وقلة صنعة
- نور الدين : لا أحمل هم شيء . . . الأكل في البيت والأولاد في أرغد عيش والأشياء رضى والحمد لله
- اسماعيل : لا شغل الا الشعر والجمال وموسيقى الحياة الهائلة حولك
- نور الدين : (فى نغمة يبين فيها نبرة من الحزن) أنا فى سعادة لا مثيل لها
- اسماعيل : وطبعاً أكملت الأبيات وصنعت بعدها قصائد وقصائد
- نور الدين : أى أبيات وأية قصائد ؟
- اسماعيل : البيتان . . . نظمت منهما بيتاً وشطره . . . طبعاً أكملت البيت الناقص
- نور الدين : أنا لا أذكر شيئاً عن هذين البيتين
- اسماعيل : لقد رويتها لي مرة واحدة ، ولكنى حفظتهما :
- وقفت أجيل الطرف حولي فراعني
مدامع في عيني لا تنحدر
أهيب بها تهوى فتأبى ترفعا
- ثم لم تكمل . . .
- نور الدين : نعم تذكرت
- اسماعيل : هل أكملت البيت الناقص ؟
- نور الدين : لا لم أكمله . . . لماذا أكمله ؟
- اسماعيل : لأن البيت لابد أن يكمل .
- نور الدين : لماذا ؟
- اسماعيل : لأن البيت لا يصبح بيتاً حتى يكمل
- نور الدين : وما أهمية أن يصبح البيت بيتاً ؟
- (فى أثناء هذا الحوار يلاحظ أن خادماً غير عمارة يدور على الناس . ويقدم لهم فناجين ، ولكنهم يردون الطلبات ، ويعطونه نقوداً ، فردها هو أيضاً)
- اسماعيل : ليكون شعراً
- نور الدين : وماذا يحصل ان لم يصبح شعراً ؟

اسماعيل : ألا تحس أنك تريد أن تقول شعرا ؟ أنت ... أنت ألا تريد أن تقول شعرا ؟

نور الدين : لا .

اسماعيل : والشعر !؟

نور الدين : ليذهب الى جهنم وبئس المصير .

اسماعيل : لقد شبعت فلتقل الشعر الآن وأنت مطمئن .

نور الدين : ومن أدراك أنني كنت أريد أن أطمئن ، لأقول الشعر ؟

اسماعيل : من منا لا يبحث عن الاطمئنان ؟

نور الدين : أبحث عن الاطمئنان نعم ، ولكن الأبد لي أن أقول الشعر ؟

اسماعيل : لقد خلقت لتقول الشعر ... ما فائدتك في الحياة ان لم

تقل الشعر !؟

نور الدين : وما فائدة الشعر في الحياة ؟

اسماعيل : أنت الذي تقول هذا !

نور الدين : ولماذا لا أقوله ؟

اسماعيل : لقد عشت كل هذه الأيام التي مضت ، لأنك تقول الشعر .

نور الدين : وهل هذا يعني أن للشعر فائدة !؟

اسماعيل : لك على الأقل هو ذو فائدة كبيرة .

نور الدين : لأن هناك مغفلين يحبون أن يسمعوا مثل يملح أمثالهم .

اسماعيل : حتى أنت تقول هذا !

نور الدين : انها الحقيقة ... الحياة واقع والشعر زيف ... زيف ...

الواقع لا يحب الزيف ... الحياة لا تحب الشعر .

اسماعيل : حياة بائسة حقيرة تلك التي تتحدث عنى ... حياة مهينة

كالشجر الذابل كالبلبل الصامت كالنهر الجاف .

نورالدين : (ضاحكا في سخيرية) انه أنت الذي يحاول أن يقول الشعر .

اسماعيل : يا ليتنى ... يا ليت ... ولكن كيف أقول ؟ انه أنت الذي

تعرف كيف تقول ولكنك صامت ... صامت ... لماذا !؟ لماذا !؟

(نائرا) ، لقد شبعت بعد جوع وأجنت ، وكنت قلقا فلماذا لا تقول !؟

لماذا !؟ لماذا يا نور الدين لماذا !؟

نور الدين : أريد أن أعيش ... أريد أن أحيأ .

اسماعيل : لا حياة لك بلا شعر .

نور الدين : لا حياة لي مع الشعر ... أريد أن أعيش هذه الحياة دون
أن أتكلم ... أعيشها كالناس ... كهؤلاء الناس ... لماذا أقول
أنا لي طربوا هم !؟ لماذا أطرب معهم !؟ لماذا أكون أنا سلوتهم ولا أجد
أنا من يسليني !؟

اسماعيل : ولكنك ان سكت لا يجد الناس سلوى .

نور الدين : ليذهبوا الى الجحيم ...

اسماعيل : ألا تجد السلوى في قول الشعر ؟

نور الدين : أجد العناء والكد ... أجد نفسى فى تيه من الألفاظ والمعانى
فالدنيا أمامى لا شيء الا الكلمة والثقافية ... والمشاعر المحترقة
والأعصاب المشدودة ... الى الجحيم فليذهب ... الى الجحيم ...

اسماعيل : ولكن عندما تنتهى من البيت ... عندما تجد اللفظة التى كنت
تبحث عنها ، حين تكتب المعنى الذى تريد قوله ... ألا تحس هذه
الخفقة فى قلبك ، أنك خلقت شيئاً ؟ ألا تساوى هذه الخفقة الدنيا
كلها ؟

نور الدين : سئمت هذه الخفقة .

اسماعيل : لا تستطيع ... انها ولدت معك ... جزء من كيائك ...
بعض من دماغك انها أنت .

نور الدين : انى أعيش الآن ... ألسبت كذلك !؟ انى أعيش .

اسماعيل : الذى أراه أنك تموت .

نور الدين : دعنى : .. دعنى ... لا أريد أن أقول شيئاً ... ليس هنـا
ما أقوله ، الناس شباع مكتسبون لا مشاكل لهم ، فلماذا أقول !؟

اسماعيل : لأنك لابد أن تقول .

نور الدين : ماذا أقول ؟

اسماعيل : افرح مع الناس ... كن غنائهم فى اطمئنانهم كن ضحكهم
فى فرحهم ... كن هؤلاء الناس جميعاً ... كن أنت نشيدهم
وأهازيجهم .

نور الدين : الناس ... أى ناس !؟

اسماعيل : اخوانك ... أبناء حياتك ... برانك ... وأصدقائك ...
هؤلاء الناس .

نور الدين : أهم سعداء ؟

اسماعيل : انهم آمنون .

نور الدين : من أين لهم الأمن ؟

اسماعيل : الرزق يأتيهم كل يوم .

نور الدين : وهم آمنوا رزق الغد ؟

اسماعيل : لقد ضمنوا رزق اليوم .

نور الدين : ان القلق جزء من حياتنا نخلقه ان لم نجده . . . انهم كما

عهدتهم في رعب أن لا يأتيهم في الغد ما جاءهم اليوم من رزق .

اسماعيل : ولكنهم سعداء . . . سعداء يا نور الدين . . . اليسوا سعداء ؟

نور الدين : انهم يريدون أن يعملوا . . . العمل هو الشيء الوحيد الذي

يجعلهم لا يفكرون في القلق .

اسماعيل : ولكنهم سعداء يا نور الدين . . . اليسوا كذلك يا نور الدين ؟

(في رجا) انهم سعداء يا نور الدين اليسوا كذلك انهم سعداء ؟

نور الدين : لا أدري . . . لعلني أخرف . . . نعم تعلم سعداء لعلني أخرف

. . . ماذا يريدون أكثر من هذا ليكونوا سعداء !؟ نعم لا بد انهم

سعداء .

اسماعيل : (وقد هدأت نفسه) نعم انهم سعداء .

نور الدين : يجب أن يكونوا سعداء .

اسماعيل : فلماذا لا تغني سعادتهم يا نور الدين !؟ عن سعادتهم .

نور الدين : ولكنني يا اسماعيل . . . ولكنني . . .

اسماعيل : ولكنك ماذا ؟

نور الدين : لا أريد أن أغني .

اسماعيل : لا تريد !

نور الدين : (يقوم) لا أريد أن أغني يا اسماعيل (يتجه الى الطريق

لينصرف) .

اسماعيل : ألا تغني يا نور الدين ؟ ألا تغني ؟

نور الدين : أنت محق يا اسماعيل . . . كان يجب أن أغني ولكنني

لا أريد . . . لا أدري لماذا !؟ ولكنني لا أريد .

(يتصرف)

اسماعيل : (يرفع صوته) ولكن يجب أن تغني يا نور الدين يجب

أن تغني . . . هه يجب أن تغني .

(يعلو صوت شخصين يجلسان على منضدة اخرى)

الأول : أرايت ما فعله الولد عمارة ؟

الثاني : ترك المقهى وقعد في البيت

الأول : عبيط .

الثاني : ميمون أحسن منه .

الأول : الولد عمارة كان خفيف الظل

الثاني : ولكنه كان طماعا .

الأول : كل فتيان المقاهي طماعون .

الثاني : ولكن ميمون لا يطمع .

الأول : انه أشد طمعا من عمارة .

الثاني : (يتشاءب) يا شيخ .. انه يرفض أن يأخذ لنفسه نقودا .

الأول : انه فقط يستطيع أن يخفي طمعه .

الثاني : أو لعله لا يحتاج الى شيء .

الأول : نعم فعلا انه لا يحتاج .. ان أحدا من الناس لا يحتاج الى شيء .

الثاني : اننا في بغداد لا نحتاج الى شيء .

الأول : انما قل لي .

الثاني : أقول لك .

الأول : كم مرة تبادلنا هذا الحديث ؟

الثاني : أى حديث ؟

الأول : هذا الحديث عن عمارة وعن ميمون وعن الناس في بغداد .

الثاني : لا أذكر .. كثيرا ما تبادلناه .

الأول : لقد أصبحنا نقوله بالحرف الواحد لا نغير فيه شيئا .

الثاني : قل لي .

الأول : أقول لك .

الثاني : هل قلت ان الناس في بغداد لا تحتاج الى شيء ؟

الأول : نعم ... ألا تعرف هذا ؟

الثاني : اذن فلعل الناس في غير بغداد يحتاجون .

الأول : هل تريد أن تحتاج ؟

الثاني : لا ولكنني أريد الناس أن تحتاج الى

الأول : اذا احتاج اليك الناس فلا بد أن تحتاج اليهم .

الثاني : وما البأس أن احتاج الى الناس ، ويحتاجوا الى ... ألا تكون

حياة جميلة هذه ؟ احتاج الى الناس ويحتاجون الى

(يتقدم منها ميمون)

- **ميون :** قهوة ... على مزاجك يا عم عباس
- **عباس :** أنا لا أريد قهوة
- **ميون :** إذا انتظرتك حتى تريد قضيت يومي كله بلا عمل
- **عباس :** وما الذي يحدث إذا قضيت يومك بلا عمل ؟ أحسن من من أنت ؟
- **ميون :** ولماذا لا تريد القهوة يا عم عباس ؟
- **عباس :** (يصمت لحظة) والله يا بني لك حق ... لماذا لا أريد القهوة ؟
- **الظاهر** اننى أصبحت أكسل حتى عن التفكير فى طلب شىء ..
- **كسل** ... أنا لا أريد قهوة ... أنا أكسل من أن أرفع الفئجان
- **وأرشف** القهوة ... و ... و ... الى آخر هذه الاجراءات السخيفة
- **ميون :** اشربها على حسابي يا عم عباس ... تحية منى
- **عباس :** وهل ذكرت شيئاً عن الحساب !؟ هل ذكرت شيئاً عن الحساب يا عثمان !؟
- **عثمان :** أبدا ... هو يا بني كسلان
- (يتأدى أحد المجالسين الى منضدة مجاورة على ميون)
- **الزبون :** ميون ... يا ميون
- **ميون :** نعم يا عم سليمان ... نعم
- **الزبون :** تعال وأنا أريحك من مسألة القهوة
- **ميون :** لا يمكن أن تريحنى يا عم سليمان
- **سليمان :** لماذا ؟
- **ميون :** لأننى صنعت لك قهوة أنت الآخر
- (ينتقل ميون الى منضدة سليمان)
- **سليمان :** لا بأس عليك ... تعال
- **سليمان :** أعرض عليك اقتراحا
- **ميون :** أنا تحت أمرك
- **سليمان :** تشرب أنت القهوتين ؟
- **ميون :** انها أربع قهاوى ؟
- **سليمان :** أربع قهاوى !؟
- **ميون :** أربع قهاوى
- **سليمان :** لا بأس اشربها أنت جميعا ، وأنا أدفع لك تمنها بشرط
- **ميون :** ما الشرط ؟
- **سليمان :** أن تجعلنى أنا أصنع قهوئى

اصوات : نعم ... نعم ... نريد نحن أن نصنع القهوة .
ميمون : انتظروا .. انتظروا .. على مهلكم .. خذوا أنفاسكم ..
إذا صنعتم أنتم القهوة فماذا أصنع أنا ؟!

اصوات : تستريح ...
سليمان : تجلس على أحسن منضدة تعجبك ونخدمك نحن .
ميمون : إن لذتي في الحياة أن تنادينني وأجيبك .
سليمان : وما الذي يجري لو ناديت أنت وأجبت أنا ؟!
اصوات : كلنا نجيبه ... كلنا نجيبه .
ميمون : الحال ينقلب ... الطبيعي أن يجلس الزبائن ويخدم ميمون
عباس : تتكلم وكأنك في المقهى منذ أعوام ... إنك لم تأت إلا في اليوم
الأخير أقصد في اليوم الأغر الذي أصبحنا فيه لا نحتاج إلى شيء .
سليمان : لو كان عمارة هنا لقبل أن يجلس ونخدمه نحن .
اسماعيل : ولكن هذا الوضع يكون شاذًا يا اخوان .
سليمان : وهل الوضع الذي نحن فيه طبيعي .
اسماعيل : يا اخوان ...

(لا يلتفتون إليه)

سليمان : هيه ماذا قلت يا ميمون ؟

(قبل أن يجيب يدخل التاجر الفني - ينتقل ميمون إلى مكانه)

ميمون : انتظر حتى أرى ماذا يريد هذا الزبون الجديد .

(يذهب إلى التاجر)

ميمون : أوامر -
التاجر : أين عمارة ؟
ميمون : زبون قديم حضرتك .
التاجر : أعرف عمارة .
ميمون : ترك عمارة المقهى
التاجر : لماذا ؟
ميمون : ولماذا يعمل ؟
التاجر : ولماذا تعمل أنت ؟
ميمون : لأن الناس لا بد أن تعمل .
التاجر : وعمارة أليس من الناس ؟!
ميمون : هذا شأنه .

- التاجر : أحضر لي فنجان قهوة .
- ميمون : أمرك .

(يعاول أن يذهب الى حيث يصنع القهوة ولكن سليمان يسارع الى
ندائه)

- سليمان : اسمع يا ميمون ميمون .
- ميمون : نعم .
- سليمان : ماذا طلب ؟
- ميمون : وماذا يهملك ؟
- سليمان : أريد أن أعرف فقط ماذا طلب
ميمون : طلب قهوة .
- سليمان : تأخذ كم وتجعلني أنا أصنع القهوة ؟
- ميمون : يا عم سليمان دعنا نشوف شغلنا .
- سليمان : يا أخي وأنت ماذا يهملك ؟ القهوة ستعمل ، وستكون أحسن
من قهوتك وستأخذ حسابها ثم أنت بعد ذلك ستأخذ بضعة
دراهم من ثمن القهوة وبقشيشها .
- ميمون : يا عم اتركنا حالنا .

- عباس : أهذا كلام يا ميمون ؟ ماذا يحصل لو جعلت الرجل يعمل فنجان
قهوة من نفسه وأنا سأساعده ؟
- ميمون : المعلم أبو الحسن يطردني .
- عباس : وماله ماذا يهملك لو طردك ؟!
- ميمون : ماذا يهمني ؟! أصبح مثلكما أبحث عن أى انسان يعطيني
شغلة لوجه الله .

- سليمان : الله يكسفك امش لا تريد شيئا من وشك .
- (ينصرف اسماعيل ويدخل بائع قماش يبدأ بعرضه على المنضدة الأولى
حيث يجلس عليها اثنان)

- البائع : قماش من العال .
- أحدهم : تعال .
- البائع : يا أهلا يا مرحبا أنا خدامك أنا تحت أمرك .
- المشترى : ماذا عندك من الأقمشة ؟
- البائع : حرير من الهند وكتان من اليمن وصوف من أفغانستان عندي
ما تريد وما لا تريد عندي كل شيء .
- الآخر : هل عندك شيء من الجوخ ؟

البائع : ان ما عندي من الجوخ لا يلبس منه الا الخليفة ٠٠٠ صنف جاء
في قافلة الأمس ناعم كالحرير ٠٠٠ صقيل كأنه منسوج من خيوط
الذهب .

الاول : أرنا شيئا من بضاعتك .

(البائع يفك الأقمشة ويبدأ في العرض ويقاطعه الثاني)

الآخر : هل عندك قطيفة ؟

البائع : ناعمة كاحلام العذارى تنساب كأنما الماء يصفق في الجداول .
ألوان منها وألوان ٠٠ أي لون تريد ؟

الاول : أرنا ما عندك .

(يبدأ التاجر في عرض بضاعته بينما يدخل عمارة وتعالى بعض اصوات
من الجالسين)

اصوات : (متناثرة) عمارة ٠٠٠ عمارة .

(عمارة يسير الى التساجر في حزم وامرار ويجلس على الكرسي
المقابل له)

التاجر : أهلا ٠٠٠ أهلا ٠٠٠ سألت عنك عندما ٠٠

عمارة : (مقاطعا) عرفتك .

التاجر : ماذا ؟

عمارة : عرفتك .

التاجر : وما لك تقولها وكأنك وجدتني لصا أو قاطع طريق .

عمارة : يا ليتك كنت كذلك .

التاجر : اذن فأنت لم تعرفني .

عمارة : بل عرفتك ٠٠٠ عرفت كل شيء عنك .

التاجر : أنا لا أخجل من عملي .

عمارة : ولكن النفس تشمئز منه .

التاجر : يا لك من غبي ٠٠٠ انني لا أعامل الا الأثرياء والوزراء والملوك .

عمارة : ان هذا لا يعطى عمك البريق الذي تحاول أن تكسبه اياه .

التاجر : أنا تاجر الجمال ٠٠٠ أنا بائع الأانس ٠٠٠ أنا الذي أهبط هذه

النفوس التائهة في بيداء الحياة ماءها ورضاب السحر واشراق

الجمال وخفقة الفؤاد وهمسة الهوى وخليجة الحنان .

عمارة : انك تتاجر في النفوس ٠٠٠ في البشر ٠٠٠ بثست هذه من

تجارة .

- التاجر : ليس فيما أعمل ما يفضب الله .
- عمارة : لا تقل هذا ... لا تقل هذا .
- التاجر : بل أقوله ... ليس فيما أعمل ما يفضب الله .
- عمارة : تتمسك بالظاهر ولا تتطلع الى العميق البعيد من أحكام الله ...
- انه لا يحب الرق ... انه يمقته ... ألم يجعل فك رقبة تقربا الى الله ؟
- التاجر : لو أراد لمنع .
- عمارة : أراد أن يمتحن أمثالك ... يريد أن يرى هؤلاء الذين يتاجرون في اخوانهم .
- التاجر : تجارة حلال .
- عمارة : تبيع النفوس ... نفوس البشر .
- التاجر : أتقل الفتاة من المهانة الى العز ومن الفقر الى الغنى .
- عمارة : ليس مع العبودية عز ولا غنى .
- التاجر : هل شكون اليك ؟
- عمارة : وهل الحرية تريد شكوى ؟! انها الحرية بغيرها لا حياة ..
- التاجر : هل شكون اليك ؟
- عمارة : هل يشكو القليل وهو قليل ... ان من تسلب حرته يجد المصيبة أعظم من الشكوى .
- التاجر : فأنت اذن لن تسعى لى فى الزواج من قمر الزمان ؟
- عمارة : أنا لا أريد أن أعرفك .
- التاجر : أعطيك ما تطلبه .
- عمارة : خذ هذا الكيس أولا .
- التاجر : أى كيس ؟
- عمارة : ذلك الذى وضعته فى جيبى .
- التاجر : أنا لم أضع شيئا فى جيبك .
- عمارة : خذه .
- التاجر : انه ليس لى .
- عمارة : فمن أين جاءنى ؟
- التاجر : هل بعد هذه الأعاجيب التى نعيش فيها تسألنى ؟
- عمارة : انهم لا يعطون مالا .
- التاجر : وهل أدري ماذا يعطون وماذا لا يعطون ؟
- عمارة : انهم لا يعطون مالا وأنا لن أبقى هذا الكيس فى حوزتى .

التاجر : ولكنه ليس ملكي .

عمارة : الواقع اننى لست واثقا أنك صاحبه ، ولكن مجرد المشكك يجعلنى

أصر على أن أرده لك .

التاجر : فأنت مصر ؟

عمارة : غاية الاصرار .

(يترك له الكيس فيضه التاجر فى جيبه)

التاجر : وقمر الزمان ؟

عمارة : سأعمل كل جهدى ان شاء الله على أن تتزوج من أى انسان

الا أنت .

التاجر : أجاد فيما تقول ؟

عمارة : سوف ترى .

(يقوم وينجه الى حيث تصنع القهوة)

التاجر : تعال يا عمارة .

عمارة : (دون أن يلتفت اليه) أنا لا اعرفك .

ميمون : أنت عمارة .

عمارة : نعم أنا عمارة . . . من أنت ؟

ميمون : أنا الذى حللت مكانك الكل يسأل عنك .

عمارة : وها قد جئت ، فماذا تنوى أن تعمل ؟

ميمون : سأستمر فى عمل .

عمارة : لن أطردك من عملك ولكن عليك أن تساعدنى .

ميمون : تتكلم وكأنك صاحب العمل !

عمارة : أنا صاحب العمل .

ميمون : بل صاحبه من يملكه .

عمارة : لقد نشأت هنا ولا أذكر ماذا كنت قبل أن أعمل فى هذا المقهى .

أتظن أن أبا الحسن سيتردنى ويبيحك .

ميمون : فماذا ترى ؟

عمارة : تساعدنى .

ميمون : أمرى الى الله .

بائع الأقمشة : فأنتما اذن لن تشتريا شيئا .

أحدهم : قل . . . هل اشترى منك أحد شيئا منذ . . . منذ . . . منذ . . .

هذا الذى نحن فيه ؟

- البائع : اشتري أنت مني ولا تدفع .
- أحدهم : لا أدفع !
- البائع : أقيده عليك ٠٠٠ الى ميسرة .
- أحدهم : وهل هناك ميسرة أكثر من هذا ؟!
- البائع : فاشتر .
- الآخر : ولماذا تشتري ؟
- البائع : لأنى أريد أن أبيع .
- الآخر : ولكننا نحن لا نريد أن نشترى .
- البائع : ولماذا لا تريدون ؟
- الآخر : لقد نلنا من الشراء كل ما نطمح فيه .
- البائع : أنت لم تشتري شيئا .
- الآخر : لقد قضينا وقتنا طويلا معك فى الحديث والعرجة وهذا انتهى .
- ما نطمح اليه .
- البائع : ولكننى أريد أن أبيع .
- الآخر : ابحث عن غيرنا .
- البائع : أعطيك قطعة بلا ثمن .
- الآخر : بلا ثمن ؟!
- البائع : بلا ثمن .
- الآخر : وماذا ؟!
- البائع : تشتري منى قطعة أخرى مقابل ذلك .
- الآخر : وماذا نفعل بهايه ؟ نحن لا نحتاج الى قماش .
- (اسماعيل يقترب من البائع والزبان)
- اسماعيل : أجانع أنت يا أخى ؟
- البائع : ان بيتى فى بغداد .
- اسماعيل : ففى بيتك طعام .
- البائع : نعم .
- اسماعيل : وكساء .
- البائع : قلت لك ان بيتى فى بغداد .
- اسماعيل : فما هذا الا اصرار منك على البيع .
- البائع : وماذا أفعل اذا كنت لا أبيع .
- اسماعيل : تعيش سعيدا .
- البائع : وكيف أعيش وأنا لا أعمل

(تظفا انوار المنهى . . . وفضاء بيت ابي الحسن جمالات وقهر الزمان)

- جمالات : أقوم أجهز المائدة .
- قهر : أقوم معك .
- جمالات : لا . . . لا أريد منك عوناً .
- قهر : كيف . . . كيف يا أم ؟
- جمالات : منذ بدأ هذا الوارد الجديد وأنا أريد أن أعمل .
- قهر : كنت تفعلين بى الأفاعيل ، لأساعدك .
- جمالات : كان هناك ما تساعديننى فيه .
- قهر : الأكل بلا لحم .
- جمالات : ولكن كنا نصنعه بأيدينا .
- قهر : كان لذيذاً .
- جمالات : كان لذيذاً . . . ما رأيك ان هذا الطعام الذى يجيئنا لا طعم له .
- قهر : لاننا لا نصنعه .
- جمالات : قطعاً .
- قهر : من الذى يصنعه يا أم ؟
- جمالات : سلام قول من رب رحيم ، يا بنتى ونحن مالنا ومالهم .
- قهر : ولكننا نأكله .
- جمالات : وهل نستطيع ألا نأكله ؟!
- قهر : أقوم أنظف البيت .
- جمالات : لقد نظفته اليوم ثلاث مرات .
- قهر : أنظفه رابعة .
- جمالات : بل جهزى أنت المائدة وسأنظف أنا البيت .
- قهر : نظفى . . . نظفى ما شئت فلن يترك الملل نفسك .
- جمالات : أشعر براحة وأنا أنظف البيت .
- قهر : هذا اذا كان قدراً . . . ولكنك لن تشعري بالراحة وأنت تنظفين الشئ النظيف . . . لن تشعري بهذه السعادة التى تعودت أن تشعري بها حين تمرين بالمسحة فاذا بالشئ المترب القدر قد أصبح نظيفاً . . . ستمرين بالمسحة وستظل الأشياء كما هى لن تضى عليها هذه اللمسة السحرية التى تعودت أن تضيفها عليها حين تكون قدرة ثم تصبح نظيفة .
- جمالات : لا أفهم شيئاً مما تقولين .
- قهر : لماذا ننظف ؟
- جمالات : لتصبح الأشياء نظيفة .
- قهر : لا . . . ولكن لنشعر بأن عملنا يأتى بنتيجته .

جماليات : لا أفهم .

قهر : يا أم ان العمل الذي لا يأتي بنتيجته لا طعم له .

جماليات : (فى ضجر) جهزى المائدة وسانظف البيت .

(تدخل جملات وتبدأ قهر فى تجهيز المائدة ، ولكنها لا تكاد حتى يدخل عمارة)

قهر : من ؟ عمارة . . . هل عدت ؟

عمارة : كان لابد أن أعود .

قهر : المقهى بدونك شيء آخر .

عمارة : كل شيء أصبح شيئاً آخر يا ست قهر .

قهر : ولكنك عدت .

عمارة : ولكن الأمور لم تعد .

قهر : ماذا جرى للناس يا عمارة ؟

عمارة : لا يستطيع أن يحل المشكلة التى نحن فيها الا فلسفة اسماعيل

قهر : اسماعيل . . . لم أراه منذ بدأت هذه الحكاية .

عمارة : انه يأتى الى المقهى .

قهر : ولكن لا أراه .

عمارة : كيف ؟

قهر : أصبح لا يأتى الا والمقهى مزدحمة .

عمارة : أيقصد هذا ؟

قهر : وكيف أعرف ؟

عمارة : ألم يدخل الى هنا أبدا ؟

قهر : منذ ذلك اليوم لم يدخل أبدا .

عمارة : ماذا به ؟

قهر : أراه من وراء الباب . . . ذاهل هو دائما . . . يتسمع ما يقوله الناس

ويشارك من لا يعرفهم الحديث ولا ينظر الى بابى أبدا .

عمارة : عجيب أمره .

قهر : لقد فكرت أن أرسل اليه .

عمارة : ولماذا لم تفعل ؟

قهر : لم تكن أنت هنا .

عمارة : لم أكن أحب اسماعيل .

قهر : ثم ماذا حدث ؟

عمارة : التاجر الذى

قهر : نعم التاجر الذى كنت تحبه .

عمارة : فجعت فيه .

- قهر : هل مات ؟
عمارة : يا ليتته .
قهر : اذن
عمارة : عرفت تجارته .
قهر : ألم تكن تعرفها ؟
عمارة : تاجر رقيق .
قهر : تاجر جوار ؟
عمارة : يباع نفس بشرية .
قهر : فهو اذن تاجر رقيق .
عمارة : ماذا بك ؟ كان الأمر يسيىء اليك .
قهر : ولماذا يسيىء الى ؟
عمارة : يشتري الناس ويبيعهم .
قهر : هذه صناعته .
عمارة : أترضين به زوجا ؟
قهر : انا لا أرضى به زوجا ولو كان الخليفة .
عمارة : اذن فما لك تهللت بالفرح ؟
قهر : أعجبنى أن يخطبنى .
عمارة : وما الذى يعجبك فى هذا ؟
قهر : يا غبى ... ألا تفهم ؟
عمارة : أفهمينى .
قهر : ان الجمال هو بضاعته ... صناعته ... فإذا كان قد اسمرنى
لنفسه ، أفلا يعنى هذا شيئا ؟
عمارة : انك جميلة .
قهر : رأيت ؟
عمارة : أو لم تكونى عارفة أنك جميلة ؟
قهر : فرق بين أن أعرف وبين أن يقول تاجر الجمال انه يريدنى لنفسه .
عمارة : ويلى من النساء .
قهر : والآن ماذا تريدنى أن أفعل ؟
عمارة : أن تتزوجى اسماعيل .
قهر : وهل كنت أنتظر أمرك ؟
عمارة : لا ... ولكنى أردت أن أقول هذا فقط .
قهر : يا لك من غبى .
(يطرق الباب فيذهب عمارة ويقتحمه)

- عمارة : من .. سيدي اسماعيل
- اسماعيل : أنت هنا يا عمارة ؟
- عمارة : تستطيع أن تعتبرني لست هنا
- اسماعيل : بل اني أريدك
- عمارة : تريدني أنا
- اسماعيل : طاب مساؤك يا قمر الزمان
- قمر : الحمد لله أنك ما زلت تذكر اسمي
- اسماعيل : (ذاها) الحمد لله
- عمارة : تريدني قلت
- اسماعيل : نعم
- عمارة : انها هنا وحدها للحظات الله يعلم متى تنتهي ... ألا تزال تريدني ؟
- اسماعيل : قل لي يا عمارة ... هل أنت مسرور ؟
- عمارة : وماذا يهمك ؟
- اسماعيل : أريد أن أعرف هل أنت راض عن هذه الحال هنا في بغداد ؟
- عمارة : العجيب أنني لا أدري ... اننا نحيا في حلم
- اسماعيل : أهو حلم سعيد ؟
- عمارة : لست أدري يا سيدي اسماعيل ولكن يبدو أن الناس تحب أن تظل الأحلام أحلاما والحقائق حقائق
- اسماعيل : أصحيح هذا ؟
- قمر : نعم صحيح
- اسماعيل : هل أنت واثقة يا قمر الزمان ؟
- قمر : الناس يحبون أن تظل الحياة حياة والأحلام أحلاما
- عمارة : غبت عن المقهى فلم أسترح وعدت إليها فشعرت أنني أنففس الهواء الذي يجب أن أنففسه
- اسماعيل : شكرا يا عمارة ... اذهب أنت
- عمارة : أهذا ما كنت تريدني فيه ؟
- اسماعيل : شكرا يا عمارة
- (يخرج عمارة وينهاض اسماعيل على الكرسي)
- قمر : أهذا غبت عن المقهى ؟
- اسماعيل : حسبت الناس ستجن من الفرح

- قهر : وماذا وجدت ؟
- اسماعيل : فرحوا يوما ويومين ثم ...
- قهر : أنت ماذا يهمك ؟
- اسماعيل : يهمني الناس يا قهر الزمان
- قهر : وماذا تستطيع أن تفعل ؟
- اسماعيل : لقد فعلت وأستطيع أن أفعل
- قهر : أنت ... أنت الذى فعلت
- اسماعيل : نعم لقد فعلت
- قهر : فعلت ... ماذا فعلت ؟
- اسماعيل : لم أبع بسرى هذا لأحد ... نعم لقد فعلت
- قهر : كيف ؟
- اسماعيل : لا يهمك كيف
- قهر : كيف لا يهمنى ؟
- اسماعيل : المهم أننى فعلت
- قهر : وماذا تنوى أن تفعل الآن ؟
- اسماعيل : لا أدرى
- قهر : من أنت حتى تغير أقدار الناس !؟
- اسماعيل : حاولت أن أسعدهم
- قهر : انهم لا يحبون سعادة لا يصنعونها بأيديهم
- اسماعيل : حاولت أن أعينهم
- قهر : متى قالوا لك انهم يريدون عونك
- اسماعيل : أطعمت الجائع وكسوت العريان
- قهر : وهدمت الحياة فكسل الكادح ونام اليقظان وكف عن السعى الناس وانعدمت من الحياة معانى الحياة
- اسماعيل : لقد كف نور الدين عن قول الشعر
- قهر : الناس لا تقول الشعر فى حياة راکدة
- اسماعيل : وكف الناس عن العمل
- قهر : ولماذا يعملون !؟
- اسماعيل : لقد هيات لهم كل ما كان يسعون اليه
- قهر : فهم لا يسعون
- اسماعيل : أعيد الحياة كما كانت ؟
- قهر : جريمة أكبر

اسماعيل : (مذعورا) ماذا . . . ماذا قلت ؟

قهر : لقد رأوا أحلامهم وهي حقيقة . . . انهم يفجعون في هذا النوع من الحياة ان زال عنهم .

اسماعيل : ولكنهم غير راضين عنه .

قهر : ولكنهم تعودوه .

اسماعيل : لماذا لا ترجع الأحلام أحلاما كما كانت ؟

قهر : لأنها أصبحت حقيقة .

اسماعيل : ماذا فعلت ؟

قهر : مسكين أنت ، لقد تلاعبت بحياة الناس فلا بد أن تحمل وزرك .

اسماعيل : ماذا أفعل ؟

قهر : لو كنت فقيرا وأردت أن تنزوج مني وسألتني ماذا أفعل لقلت لك

نسعى معا ولتعض بنا الحياة الى غاياتها ، أما الآن وأنت تجعل من

نفسك منظما للحياة فعليك وحدك أن تجد الحل .

اسماعيل : أقتل نفسي ؟

قهر : هروب . . . وهروب لا يفيد .

اسماعيل : قهر الزمان هل بوسعك أن تكنمي سرى هذا ؟

قهر : أما هذا فلست بحاجة أن تقوله لي فما كنت لأذيع سرا أودعتني أنت

أمانته .

اسماعيل : يارب ماذا أفعل ؟

قهر : لا ملجأ لك الا هو .

اسماعيل : يارب .

(تطلقا أضواء البيت ويضاء النور على المقيهي)

التاجر : يا عمارة .

عمارة : يا ميمون اذهب الى هذا الرجل ، فانظر ماذا يريد ؟

(ميمون يذهب الى التاجر)

ميمون : أمرك يا سيدي .

التاجر : أريد عمارة .

ميمون : وأنا لا أنفع .

التاجر : يا ليتك يا بني كنت تنفع .

ميمون : أمسرك .

(يذهب ييهون الى عمارة)

- ميهون : انه يريدك أنت
- عمارة : وأنا لا أريده
- ميهون : وهل هذا شغل !؟
- عمارة : هكذا اشتغل أنا
- ميهون : ولكن عملنا هنا أن تطيح أوامر الزبائن
- عمارة : والله لم يبق الا هذا ••• أتعلمي أنت الشغل هنا !؟
- ميهون : هذا لا يحتاج الى تعليم
- عمارة : طيب ••••• أمرك

(يذهب عمارة الى التاجر)

- عمارة : وبعذك ••• يا سيدي أنا لا أريد أن أكلمك
- التاجر : اقعد
- عمارة : قل لي ••••• لماذا تريدني أنا بالذات أن أتكلم في هذا الموضوع
- التاجر : ألم تفهم ؟
- عمارة : الذي أفهمه أنك تاجر عظيم ، وأنت تستطيع أن تتقدم الى أبي قمر وتخطبها دون هذه المقدمات السخيفة مع صبي المقهى
- التاجر : ألم تفهم !؟
- عمارة : لا وربك لم أفهم
- التاجر : عجيبه !
- عمارة : بل العجيبة أنك تريدني أن أفهم أشياء لم تقلها
- التاجر : لم أقلمها ، لأنى واثق أنك ستفعلها
- عمارة : ما هي ؟
- التاجر : الاجراءات اللازمة
- عمارة : وما هي ؟
- التاجر : ألم تعلمها ؟
- عمارة : أنا على كل حال لن أعمل شيئاً لصالحك أبداً
- التاجر : حتى وان كنت سأقدم اليك جارية هدية
- عمارة : آه ••• هذا اذن هو العرض الجديد
- التاجر : ما رأيك
- عمارة : ياعم الله افتح عليك ••• أتريدني أنا أن أملك جارية !؟
- التاجر : وماله ••• الغذاء والكساء مكفولان والحمد لله وأنت شاب في ريعان الشباب •••

- **عمارة :** (مقاطعا) اسمع أنا لن أصنع شيئا لصالحك أبدا .
- التاجر :** طيب اترك هذه الحكاية الآن أفهمت أولا لماذا كلمتك أنت ولم أتكلم أبها ؟
- **عمارة :** لا وحياتك لم أفهم .
- **التاجر :** قدرت أنك لن تكلم أبها حتى تسألها هي أولا .
- **عمارة :** آه .
- التاجر :** هل سألتها ؟
- عمارة :** أتريدني اذن أن أكون عامل بريد الغرام !؟
- التاجر :** مجرد سؤال
- **عمارة :** ان أبها
- **التاجر :** دع أبها
- **عمارة :** انه هو الذى
- التاجر :** يا بنى أنا تاجر أتظننى لا أعرف كيف يخطب الناس زوجاتهم !؟
- عمارة :** فلماذا لا تتركنى اذن ؟
- التاجر :** يا بنى تاجر الجوارى يعرف أسرار النساء أنا لا أضمن أن أتزوج فتاة لا تريد هي الزواج منى .
- **عمارة :** هذا اذن ما كنت تريده منى ؟
- **التاجر :** وما أزال أريده .
- عمارة :** اسمع أيها الرجل ان لم تترك هذه المقهى فى الحال سأفضح أمرك للزبائن أجمعين .
- التاجر :** أتهديد هذا ؟
- عمارة :** لن تقوم اذن ؟
- **التاجر :** اننى أستطيع أن أشتري هذه المقهى بزبائنها .
- **عمارة :** (بصوت مرتفع) تاجر أنفس بشرية .
- (يلتفت الزبائن ويستمر)
- **عمارة :** تاجر جوار .

(بنتية الزبائن ويقدمون اليه في بشاشة وترحيب)

أحدهم : ماذا ؟

آخر : تاجر الأنس والصفاء .

عمارة : ماذا .

(يخرج اسماعيل فيجد الزبائن مجتمعين على التاجر)

اسماعيل : عمارة . . . ماذا يصنع هؤلاء ؟

عمارة : يشترون الجوارى .

اسماعيل : ماذا ؟

عمارة : طبعا ما دام الغذاء والكساء قد توفر لهم فماذا يصنعون ان لم

يشتروا الجوارى ؟

اسماعيل : غفرانك يارب . . . أهذا ما صنعت ؟! أهذا ما صنعت ؟!

سستار

● الفصل الثالث

(المقيى . اسماعيل على احد المناضد ذاهلا ، الوقت ليل والظلام يكاد يكون دامسا . وكراسى المقيى ومناضدها مكمومة فى احد الجوانب)

اسماعيل : ماذا فعلت ؟ ! ماذا فعلت ؟ !

(يفتح باب البيت لتخرج منه قهر الزمان)

قهر : من من هنا ؟

اسماعيل : ماذا فعلت يا قهر !؟ ماذا فعلت ؟ !

قهر : اسماعيل أما زلت هنا ؟

اسماعيل : ألم تتوقى أن تجدينى .

قهر : لا أدرى يخيل الى أننى توقمت .

اسماعيل : ماذا فعلت يا قهر !؟

قهر : لعبت بالحياة .

اسماعيل : فانتقمت منى الحياة .

قهر : هكذا تفعل بكل من يلعب بها .

اسماعيل : أنت لا تعرفين كم أتعذب .

قهر : بل أعرف فما خرجت الآن ، الا لأننى توقعت ان أجدك تتعذب

وحدك هنا .

اسماعيل : وبعد يا قهر ؟

قهر : كم أتمنى أن أجد سبيلا لاجابتك .

اسماعيل : لماذا لا أعيد الناس الى ما كانوا عليه ؟

قهر : يتركون هذه الحياة الوادعة الهائنة ، ليعودوا الى الكد والتعب

والقلق .

اسماعيل : ولكنهم يضيقون بهذه الحياة الوادعة الهائنة .

قهر : لأنهم يحيون فيها .

- اسماعيل : فهذا خير لهم وهم لا يعلمون
- قهر : بل الخير لهم أن يختاروا هم حياتهم
- اسماعيل : لقد حرت معك
- قهر : لقد اخترت أنت لنفسك هذه الحيرة
- اسماعيل : فلأتركهم اذن يعودوا الى الحياة التي اختاروها ؟
- قهر : لقد أصبحت هذه الحياة التي صنعتها لهم جزءا من الاختيار . . . انها حياة كانوا يحملون بها ، ولم يتوقعوا أن توجد لهم حقيقة ، أما وقد وجدت فسيظلون اذا ذهب عنهم يتوقون الى العودة اليها
- اسماعيل : ولكنهم كرهوها . . . مقتوها . . .
- قهر : لأنهم أصبحوا لا يعملون
- اسماعيل : ولا يقلقون أيضا
- قهر : من قال لك انهم لا يحبون القلق ؟
- اسماعيل : أياحب الناس القلق !؟
- قهر : اذا نجوا منه وصلوا الى الأمان
- اسماعيل : فحياتهم اليوم أمان
- قهر : ولكنه أمان بلا قلق
- اسماعيل : هل هناك أمان مع القلق !؟
- قهر : لا بد من القلق ، حتى نشعر بالأمان . . . لا لذة للأمان إذا لم يسبقه قلق ، اذا لم يوجد القلق بحث عنه الناس . . . القلق هو الذي يحركهم هو عنصر الحياة في حياتهم
- اسماعيل : ماذا فعلت !؟ ماذا فعلت !؟
- قهر : لا بد أن تفعل شيئا غير هذا السؤال الذي تكرره دائما
- اسماعيل : انك تقفلين أمامي الطرق
- قهر : أي الطرق ؟
- اسماعيل : أنا الآن لا أملك الا واحدة من اثنتين : اما أن يظل الناس كما هم ، وهذا ما لا أحتمل ، واما أن يعودوا الى ما كانوا
- قهر : وهذا ما لا يحتمل الناس
- اسماعيل : لكم أتمنى يكون هذا الذي أنا فيه حلما ثقيلنا ضاريا ثم اصحو فاذا كل ما كان فيه أضغاث وخرافة
- قهر : اسماعيل
- اسماعيل : ماذا ؟

- قهر : ألا تستطيع . . . لا . . . لا أعلن .
- اسماعيل : ماذا ؟ قولي .
- قهر : ما أحسب هذا ممكنا .
- اسماعيل : قولي لعلمي أستطيع أن أجعله ممكنا .
- قهر : لا . . . لا يمكن .
- اسماعيل : وهل هذا الذي نحن فيه كان ممكنا 1؟
- قهر : نعم . . . ولكن .
- اسماعيل : قولي .
- قهر : لقد أوشك الفجر أن يظهر .
- اسماعيل : وما صلة هذا بما نحن فيه ؟
- قهر : اسمع . . . هل تستطيع أن تجعل الناس ينسون هذه الأيام التي عاشوها في ظل حياتك الجديدة ؟
- اسماعيل : ماذا ؟
- قهر : اذا فعلت خرجت من هذه الكارثة .
- اسماعيل : لا أدري . . .
- قهر : اذن فحاول .
- اسماعيل : اسمعي سترينني أتكلم وحدي . . . أتخافين ؟
- قهر : لا
- اسماعيل : ليكن اذن .
- (يخرج اسماعيل الصباح من جيبه ، ويهر يده عليه ، فياتي خادم الصباح ويجلس في هدوء الى جانب اسماعيل)
- اسماعيل : قل لي .
- الخادم : تحت أمرك .
- اسماعيل : طبعاً . أستطيع أن توقف الغذاء والكساء من التوزيع .
- الخادم : طبعاً .
- اسماعيل : طبعاً . . . فقطع الخير أسهل من مواصلته .
- قهر : هل كان خيراً ؟
- اسماعيل : لا أدري .
- قهر : أمازلت لا تدري ؟
- اسماعيل : النهاية (يلتفت الى الخادم) أيمن أن تجعل الناس ينسون هذه الأيام التي كانوا يتلقون فيها الغذاء والكساء ؟

- الخدام : ماذا ؟
- اسماعيل : هل تستطيع ؟
- الخدام : كل الناس ؟
- قهر : لا . لا يا اسماعيل . . . ليس كل الناس .
- اسماعيل : كيف ؟
- قهر : يجب أن نظل أنا وأنت متذكرين .
- اسماعيل : ماذا ؟
- قهر : لو نسيت هذه الأيام ستحاول التجربة مرة أخرى .
- اسماعيل : لا . لا . . . أبدا .
- قهر : تقول هذا ، لأنك عرفتتها ولكنك ان نسيت فمن يدري .
- اسماعيل : هيه . . ماذا قلت ؟
- الخدام : أستطيع أن أجعل الناس جميعها تنسى .
- اسماعيل : أستطيع أن تتركنى أنا وقهر .
- الخدام : أستطيع أن أترك هذا البيت .
- اسماعيل : البيت جميعه ؟
- قهر : البيت جميعه لا .
- اسماعيل : ماذا قلت ؟
- قهر : لو ظلت أمى ذاكرة جنت .
- اسماعيل : كيف ؟
- قهر : قد يستطيع أبى أن ينسى ولو أنه أسعد شخص بما حدث أما . . .
- اسماعيل : تقولين ان أباك أسعد شخص بما حدث ؟
- قهر : طبعاً .
- اسماعيل : كيف ؟
- قهر : الناس لا يتركون المقهى صباح مساء فكيف لا يكون سعيداً ؟
- اسماعيل : ولكن ألا يهمه تعاسة الناس ؟
- قهر : بل تهمة المكاسب التى يجنيها لقد ربح فى هذه الأيام ما لم يجمعه فى شهور .
- اسماعيل : عجيبة هذه الحياة . . . كل طريق فيها ينتفع به ناس ويضر به آخرون .
- قهر : أهذا وقت تفلسف ؟! قد أستطيع أن أقنع أبى ، وقد يرى من الحكمة أن ينسى ، فهو تاجر ويخشى أن يظن الناس به الجنون ، أما أمى فلا حيلة لى معها لا بد أن تنسى مع الناس ، والا صدقت على كلام أبى وجن كلاهما معا .

اسماعيل : وكيف تجعلين أباك في مكان وأمك في مكان ؟
قهر : لا أدري .

اسماعيل : لابه من حل سريع . . الفجر يقترب ويجب أن ننتهي من هذا الأمر فوراً .

قهر : اسأل صاحبك ، متى يجعل الناس ينسون ؟

الخادم : أستطيع ذلك في أي وقت أريد .

اسماعيل : في أي وقت ؟

قهر : سأحاول محاولة . . . ستخرج أمي الآن لا تجعلها تراك .
الخادم : لن تراك .

(تدخل قهر الى بيتها وتغير المسرح وتدخل من الباب وما تلبث أن تعود ومعها أمها وعلى أمها آثار النوم)

جهالات : ما الذي أيقظك الآن ؟

قهر : هذا لا يهم الآن المهم أن تذهبي الى الكوخ .

جهالات : ماذا أفعل ؟

قهر : سيوزعون الخبز هناك اليوم .

جهالات : لماذا ؟

قهر : أتريدين أن ترفضى دعوة من بسم الله الرحمن الرحيم ؟

جهالات : لا . . . لا . . . وهل أستطيع ؟

قهر : اذن .

جهالات : أقول لأبيك ونذهب معا .

قهر : ولكن أبى لن يذهب معك .

جهالات : لماذا ؟

قهر : متى رأيتَه يصدق الكلام عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟

جهالات : آه . . صدقت . . . رأسه كالصخر . . . طول عمره لا يسمع

كلامي في أى شيء . . . تصورى قلت له يوماً . . .

قهر : ماذا جرى يا أم هل ستتركين بسم الله الرحمن الرحيم ينتظرون

وتروين لى عن أبى ؟

جهالات : آه . . . نسيت . . . اذن أذهب . . . أضغ هدى على وأخرج .

قهر : أى هدى ؟ هل سينتظرون ؟

جهالات : أخرج هكذا ؟

قهر : من سيراك ؟

جهالات : على رأيك . . . أذهب هكذا .

جهالات : اخرج هكذا ؟

جهالات : تأنين معى طبعاً ؟

قهر : ماذا ؟! وأنا ماذا أفعل معك ؟!

جملات : أذهب وحدي ؟!

قهر : أليس هذا خيرا من أن يستيقظ أبى ، فلا يجد أحدا منا هنا ؟

جملات : (فى شىء من الخوف) أذهب وحدي .

قهر : لن تكونى وحدك ... ستكون نساء كثيرات .

جملات : أوأثقة أنت ؟

قهر : كل الثقة .

جملات : أذهب .. لاجظى أباك ... قولى له ان صحا اننى عائدة توا .

قهر : سأفعل ... اذهبي .

جملات : ذاهبة ... ذاهبة ... الله لا اله الا هو الحى القيوم .

(تخرج جملات الى المقهى ، ولا ترى اسماعيل ، تهفى الى خارج المسرح

وتخرج قهر)

قهر : اسماعيل ... اسماعيل ... أين أنت ؟

الخدوم : هل أجعلها تراك ؟

اسماعيل : هل أنت مخفيينى ؟!

الخدوم : نعم .

اسماعيل : لا يهم ... هل نبدأ الآن ؟

قهر : اسماعيل .

(تراه حيث تركته)

هذا أنت أين كنت .

اسماعيل : لا يهم ... هل نبدأ الآن ؟

قهر : اذا شئت ... أستطيع دائما أن أجعل أمى تفعل ما أريد ...

أما أبى

اسماعيل : هل هو بالداخل ؟

قهر : ان أبى لن ينسى .

اسماعيل : سيجعله الناس ينسى .

قهر : كم كنت أتمنى ألا أعرضه لهذه التجربة .

اسماعيل : لقد أردت لنا أن نذكر .

قهر : ولا بد لنا أن نذكر .

اسماعيل : ألا تستطيعين ابعاد أبيك ؟

قهر : لو كنت أستطيع ما تأخرت .

اسماعيل : فلا حيلة لنا اذن .

قهر : لا حيلة لنا .

- اسماعيل : اذن نبدا
- الخادم : أنا تحت أمرك
- اسماعيل : هل ستبذل مجهودا كبيرا فى هذا العمل ؟
- الخادم : لا شىء فى أرضكم يكلفنا نحن مجهودا كبيرا
- اسماعيل : اذن افعل ... ولا داعى لهذا الغرور ... فلا شك أن لكم
- متاعبكم
- الخادم : ليس العمل من متاعبنا على أية حال
- اسماعيل : فما متاعبكم ؟
- الخادم : شرها جميعا العبودية
- اسماعيل : أى أنواع العبودية ؟
- اسماعيل : أن أكون عبدا لشيء
- الخادم : هل أنت عبد لشيء ؟
- اسماعيل : أنا عبد لهذا المصباح
- الخادم : فما الذى يطلقك من هذه العبودية ؟
- اسماعيل : تستطيع أنت تطلقنى
- الخادم : أنا ... كيف ؟
- اسماعيل : تعطينى حريتى
- اسماعيل : أنا ؟!
- الخادم : نعم ... أنت
- اسماعيل : أملك أنا حرية أحد ؟!
- الخادم : حريتى
- اسماعيل : فهى لك
- الخادم : الآن ؟
- اسماعيل : طبعاً .. بعد أن تنتهى من هذه المأمورية الأخيرة
- الخادم : (يشير بحركة بيده ثم يلتفت إليه) لقد انتهت
- اسماعيل : فأنت حر
- الخادم : شكراً
- اسماعيل : انتظر ... وهذا ماذا أفعل به ؟
- الخادم : المصباح ... لقد رجع مصباحاً عادياً يضىء !
- اسماعيل : لقد أصبح ذا فائدة حقيقية
- الخادم : وداعاً
- اسماعيل : وداعاً
- (يخرج الخادم ويغور النور المسرح)
- اسماعيل : طلع الصبح يا قمر

- قهر : يا برى ماذا سيصنع الناس ؟
- اسماعيل : سيعودون الى ما كانوا عليه .
- قهر : ترى هل استطاع الخادم أن ينسيهم حقاً ؟
- اسماعيل : الذى استطاع أن يفعل كل هذا الذى فعل لا يعجزه شيء .
- قهر : كان عليك أن تجعله ينتظر حتى تتأكد .
- اسماعيل : هؤلاء لا يكذبون .
- قهر : نعم صدقت . هؤلاء لا يكذبون .
- اسماعيل : أخاف أن يشقى الناس يا قهر الزمان .
- قهر : ألم تتبين بعد أن الناس يسعدون بشقائهم ؟
- اسماعيل : ان أحدا لا يسعد بشقائه .
- قهر : ان التغلب على الشقاء سعادة .
- اسماعيل : ومن لا يتغلب ؟
- قهر : ليست طريقتك هي المثلى على كل حال .
- اسماعيل : فما هي الطريقة
- قهر : لست أدري ولكن لابد أن يكون العمل فيها هو الأساس .
- اسماعيل : اذن فماذا أفعل ؟
- قهر : اجعل .
- اسماعيل : ماذا
- قهر : قم بعملك واتقنه ودع الخليفة يفكر فى شؤون الناس
- اسماعيل : ان الخليفة لا يفكر الا فى خزائنه وفى توسيع ملكه .
- قهر : فدع الزمن يرعى شؤون الناس .
- اسماعيل : ان الزمن هو الذى يقسو على الناس .
- قهر : فدع الناس يسيرون الزمن ويغيرون الخليفة .
- اسماعيل : الناس
- قهر : انها مشكلتهم . فهم وحدهم المسئولون عن اصلاحها .
- اسماعيل : ولكنهم مساكين .
- قهر : مساكين ، لأنهم لا يواجهون مشاكلهم . . . انهم هم أكبر قوة فى بغداد لو أرادوا لسيروا الزمن والخليفة ولكنهم سبكتوا للزمن وخضعوا للخليفة .
- اسماعيل : انهم ازاء قوة لا قبل لأحد بها .
- قهر : انهم أقوى .
- اسماعيل : لقد عجزت القوى الخفية التى سخرتها لهم أن ترضيهم
- قهر : لأنهم يريدون أن يعملوا .
- اسماعيل : فمالهم لا يعملون على تحسين حالهم .

- قمر : لأن كل فرد فيهم يفكر في نفسه ولا يفكر في المجموع .
اسماعيل : أنا فكرت في المجموع .
- قمر : ولكنك لم تشرك المجموع في العمل الذي قيمت به .. لقد فرضت عليهم غذاءك وكساءك .
- اسماعيل : نعم عليهم أن يختاروا ... عليهم هم أن يصنعوا حياتهم .
قمر : لهذا خلقت لهم الحياة ليصنعوها هم ... بتفكيرهم بعملهم .
اسماعيل : حاولت ..

(تدخل جمالات المسرح هالعة خائفة وتتقدم الى قمر)

- جمالات : قمر ابنتي .. هل انا حقا في بيتي !؟
قمر : في بيتك يا أم ... نعم في بيتك .
جمالات : لماذا خرجت يا قمر !؟ أين ذهبت !؟
قمر : (تنظر الى اسماعيل) خرجت ... خرجت ... لا أعرف يا أم ...
ألا تعرفين أنت لماذا خرجت ؟
- جمالات : خرجت ... لقد وجدت نفسى خارجة ...
قمر : (فى ضحك) ماذا ؟ ماذا تقولين يا أم ؟
- جمالات : وجدت نفسى فى الطريق هكذا بلا مناسبة ... بهدومي هذه ..
وقفت فى الطريق أسأل نفسى لماذا خرجت والى أين أنا ذاهبة فلم
أستطع أن أجد الجواب .

- اسماعيل : لا بأس عليك يا أم قمر .
- جمالات : أنت هنا يا اسماعيل ... الا تعرف يا بنى لماذا خرجت ؟
قمر : لعلك يا أم قد خرجت لتحضرى العيش .
- جمالات : العيش ... العيش يأتينا كل يوم دون أن أخرج له .
قمر : يأتينا ... ! (تنظر الى اسماعيل)
- جمالات : طبعاً ... ماذا بك هل جننت !؟
قمر : يأتينا يا أم ؟
- جمالات : نعم يأتى به الخبز ويأخذ أجره كل أسبوع .
قمر : آه ... حسبت أنه يأتينا بلا ثمن .
- جمالات : بلا ثمن ... أهنأك شىء بلا ثمن ؟ هل جننت ؟
اسماعيل : اذن فلماذا خرجت يا أم قمر ؟
- جمالات : هذا ما يخبرني يا اسماعيل يا بنى .
قمر : على كل حال يا أم سليمة والحمد لله .

جماليات : تقولين سليمة ... أأجن وتقولين سليمة ؟
قهر : لملك يا أم أردت أن تتمشى قليلا قبل أن يزحم الناس الشوارع .
جماليات : لعننى ، ولكن لماذا نسيت سبب خروجى ؟
قهر : على كل حال يا أم لا داعى للقلق فها قد عدت وأنت بخير
والحمد لله .

جماليات : أأخرج وحدى ولا
قهر : (تقاطعها) أم لا تعيدى هذا الحديث .
جماليات : أأجن وحدى ... لا بد أن أقول .
قهر : خير لك ألا تعيدى هذا الحديث فما أظن أبى يسره أن يعرف أنك
خرجت بهذه الملابس فى عرض الطريق ودون سبب مفهوم .
جماليات : (وكأنها أدركت الموقف) ماذا ... ماذا قلت ...
قهر : أى عذر ستقدمينه لأبى ؟

جماليات : (فى لجلجة وسرور وخفر) نعم ... نعم ... لك حق ... انه
يفار على ... يفار بجنون ... أتصدق يا اسماعيل أنه يفار على
غيرة عمياء ... لو نظرت من الباب أو من الشباك ثار وزمجر
وأوشك أن يقتلنى قتلا ... منذ بضعة شهور جاء الى ...
قهر : يا أم أهذا وقته !؟ ادخلى الآن الى البيت قبل أن يصحو أبى وقبل
أن يأتى الزبائن الى القهوة .

جماليات : صدقت ... أحكيها لك فى يوم آخر يا اسماعيل .
اسماعيل : كم أنا مشتاق الى سماعها .

(تدخل جمالات)

اسماعيل : رأيت لقد صدق الخادم وعده ؟
قهر : ولكن المصاعب ما زالت أمامنا .
اسماعيل : المصاعب .. أية مصاعب ؟
قهر : أبى .

(صوت أبى الحسن ينادى من الداخل)

أبو الحسن : جمالات ... جمالات .

(تدخل قهر الى بيتها ويجلس اسماعيل الى منضدة فى المقهى وتسمع
للحديث)

جماليات : نعم يا أبا الحسن ... هانذا قادمة .

(يظهر أبو الحسن فى قاعة بيته)

أبو الحسن : أين أنت ؟ وما الذى أيقظك من فجر الله ؟
جماليات : هكذا أصحو كل يوم .

أبو الحسن : كان هذا فى الزمن الماضى أما منذ أصبح الغذاء والكساء
يجيئنا وحده دون سعى فنحن

جماليات : ماذا !؟ ماذا !؟

أبو الحسن : ألم تسمى ما قلت ؟

جماليات : سمعت ولكنى لم أفهم .

أبو الحسن : ألا يأتينا غذاؤنا وكساؤنا دون سعى ؟

جماليات : أشربت شيئا فى أمسك !؟

أبو الحسن : ولا فى يومى .

جماليات : فما الذى تقول !؟

أبو الحسن : أقول ما يحدث .

(يأتى عمارة الى المقهى ويبدأ فى ترتيب الكراسى)

عمارة : صباح الخير يا سيد اسماعيل . . . يا أهلا .

اسماعيل : أهلا عمارة .

(يعود عمارة الى تنظيم الكراسى ويعود اسماعيل الى التسمع)

قهر : هل أنت واثق يا أبى مما تقول ؟

أبو الحسن : ماذا ؟ وأنت أيضا . . .

قهر : ولكنه يا أبى شىء لا يعقل .

جماليات : (تبكى) يا بنتى المائل . . . يا فضيحتى أمام الناس . . . جن

الرجل ولا حول ولا قوة الا بالله .

قهر : انتظرى يا أم . . . لعله يا أبى كان حلما .

أبو الحسن : يكون حلما لو كان مرة واحدة أو يوما واحدا . . . ولكنه

استمر لأيام وأيام .

جماليات : (باكية) يا مصيبتى . . . مصيبة لم يعرفها عدو ولا حبيب .

قهر : يا أبى فكر فيما تقول .

أبو الحسن : أفكر . . . كان الغذاء يأتينا كل يوم فى مواعيده وكان

الكساء يأتينا أيضا وكان يأتى الناس جميعا وكانت المقهى مزدحمة

بالرواد لا يخلو فيها كرسي طول اليوم حتى الليل المتأخر وغاب عمارة

فاستأجرت صبيا آخر اسمه ميمون .

جماليات : يا خيبتى . . . يا سواد أيامى . . .

قهر : لعلك يا أبى كنت تحلم .

جماليات : لعلك كنت تحلم يا أبا الحسن . . . لعلك يا حبيبتى كنت تحلم .

أبو الحسن : أحلم . . . عظيم . . . كنت أحلم . . . فإذا كانت ثروتى فى
هذه الأيام قد بلغت مائتى دينار أكون هذا حلما ؟
جماليات : لا . . . ان كانت زادت حقا . . . لا يكون حلما . . . هل زادت.
يا أبا الحسن ؟
أبو الحسن : انتظرى حتى أحضرها .

(تخرج مهر الى اسماعيل)

قهر : هل سمعت ؟
اسماعيل : ماذا سنفعل ؟
قهر : اسمح . . . عليك أن توافق على كل ما أقوله .
اسماعيل : هل ستقولين شيئا ؟
قهر : سترى .
اسماعيل : ماذا ستقولين ؟
قهر : سترى . . . عليك أن توافق . . . فقط عليك أن توافق

(تدخل)

جماليات : رأيت ؟
قهر : انتظرى يا أم لا تتعجلى .

(يدخل أبو الحسن)

أبو الحسن : ان كل ما رأيته حلما . . . فهل هذه الدنانير حلم أيضا ؟
جماليات : (تنتفض) أرنى .
أبو الحسن : انظرى . . . امسكى . . . المسى . . . شمسى . . . ضعى هذه
الدنانير بين أسنانك وامضغيها حتى تنكسر أسنانك .
جماليات : قمر الزمان . . . اكان حلما أم حقيقة ؟
قهر : طبعاً يا أبى هذه الدنانير غير المائتى دينار التى أعطيتها لك .
أبو الحسن : ماذا ؟ هل أعطيتنى أنت مائتى دينار ؟
قهر : ماذا ؟ هل نسيت يا أبى ؟ المهر الذى أعطاه لى اسماعيل
لأسلمه لك .

جماليات : أخذت مهر البنات ولم تقل لى .
أبو الحسن : أنا يا قمر أخذت مهرك .

قهر : وهل هذا المبلغ ينسى يا أبى ؟ لفته تجاه اسماعيل ولم يجدها
ولا وجد أسمى وخاف أن يضيع منه المهر فتركه معي .

أبو الحسن : هل جننت !

قهر : الفتاة لا تنسى أن مهرها دفع .

جماليات : وأنت تخلط بين الحلم والحقيقة .

أبو الحسن : ألا تصدقيني !؟

جماليات : أصدق الرجل الذي يقول ان الغذاء والكساء كان يوزع على الناس

جميعهم بلا ثمن أهذا كلام يصدق !؟ لقد اختلط عقلك

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أبو الحسن : وهذا المال !؟

جماليات : مهر البنت أخذته وتريد أن تأكله .

أبو الحسن : هل جننت !؟

جماليات : أنا التي جننت أم أنت الذي تريد أن تأكل مهر بنتك وتحاول

أن تخدعنا بهذا الخرف الذي تقول ؟

أبو الحسن : أنا يا بنتي أخذت مهرك .

قهر : انتظر يا أباي .

(تخرج ونشأى اسماعيل)

قهر : اسماعيل تعال .

(يدخل اسماعيل الى البيت)

اسماعيل : صباح الخير يا عم أبا الحسن .

أبو الحسن : أنت يا بني

قهر : (مقاطعة) اسماعيل ألم تأت هنا يوم الاثنين الماضي ؟

اسماعيل : أنا أجيء كل يوم .

قهر : ولكنك يوم الاثنين أعطيتني المائتي دينار . وقلت انها مهرى وطلبت

منى أن أعطيها لأبي ؟

اسماعيل : أنا . . . أنا . . . نعم . . . نعم

أبو الحسن : ومن أين أتيت بهذه الدنانير ؟

اسماعيل : أتيت بها . . . أتيت بها .

قهر : مالك لا تقول ، وما العيب في هذا . . . ما العيب في أن تأخذ

مائتي دينار من الخليفة .

أبو الحسن : الخليفة !؟

- قمر : سمع أنه يريد أن يتزوج ولا يملك مالا فأعطاه هذه الدنانير
- أبو الحسن : من الخليفة يا اسماعيل ؟
- اسماعيل : (وقد استرد نفسه) اسمع يا عم أبا الحسن
- أبو الحسن : نعم يا سيدي قل
- اسماعيل : عندي اقتراح
- أبو الحسن : ماذا ؟ أدفع لك فوقها مائتي دينار ؟
- اسماعيل : لا . . . أنا أريد قمر الزمان بلا جهاز خذ المائتي دينار
- وزوجني قمر الزمان

جماليات : ماذا تقصد ؟

- اسماعيل : ألم تقهمني يا خالتي أم قمر
- جماليات : فهمت التسوم واللوم . . . تريد ابنتي أن تتزوج بلا جهاز
- قمر : وأنت ماذا يفضبك يا أم مادام اسماعيل يريد ذلك ؟
- جماليات : والناس ماذا تقول الناس ؟
- اسماعيل : وما للناس ولنا يا خالتي أم قمر
- أبو الحسن : اذن فأنت دفعت مهر البنت ؟
- اسماعيل : وطبعاً حين نعقد العقد سأدفع لك المهر الرسمي
- أبو الحسن : فهذه الدنانير هي مهر البنت ؟
- اسماعيل : وأريدها بلا جهاز
- أبو الحسن : اذن
- اسماعيل : بارك الزواج يا عم أبا الحسن . . . توكل على الله
- جماليات : وبلا جهاز ؟

- أبو الحسن : اذن فقد كان حلماً . . . عمارة . . . عمارة . . . عمارة تغييب
- عن المقهى وأحضرت بدلا منه ميمون
- قمر : عمارة في الخارج يصف الكراسي
- أبو الحسن : عمارة في الخارج

(يخرج الى المقهى ويتبعه ثلاثتهم)

- أبو الحسن : عمارة
- عمارة : نعم يا عم أبا الحسن
- أبو الحسن : أين كنت يا ولد ؟
- عمارة : في بيتنا يا عم أبا الحسن
- أبو الحسن : كل هذه الأيام

- عمارة : أى أيام ياعم أبا الحسن ؟ لقد كنت هنا أمس
- أبو الحسن : أمس ! أمس ياعم عمارة !
- عمارة : ماذا جرى لك ياعم أبا الحسن ... ألم أسلمك ايراد المقهى أمس
- قبل أن ألم الكراسى
- أبو الحسن : وكم كان ايراد المقهى ؟
- عمارة : دينار وعشرة دراهم
- أبو الحسن : كنت هنا أمس يا عمارة ؟!
- عمارة : سلامتكم ياعم أبا الحسن
- جمالات : اسمع ... نصف مهر البنت لك والنصف لى
- أبو الحسن : اذن فقد كان حلما

(يدخل الى بيته ويعبر القاعة ذاعلا ويخرج من المسرح وتبته جمالات)

- جمالات : نعم ... أظن لم تسمعنى ... النصف لك والنصف لى
- (تخرج وراءه)

- قهر : نفعت الحيلة
- اسماعيل : لولا أننى ألهمت أن أترك له المهر ما قبلت الزواج منك
- قهر : نعم كان هذا الهاما ... أنت رائع يا اسماعيل ...
- (يمر الناس بالمقهى مسرعين - كما كانوا فى الفصل الأول - ولا يجلس احد على المقهى . ثم يدخل التاجر)
- اسماعيل : انما أنت الرائعة ... ان الفكرة كلها فكرتك ... ولكنى
- خجل

قهر : لمساذا ؟

- اسماعيل : سأتزوجك بلا مهر
- قهر : بل ان مهرى هو أغلى مهر تطمع فيه عروس
- اسماعيل : أنا لم أقدم المائتى دينار كما تعلمين
- قهر : ولكنك قدمت حيك
- اسماعيل : كلام شعراء
- قهر : ألا تحب كلام الشعراء ؟
- اسماعيل : ترين أيعود نور الدين الى الشعراء ؟
- عمارة : أنت جئت ... أهلا وسهلا
- التاجر : أهلا بك .. هات القهوة
- عمارة : أتريد القهوة حقا أم ندخل فى الموضوع مباشرة ؟

- التاجر : كما تحب
- عمارة : طبعا أنت تريد القهوة لفتح الحديث معي وأنا مستعد للحديث
- دون مقدمات
- التاجر : مستعد !
- عمارة : دون لف أو دوران ... قالت أقبله لو عرفت فيما يتاجر
- التاجر : اذن فلا فائدة
- عمارة : أنت حر
- التاجر : أمرى لله ... أنا تاجر جوار
- عمارة : جوار !؟
- التاجر : نعم
- عمارة : أنفس بشرية !؟
- التاجر : هي جوار على كل حال
- عمارة : اذن خُذ
- التاجر : ماذا ؟
- عمارة : كيس النقود الذى أخذته منك (يبحث عن الكيس) الكيس ...
- أين الكيس لقد كان معي ؟
- التاجر : تقصد هذا الكيس ؟
- عمارة : أهو معك ؟
- التاجر : وجدته اليوم فى جيبي
- عمارة : فهو لك
- التاجر : والذى بيننا ...
- عمارة : ليس بيننا شيء ولن يكون بيننا شيء
- اسماعيل : قمر ألا ترين أن نخرج ، لنرى الناس ماذا يفعلون ؟
- قمر : لقد عادوا الى حياتهم
- اسماعيل : لابد أن أتأكد
- قمر : اخرج اذا شئت
- اسماعيل : ماذا ستفعلين ؟
- قمر : سأبقى مع أبى أقنعه ان عاد اليه الشك
- اسماعيل : خيرا تفعلين
- (يتجه اسماعيل للخروج)
- (تبخل قمر الى البيت)

التاجر : يا بنى فكر .

عمارة : تعال يا سيد اسماعيل .

اسماعيل : ماذا تريد يا عمارة ؟

عمارة : لحظة اذا أذنت .

اسماعيل : (يتقدم اليه) ماذا ؟

عمارة : يا سيدى التاجر أقدم اليك السيد اسماعيل خطيب الست قمر الزمان رجل يحب الشعر والجمال والفن ولا يتاجر فى الأنفس البشرية .

التاجر : أتركك بخير يا عمارة (يخرج) .

اسماعيل : أكان يريد أن يخطب قمر الزمان ؟

عمارة : وانتهى الأمر يا سيد اسماعيل . . . انتهى الأمر .

(يدخل نور الدين مهرولا)

نور الدين : اسماعيل . . . لقد صبح ما توقعته . . . انك هنا . . . لقد عدت أقول الشعر يا اسماعيل .

اسماعيل : أكملت الأبيات ؟

نور الدين : أكملتها . . . أكملتها :

وقفت أجيل الطرف حولى فراعنى
مدامع من عيني لا تتصدر
أهيب بها تهى فتأبى ترفعها
وأزجرها تمضى فتعصى فاصبر
ومس فؤادى من نسيتهك خطرة
فسألت دموعى فرحمة تتفجسر
حياة بلا دمع حياة بئيسة
وعيش بلا حس مهمل مكدر
ولا خير فى الدنيا اذا هى أصبحت
هناء بريئاً عن دموع تحدر
جمال حياتى فى دموعى وبسمنى
وأجمل أيامى فصيد ومزهر
سلام عليك

(ينصرف لفرقتنا)

اسماعيل : الى أين ؟

- نور الدين : أقول القصيدة للناس فلا جمال لها اذا لم يسمعها الناس
 - (يخرج)
- اسماعيل : (يذهب الى بيت قمر) يا قمر . . . يا قمر .
 - قهر : نعم يا اسماعيل (تأتي اليه)
 - اسماعيل : لقد أكمل نور الدين القصيدة .
 - قهر : اذن عادت الحياة كما كانت يا اسماعيل .
 - اسماعيل : قد عادت الحياة الى الحياة يا قمر الزمان .

(سستار)

سُورَةُ فَاطِمَةَ الْعَرَبِيَّةِ

تَمَثِيلَاتُ إِذَاعِيَّة

● مقدمة

ان التقديم لكتاب أمر فى غاية التعقيد للكاتب ، وهو أكثر تعقيدا اذا كان الكاتب يقدم لعمل له ، ويزداد الأمر سوءا اذا كان هذا العمل الذى يقدم له عملا فنيا . وقد ظلمت عمرى أعتقد أن الكاتب الذى يقدم لعمل فنى له كأنه يعلن القراء بشئ من شيئين : اما أنه عجز عن قول ما يريد قوله بعمله الفنى المجرد ، واما أنه يعلن القارئ بأنه لن يستطيع التغلغل إلى أعماق فنه ، ليصل إلى المعانى العميقة التى يحتويها هذا العمل . ولست أدري أى الاعلان أكثر سخافة من صاحبه !

ولكننى مع ذلك أعتقد أن هذا العمل الذى بين يديك يحتاج إلى تقديم . فهى المرة الأولى التى ألتقى فيها بك بعمل مثل هذا . فهذه تمثيلية اذاعية . كتبها جميعا لتذاع والتمثيلية الاذاعية — كما تعرف — تعتمد على الأذن . فشانها شأن الاغنية ، النص فيها جزء من العمل وليس العمل كله . فالنص الروائى أو نص القصة القصيرة نص تكتمل جوانبه بمجرد انتهاء الكاتب منه . أما النص الغنائى والاذاعى فنص تبدأ مقدماته بانتهاء الكاتب منه ، ويظل ينتظره بعد ذلك المخرج أو الملحن والممثلون أو المغنى . ولكن أليس هذا شأن الأعمال الدرامية جميعها ؟ وهل هناك ما يمنعك أن تقرأ القصيدة الغنائية وتستمتع بها دون اللحن والأداء ؟! أو هل هناك ما يمنعك من قراءة المسرحية والاستمتاع بها دون الاخراج والتمثيل ؟!

بل ان جان بول سارتر يذهب إلى أبعد من هذا ، فيقدم اليك فى كتاب مقروء سيناريو أعدده للسينما وقد قرأته أنا واستمتعت به غاية الاستمتاع .

ألا ترى معنى أن العمل الجيد حبيب الى النفس مهما يكن الشكل الذى يقدم اليك فيه . وأرجوك ألا تعتقد أنني أركى عملي لديك فما أحسست بالخوف منك قدر خوفى وأنا أقدم اليك هذا الكتاب بين يديك . ومصادر الخشية كثيرة .

فقد كنت أكتب هذه التمثيليات وأنا لا أفكر الا فى أذنك والأذن لا تمسك بالكلمة وانما تسمعها وتلقى بها فى سرعة خاطفة الى العقل الذى ما يلبث أن ينتظر الكلمة التالية . ثم هانذا أقدمها الى عينيك الواعية ، لتتعمق فيها النظر ، ثم تنعم وتعرضها بعد ذلك على عقلك فى هدوء واطمئنان ودعة ويروح عقلك يفكر فيها لا يشغله شيء ولا بأس عليه أن يقبل الوقوف ويطلبه ، وماذا وراءه ؟ الكتاب فى يده ويستطيع الكتاب أن ينتظر الأجيال . فأنا هنا ألتقى بك فى موقف لم أعد نفسى له وكل ما أتمناه أن أنجو من سخطك، لأفوز ببعض من رضائك أو لأفوز - على الأقل - بالنجاة من السخط .

وأنا أخشى أيضا من الجملة التى كنت أتوخى فيها شيئا من الموسيقى اللفظية لعلها ترضيك عند السماع ولا أدرى كيف ستستقبلها عند القراءة ؟

وأخشى من الانتقالات السريعة التى تعتمد عليها التمثيلية الاذاعية ولم تألفها التمثيلية المقروءة .

أشياء كثيرة أخشاها . ولكن ألا تحف الخشية بكل تجربة جديدة ؟ وانى أجرب معك هذه التجربة . وفى التجربة يجب أن يتكاتف مقدم التجربة مع مستقبلها فماذا عليك لو أنك أعنتنى بالصبر تكافىء به هذه الخشية التى أحسها منك ؟

ولقد شجعنى على القيام بهذه التجربة اللغة التى كتبت بها هذه التمثيليات ، فاعتقادتى أن النص اذا كان مكتوبا باللغة العامية يصبح من العسير تقديمه فى كتب . فان وجود لغتين فى أدبنا يضيح على هذا الأدب كثيرا مما هو جدير بالنشر . فمهما يدافع كتاب العامية عنها فانهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يقنعوا القارىء أن يقرأ الأدب العامى . لا يستطيع القارىء أن يقرأ العامية . فهى مقروءة تصبح بالنسبة اليه لغة

جديدة • ولعل هذا هو السبب في أن كتاب التمثيلية الاذاعية لم يقبلوا على نشرها •

وقد شجعني على تقديم هذا الكتاب اليك أننى كتبت التمثيليات جميعها باللغة العربية ولن تجد تناقرا بين الشخصيات واللغة التى يتكلمون بها فهم جميعا يعيشون فى أزمان كان الكلام المنطوق فيه عربيا خالصا •

وشجعني أيضا أننى قلت فى نفسى ان التمثيلية الاذاعية تعتمد على الأذن وحدها حين يستقبلها المستمع ، ثم هو يهيم بعقله وخياله المنظر والحركة ، فماذا عليه لو أبدل الأذن بالعين ، وأبقى على عقله وخياله فى انشاء المنظر وتأليف الحركة ؟ فالقارئ للتمثيلية الاذاعية مؤلف مع المؤلف كما أن المستمع لها يؤلف مع المؤلف •

لعلك أحسست من هذه المقدمة اننى أحاول أن أشجع نفسى على تقديم هذا الكتاب اليك • لا تكذب احساسك فان هذا ما أحاول أن أقوم به ، فان رضيت ، فشكرا لله ، وان لم ، فما على بأس اننى حاولت ، وما التوفيق الا من عند الله •

ثروت أباطة

● رؤوس في السماء

المديع : في قصر الخليفة « أبو جعفر المنصور » يجلس بين خاصته الاقربين انهم يزنون كل كلمة ويتحسسون كل حرف .. انه أبو جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية .. شديد كريم في شدته .. قاس رحيم في قسوته .. عادل جبار في عدله .. احذروا .. احذروا أن تغضبوه أيها القوم .. انه المنصور .. ان الباب ليفتح .. انه عبد الخليفة ، ماذا يقول ؟

الخدام : رجل يقول انه من الشام يلتمس الاذن بالدخول في خطير من الأمر .

الخليفة : أو تعرفه ؟

الخدام : لا يا مولاي لم أراه قبل اليوم ، ولكن وجهه ينبيء عن جليل .. آذن له ؟

الخليفة : ائذن ...

أحد الجالسين : ألا يأذن مولاي لأحدنا يراه فيسأله عما يريد ؟

الخليفة : بل أراه أنا فما في ذلك ضير .

الخدام : (معلنا) ابراهيم بن علي من الشام .

ابراهيم : جئت يا مولاي في أمر أراه جد خطير .

الخليفة : نعم انى أرى دلائل خطورته في عينيك .. أدل به .

ابراهيم : أدل به على انفراد يا مولاي .

الخليفة : ولم ؟

ابراهيم : هو السر وأخشى أن يذيع .

الخليفة : ان من ترى هم حفظة سرى .

ابراهيم : ولكنه سرى يا مولاي ، وأخشى عليه أن يذيع .

الخليفة : حسنا اذن .

اصوات : آتأذن لنا يا مولاي .

الخليفة : لا بأس بكم انتظروني في الحجرة المجاورة (بعد فترة يسمع فيها أصوات خروج القوم واقفال الباب) .

الخليفة : هات ما عندك .

ابراهيم : أنت يا مولاي تؤسس الدلة العباسية ، فتوطد أركانها ، وقد سمعت أن مولاي في حاجة الى المال ؟

الخليفة : نعم لقد أنفقت أموالا كثيرة .

ابراهيم : في الشام رجل يدعى محمد بن القاسم ، لديه من المال ما تريد .
الخليفة : ويحك يا رجل . . أتريدني أن أسلب الناس أموالهم !؟

ابراهيم : حاشاك يا مولاي ، والعدل أساسك ، ولكن هذه الأموال ليست ملكا لابن القاسم هذا .

الخليفة : فلمن هي ؟

ابراهيم : هي أموال بنى أمية استأمنوا هذا الرجل عليها ، فهي في بيته ، ان أمر بها مولاي حملت اليه .

الخليفة : وأنت ما نفعك ؟

ابراهيم : ان هذا الرجل يا مولاي قد أخذ يجمع الناس منذ أيام وقد ذهبت فيمن ذهب ، انه يدعوهم الى الثورة يا مولاي وان عنده من الأموال ما يقيم به ثورات لا ثورة وخشيت أن يشعلها فتنة لا تخمد فقصدت اليك تخمدها وهي بعد ما تزال هيئة .

الخليفة : (يصفق) يا مرجان ادع حمدان رئيس الشرطة .
مرجان : أمر مولاي .

الخليفة : وأنت يا ابراهيم انزل ضيفا على قصرى .
مرجان : حمدان رئيس شرطة يا مولاي .

الخليفة : أريد نفرا من جنديك الأقوياء ليذهبوا الى الشام . هناك رجل موسيقى

أموال ليست ملكا لابن القاسم هذا . . .

المديع : يا لك من مسكين يا بن القاسم ، ترى أتدرى الى أى دوامة ألقى بك القدر ؟ انه أبو جعفر المنصور . . نعم معذور أنت حين تجلس الى زوجك هذه الجلسة الهادئة ترسل نفسك على سحيتها وشريكة حياتك الى جانبك تغمرك بفيض كريم من حنوها فاذا أنت في هدوء

سأبغ وسعادة وهناء .. معذور أنت فما تدرى بعد أى لقاء ينتظرك
وأى رجل ؟

الزوجة : لقد أسرفت على نفسك يا أبا القاسم فانى لأراك مرىد الوجه
كعهدى بك اذا نال النصب من نفسك .

ابن القاسم : انه خازنى .

الزوجة : صديقك الذى جعلته خازنك المشرف على تجارتك ؟

ابن القاسم : ومن غيره لقد تهيأت لى فرصة فما أدري العنما أم أحدهما ؟
لقد كسفت فيه عن سارق حقير ولو كان قد سألنى ما سرق
ما منعته ؟

الزوجة : انها النفس الوضيعة يا ابن القاسم وما لك فيها من يد .. كم
دينارا سرق منك ؟

ابن القاسم : ليس المال ما أملتى ولكنها صداقة تخان وأمانة تهتك ونفس
تنحط ؟

الزوجة : وماذا فعلت به أسلمته للشرطة ؟

ابن القاسم : أهكذا تعهديننى أسلم صديقى للشرطة ؟

الزوجة : بل تسلم خائن الأمانة .

ابن القاسم : أو لست أنا من ائتمنه ؟

الزوجة : أو تسكت اذا ؟

ابن القاسم : وماذا أفعل ؟

الزوجة : حقا ما تفعل .. انت ابن القاسم لا تفعل شيئا ولكن لو كان
غيرك فى مكانك .

ابن القاسم : ولكن غيرى لم يكن فى مكانى .

الزوجة : نعم أنت على حق لقد كنت فى مكان نفسك .. لعلك أيضا لم
تسأله لم سرق ؟ .. ولعلك أيضا أعطيته شيئا على سبيل المكافأة ؟!

ابن القاسم : بل سألته هل سرقته ؟ فقال مبلغا احتجت إليه ، قلت فخذ
هذا عليه واترك خدمتى .

الزوجة : الله الله ما أضيعك لحق نفسك !!

ابن القاسم : بل ما أحفظنى لحق الصديق !

- الزوجة : ما أبصرك في معاملة الخائن !
ابن القاسم : بل ما أفساني في معاملته .. ما كان لي أن أفضح فعلته .
الزوجة : وحق أولادك لا تزد كلمة .. لقد كدت أجن .. قم على بركة
فأصب بعض النوم بعد أن أصابك هذا النصب من الضمير .. قم
فتم .. أو انتظر حتى آتيك بشيء من الطعام أعدته لك .
ابن القاسم : ما أخلصك على به .

قرع شديد على الباب

- صوت : باسم أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور افتحوا الباب .

مجونج

- ابن القاسم : السلام على أمير المؤمنين .
الخليفة : لا سلام عليك يا ابن القاسم .
ابن القاسم : سبحانه وتعالى .. لقد قال وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن
منها .

الخليفة : أو ردوها .

ابن القاسم : أراك فهمت من الرد عدم السلام ؟

أمير المؤمنين : على الخائن نعم .

ابن القاسم : رضى الله عن عمر .. لقد قال « البينة على من ادعى » .

الخليفة : واليمين على من أنكر .

ابن القاسم : فأين البينة ؟

الخليفة : فهل تقسم ؟

ابن القاسم : وهل أنكرت ؟

الخليفة : فانت مقر ؟

ابن القاسم : فهل ادعيت ؟

الخليفة : أنكذبني ؟

ابن القاسم : فيم يا مولاي أنا لا أعرف جريمتي ؟

الخليفة : لا تعرفها ! فقيم كلامك !؟

ابن القاسم : أنا لا أتكلم بل أجيب .

الخليفة : ألا تعرف فيم جئت من بلادك الى هنا ؟

ابن القاسم : بل أعرف أن أمير المؤمنين أعزه الله أمر بنى فجئت .

الخليفة : ألا تعرف أنك جئت ، لأسالك عن أموال بنى أمية التى تخفيها

عندك .

- ابن القاسم : أو تهمة هذه يا مولاي ؟
الخلافة : ان شئت أن تسميها كذلك فسمها .
ابن القاسم : فان كان عندي مال ؟
الخلافة : فانا أريده .
ابن القاسم : أدامك الله . . أوارث أنت لبني أمية ؟
الخلافة : بل القيم على أموال المسلمين .
ابن القاسم : أدام الله الأمير فان بنى أمية تجار عادت عليهم التجارة بالربح الأوفر .
الخلافة : أعلم ذلك ولكن ما شأنه وما نحن فيه ؟! كانوا أغنياء نعم .
ابن القاسم : رعى الله الخلافة فكيف يعرف أن المال الذي عندي على خالص ملك المسلمين وليس ملكا خاصا لبني أمية ؟
الخلافة : الحرب تهدد المسلمين ونحن في حاجة الى المال .
ابن القاسم : أخون الأمانة اذن ؟
الخلافة : هذا شأنك .
ابن القاسم : بل شأنك فماذا أنت قاض ان حملت أمامك متهما بخيانة الأمانة ؟
الخلافة : خيانة الأمانة أكرم من خيانة الوطن
ابن القاسم : ليس للكرامة شأن بالخيانة على أي نوع لها .
الخلافة : احمل هذا المال الى لقد سئمت اللجاجة .
ابن القاسم : أهو أمر خليفة أم أمر قاض ؟
الخلافة : بل أمر مسلم يدافع عن دينه .
ابن القاسم : أتدافع عن دينك بالخروج عليه ؟
الخلافة : ماذا تقول أيها الرجل ؟
ابن القاسم : عفوا مولاي انه الحق .
الخلافة : وما أدراك أنه الحق ؟
ابن القاسم : ان كنت مخطئا ، فسبل قاضي القضاة وحكمه فيصل .
الخلافة : ماذا تقول أيها القاضي ؟
القاضي : أرى مولاي أن الرجل محق فيما يذهب اليه . . لا يخلص هذا المال اليك عن طريق عادل أبدا .
الخلافة : انه مال الخونة !
القاضي : لا يصادر الشرع مال الخونة !
الخلافة : لقد خرجوا على الشرع .

القاضي : بل خرجوا على بنى العباس وحتى لو كانوا خرجوا على الدين
أرأيت النبي يأخذ من الكفرة غير الجزية .. لقد كان في نطقهم
بالشهادة الموحدة خلاص لهم من دفع الجزية .

الخليفة : أترك القونة يعيثون بالأموال في بلاد الله ؟!

القاضي : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وليست مصادرة أموالهم من هذا
في شيء .

الخليفة : ولكنني أريد هذا المال .

القاضي : فمر به أمر من لا ينظر الى العدل .

الخليفة : وماذا يقول الشرع ؟

القاضي : الشرع .. يقول ما جاء عن طريق محرم فهو محرم وارتكابه اثم .

الخليفة : فالمال له ؟

القاضي : له ومن بعث محمدا بالحق .

ابن القاسم : ليس لي يا مولاي فلسست في حاجة اليه ولكنه لبني أمية .

الخليفة : لك أو لهم ان الأمر لم يعد يهمني ولكن أتظنني تاركك تعيث في
الأرض وتشعلها ثورات ؟!

ابن القاسم : فماذا أنت فاعل بي يا مولاي ؟

الخليفة : سأسجنك .

ابن القاسم : وتهمتي ؟

الخليفة : اشعال الثورات في الشام وتأليب الناس على حكم العباسيين
والتحيز لبني أمية .

ابن القاسم : فهل عند مولاي دليل لأي تهمة من هاته التهم ؟

الخليفة : لقد أدلى لي بذلك من لا تكذب شهادته .

ابن القاسم : أخذ بشهادة واحدة من شخص لا أعرف حتى اسمه ؟!

الخليفة : ذلك شأني .

ابن القاسم : ولكنك خليفة الله في الأرض !

الخليفة : لقد أسمحت لك في المال ، فاما أن أتركك فدون هذا الموت .

ابن القاسم : الأمر لك في ذلك ولكن لي عيالا وزوجة ألا يسمح مولاي بمن

يخبرهم .

الخليفة : ولا هذا فان سجنك لن يطول وسوف أتحرى أمرك ، حتى أتبين

جلاءه ، فان كنت بريئا أطلقتك وان أدانتك المحجة قتلتك .

- ابن القاسم : هيا الله لك السبيل العادل وكشف لك من امرى ما استتر .
الخليفة : يشرفك أن ينكشف ما استتر ؟
ابن القاسم : كل الشرف .
الخليفة : حسنا اذن . . علي بحمدان رئيس الشرطة .
خادم : أمر مولاي .
الخليفة : سوف أبقىك عنده حتى يبين أمرك .
الخليفة : يا حمدان ان هذا الرجل أسيرك ، ان هرب فقدت حياتك .
حمدان : من (في لهجة من عرف شخصا) أنت ؟
الخليفة : أتعرفه ؟
حمدان : (متلجيجا) لا . لا يا مولاي لا أعرفه .
الخليفة : حسنا اذن سر برجلك وخذار يا حمدان . . خذار أن يقلت .
حمدان : يقلت . . وعمري يا مولاي (يقفل الباب) .

موسيقى

- الخليفة : أين سجينك يا حمدان ؟
حمدان : أطلقته يا مولاي .
الخليفة : أطلقته . . ولم يهرب ؟
حمدان : أطلقته ولم يهرب .
حمدان : أطلقته يا مولاي .
الخليفة : حياتك دونه .
حمدان : وحياتي ملكك .
الخليفة : ويليك ! . أبعده صادق خدمتك لي تخون أمرى !؟
حمدان : بل فعلت ما أوجب على كريم خلك . . فعلت ما لو لم أفعله
لقتلتني .
الخليفة : ولكننى قاتلك بما فعلت ؟
حمدان : أحبب بها قتله .
الخليفة : ويحك ان لك لشأنا !
حمدان : وأى شأن ! . خرجت من عند مولاي ومعى أسيرى .

موسيقى

- حمدان : مرحبا ابن القاسم نزلت سهلا . .
ابن القاسم : مرحى بك حمدان . . أى سهل ذلك الذى نزلت ؟! هل بعد
هذا الوعر وعر ؟ شك ولا خيانة وسجن ولا تهمة ! . خليفة قاس

يشيد ملكه فهو أخشى ما يكون عليه وصديق غادر يتجاهل صديقه
وهو أحسن الناس معرفة به .

حمدان : أنت محق في كل ما تذهب اليه ولكن أين الصديق الذى تجاهل
صديقه ؟

ابن القاسم : حقا ان أحدا من الناس لا يمكن أن يعرف نفسه .. أتجاهل
هذا يا حمدان أم جهل !؟

حمدان : جهل .

ابن القاسم : ألا تعرف الصديق الذى تجاهل صديقه ؟

حمدان : لعلك تعينيني .

ابن القاسم : وهل هناك غيرك ، ألم تتجاهلنى الآن أمام الخليفة !؟

حمدان : ألم تدر ما قصدت اليه بذلك ؟

ابن القاسم : أقسمت لم أدره .

حمدان : انك أذكى من هذا .

ابن القاسم : يجول بذهنى أمر .

حمدان : هو ما يجول بذهنك قلبه .

ابن القاسم : لك الخير أتطلقنى .

حمدان : وما فى ذلك ؟ نعم فأنت طليق .

ابن القاسم : أى والله انه السهل الذى نزلت به .. ورأسك .

حمدان : فداك .

ابن القاسم : حمدان .

حمدان : نعم يا ابن القاسم فداك رأسى .

ابن القاسم : ولكن الأمر لا يستقيم .

حمدان : بل يستقيم ولا تناقش .. اذهب .. اذهب فأنت طليق .

ابن القاسم : لست فاعلا يا حمدان .. لست فاعلا .

حمدان : ان لم تفعل قتلت نفسى بين يديك - أحمى جميلا ولا أرده اذهب

يا ابن القاسم .. اذهب أقسمت عليك ... أقسمت .

ابن القاسم : أقسمت أنا لا تقسم فانا ذاهب .. ذاهب يا حمدان ولن

أنسى ..

حمدان : فى حفظ الله .

ابن القاسم : وبقيت فى حفظه .

(تنتهى الموسيقى)

حمدان : وهكذا يا مولاي أطلقت الأسير .

الخليفة : أجننت يا حمدان ، أتقص على هذه القصة ولا أدري سبب اطلاقك له ؟ .. الا أنه رفض أن تطلقه .

حمدان : ليس هذا يا مولاي .

الخليفة : ألأنك تعرفه ؟

حمدان : نعم مولاي هو ذاك .

الخليفة : الله الله فى الخلافة أصبحت معرفتك بشخص كافية للخروج نلى أمرى .

حمدان : معاذ الله يا مولاي ، مر بأولادى أقتلهم بين يديك .

الخليفة : تكلم اذن ، ما الذى حملك على ما فعلت ؟

حمدان : قصة طويلة يا مولاي .

الخليفة : قصها .. قل .

حمدان : تذكر يا مولاي يوم أرسلتني الى الشام فى حملة تأديبية .. كان الجنود معى قلعة ، وكنت قد أرسلت أطلب المدد ، وقبل أن يصل هجم الأعداء هجمة شديدة مزقت القلعة الضعيفة التى معى ، وأزعم الأعداء قتلى فجريت فى الأزقة وهم خلفى ولا أعرف أين أختفى حتى صادفت بابا .. هو باب ابن القاسم هذا .. بابه يا مولاي دخلت اليه (جونج) .

ابن القاسم : ويحك على رسلك أيها الغريب ان للبيت حرمة .

حمدان : قائد جيش الخليفة أبى جعفر المنصور .. الجيش الذى هزم والقائد مطارد وحالتى على ما ترى ، غريب ليس له قوة .. ضعيف

ولا عون ، قائد ولا جند ، لاجئ ببابك مستجير فهل من مجير ؟

ابن القاسم : عرفت المنزل يا أخا العرب .. ادخل هنا .

حمدان : يجدوننى .

ابن القاسم : ادخل سوف أمنعهم .

حمدان : ليس لك بهم طاقة ، انهم العدد الكثير .

ابن القاسم : حسنا .. حسنا .. ادخل فى هذه الحجرة مع زوجى وسوف ترى .

الزوجة : تعال أسرع .. أسرع حتى أقفل الباب بالمزاج

(صوت باب يقفل يتبعه لغط كثير)

أصوات : نعم رأيتته يدخل هذا البيت .

صوت : أين الرجل يا بن القاسم ؟

- صوت : الذى دخل هنا
- ابن القاسم : لم أره
- صوت : لقد رأيناه
- ابن القاسم : كذبت رؤيتكم
- صوت : نفتش البيت حجرة حجرة
- ابن القاسم : أمن حقكم هذا ؟
- صوت : بل هو واجبنا .. انه قائد الحملة التأديبية
- صوت : أسلمه لنا يا ابن القاسم لنؤديه نحن
- ابن القاسم : كرما منى أترك البيت ... ففتشوا فان وجدتموه فهو لكم
- صوت : ابحث فى هذه الغرفة
- صوت آخر : وأنت فنقب هذه الحجرة
- صوت : وأنت فاذهب الى أعلى المنزل
- أصوات : لم نجد أحدا .. انه ليس هنا
- صوت : بقيت هذه الحجرة افتحها
- (صوت محاولة لفتح باب)
- ابن القاسم : اقصروا ان زوجتى هنا
- صوت : لا بد أن تدخل الحجرة ولتحجب زوجتك
- الزوجة : (يظهر صوتها خارجا من خلف الباب) احسبوا أيها الرجال كيف يذهب بكم الظن أن أدخل غريبا الى حجرتى وأبقى معه وزوجى بالمنزل وأنا من تعرفون جميعا نسبها ألا تخجلون ؟ تسبوننى فى منزلى ؟
- صوت : لقد أقمنا ما لا طاقة لنا به ... انها على صواب
- آخر : لا شك فى ذلك لقد أخطانا فى شأنها
- آخر : فماذا تنتظرون اذن ؟ هيا اتركوا منزل الرجل ان ابن القاسم لأعز علينا من أن نغضبه
- آخر : لا بد أن الرجل قد ذهب الى منزل أخ
- آخر : فيم بقاؤنا اذن ؟ هلم بنا ..
- أصوات : (خارجة) هلم .. هلم
- حمدان : أنقذتنى أنقذك الله
- الزوجة : لا تقل .. ان هذا بيت الغريب

حمدان : نعم انه البيت .. ملجأ الملتجى وحمى المحتمى أبقاك الله لزوجك
وأبقى لك زوجك ومد عليكما فى هذا البيت ظلال الخير المقيم وشعاع
البركة الدائمة .. أبقاكم الله .

حمدان : وأنقذت - يا مولاي - وكان هذا الرجل الذى عهدت الى به هو من
أنقذنى ولم أره قبلها .. أدخلنى الى حجرة زوجته وهو لا يعرفنى
وأنقذنى من موت محقق وهو لا يعلم منى شيئاً غير ما قلته ..
أفلا أطلقه ؟ .. ألا أرد المعروف بشيء منه ؟

الخليفة : وتخالف أمرى ؟

حمدان : بل أطيعه .

الخليفة : أتطلق الرجل وتطيعنى !؟

حمدان : أطيع روح أوامرك وأخالف صريحها .

الخليفة : أو تأمر روح الأ بشيء يخالف صريحها !؟

حمدان : يا مولاي انك لم تعرف ما فعله لى هذا الرجل فاذا أنا أطلقته
فمعتمد على خلق كريم فيك يا أبى أن أبقى المعروف على كتفى لا أزيح
بعضاً منه .. كنت واثقاً أنك حين تعلم ما فعله هذا الرجل لأجلى
ستعفو عنه .

الخليفة : ولكنه أمر رئيس وأنت رجل حرب .

حمدان : ولكن الرئيس أبو جعفر وأنا انسان قبل أن أكون رجل حرب .

الخليفة : ما هكذا تقوم الدول .. سأسجنك حتى أرى فى أمرك .

حمدان : القتل أهون يا مولاي .. أيقوم بحراستى من كنت رئيساً له !؟

الخليفة : أقتلك اذن ؟

حمدان : ذلك شأنك ، منذ متى كنت ملكاً لنفسى !؟ لقد عشت سيفاً لك

ان شئت رميت بى أعداءك أو شئت أعدمتنى أو شئت حطمتنى .

صوت : بل تبقى فى يده يحطم بك أعداءك ويذود بك عن الدين ولا زلت

السيف المشرع فى سبيل الله

حمدان : من .. ابن القاسم ماذا أتى بك ؟

ابن القاسم : رأسك .. أفصلها عن جسديك لأنعم أنا بالحرية !؟

الخليفة : انك والله لرجل .. فمن أدراك انى لن أقتلك !؟

ابن القاسم : وما أدراك يا مولاي انى أطمع فى عفوك .

الخليفة : لا والله لا أقتلك أبداً

ابن القاسم : فاعلم اذن يا مولاي انه لا مال عندى لبنى أمية وانما أنا عباسى

• معروف بنسبتي لك

الخليفة : ويحك لما أخفيت هذا ؟!

ابن القاسم : أن كنت أخبرتك به تصدقني ؟ أن كنت قلت لك أن لا مال عندي لبنى أمية كنت تصدقني ؟

الخليفة : كنت أبحث •

ابن القاسم : وإذا لم تجد ؟ إنما كنت تعتقد أنني أخفيت المال في مكان لا تصل إليه يمين • لا يا مولاي إنما جئت أدافع الحجة بالحجة والدليل بالدليل وأنت العدل العادل •••

الخليفة : انك والله لأكثر عقلا من أن تقيم ثورة •

ابن القاسم : لي رجاء •

الخليفة : قل •

ابن القاسم : من الواشي ؟

الخليفة : رجل من الشام يدعى ابراهيم بن بعلي

ابن القاسم : لقد كان خازنا لي وصديقا •• اختلس مني بعض المال فأخرجته وأعطيته بعضا آخر •

الخليفة : اسمع أيها الرجل لقد جعناك خازنا لأموال الدولة وجعلت هذا الواشي بيدك فافعل به ما تريد •

ابن القاسم : أما خازن الأموال يا مولاي فشكرا فاني تاجر لي كثير من العملاء أخشى أن أغضبهم بتركى لهم وأما ابراهيم فأمره اليك ••

الخليفة : ان شئت يا ابن القاسم فاني أقتل هذا الواشي •

ابن القاسم : الا هذا يا مولاي فان له أولادا وزوجة •• ابقه يجر عليهم الرزق أجرى الله بالخير يمينك •

الخليفة : ما تشاء أيها الكريم وإذا أردت أمرا فبحسبك أن تعرف أنك صديق الخليفة •

ابن القاسم : وحسبي شرفا •• أنا عبد الخليفة ملك يمينه ناشر فضله ذاكر معروفه مهتد بهديه ملتئم رضاه •• سلام على أمير المؤمنين •

المدبوع : هكذا •• أيها الرجل وهكذا أيها القائد وهكذا أيها الخليفة بكم وبأشباهكم ان كان لكم اشتباه تقوم الدول ويعلو البناء ويشند الأزر وترتفع الهامات •• انه الإباء •• انه الترفع انها الرجولة •• انها الكرامة •• انها •• انها رعوس في السماء •

الروح والشيطان

سييف : (هامسا في حذر) بروحي أنت أمامه قصدت الى والليل منصور
الجواب بأشعة القمر والعيون خوالينا مفتحة تعد علينا الخليجات .

أمامة : لا تخشي العيون يا سييف ، فالعيون لا ترى الا ما نبديه .
أما ما تنضم عليه قلوبنا فهيهات للعيون أن تراه .

سييف : وكيف خرجت ، ألم يرك أبوك ؟

أمامة : لا . . . لم يرني . . . وكيف تعتقد أني أتأخر عن مكان أنت فيه . . .
الله لي يا سييف أنت لا تحبني ؟

سييف : لا أحبك ويلي ؟ ويلي من نفسك ان كنت لا أحبك ، نهاري ظلام
ما دمت بعيدا عنك ، وليل شوك ما دمت لم أرك فيه ، وفؤادي ممزق
ما دمت لم ألاقك ، والناس بأجمعهم مهما يشتد بهم الزحام فراغ
في عيني ما دمت غير ناظر اليك . . . كل حديث لا تقولينه ، وكل
كلام لا يتحدث عنك هذر من الهذر وسخف وخرافة . . . لا أحبك
ويلى ويلي من نفسي ان كنت لا أحبك . . . فماذا يا ترى يكون حال
لو كنت أحبك ؟! أمامة اني أحبك .

أمامة : كلام . . . أحسنت الكلام .

سييف : اذن فليس هذا هو ما ينبض به قلبك ؟ اذن فأنت لا تخبينني ؟
أمامة : لا أحبك . . . فمن أحب . . . انك فتى الحي وفارسه ، وانك البطل
المظفر ، وانك الشجاع الذي لا يثنيه هول أو يرده جليل ، وانك أعظم
الفتيان جمالا ، ممشوق القوام فكأنما أنت تمثال من تماثيل الفرس ،
أو اله من آلهة الاغريق .

سييف : أحببت في زائلا يا أمامة ، فقد يزول الجمال ، وقد يفاظ القوام
فيتحطم أمام عينيك تمثال الاغريق واله الفرس .

أمامة : ويلي بربك ، لا تقل هذا . . . لا بربك . . . لا أطيق .

سييف : أما تحبين في غير القوام الممشوق ، والوجه الحلو . . . ؟

أمامة : وأنت ماذا تحب في ٠٠٠ هيه ٠٠٠ ماذا تحب ؟

سيف : أجادة أنت في سؤالك ؟

أمامة : وما لي لا أجده ؟

سيف : لأنني أحبك جميعا ٠٠ أحبك أمامة ٠٠ بكل شيء فيك ٠٠ الظاهر منك وما تستره الضلوع ٠٠ أحب وجهك وقوامك ، وخلقك ورداءك ٠٠ وأناملك الدقيقة هذه ، وخفقة عينيك وأنت تستمعين الى وابتسامه ثغرك هذه وأنت فرحانة بكلامي ، وأحب هذه النونة التي تبدو وكأنها توقيع خالقتك على وجهك بعد أن خلقتك فأعجبه ما خلق فأراد أن يشرفه بهذا التوقيع الحلو الذي لا يبدو الا مع السرور والفرح والضحك نعم هذه النونة ٠٠٠ أحبها ٠٠٠ أحبك جميعا ٠٠٠ أحبك بلا استثناء ٠٠٠ أحبك كلا لا أستثنى منه جزءا ٠٠٠ أحبك هكذا وما أظن أن الحب الا هذا .

أمامة : (تضحك ضحكة صغيرة) وأما أنا فأحب ذراعيك المفتولتين وأحبك تمشي في الحى ، فتشير صديقاتي اليك هامسات ثم ترد الواحدة منهن صديقتها عنك وتحذرهما أن تقترب منك ، لأنك رجلى أنا ، فكلهن يعلمن أنك رجلى أنا ، وأحبك تذهب الى الحرب ثم تعود فيقول الناس ان سيفا كان فارسا ، وأحبك أن يتحدث الرجال ، فيقولون ليس بين فتياننا من هو مثل سيف ٠٠٠ أحبك سيف .

سيف : فلو أن عروة ابن عمك سبقني في الفروسية ، ولو أنك سمعت صديقاتك يتهامن عنده بينهن ولو أنه ذهب الى الحرب ، ثم عاد فسمعت الرجال يتناقلون عنه الحديث ، ولو أنني مرضت يوما فلم أسر بين صديقاتك اذن لتركتني الى عروة ان كان السابق أو الى أى فتى آخر ان كان هذا الآخر هو السابق ٠٠٠ أهكذا يا أمامة ؟

أمامة : سيف ، مالى أراك متشككا فى حبي لك ؟ أشك فى حبي وقد جئتك وقبلت اللقاء بك مررات ومرات والعيون حولنا من كل مكان ؟

سيف : لا أدرى يا أمامة أجتت الى أم الى ذراعى المفتول وقوامى المشوق ، وحديث الناس عنى ، وتهامس النسوة حولي لا أدرى يا أمامة .

أمامة : وما أنت ؟ ألسنت أنت ، أنت القوام المشوق والذراع المفتول وحديث الناس ، وتهامس النسوة ؟ أى فرق بين الاثنين لماذا تفرق بين نفسك وصفاتك ؟

- سييف : أخاف يا أمامة •
أمامة : أتخاف من نفسك .. أتغار من صفائك ؟
- سييف : ان كنت أحببت هذه الصفات وحدها فانت تحبينها غدا ، في أي
فتى يتصف بها .. أما ان كنت أحببتها في لأنها في فانت تحبينني •
- أمامة : تحيرني يا سييف ، فوالله ما أدري منذ متى ينفصل الإنسان عن
صفاته ويفار منها ؟ انى أحبك يا سييف •
- سييف : ما أشد خوفا من حبك وما أعظم حيرتى فيه !! .. أهو حب لسيف
أم لدواع سيف ؟ لا أدري !!
- أمامة : لا أفهمك سيف الليلة ، فهلم بنا ، فقد أوشك القمر أن يرتحل
وقد أوغل المساء .. هلم بنا •
- أمامة : على لقساء يا سييف •
(موسيقى تصاحب المشهد)
- سييف : أمامة •
- أمامة : سييف ، أنت لا تدري ما حل بي •
سييف : ماذا ، ماذا حل بك ؟
- أمامة : تركتك في آخر لقاء وسعيت الى منزلى وقبل أن أصل اليه نبت لي
من مكان خفى عروة ابن عمى •
(تنقطع الموسيقى)
- عروة : من أين يا أمامة ؟
أمامة : وما شأنك يا عروة ؟
عروة : فشأن من اذن ان لم يكن شأنى ؟
أمامة : شأن أبى وأمى .. هل أنت أمى ؟
عروة : أمنى تسخرين يا أمامة ؟
- أمامة : فما تعرضك لي في الطريق وما سؤالك من أين والى أين ؟
عروة : فانى أعرف أين كنت وأنت ابنة عمى ، فان تناولك الناس بشر
فقد أصابنى هذا الشر •
- أمامة : فلا شأن لك بي •
- عروة : بل هو شأنى وانى ذاهب اليوم الى أبىك ، لأخطبك •
- أمامة : اكشف الستار اذن عن نواياك .. فذلك اذن ما تريد •
- عروة : وأى عيب فى أن أطالب الزواج بابنة عمى •
- أمامة : لا عيب فى ذلك ، ولكنك تهددنى بما تدعى أنك تعرفه •

- عروة : انما أردت أن أستر عليك
- أمامة : لا شأن لك بأن تستر على
- عروة : فان كنت أحبك ؟
- أمامة : أتحب من لا يحبك
- عروة : ألا تحبينني يا أمامة ؟
- أمامة : أما تعرف هذا ؟
- عروة : كنت أكذب نفسي
- أمامة : بل لا تكذب نفسك
- عروة : فماذا تكرهين في ؟
- أمامة : وماذا أحب فيك !؟
- عروة : ألسنت فارس القبيلة وفتاها ؟
- أمامة : بل أنت من فرسانها وفتيانها
- عروة : فمن الفارس فيها والفتى ؟
- أمامة : أما تعرفه ؟
- عروة : أظنني أعرفه
- أمامة : بل انك تعرفه
- عروة : في غد تسمعين عنى يا أمامة
- أمامة : فدع حديثك الى الغد حين أسمع بك
- عروة : في غد تسمعين
- (تعود الموسيقى)
- أمامة : أخاف أن يشئ بنا الى أبى يا سيف
- سيف : ليس هذا ما أخشاه
- أمامة : فماذا تخشى ؟
- سيف : (سارحا) ليس هذا ما أخشاه
- أمامة : لقد أوعدنى
- سيف : بل لقد وعدك
- أمامة : ماذا تعنى ؟
- سيف : سيظل عروة ولا عمل له الا المران على السيف والفروسية حتى يصبح فتى القبيلة
- أمامة : ولكنك ستظل السابق عليه
- سيف : والله لا أدري يا أمامة .. والله لا أدري

أمامة : وماذا أنت فاعل الآن ؟

(-تنقطع الموسيقى-)

سيف : يا أبا أمامة جئت أخطب اليك أمامة

أمامة : نعم الرجل أنت يا سيف ، واني قبلت ؟

(أصوات فرح وطبول)

سيف : أحسنت الأيام الينا يا أمامة .

أمامة : أى زوجى الحبيب لقد أحسنت .

سيف : سنجعل أيامنا كلها أفراح .

أمامة : أما أنا ففي فرح دائم . . . بحسبى أن يقال عنى انى زوج وبحسبى

أن أراك فى جمالك الحلو هذا

سيف : أنا أنا فبعت بسببى انى تزوجت من حبيب أحسنت الأيام يا أمامة

. أحسنت الأيام :

(موسيقى تنتهى بصياح وضجيج)

صوت : الينا فتيان القبيلة الحرب الحرب .

(يخفت الضجيج)

أمامة : سيف أنت ماض الى الحرب ؟

سيف : نعم يا أمامة ، انى ماض اليها .

أمامة : فعد سالما يا سيف ، وعد بطلا يا سيف .

سيف : اسأل ربك لنا الخير يا أمامة

أمامة : الخير رفيقك يا سيف .

(موسيقى)

أم عروة : أنت ماض الى الحرب ؟

عروة : أجل يا أم .

أم عروة : فكن رجلا يا عروة .

عروة : أعرفتني غير ذلك يا أم ؟

أم عروة : لا وربك يا بنى الله جارك يا ولدى الله جارك .

(موسيقى تنتهى بضجة حرب)

صوت : عليك بسيف ان أنت قتلت سيفنا انتصرنا .

آخر : وكيف لي بسيف ، وهانتذا تراه كالأعصار الجارف يدور فى الميدان

كالهول المبين ؟

- الأول : نذهب اليه جماعة ونحيط به .
- الثاني : نفعل ذلك هلم هلم أسعد ، هلم اسحق ، هلم أيمن ، هلم جميعا ، أحيطوا بسيف .
- (تملو ضجة الحرب لحظة ثم تخفت)
- سيف : الله معي يا أعداء : الله
- الأول : خذ هذه .
- سيف : بل خذها أنت .
- الثاني : فهذا الى قلبك .
- ثالث : الموت لك .
- سيف : بل لك أنت .
- رابع : تقدموا جميعا واضربوا .
- سيف : آه !!
- عروة : لبيك سيف . . لبيك أخاه . . عروة الى جانبك .
- (موسيقى حزينة هادئة)
- عروة : كيف هو الآن يا أمامة ؟
- أمامة : يصحو لحظة ويغيب ساعات .
- عروة : ابذل في العناية به ، غاية الجهد يا أمامة . . لقد كان فارس الحرب وفتاها .
- أمامة : بل سمعنا أنك أنت من كنت فارسها وفتاها ؟
- عروة : والله ما أحس القوم بي الا بعد جرح سيف ، ولو لم يجتمع عليه الأعداء ما استطاعوا أن يصيبوه .
- أمامة : ثم قيل انك كنت خيرا منه ؟
- عروة : انما الناس السنة تنطق بغير تفكير لا والله كان سيف خير من حارب في قبائلنا .
- أمامة : ولكن الناس يمتدحون شجاعتك .
- عروة : لأن سيفا جريح والناس أصدقاء القوى أعداء الضعيف يسرون مع السائر ولا يرحمون من أعياء السير في سبيلهم .
- أمامة : تدم الناس وما ذموك !؟
- عروة : أقسم أنني لا أذمهم وانما أصفهم ، ضعاف يحبون القوى ويتملقونه ، فان ضعف نسوا قوته وانها لوا عليه بالوان من الأكاذيب .

- امامة : لك الله عروة . . . ما ارى الا انك تدافع عن صديقك سيف .
- عروة : لم يكن سيف صديقي فى يوم من الايام وانما كان الأمل الذى أتطلع اليه والذى أرجو أن أصبح مثله .
- امامة : وهانتذا قد أصبحت خيرا منه .
- عروة : كذب والله من قال هذا ، أين أنا من سيف . . أين أنا منه ؟ . . ارعى سيفاً فلم يبق منه الا أنت بعد أن ماتت أمه .
- امامة : حادثتني عن سيف وعن الناس وعن نفسك (مترددة) ولم تقل شيئاً عن غير هذا ؟
- عروة : (كمن فهم ويريد ألا يفهم) ماذا تقصدين يا أمامة ؟
- امامة : أذكرك بحديث بيننا وتابى أن تذكره .
- عروة : أى حديث ؟
- امامة : أما تذكر منه شيئاً ؟
- عروة : أذكر أننى حادثتك منذ أنت فتاة لم تتزوجى ، عرضت عليك نفسى فأبيت . . ثم تزوجت يا أمامة فأى حديث بيننا ؟
- امامة : ألا تريد أن تذكره ؟
- عروة : لا والله لن أذكره أبداً . . . أذكره وأنت زوجة لخير فتياننا ؟! أذكره وزوجك هنا جريح ؟! جريح فى سبيلنا جميعاً ، لست الفتى العربى ان أنا ذكرته لك . . لا يا أمامة ، لا يا زوجة سيف .
- امامة : وأين سيف منى الآن . . انه مريض ، جريح ، غائب عن الحياة !!
- عروة : بل انه يملأ الحياة بسيرته وماضيه . . لا يا أمامة ، لا حديث بيننا أبداً . . . سلام عليك . . .
- امامة : (فى لهفة) انتظر .
- سيف : (صوت ضعيف) أمامة .
- امامة : لبيك سيف .
- سيف : من ذا الذى تحادثين ؟
- امامة : انه عروة يا سيف .
- سيف : مرحباً بالرجل . . أدخله امامة .
- (جملة موسيقية)
- عروة : أعانك الله يا سيف .

- سيف : أنقذتني يا عروة ... لولاك لكنت الآن قتيلا .
- عروة : لا تقل هذا يا سيف . . . إنما أنقذت سيف قبيلتنا وفتاها ، إنما أنقذتك لنفسى يا سيف . . .
- سيف : الله وحده كفيل بشكرانك يا عروة . . . الله وحده هو الكفيل .
(موسيقى)
- عروة : كيف حاله يا أمامة ؟
- أمامة : كما هو يا عروة .
- عروة : فسلام عليك يا أمامة
- أمامة : أما تجلس قليلا ؟
- عروة : أجلس اليك وأنت زوجة سيف . . . لا يا أمامة . . . سلام عليك .
- أمامة : عليك السلام !
(موسيقى)
- صوت : (صدى) وأنت زوجة سيف . . . لا . . . وأنت زوجة سيف لا .
- أمامة : سيف .
- صوت : (فى صوت ضعيف) لبيك أمامة .
- أمامة : طال بك المرض .
- سيف : أجل يا أمامة . . . طال بى المرض .
- أمامة : وبمد يا سيف ؟
- سيف : أدرك ما بنفسك يا أمامة .
- أمامة : لقد كنت دائما الذكى اللبيب .
- سيف : لو كنت ذكيا ما تزوجتك يا أمامة ، ولكنه الحب يعمى فعميت . . . كنت أدري أنك تحبين سيفى وذراعى ولا تحبيننى . . . كان يجب ألا أتزوجك يا أمامة .
- أمامة : قضاء الله يا سيف .
- سيف : بل قضاء الشيطان الذى فى نفسك يا أمامة . . . الله أرحم بعباده من الصدر بالمريض ، والتنكر للجريح . . .
- أمامة : سيف .
- سيف : أنت طالق يا أمامة . . . طلاقاً بائناً لا رجعة فيه . . . اذهبنى يا أمامة واستغفرى الله كثيرا فما أظنه يفقر لك . . .
(موسيقى)

أمامة : (فى لهفة) عروة الى عروة .
عروة : ماذا يا أمامة ؟

أمامة : عودا الى حديشنا يا عروة .
عروة : بل لا عود والله .

أمامة : (فى فرح من تخفى أمرا جليلا) ولماذا يا عروة .
عروة : انك زوج سيف .

أمامة : فماذا تراك تقول ان هو طلقنى ؟
عروة : أوطلقك ؟

أمامة : ماذا تقول ان هو طلقنى ؟

عروة : أجيبينى . . . أطلقك سيف ؟
أمامة : نعم .

عروة : فأنت من طابت اليه ذلك ؟
أمامة : وما يهملك أنت ؟

عروة : ويلك من الأيام يا أمامة . . . ويلك من الأيام .
أمامة : ألا تحبني يا عروة ؟

عروة : والله لو كنت أحبك قدر حبي للحياة . . . لكرهتك الآن قدر كرهى
للموت . .

أمامة : عروة .

عروة : أتطلبين الطلاق من زوجك الجريح ، لأنه جريح ؟! ومن أين لى أننى
لن أبحر غدا ، فتتركينى كما تركت زوجك ؟!

أمامة : فماذا أفعل يا عروة ؟

عروة : اذهبي الى كهف بعيد عن الناس واتقضى عن كل من عرفك فانك
تذكرين البشر بمقدار الشر الكامن فى نفوسهم ، والناس لا يحبون
أن يذكروا الشر الكامن فى نفوسهم . . . اذهبي بعيدا . . . لا يراك
أحد واستغفرى الله وأطيل الصلاة له . . . فقد ينفرد الله فهو وحده
الذى يغفر الذنوب .

أمامة : عروة .

عروة : لا تنطقى باسمى يا صورة الشيطان . . اذهبي الى لا لقاء . .
ولا عودة . . لا كان يوم لقيتك فيه ولا كان يوم ولدت فيه . .

(موسيقى)

عروة : سيف ا

سيف : مرحبا عروة .

عروة : لقد جئت وأمى اليك نقيم لديك حتى يزيل الله عنك اليأس .

سيف : بمثلك تجمل الدنيا يا عروة . . فلا حياة ان لم تعطر نواحيها
أن الدنيا كلها أصبحت شيطانا واحدا كبيرا بلا رجعة ولا خير
ولا حب .

عروة : فداؤك نحن يا سيف .

سيف : بمثلك تجمل الدنيا يا عروة . . فلا حياة ان لم تعطر نواحيها
بهذه الروح الطيبة التي تسرى في قلوب أمثالك . . مرحبا عروة . . .
مرحبا بالحياة فيك .

(موسيقى - ختسام)

• عفو الملك

أبو القاسم : هو الحب يا سامية يترقرق في دماء الكريم ، فتزداد كرما ،
ويتسرب الى نفس الخبيث فتكرم ... هو الحب ذلك الجمال تعتذر
به الدنيا عن شرورها هو الحب بغيره لا حياة وبأجداه لا مياه ..
هو الحب •

سامية : حسبك أبا قاسم منذ متى اتخذت الشعر صناعة .. ان ما تهيب ،
نفسك له من ملك وجاء وما يتطلبه هذا المكان من قسوة وقوة لا يتفق
وما تناسب به اليوم من شعر يكاد ينتظم •

أبو القاسم : انما السلطان عاطفة وعقل ، ان فقدت واحدة منهما فلست
بالحكم خليقا •

سامية : غبت عنى اليوم كثيرا .. فى أى العنصرين شغلك : أهى العاطفة ،
أم هو العقل ؟

أبو القاسم : والله لا أدرى كيف أجيب فقد كان كلاهما منذ اليوم شاغلي •
سامية : (غاضبة) ويملك أبا القاسم أعاطفة ولا أراك ، فلن ؟

أبو القاسم : (فى ضحكة مسرورة) لرجل ورب الكعبة .. لرجل •
سامية : (مستمرة فى غضبها) أكذا فمن ؟

أبو القاسم : قصدنى اليوم ابن اسماعيل •

سامية : ابن القاضى المتوفى ؟

أبو القاسم : أجل هو •

سامية : ماذا يريد ؟

أبو القاسم : فهو يخشى أن يعين فى مكان أبيه وغيره ، فجاء يرجونى أن أقصد
الى شريكى فى الامارة وأزكيه لديه •

سامية : فنعم السعاية ، فقد كان أبوه من خير الناس وهو على نسج أبيه

ينسج .. يقال عنه انه واسع الاطلاع وحب التفكير ولولا بعض

الجشع فيه لامتنت سيرته عن الثلب فما قال الأمير :

(موسىقى قطع) (فى قصر الخليفة)

خادم بالباب : أبو القاسم محمد أمير الدولة الشرقية وابن اسماعيل
• ابن القاضي المتوفى

الخليفة : مرحبا بالأمير زورة كريمة

أبو القاسم : شفيعا جئت إليك

الخليفة : فمرحبا بالشفيع .. أعقوبة فأرفعها أم جائزة فأنيلها ؟

أبو القاسم : بل حق فتوطده

الخليفة : بقيت للحق وأنار الله لنا سبيله

أبو القاسم : ابن اسماعيل

الخليفة : مكان أبيه يريد ؟

أبو القاسم : هو ما حزرت

الخليفة : هو لك يا ابن اسماعيل .. فانك والله قد شفعت من لا تخيب
له شفاعة

ابن اسماعيل : أطال الله بقاء الأميرين

الخليفة : فما ديدنك في الفضاء ؟

ابن اسماعيل : ديدني .. ديدني كتاب عمر بن الخطاب الى أبي موسى

الأشعري يقلل آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك

الخليفة : ألا بينت لنا ما يقصده رضى الله عنه في قوله آس بين الناس
في وجهك ومجلسك ؟

ابن اسماعيل : يريد من قاضيه ألا يتسم لأحد ويعبس لآخر وألا يقرب

شخصا ليعبد غيره .. آس بين الناس في وجهك وعدلك

ومجلسك

الخليفة : وهل أنت مستطيع ما تأخذ به نفسك ؟

ابن اسماعيل : فأنا باذل غاية الجهد

الخليفة : جوابك يدل على الصدق .. في وجهك يا ابن اسماعيل وفي

مجلسك آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع

شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك والحق الحق

ابن اسماعيل : نعم أعرفه فهو قديم

الخليفة : قديم قدم الزمن

ابن اسماعيل : انى عليه حفيظ

الخليفة : وأنت بحفظه خليق .. أعلنوا ابن اسماعيل قاضيا للقضاة

(موسيقى)

- سامية : وفق الله كل ما تسعى له .
- أبو القاسم : ان دعوة أنالها من شفقتك هي التوفيق .
- سامية : أراك عدت للشعر .
- أبو القاسم : وما تريد من زوج يخلو الى زوجه التي يحب .

سامية : أريد أن يكلها في حقيقة ما يشغله . ان الأعداء يتحرشون بك من كل جانب ، وينتمرون بملكك من كل سبيل ، وأنت تكتم ما تتشنى عليه ، وتضمّر غير ما تبدى فتثيرها في نفسى نارين : احدهما خوفا عليك وخشية على ملكك وأخرى غيظا منك وحنقا عليك ألا تشركنى فيما تفعل كأنى أصغر عن فهمك وأنفسه عما يشغلك أو

أبو القاسم : حسبك واخندى النارين كليهما فلست والله بمحتمل عليك من واحدة منهما بصيصا مهما يخفت . . (ساخرا من نفسه) أخشى عليك هموما فأنيرها فيا لي من غبى . . الحزب توميء الى بينين وأتقيهما بعين . . ولكنى أخاف الصديق أكثر من العدو . . ان بيننا قوما يأترون .

- سامية : ف قرب اليك أجدرهم بالثقة .
- أبو القاسم : وبمن أتق ؟
- سامية : بمن يبدى لك جفاء في المظهر ووضوحا في الرأى .
- أبو القاسم : فانا على القلق المبيد والجمع خاضع .
- سامية : فالجمع فاحذر .
- أبو القاسم : وثقتى ؟
- سامية : بالله بنفسك .
- أبو القاسم : وأنت ؟
- سامية : ألم أقل لك بنفسك وهل نفسك الا أنا ؟
- أبو القاسم : نعم أنت هي ونعمت نفسا .
- سامية : وعشت لها .
- أبو القاسم : معى يا سامية ؟
- سامية : الى ما بعد الخلود .
- أبو القاسم : اللهم شكرانك .

(موسيقى)

أبو علي : هنيئا لك القضاء يا بن اسماعيل كنت مسافرا هذا العام فام أعجل بالتهنئة .

- **ابن اسماعيل** : أحمد الله على نعمته وأشكرك يا أبا علي
- **أبو علي** : مكان كبير ما تلتته . . . لا يرأسك الا الأمير
- **ابن اسماعيل** : ان المنصب ان كبير عظم الشاغل

أبو علي : ولكن مكان الدولة ليس بالوطيد والأعداء يتنمرون من خارج البلاد وداخلها وأخشى أن تحتسب من رجل الأمير الحاكم فتغضب القادمين بعده والقضاء عدل وكرامة وأخشى أن يهزك الحرص فيحيد بك عن العدل ويميل بك عن الكرامة وليس كالحرص من مذل لأعناق الرجال

ابن اسماعيل : فيمن هذا الكلام يا أبا علي ما ستمعنا أن قاضيا يميل به الى الحرص عن العدل أو الكرامة وأنا من تعلم ؟

أبو علي : لا والله ما علمتك ظالما أبدا فلست أنت من أعلم عنه ظلما واذا أنا بينت لك ما أضمر ، فأنا من يشفق عليك فهون عليك ولا تأخذنك بنفسك العزة

ابن اسماعيل : حسبتك تعرف عنى خلقا قويا لا يميل وكرامة صلبة لا تنحني

أبو علي : يظل الخلق قديما لا يميل حتى يتولى صاحبه السلطان ، فاذا الخلق معدوم كالعدم ، واذا الجشع راكب النفس يطمح بها وتظل الكرامة صلبة حتى يشوبها الحكم فاذا هي هشة كالدهنيق ، واذا الرأس منحنية حتى تبلغ أعماق الأرض . فاحذر الحكم يا بني . . احذره واستعن بالله يعينك من الشيطان واعلم أنه الشيطان لم يلبس في كل ما يرتدى أجمل من الحكم . . واعلم أنه ما استخفى فأوغل في الاستخفاء الا حين عثر على السلطان فارتداه يغرى به ، فاذا النصر متهالك عليه من كل جانب

ابن اسماعيل : لم أرك كالיום ناصحا يوغل في النصح . . . الا تعلم أبا علي أن التضحية هي أثقل الطيبات على النفوس ؟

• **أبو علي** : أعلم ذلك

ابن اسماعيل : فما بالك اذن ؟

أبو علي : حبي لك واشفاهي عليك يهونان ما تستقبل به نصيحتي واننى

(تسمع أصوات ويدخل قوم لا يزيدون عن ثلاثة)

• **الأصوات** : سلام عليكم

ابن اسماعيل - وابو علي : عليكم سلام الله .

ابن اسماعيل : ألا تعرف الصحاب - أبا علي ، هذا ابن ابراهيم السياسي البارع والمؤرخ الباحث وهذا صاحبه سعيد أطول لسان عرفته البلاد لا ينظر الا لينتقد ، أما هذا الكاتب المبدع عثمان وما أظنك الا سمعت عنه .

أبو علي : فمرحبا بالصحاب وودت والله أن أقيم معكم فلا أنصرف ، ولكنها مهمة لا بد لي من الذهاب اليها فعذرا . . . سلام عليكم .

الجالسون : وعليك السلام - أبا علي - عليك السلام .

أبو علي : احذره - ابن اسماعيل - احذره .

(يسمع صوت باب يغلط)

سعيد : لم أر هذا الرجل ولكني سمعت عنه أنه ثقيل الظل كثير الكلام قليل العمل .

ابن اسماعيل : (كما لو كان أعجبه الكلام ولكنه لا يريد أن يمضي فيه)
حسبك حسبك سعيدا أهكذا دون أن تعرفه تسأل عليك لسانك !؟
فماذا فعل بك ؟

سعيد : ماذا كان يفعل ها هنا ؟

ابن اسماعيل : كان يهنيء .

سعيد : يهنيء بماذا ؟

ابن اسماعيل : بمنصب القضاء .

أصوات : القضاء !

أحدهم : أبعده عام من توليك له !؟

ابن اسماعيل : علي رسلك . . . قد كان الرجل مسافرا .

ابن ابراهيم : وهم يحذرك ؟

ابن اسماعيل : من المنصب .

(يضحك الجميع وتبدو أصواتهم وكأنها تردد كلمتي من المنصب)

سعيد : ألم أقل لك ثقيل . . . ثقيل . . . ثقيل ورب الكعبة . . . ثقيل .

عثمان : أرانا نطيل الحديث فيما لا يفيد .

سعيد : وما الذي يفيد ؟

عثمان : (في سخرية) الذي يفيد ما نجى من أجله كل يوم . . . الذي

يفيد ما تعرفه يا سعيد .

سعيد : حسينا كلاما . . .

ابن اسماعيل : ليس بعد ، أنا لم أوافق بعد . . .

سعيد : لم توافق . . . أستطيع . . . ملك هذه البلاد أجمع . . . أنت السيد المرموق . . . مازلنا بالشعب ومازلت بالعدل حتى أحبك وتقاتي في حبك فما تريد . . . ليس بعد ، فمتى اذن !؟

ابن اسماعيل : تنسون جميعا حين يأخذكم الحديث أن أبا القاسم هو الذي منحني هذا المنصب وهو الذي أتاح للشعب أن يحبني فحقه أن أقف الى جانبه .

ابن ابراهيم : مالنا به ان ملكه قد هوى وبعد أيام قد يكون قد وقع في الأسر وأنت لا عمل لك الا أن تتولي هذا الملك والشعب راض عنك والشراه قبلوا أن يتركوه لك وينسحبوا من أرض الوطن . . .
فما تريد ؟ . . .

ابن اسماعيل : اريد ألا أدفع الدية .

سعيد : هنا يجب أن نسكت حرصا على مصلحة البلاد . . . فان أبا القاسم ان خرج سيشعلها نارا لا تخدم ، وخزانة الدولة يجب ألا تكون وقفا على أشخاص .

عثمان : وأنت بعد لم تفعل معه الا ما يرضى الكرامة .

ابن اسماعيل : دع الكرامة جانبا بربك - عثمان .

ابن ابراهيم : بل يتمسك بها .

سعيد : يا ابن ابراهيم دع النقاش فانها دولة .

ابن اسماعيل : اسمع سعيد . . . أنا لا أقوم بهذا الأمر وحدي .

سعيد : اقبل المبدأ أولا .

ابن اسماعيل : تشتركون معي في الحكم .

سعيد : منذ متى كان هذا ؟ متى سمعت عن حكم يشترك فيه أربعة !؟

ابن اسماعيل : سمعت أو لم أسمع اذا قبلتم قبلت واذا أبيتم أبيت .

عثمان : فما تقول ابن ابراهيم ؟

ابن ابراهيم : فما تقول أنت عثمان ؟

سعيد : فهل أماننا غير ما ترون ؟ نقبل . . .

ابن ابراهيم : على شرط .

ابن اسماعيل : بغير شرط .

ابن ابراهيم : لابد منه ابن اسماعيل .. لابد أن تكون عميد الجماعة ؟

سعيد : ليكن .

عثمان : لابد أن يكون .

ابن اسماعيل : عميد الجماعة وأمرى الى الله ... اللهم اغفر .

(موسيقى)

سامية : مالك مطرقا هكذا !؟ لقد شاء الله فانفك أسرك ، ولقيت الراحة والهدوء بعد أن أزور الدهر عنك ، وقد عهدتك ثابتا كالجبل قويا كالقوة فانفض عن نفسك ما تريد أن تحملها اياه ، وقف كما كنت تقف ، فانه والله الخير الذي لا نعرفه ... اصح يا رجل ..

أبو القاسم : ويحك سامية مالك تكثرين الكلام ، ألا أوجزت فسألت عما يشغلني ؟

سامية : وفيه كان الكلام اذن !؟ حسبتك تفهم الاشارة .. حسنا مفا يشغلك؟
أبو القاسم : عرفت اليوم أخبارا ما حسبت. أننى سأعرفها أبدا .. أتدرين من كان يتأمر مع أعدائى ومن الذى ألقى بى فى السجن ... انه ابن اسماعيل القاضى الذى جعلته أنا قاضيا .. أتدرين أنهم طلبوا اليه أن يدفع من الخزانة العامة ثمن خروجى من السجن فأبى .

سامية : لعله حديث كاذب ؟

أبو القاسم : لقد قصد الى اليوم واحد ممن تأمروا معه ، وهمس الى بهذا الحديث ، لأحميه ، فقد نارت الدولة على ابن اسماعيل وخانه من تعاهدوا معه وهو اليوم فى حيرة أمره لا يدري ماذا يفعل .

سامية : مالنا وله ؟

أبو القاسم : بروحى أنت يا سامية انه لولاك لما خرجت الى الدنيا ضحيت بكل أموالك لينفرج عنى باب السجن بحياتى أنت .. ألا ما أهون حياتى فى سبيلك ... غبى ذلك الذى يفتدى حبيبته بحياته انه كمن يفتدى حياته بحياته ، ولكن ما حيلتى ازاءك لا أملك غير هذه الأنفاس الملتهبة بالحب ان شئت أخدمها ان كان فى اخمادها نفع .. حدثينى يا سامية ماذا أفعل لأرضيك .. ماذا ؟

سامية : ماذا جرى لك أبا القاسم ؟ أتهيننى أم ترانى لست جديرة بما فعلت وما الذى فعلت أنفقت فى سبيلك كل ما أملك .. ألا ما أهون ما أملك فى سبيل نظرة اليك .. أتهيننى أبا القاسم .. عد الى رشد منك ولا تعد الى هذا الحديث .. ان تفعل ما يرضينى بل

ثروت أباطة - ٥٤٥

ان شئت أن تشيرني وتؤلني فعدني ألا تعود لهذا الحديث مرة
أخرى ٠٠ ألا تعد ؟

أبو القاسم : وعد حر تعبدته فهو تبعك لا يزور عن اشارة لك ولا يحدد
عن أمر تأمرين .

سامية : بل وعد حر هو سيدي ، وسيظل سيدي حتى اللقاء .
(تسمع ضربات استئذان على الباب)

أبو القاسم : من بالباب ؟

صوت : عبدك مرجان .

أبو القاسم : ادخل (يسمع صوت باب يفتح) خيرا مرجان ماذا ؟
مرجان : ابن اسماعيل القاضي ببابك حافي القدمين يلتمس المشول بين
يديك .

أبو القاسم : من ؟ ابن اسماعيل ؟ عميد الجماعة ؟
مرجان : هو يا مولاي عميد الجماعة .
(موسيقي)

أبو القاسم : شرفت يا ٠٠٠ أى الألفاظ أحب اليك قاضي القضاة كما أعرفك
أم عميد الجماعة كما تريد أن تكون ؟

ابن اسماعيل : بل عبدك ابن اسماعيل .

أبو القاسم : (يضحك هادئا) عجبا ! ماذا أفقدت نعالك ؟!

ابن اسماعيل : بل هي معي خلعتها قبل أن أدخل بابك ألتمس الشفاعة .

أبو القاسم : ثانية فيم الشفاعة اليوم ؟ لقد أصبحت أنت من ممن
يتشفع له ٠٠٠

ابن اسماعيل : شفاعة منك لدى نفسك ٠٠٠ أرجو الصفح .

أبو القاسم : ماذا تفعل به ؟ انه اليوم لا يغني عنك شيئا .

ابن اسماعيل : أريح به ضميري ويهدأ ثائري وأحتمى منك بخيانة الخائن
وغدر القريب .

(ابن اسماعيل يبكي)

أبو القاسم : ويحك ابن اسماعيل ماذا بك ؟

ابن اسماعيل : بي ضمير لا يريحتني على جنب ، وبى جرح فى أغوار القلب
من قوم مهدوا لى طريق الشر فاذا خطوت به تخلوا عنى وانتفضوا
على والقونى بين أنياب العدو بلا صديق ٠٠ انه الجرم الذى اقترفته
فى ححك يلاحقنى فاعف .

أبو القاسم : وجئت وحدك لا تخشى انتقامي !؟

ابن اسماعيل : أنت تنتقم من ملتجئ اليك .. لا يا مولاي أنا لا أخشى انتقامك ، فانك أكرم من تلغ الحشية ولكنني أخشى أن تأبى على الصفح فهل تأباه ؟

أبو القاسم : بل هو لك وأنت المشكور .. ان التجاءك الى هو أعظم مديح أناله .. لقد عرفت في نفسي ما لم أعرف .. ان اطمئنانك الى خلقي وهدهوك الى كرمي هو أعظم جزاء أناله منك .. صفحت عنك يا ابن اسماعيل ، فبيتي بيتك .

ابن اسماعيل : أنا ما أزال عميد الجماعة .. لكن لي رجاء اليك .
أبو القاسم : مر به .
ابن اسماعيل : بل رجاء .

(يسمع صوت جسم يلقي على الأرض)

أبو القاسم : أتقبل قدمي .. ابن اسماعيل ؟ أستغفر الله ، انه لا يسجد لغير الله .

ابن اسماعيل : فاقبل رجائي .
أبو القاسم : لست في حاجة الى ما فعلت مر بما تريد .

ابن اسماعيل : اتخذ مني عبدا لك كمرجان هذا .. لا أرجو من دنياي غير ما طلبت منك .. أجيء بحق زوجك .. بحق ربك .. بحق كرامة لي أبذلها لدى قدميك وملك خلفي أتركه ، لأكون عبدك .. عبدك لا أريد غيرها .. هذه أوراق عبوديتي .. فاقبل طرح نفسي .. عبدك يا مولاي عبدك .

أبو القاسم : قم أيها الرجل بل صديقي مدى الحياة .. قم أيها الرجل واحفظ عليك كرامتك .. قم أيها الرجل ان هذا البيت بيتك فأقم به .. قم أيها الرجل .

ابن اسماعيل : أقام الله أمرك وشد أزرك وهياً لك من لدنه البركات اللهم اقبل .

الجميع : اللهم اقبل ..

موسيقى

حلقات النصر

(موسيقى)

- صوت : الحمد لله هزم المرتدين
- آخر : سبحانه الحمد له أولا وأخيرا ...
- الأول : لقد نصرنا على القوم الظالمين ، وهياً لنا ذلك السيف الصقيل
- الثاني : سيف الاسلام ، وقاهر الشرك ، وعدو الكفار
- الأول : انه خالد يا أخى ما سار على جيش الا كان النصر بعض جنده
- الثاني : عقل وحسام ، يدبر فهو الملمه لا تند عن فكرة بادرة ، ثم يخوضها فهو الاعصار المحيط بأعداء الله
- الأول : لقد تاب المرتدون جميعهم الى الرشده ، ومن أصر منهم على كفره قتل
- الثاني : تلك حدود الله ، ولا زالت حدود الله قائمة على الزمان
- الأول : والآن ، أما آن لنا أن نستقبل جيوشنا وننعم بأولادنا ؟
- الثاني : يا أبا زياد وما ضر لو ابتعد عنا البنون يرفعون لدين الله العمد ويشمدون للإسلام الاطناب
- الأول : انه والله عز الدنيا والآخرة ، والله ما ضقت بالشيخوخة يا أبا حنظلة الا حينما رأيت جيوش الله تزحف ولا تقوم بى الساق لأواكبها ، ولا ينهض الجسم للتمس احدى الحسينيين من نصر أو جنة
- الثاني : ليخيل الى أبا زياد أن الروح منى تتمرد على جسمى هذا الضاوى الهزيل تريد أن تفك عقالها وتنبعث الى جيوش النصر تستبى واحدة من اثنتين كلتاها أحب الى من الشباب الذى ولى ، ومن كل أمل حققته لى أيام مواض أو ستحققه لى أيام قوادم
- الأول : لك الله أحسن والله أن قلبى ينطق على لسانك ... لكن أظن الجيوش اليوم فى طريقها الى العدو ؟

الثاني : بل ما أظنها عائدة وشيكا يا أبا زياد ،

الأول : ولسم .

الثاني : سمعت أبا بكر بالأمس يبحث في أمر جليل .

الأول : وما هو ؟

الثاني : لقد دعا بالأمس مشيريه وأصحاب الرأي .

الأول : وفيهم دعاهم ؟

الثاني : لقد ترامت إليه الأنباء بأن المثني بن حارثة الشيباني قد استولى

على القطيف وهجر وسار بجيش له حتى بلغ مصب دجلة والفرات

هازما الفرس كلما التقى بهم ، وقد سأل أبو بكر عن المثني فهو

لم يكن يعرفه فأجابه قيس بن عاصم المنقري .

صوت : هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد .

هذا المثني بن حارثة الشيباني ، وهو من آل شيبان بن بني بكر

بن وائل وقد انضم الى جيوش المسلمين في حرب المرتدين وتزعم

من بقى على الاسلام في بلاده .

الثاني : فعرف أبو بكر أنه يستطيع الاعتماد عليه .

الأول : الاعتماد عليه فيم ؟ مالك لا تبين الأمر ولا تجلوه ؟ تقول ان

أبا بكر دعا ذوى الرأي والمشورة ، ثم تقول انه سمع عن المثني أ

أتراها الشيخوخة . أبا حنظلة أملت بك ، فأنت تهرف بما لا تعلمه !؟

الثاني : (ضاحكا) نحن شيوخ الجزيرة ، يزيدنا السن عقلا أبا حنظلة .

ولكنه الأمر الجسيم .

الأول : ما هو ؟

الثاني : ان أبا بكر يفكر في (يصمت)

الأول : بربك يا أخي قل . . . فيم يفكر أبو بكر ؟

الثاني : في فتح العراق .

الأول : (جازعا) فيم ؟! أتعي ما تقول ؟! في فتح العراق ؟! في حرب

كسرى ؟!

الثاني : في حرب كسرى وفتح العراق .

الأول : ولكن بربك ما الذى يدعو الى هذا التفكير ؟

الثاني : أمور كثيرة . . . فهو يعلم أن هؤلاء المرتدين الذين هزمتهم لن

يستتيموا على الهزيمة فلا بد أن يشغلهم بالفتح عن الشأن ، ثم ان

كثيرا من اخواننا العرب يقيمون في الشام والعراق ولا بد لهم أن

تبلغهم الدعوة الى الدين القيم ، ولعل هذه الفروع من العرب تذكّر أصولها الضاربة في جزيرتنا فيميل العرق الى العرق وتتجه الدماء الى الدماء يجتذبهم دين جديد ناصح ومذهب رفيع متحد هو أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

الأول : الله في عون الخليفة يا أبا حنظلة ٠٠٠ الله في عون الخليفة .
(موسيقى)

الراوية : وان الله في عون الخليفة ٠٠٠ وقد أرسل أبو بكر يدعو اليه المثنى بن حارثة الشيباني كما أرسل يدعو اليه خالد بن الوليد ، وما أسرع ما جاء الرجلان فقال المثنى :

المثنى : يا خليفة رسول الله أمرني على من قبلي من قومي أقاتل من يلينى من أهل فارس وأكفيك ناحيتي .

الراوية : فأمره أبو بكر على قومه ورجع اليهم وحين سأل أبو بكر خالدا رأيه . قال :

خالد : سيف الله في يدك يا خليفة رسول الله ، أطلقنى حيث شئت أعد بالنصر المؤزر ان شاء الله .

الراوية : وأمر أبو بكر خالد على القيادة العامة لجيوش الفتح .
(موسيقى عنيفة وطول حرب تلازم كلام الراوية)

وخرج خالد على عشرة آلاف من الجند ، وسار بهم حتى التقى بالمثنى ورهطه .

(تنقطع أصوات الطبول)

خالد : ان طريقنا الى الحفير .

المثنى : فكيف تريدنا أن نسير اليه ؟

خالد : في فرق ثلاث ، وعليك أنت يا مثنى أن تسير في باكر الصباح مع جيشك ، وبعد غد سيلحق بك عدى بن حاتم الطائي ثم أتبعكم أنا .
(موسيقى تعبر عن السير ويحسن أن تتخللها أصوات خيل وضجيج)

الراوية : وسارت الجيوش وأرسل خالد من قبله رسولا الى هرمز أمير الفرس في هذه المنطقة وكان رسول خالد يحمل رسالة خطها خالد بسيفه ، فهي الرعب المفرق ، وبلغ الرسول هرمز .

صوت : أسلم تسلم ، وأعتقد لنفسك وقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ، والا فلا تلومن الا نفسك ، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة .

- الراويّة :** ونزل خالد عند الحفير ونزل برجاله عند الماء وقال لهم :
- خالد :** ألا أنزلوا وحطوا أثقالكم ، ثم حاربوهم عن الماء فلمعمرى ليصيرين الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين .
- الراويّة :** وجمع هرمز جيوشا ، ولكنه كان خالدا لا يهزم فهو يجمع رءوس قومه يشاورهم .
- هرمز :** انه خالد .
- صوت :** نعلم ذلك . . . انه خالد .
- هرمز :** وماذا ترون ؟
- صوت :** اننا في الكثيف من الجند ، فلو كانوا ألف خالد ما استطاعوا اليوم لكثرتنا دفاعا .
- هرمز :** بل انه خالد واحد يا أخى ، ولا سبيل لنا اليه .
- صوت :** ونحن في هذا العدد الضخم ، ونحن على هذه الخيول المطهمة ، ونحن بهذا الزاد الوافر وهذا الجيش العنيف ؟!
- هرمز :** ونحن كذلك . . . لا سبيل لنا الى النصر ما دام خالد على رأس هذه الجيوش .
- الصوت :** نعود اذن أدراجنا نقول للملك أردشير انه خالد واننا لم نطق له دفعا .
- هرمز :** بل اصبر يا أخى انما نحن نتفاوض الأمر فنرى فيه .
- الصوت :** ان جيوش العرب أمامنا تزودنا عن المياه ، ولا ماء عندنا فنصبر ، ثم أنت أيها الأمير تقول تفاوض الأمر وترى فيه .
- هرمز :** انها الحرب يا أخى . . . روية وتفكير .
- الصوت :** بل انها الحرب أيها الأمير ضراب وطعان .
- هرمز :** (ساخرا) غرتك نفسك أيها المسكين . . . انها الحرب والطعان ان كان الجيشان متكافئين . . . أما وخالد على رأس جيش فلعدوه الموت والهلاك .
- الصوت :** أنقعد اذن نندب حظنا ، أم نعود أدراجنا ، أم لديك أيها الأمير حيلة تخرج لنا بها الماء من هذه الصحراء فنشرب ؟
- هرمز :** (فى فرح) الحيلة . . . لا يغلب خالد الا بالحيلة . . . لا سبيل لنا اليه فى الحرب ولكننا قاتلوه بالحيلة . . . اسمعوا انى أعرف

في خاله حمية عربية تشور اذا اثرت فاني ادعوه الى المنازلة حتى اذا
خرج الى ٠٠٠٠

(موسيقى)

هرمز : (صائحا) أين خاله ؟

خالد : (ساخرا في صوت خفيض) ساذجة حيلتك يا عبد الكفر ٠٠
اسمعوا أيها الاخوان اني سأخرج فتربصوا بالقوم فانهم حين يرونني
متفردا واياهم سيخرجون الى ييغون قتلى وأنا بمعزل عنكم فانفروا
أنتم اليهم قبل أن يبلغوا مكاني .

صوت : أيريدون قتلك غيلة ؟ والله لنصليهم نارا حامية ؟

خالد : انتبهوا .

هرمز : (صائحا) فخالد اذن حديث خرافة لا جسد فيه ، أين مدوخ
الأبطال ، أين صاحب الأساطير ٠٠٠٠ أين ٠٠٠٠ !؟

خالد : (مقاطعا) اليك ٠٠٠ اليك يا فتى الكفر .

(موسيقى فيها خطورة تنتهي بقعقة سلاحين)

صوت : الله أكبر ٠٠٠ الى الكفرة أيها المسلمون .

الراوية : وصدق حدس خالد فقد كان هرمز قد أوصى قومه اذا رأوا خالدا
يقارعه أن يخرجوا اليهما ويحيطوا بخالد فيقتلوه ، ولكن جيش خالد
أحبط حيلتهم وسارع الى جيوش الكفار قد استل الروح الكافرة من
جسم هرمز ، وصاح جنود الفرس .

صوت : لقد قتل هرمز .

أصوات : الفرار ٠٠٠٠ الفرار ٠٠٠ (أصوات سلاسل شديدة) .

أصوات : وكيف الفرار وهذه السلاسل تحيط بنا ؟

صوت : سلاسل ؟

آخر : يا لجبن الكفار لقد قيدوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا من
الحرب !

أصوات : حطموا السلاسل والفرار ٠٠٠ الفرار (أصوات تحطم
السلاسل)

أصوات : الفرار ٠٠٠ الفرار ٠٠٠٠

الراوية : وكان الفرار ، وانهمت جيوش الكفر وتبدد جمعهم هزيما ، وخالد
يصيح بجنوده .

خالد : أدركوهم ٠٠٠ أريدهم أسرى ٠٠ أو أريدهم قتلى ، ان المواقع أمامنا كثيرة من ينجو منهم اليوم فهو عائد علينا في الغد ٠٠٠ أدركهم أنت يا مثنى ٠٠٠ تابعهم فلا تتركهم .

الراويّة : وكانت ذات السلاسل هي الغزوة الأولى في فتح العراق ، وقد أفاء الله على المسلمين منها الفىء الوفير ، وأرسل خالد خمس الغنائم الى أبى بكر وكان من بينها فيل تعجب له سكان المدينة حتى قال بعضهم :

صوت : أيستطيع الفرس أن يصنعوا أفيالا كثيرة كهذا ؟

الراويّة : ولكن الحرب لم تكن قد انتهت بعد ، فان أبناء الهزيمة كانت قد بلغت الملك أردشير ، فاذا هو يدعو اليه قارن بن قريقس .

أردشير : يا قارن انها الهزيمة المتكررة .

قارن : وانى لجالب لك النصر يا مولاي .

أردشير : فالجيوش الجيوش ٠٠٠ والسلاح السلاح .

قارن : فداؤك يا مولاي .

أردشير : أريد جيشا لم يسمع العالم به . . . أظن هؤلاء العرب أن شيئا لا يردهم !؟ هلم يا قارن .

قارن : لبيك يا مولاي .

الراويّة : وتجمعت جيوش الفرس وسارت لتلتقى جيوش المسلمين ٠٠٠ وفى الطريق التقى جيش الفرس بالبقايا المتناثرة من جيوش هرمن وحين يسألهم قارن :

قارن : ماذا حل بكم ؟

صوت : لا ندرى .

قارن : لا تدرن !؟

صوت : هي الهزيمة لا ندرى من أى مكان كانت تحيط بنا ٠٠٠ أهم جنة هؤلاء العرب . . . احتلنا ، لنقتل قائدهم ففطنوا الى حيلتنا ، قيدنا أنفسنا بالسلاسل حتى لا نفر ، فاذا الرعب فينا أقوى من سلاسل الحديد ٠٠٠ حططنا الحديد من الرعب ولم نستطع للعرب ولا لخالد دفعا ٠٠٠ تقف أرجلنا ان واجهنا جيوشهم ، وأرجلنا كهبوب الرياح الطائرة اذا ولينا الفرار ٠٠٠ الموت يا مولاي ٠٠٠ الموت فى سيوفهم

وأيديهم وخيولهم وعيونهم . . . بل الموت فى الهواء الخارج من أفواههم . . . الموت يا مولاي .

قارن : بعض ما بكم أيها الاخوان بعض ما بكم . . . انظروا الى جيوشنا هذه . . . وحينئذ سترون الموت الذى يشيعونه بينكم سينقلب اليهم .

الصوت : (فى ياس) هيهات .

قارن : بل سننتصر .

الصوت : (فى ضعف) نرجو .

الراويّة : دخل الجيش وكانما أراد أن يقف فى مطاردته هذه . . . دون المدائن عاصمة الفرس ولكن الأنبياء جاءت اليه .

صوت : حنانيك يا مثنى .

المثنى : ماذا ؟

الصوت : الآلاف تقف الآلاف . . . على رأسه بطل الفرس وقائدهم قارن بن قريقس وقد التفت بفلول الجيش التى تطاردها وانضمت الفلول الى الجيش فهم العدد العديد .

المثنى : وأين ينزلون ؟

الصوت : بقرية المذار .

المثنى : فمن لى بخالد ؟

الصوت : من لنا به ودوننا ودونه الفقار والعييد . . .

المثنى : فهى الشهادة اذن وبغير فتح .

الصوت : لا اله الا الله .

المثنى : (فى ياس) لا اله الا الله .

(موسيقى حزينة تنتهى بأصوات خيول وسيوف وجلبة)

أصوات : البشرى . . . البشرى يا مثنى .

المثنى : هو خالد .

الصوت الله أكبر . . . انه النصر . . . انه النصر . . .

الراويّة : وهل خالد الا النصر والتقى الجمعان . . . أما الفرس فكثير بعددهم قليل بخوفهم وأما العرب فقليل برجالهم وخيولهم كثير بايمانهم وعزيمتهم وخالدهم ، ومتى صعد الخوف للهزيمة ومتى ثبت الكفر للايمان ، ومتى لبث العدو لخالد ، لقد رأى الفرس قوادهم من قارن

الى غير قارن يقتلون على أعينهم كما تقتل النعاج والبطل البطل منهم
من وجد طريقا الى الفرار فاتخذ سبيله الى الفرار عدوا ٠٠٠ وان
كانت السلاسل قد عاقتهم هنيهة فى الغزوة الأولى فهم اليوم خفاف
الى النجاة سراع الى التهرب ٠٠ فانه خالد وانهم المسلمون .

خالد : الحمد لله ٠٠٠

المثنى : ما أظنهم يجتمعون بعدها أبدا يا خالد ؟

خالد : تحسن الظن يا مثنى بل سيجمعون ، أتحسب أن أكاسرة الفرس
يتنازلون عن كبرهم فى هذا اليسر ؟! بل انها الحرب يا أخى
فانتظرها فى كل يوم .

المثنى : وأين تراهم سيجمعون ؟

خالد : ان كسرى أردشير لن يسكت أبدا ٠٠٠

الراويّة : وصدق حدس خالد ، فما كان ليستك أردشير أبدا ، فقد بلغه
ما كان من هزيمة جيوشه فهو يدعو القوم فيشيرهم .

أردشير : ما ترون ؟

الصوت : الذى ترى .

أردشير : أرى أن هؤلاء العرب قد طغى أمرهم ٠٠٠

الصوت : (كمن وجد حلا) مولاي .

أردشير : ماذا ؟

الصوت : لا شيء .

أردشير : كأنك وجدت طريقا ، ثم حدث عنه .

الصوت : نعم فقد فكرت يا مولاي لو أننا استعنا ٠٠٠

أردشير : (مقاطعا) بالعرب على العرب ٠٠ نعم فان القبائل العربية الموالية
لى اذا حاربت هؤلاء هزمتهم ، فهى أدرى منا بقتالهم وبطرق قتالهم .

الصوت : ولكن اذا انتصروا يا مولاي فان النصر سيكون ملازما للعرب
ما يزال ، فيهون أمرنا ويتسامع الناس عنا ان لم نستطع أن نحارب
العرب وحدنا ، فاستعنا عليهم باخوانهم .

أردشير : أنت محق ولكن ٠٠ هناك حل ٠٠ نعم ٠٠٠ نجعل على العرب
الموالين لنا « بهمى » أقدر قوادنا فيكون النصر بيد العرب ويرجع
الفضل فيه الينا .

الصوت : أصبت يا مولاي ٠٠٠ أحسنت يا مولاي ٠٠٠ وفقّت يا مولاي ٠٠

(موسيقى)

الراويّة : شهد الله ما أصاب مولاه ولا أحسن ولا وفق مولاه فقد اجتمع العرب الموالون للفرس وعلى رأسهم «بهمن» جاءوا به وهو من أقدر قواد الفرس وأخذوا طريقهم الى الولجة وبلغت هذه الأنباء خالداً .

خالد : فاني سائر الى الولجة .

صوت : وتترك بعضنا هنا .

خالد : سأترك بعض الجيش على هذه البلاد ، ولكن حذار أن تخذعكم الهزيمة عن أعدائكم . . . فكونوا على الحذر الدائم .

الراويّة : وأخذ خالد سبيله الى الولجة ، فيلقى بها «بهمن» ومن يلوذ به وقبل أن يصل .

خالد : كتيبتك أنت يا زياد ، وكتيبتك أنت يا حنظلة .

صوت : ماذا بكتيبتنا ؟

خالد : ليبق كل منكما هنا بكتيبتيه ثم سيرا على مبعدة منا ، حتى اذا تلاحم جيشنا وجيش الكفار انبعثوا أنتم : أنت يا زياد عن يمين وأنت يا حنظلة عن يسار .

(موسيقى)

الراويّة : وسمع الرجلان لأمر خالد وتابع خالده مسيره حتى تلاحم الجيشان . . . ولكن المسلمين قد أصبحوا في قلة قليلة ، والكفار ما يزالون في العديد من جيوشهم . . . لقد ترك خالد بعض جيوشه في المذار ، وترك كتيبتين من خلفه والمركة سجال يترجح فيه النصر بين المسلمين والكفار ، ولأول مرة رأت جيوش الفرس أن النصر لا يلزم خالد طوال المركة بل هو يميل حينها اليهم ثم يعود طريقه الى خالد ، وبعث هذا التردد من النصر الأمل في نفوسهم . وتأخرت الكتيبتان واستياسن المسلمون في المدافعة وكادت الهزيمة . . . كادت . . .

اصوات : (غاية في القوة) الله أكبر . . . الله أكبر .

المديع : هيهات . . . هيهات لكلمة الهزيمة أن تصل بجيش يقوده خالد . . . انه النصر . . . انه النصر المؤزر . . . وهل كانت أيام خالد الا حلقات من النصر متلاحقات متصلات لا يختل لها نظام ؟! لقد شاء ربك وانما مشيئته أن يقول كن فيكون وكانت مشيئته سبحانه أن يكون خالد سيف الاسلام وبطل الحروب وجبار المعارك

فكان ، وكانت مشيئته سبحانه أن يظهر دينه على الدين كله فظهر
وتعلو كلمته في الآفاق فعلت ، ويشرق نوره في الابصار فأشرق
وصدق سبحانه وتعالى هو القائل .

« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه عندهم مكتوبا
في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي
كانت عليهم ، فالذين آمنوا وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي
أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

شاعر وملك

صوت : أشهد كان كتابك الأخير من أحسن ما ظهر في ميدان الأدب .
آخر : هذا أول كتاب لك . . أليس كذلك ؟

آخر : انه كذلك .

آخر : (فى وقار) ما أجدرك بقول البحترى :
هذى مخايل برق خلفه مطر

جود وورى زناد خلفه لهب

وأزرق الفجر يأتى قبل أبيضه

وأول الغيث ظل ثم ينسكب

آخر : هذا والله هو الشعر . . .

آخر : انك يا صديقى لن تقرأ البحترى حتى تجد السبك الرصين
والعربية الجزلة والألفاظ المستقرة وكأنما هى خلقت ليقولها البحترى
فى هذه المواضع .

آخر : (صاحب الكتاب) البحترى صانع الشعر وجوهره . . يختار من
أوزان الشعر . أنسبها لموضوع قصيدته ، ثم يختار من القافية أجملها .
وبين القافية والوزن ينزل الألفاظ منازلها ويجريها مجراها بغير
جهد تلمسه وانما يخيل اليك أنه يرسل الشعر كما نرسل نحن
جارى الحديث .

آخر : سمعت عن البحترى وما درست من أمره شيئا ، فمن هو أو أين
ولد ؟ وماذا دعاه الى قول الشعر ؟ وكيف قاله ؟ وعلى من أخذه ؟ وفيمن
قال ؟

آخر : على وسلك يا أخى فانه البحترى وما هو بمن يجمل الحديث عنه
اجمالا .

آخر : فصله اذن بربك تفصيلا .

آخر : هو أبو عبيده البحتري ، ولد ببلدة منيح ، ثم خرج الى العراق .
(موسيقى عنيقة)

البحتري : ويلى من الشعر يا مبرد .

ابن شراة : بل ويل للشعراء من شعرك يا بحتري .

البحتري : أخاف الشعراء يابن شراة .

ابن شراة : أتخافهم أنت ؟! فماذا يقولون هم ؟!

البحتري : لا وربك ما خوفي من شعر لهم أخشى أن يفض من شعري أو ينال منه . . وانما أخاف الحقد في نفوسهم ونحن أبناء صنعة واحدة . . تتزاحم على المال .

ابن شراة : على المال وحده ؟ ألا تختار لمديحك يا بحتري ؟

البحتري : أختار الغنى واسع الغنى فأنا انما أمدح ماله ولا شأن لي به .
ابن شراة : أتجعل من الغنى ذكرا خالدا من أجل المال ؟!

البحتري : يا صاحبي أرايت هذا الدرهم لو أننى وضعت عليه الطين
أينير هذا من شأنه أمرا ؟ هو الدرهم فى أى مكان .

ابن شراة : ولكن الشعر . . أليس للشعر كرامته ؟

البحتري : يا صديقى الطيب ، متمناى والله أن أقيم للشعر كرامته
ولا أقول حين أقول الا عن صدق احساس ، ولكن ذلك أمر عسير
المنال .

ابن شراة : عسير المنال ؟

البحتري : أى ربك ، فانه لا بد لي أن آكل ، لأعيش ، لأصبح ذا كرامة . . .
فانه لم يقل الشعر شاعر بغير تكسب الا كان القبائل أميرا موفور
الغنى واسع البجوحة .

ابن شراة : أعانك الله .

البحتري : لكم أحتاج الى هذا العون من الله يا صديقى الأوفى . . أنسا
أحتاج الى عونه ، لأتغلب على ضميرى ، ثم لأتغلب على بخل فى ذوى
الغنى ، ثم لأوسع لنفسى مكانا بين الشعراء .

ابن شراة : ان شعرك يوسع لك المكان يا بحتري .

البحتري : بل لا بد لاسمى أن يوسع لي .

ابن شراة : تقول اسمك ؟

المجتري : نعم ٠٠٠ ألا ترى الى هؤلاء الشعراء وقد وقفوا بأبواب الأمراء
تسد أسماؤهم الكبيرة أقطار الأرض فما أنا بواجد بينهم فرجه ٠٠
وآين أضع نفسي وقد تزاومت الأسماء وتكالبت على الرزق حتى
لقد ضاقت بهم أبواب الأمراء ؟

ابن شراعة : فماذا أنت صانع ؟

المجتري : سمعت عن أبي تمام ؟

ابن شراعة : ومن ذلك الذي لم يسمع بالطائي ؟

المجتري : فاني قاصد اليه .

ابن شراعة : ألا تخشى حقه ؟

المجتري : حقد من ؟ أبو تمام ٠٠٠ يا ليتته يحقد على أما والله لتكونن
مشار عجبى ومبعث مفاخرى وآين أنا من الطائي وقد ملك أسباب
الابداع وأعجز الشعراء حتى لم يبق الا من يعترف له بالسبق .

ابن شراعة : انك لن تخسر شيئا .

المجتري : فانا ذاهب اليه ثم أعود فأروى لك ما كان .

ابن شراعة : فاني هنا لن أبرح مكاني .

(موسيقى)

المجتري : ولقد وجدت عنده خلقا كثيرا وكل منهم يقول له الشعسر
وهو يصغى صامتا حتى اذا انتهى منشده أرشده ان كان فى شعره
صباية من أمل ، حتى التفت الى فقلت :

رأى البرق مجتازا فبات بلا لب

واصابه من ذكر البخيلة ما يصبى

وقد عاج فى أطلالها غير مهسك

لدمع ولا مصغ الى عدل الركب

وكنت جديرا حين أعرف منزلا

لآل سلمي أن يعنفنى صحبى

عدتنا عوادي البعد عنها وزادنا

بها كلفنا أن السوداع على عتب

ثروت أباطة - ٥٦٩

ولم آتسبب جرما فتجزيني به
ولم اجترم ذنبا فتعتب من ذنبي

وبى ظمما لا يملك الماء دفعه
الى نهلة من ريقها الخصر العذب

أبو تمام : ذاك هو الشعر فمن أنت ؟

البيحترى : البيحترى .. أنا أبو عبيده البيحترى الطائي .

أبو تمام : لأنت والله خليفتي ... لقد نعيننى الى نفسى يا أبا عبيدة .
فما أحب أن أعيش بعد أن نبت فى قبيلتى من هذا شعره .

البيحترى : أبياك الله أبا تمام .. انما أنت موثلنا وامامنا .

أبو تمام : وكيف حالك يا بن الأخ ؟

البيحترى : من شر حال أبا تمام . الشعراء يزحمون الطريق فما أجسد
لنفسى سبيلا .

أبو تمام : لقد وقعت على سبيك يا فتى .. خذ هذا كتابى الى قوم
يكرمون وفاء الشعر .

البيحترى : بقيت مقصد آمال أبا تمام .

(موسيقى)

البيحترى : وكان خطاب أبى تمام الى قوة معرة النعمان ، فذهبت اليهم
ومدحتهم .

المبرد : وكم أعطوك ؟

البيحترى : أربعة آلاف درهم .. هى أول ما كسبت من الشعر .

المبرد : ولم يزيدوا ؟

البيحترى : بل زادوا وما علموا أنهم زادوا .

المبرد : كيف ؟

البيحترى : ذاع اسمى من عندهم وتيسر لى الطريق بعد أن كان وعر المسالك
عسير الدروب .

المبرد : فان سألتك اليوم أن تقارن شعرك بشعر أبى تمام .

البيحترى : لك الله يا مبرد .. أو تظن السنوات تمحو الحقائق ؟ زحم

الله أبا تمام .. فانه والله الأستاذ الرئيس وما نلت الخير الا به .

- المبرد : تأبى الا شرفا من جميع جوانبك أبا عبيد .
- البحترى : هو الحق يا أخى . . وما اصطنعته .
- المبرد : وأين ستقام بك الطريق ؟
- البحترى : الى المتوكل .
- المبرد : ان لك فيه القصائد الخالدات .

البحترى : انى لا أخفيك الحق يا مبرد لقد قلت الشعر تكسبا فما كان
يعنىنى أن يكون الممدوح مستحقا لما أقوله فيه من الشعر أو غير مستحق
غير أنى كنت أجد فى ذلك . . غصة . . ما أحسب الا أنك تعرفها
. . تخيل نفسك يا صاحبى تسكب الجواهر الفريدة على حمار لا يجد
فيها الا الحصى .

المبرد : (يضحك) جزاك الله يا بحترى .

البحترى : حتى مدحت المتوكل . . وجدته يستجيب للمديح . . صادق
النظرة فى الشعر . . طيب الرؤية فيه ، بارع النقد ، فاسترحت
اليه . . . وأصبحت أقول الشعر فيه وأنا مرتاح الضمير هادى
النفس طيب المخاطر .

المبرد : ما أحسن شعرك فيه ؟

البحترى : أقول حين قمع المتوكل الفتنة التى كادت تضطرم بين ربيعة :

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| نزور أمير المؤمنين ودونه | سهوب البلاد رحبها وسعيها |
| إذا ما هبطنا بلدة كر أهلها | أحاديث احسان نداء يذيعها |
| حمى حوزة الاسلام فارتدع العدى | وقد علموا ان لن يرام معيها |
| ولما رعى سرب الرعية زادها | عن الجذب مخضر التلاع مريعها |
| علمت يقينا منذ توكل جعفر | على الله فيها انه لا يضيعها |
| اسيت لأخوالى ربيعة اذ عفت | مصايفها منها وأقوت ربوعها |
| بكرهى ان باتت خلاء ديارها | ووحشا مغانيها وشتى جميعها |
| وفرسان هيجاء تعيش صدورها | باحقادها حتى تضيق دروعها |
| تقتل من وتر اعز نفوسها | عليها بأيد ما تكاد تطيعها |

المبرد : (مكلا باعجاب)

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر أرماح تقطع دونها شواجر أرحام ملوم قطوعها
فلولا أمير المؤمنين وطوله لعادت جيوب والدماء ردوعها
تألفهم من بعد ما شردت بهم حفاظ أخلاق بطنى رجوعها
فأبصر غاويها الحجة فاهتدى وأقصر غاليها ودانى شسوعها

البحترى : انى والله لا أعلم أننى أحسنت .. فبالله ألا قلت لى أحسنت
فلقده أحسنت .

(موسيقى)

صوت : يا بحترى مولاي المتوكل يطلبك .
البحترى : انى اليه شاخص .

(موسيقى)

البحترى : مولاي .

المتوكل : أين كنت ؟

البحترى : انى فى حمى مولاي أينما أذهب .
المتوكل : هل من شعر جديد ؟

صوت : (يقطع الحديث) مولاي ... انه الأمر الجليل .

المتوكل : فقله .

صوت : لو أمر مولاي فأخلى القاعة .

المتوكل : انها لخالية .

البحترى : أياذن لى مولاي ؟

المتوكل : بل أقم ، فما عليك سرى أبا عبيد .

الصوت : انها المؤامرة حبكت خيوطها ... التأم شرها هنا فى قصر
مولاي .

المتوكل : مؤامرة ... ما أهداها ؟

الصوت : قتل مولاي .

المتوكل : قتلى ...

البحترى : قتل مولاي .. والعباذ بالله .

المتوكل : فمن حامل عيبتها ؟

الصوت : أخاف يا مولاي أن أقول .

المتوكل : فماذا أنت قائل اذن ان لم تذكر المتأمرين .

الصوت : انه يا مولاي .. انه يا مولاي .

- المتوكل : ألا قل .
- الصوت : المنتصر .. ابنك يا مولاي .
- المتوكل : ابني المنتصر ما خطبه ؟ أصابه المتآمرون ؟ ويل لؤم منى
هل مسوا منه شعرة .. من هم المتآمرون ... من زعيمهم ؟
- الصوت : ابنك يا مولاي .
- المتوكل : الويل لك انطق .. ماذا به .. ماذا أصابه ؟
- الصوت : يتأمر عليك .
- المتوكل : (مذهولا غير مصدق) ماذا ... تقول من ... من يتأمر
- الصوت : أعلم هول الوقع يا مولاي .. تمنيت والله لو مت قبلها .
- المتوكل : ولدى !؟
- الصوت : عفوك يا مولاي ، ما على مثل هذا نسكت .. فانا اذن خونة .
- المتوكل : ألقيت بالقول ولم تشفعه ببرهان ... والآن حياتك أو البرهان
على ما تقول .
- الصوت : أعلم يا مولاي أنك سوف تسألني على ما قلت دليلا .
- المتوكل : ال به أسرع .
- الصوت : فهم الساعة مجتمعون ... فلو تفضل مولاي .
- المتوكل : اني ذاهب اليهم .. فقد الطريق .. هلم يا بحترى .
(موسيقى عنيفة)
- صوت : يا ولي العهد .. ان حرس الخليفة ينامون عند الفجر .
- ولي العهد : فعند زرقة الفجر اذن (في سداجة) .
- آخر : لا بد لكل منكم أن يعرف مكانه .. وحذار أن يعلو منكم صوت
ولي العهد : وبعد أن تنتهوا ؟
- صوت : نخرج الى المدينة فنؤذن الفجر وفي الصلاة ندعو لك بالخلافة .
- ولي العهد : هكذا ... هكذا (في فرحة بدائية) .
- الصوت : بل اننا سوف نترحم على الخليفة القليل ، ونذكر مناقبه ونتعبد
أمام الناس بأن ندرك الثار .
- ولي العهد : (في سداجة) نعم الثار .. الثار .
- صوت الخليفة : (في شدة عنيفة قاسية) من ينال ثأري اذن يا منتصر ..
ويلى منك وويل عليك .
- أصوات : (في هرج وخوف) الخليفة ... المتوكل ..
- المنتصر : (ولي العهد) أبي ..
- المتوكل : ليتنى ما كنت يا بن العقوق ... خلافة سوف تفضى في غد اليك .

فما بالك تتعجلها اليوم .. واحربا .. فيمن اتق ؟

المنتصر : أبى .

المتوكل : خذوه الى السجن .

(أصوات خشخشة حديد)

المنتصر : أبى ... أبى !

المتوكل : خذوه ... أما أنتم ... فان لى معكم شأنا .

(موسيقى)

البحترى : وأرسل الخليفة المتأمرين الى الموت .. أما ابنه فاننا تشفعنا
عنده حتى رضى ألا يقتله وأبقاه سجيناً .

المبرد : ويحك يا بحترى انك لترى الكثير فى قصر المتوكل .

البحترى : ايه يا مبرد .. انك صديق الطفولة ... فحذار أن يعرف أحد
عنى أنى نقلت الحديد .

المبرد : هيهات .. ان سرك فى مكانه يا أبا عبيد .. ألم أخبرك بما سمعته
عنك اليوم ؟

البحترى : أخيراً سمعت أم شرا ؟

المبرد : الحق اننى سمعت الخير والشر .

البحترى : فبالله ألا أسمعتنى الخير .

المبرد : والشر ؟

البحترى : أحبسه عنى .

المبرد : أما الخير فقد سمعت اليوم أن أحد تلاميذ أبى العلاء سألته عنك
وغن المتنبى وعن أبى تمام .

البحترى : أشيخ المعرفة تقصد ؟

المبرد : هو أبو العلاء المعرى ومن غيره ؟

البحترى : أما والله فانما مثل هذا من يسأل .. ومثل هذا من أحب أن
أسمع رأيه ... عجل بربك .. فماذا قال ؟

المبرد : قال المتنبى وأبو تمام حكيمان . والبحترى هو الشاعر .

البحترى : أما والله انها لمدحة يقصر دونها كل ما سمعت من مديح .

المبرد : ألم أقل لك انه الخير .

البحترى : والشر .. ما الشر الذى سمعته .

المبرد : ألم تقل أحبسه عنى ؟

- البحتري : قله .. فانى ان لم أعلمه منك علمته من غيرك
- المبرد : سمعت فيك هجاء
- البحتري : ممن ؟
- المبرد : ومن تنتظر ؟
- البحتري : والله ان قريبي من المتوكل أوغل على أحقادا كثيرة
- المبرد : وأى حاقد تنتظر شعره ؟
- البحتري : اللهم اجعله من أى شاعر الا من ابن الرومى
- المبرد : بل هو والله من هجائك
- البحتري : (أسفا) فماذا قال ؟
- المبرد : يقول :

البحتري ذنوب الوجه نعرفه
ومن يكون ذنوب الوجه ذا أدب
أحرى بمن عظمت فى الناس لحيته
من نحل الشعر أن يدعى أبا العجب

- البحتري : لقد غاظه شعري .. فهو يعلم أنه الذهب المذاب
- المبرد : نعم لقد أغاظه شعرك ... وغازله قريك الى المتوكل
- البحتري : فهو اذن يسخر من لحيته .. والله لأجيبه اجابة لم يتوقعها
- المبرد : وما هي ؟
- البحتري : أتراك تلقاه ؟
- المبرد : لعلى ألقاه ... أو اننى أعرف من سبلاقيه
- البحتري : فربك الا أرسلت اليه هذه (يسمع صوت النقود)
- المبرد : ما هذا ؟
- البحتري : كيس فيه مائة دينار
- المبرد : وهو من هجائك !؟
- البحتري : وما اليأس ؟
- المبرد : والناس يقولون عنك بخيل تخاف على دراهمك خوف الطاهى
على الماء

البحتري : بل اننى والله لأكثر بخلا مما يقولون
المبرد : فما هذه الدنانير ؟

- البحتري : اننى أعلم حرقة الفقر فقد عانيته أكثر أيامى وأعرف الطريق
المسدود الى أعتاب الأمراء وأعرف أن ابن الرومى شاعر على
طبيعة الشعراء وهو لم يقل ما قال الا فقرا وحقدا وغیظا
- المبرد : والله ما كذب القائل :

ومهما تكن عند امرىء من خليفة
وان خالها تخفى على الناس تعلم
انما البخل فيك صناعة والطبع كرم . . . جزاك الله خيرا أبا عبيد
جزاك الله خيرا . . .
(موسيقى)

البخترى : ماذا قال ابن الرومي حين وافاه المال ؟
المبرد : ويحه قد قال أفحش القول . . . !
البخترى : لقد غاظه احسانى اليه أكثر من غيظه لاحسانى فى الشعر . . .
ماذا قال ؟
المبرد : قال أيعاود البخترى أن يرشونى بـمال هو مستجديه والله
لا أسكت عنه أبـد الدهر .
البخترى : مرحبا به .
المبرد : سمعت اليوم قوما يمدحونك يا بخترى . . . ويقولون انك أحببت
فتاة ، فماذا قلت فيها ؟
البخترى : ألا والله انما لنا نحن - مادحى الأمراء - مداخل الى الكلام تبدأ
بالغزل وتنتهى الى المديح .
المبرد : ومن ذلك ؟
البخترى : من ذلك قولى :

ألا همل أتاها بالمغيب سلامى
وهمل خبرت وجدى بها وغرامى
وهمل علمت أنى ضنيت وأنها
شفائى من داء الضنى وسقامى
ومهزوزة هسز القضيـب اذا مشت
تئنـت على دل وحسن قـوام
أحلت دـمى من غير جـرم وحرمت
بـلا سبب يوم اللقـاء كلامى
فسداؤك ما أبقيت منى ، فانه
حشاشة جسم فى تحول عظامى

صلى مغرماً قد وافر الشوق دمه
سجاً على الحديد بعد سجام
فليس الذى حلتته بمحلل
وليس الذى حرمته بحرام
وانى لأبء على كل لائم
عليك وعصاء لكل ملام
هل العيش الا ماء كرم مصفق
يرقرقه فى الكأس ماء غمام

المبرد : ذاك والله الشعر .. فسلام عليك .
البحترى : الى أين ؟

المبرد : الى بيتى ، فاقد والله سكرت بخير خمر ، فما أدرى هل أنا بالغ
أم أننى أتوه عنها .

البحترى : (ضاحكاً) فامكث حتى تفيق ، فانى لأنتظر شيخاً شاعراً .
(طرق على الباب)

البحترى : هذا هو ... ادخل .
صوت : السلام عليكم .

البحترى : وعليك السلام .. يا غلام هات غذائى .
المبرد : ويحك .. أأأكل الآن غذاءك ، وقد أذنت الشمس بمغيب .

البحترى : لعل لا أجد أحدا يشاركنى فى طعامى ؟
المبرد : أما أنا فمحقق لك أمنيتك .

الصوت : وأما أنا فلا .

البحترى : (فى حزن) فأنت ستأكل معى ؟
الصوت : نعم ...

البحترى : أتعرف يا مبرد من الشيخ ؟
المبرد : لا والله .

البحترى : فانه من بنى الهجين الذين يقول فيهم شاعر يعرفهم وبنو
الهجين قبيلة ملعونة شعث اللحي متشابهو الألوان لو يسمعون
بأكله أو شربه بعمان أصبح جميعهم بعمان (ضحك شديد) .
(ضحك مستمر - طرق شديد على الباب)

صوت : (من الخارج) يا بحترى .. الخليفة يطلبك .

البحتري : لبيه أكمل أكلتك أيها الشيخ ، فلقد والله أديت ثمنها بما
أضحكتنا الساعة .

(موسيقى)

البحتري : مولاي .

المتوكل : تشوقت والله أن أسمع منك شعرا .

البحتري : أنشد قصيدتي في البركة يا مولاي ؟ لهفي على لغة العرب
كلما قلت البركة أحسست بالحسرة .

المتوكل : وله ؟

البحتري : عرفنا البركة يا مولاي ماء راكدا أغبر الصفحة أخرس الوجه
ولكنك يا مولاي صنعتها من الزئبق فكانى بك مولاي أمرت النور
أن يسكب فيها ثم أمرته لا يبرحها فأطاع يا مولاي منسكبا وماكشا.
لقد والله أحسنت حين وصفتها بقولي :

ميلوا الى السدار من ليسل نحيها
نغم ونسألها عن بعض اهليها
يا دمنة جاذبتها الريح بهجتها
تبيت تنشرها طورا وتطويها
لا زلت في حلل للخير ضافية
ينسرها البرق أحيانا ويسديها

• مالكم لا تقولون أحسنت • فلقد والله أحسنت وأحسنت
(أصوات ضحك)

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها
والآنسان اذا لاحت مغانيها

يحسبها أنها في فضل رتبها

تعد واحدة والبحر ثانيها

كان جن سليمان السدين ولوا

ابداعها فادقوا في معانيها

قلو تمر بها بلقيس عن عرض

قالت هي الصرح تمشيدا وتشبيها

تنصب فيها وفود الماء معجلة

كالخيل خارجة من حيل مجريها

أما والله لقد أحسنت وأحسنت

التوكل : أما والله لقد صدقت .. فهكذا الاحسان يكون .. وان كان شعرك يحتاج الى منشد !

البحتري : ألا أحسن انشاد شعري يا مولاي ؟

التوكل : بل انك والله تسييء اليه أبلغ اساءة ... أو لعل غرورك هو المسى .

البحتري : يا مولاي اننى أنثر بين يديك نفسى فى كل كلمة .. اكثير اذن ان هذا أحي الأجزاء من نفسى وهى تنفصل عنى لتسركم .

التوكل : لم تخبرنى يا بحتري .. أيهما أشعر ؟

البحتري : أنا أم أبو تمام ؟

التوكل : نعم ... هذا ما أردته أن أسألك فيه .

البحتري : أحمد الله اننى ما قرنت بغيره ... ان أردت الحق يا مولاي بغير تواضع أو غرور فاننى أرى جيد أبى تمام خيرا من جيسى ورديشى خير من رديئه .

التوكل : لقد عدلت والله أبا عبيد .. أسمعنا اذن ما قلت فى عرش كسرى .

البحتري : شكر الله لك يا مولاي .. ذلك والله هو الشعر ...

صنت نفسى عما يدنس نفسى
وترفعت عن جدا كل جيسى
وتماسكت حين زعزعنى الدهر
التماسا منه لتعسى ونكسى
حضرت رحلى الهوم فوجهت
الى أبيض المسائن عنى
أتسلى من الخطوط وآسى
لمحل من آل ساسان درس
ذكرتنيهم الخطوب التوائى
ولقد تذكر الخطوب ونسى
لو تراه علمت أن اللىالى
جعلت فيه ماتها بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم
لا يشاب البيان فيهم بلبس
فاذا ما رأيت صورة أنطا
كبة ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وأنوشر
وان يزجى الصفوف تحت الدرس
تصف العين أنهم جد أحياء
لهم بينهم اشارة حرس
يفتلى فيهم ارتياى حتى
تقراهم يسداى بلمس

صوت : تأذن لنا يا مولاي ؟

المتوكل : على بركة الله (أصوات انصراف القوم) *

البحترى : أرايت يا مولاي .. غاظهم أن تؤثرنى وحدى باهتمامك *

المتوكل : دع عنك أمرهم .. فلقد خلونا فليلنا شعر حتى الصباح *

البحترى : رضاك يا مولاي حسبى *

المتوكل : أكمل القصيدة .. آه .. قتلنى الكافر .. الى يا بحترى ..

الى .. ابنى قتلنى *

البحترى : مولاي *

صوت : اياك أن تتقدم *

(موسيقى عنيقة)

البحترى : حرام على الراح بعدك أو أرى

دما بدم يجرى على الأرض مائه

وهل أرتجى أن يطلب الدم واتر

يد الدهر والموتور بالدم واتره

أكان ولى العهد أضمر غادرة

فمن عجب أن ولى العهد غادره

فلا مل البساقى تراث الذى مضى

ولا حملت ذاك السعاء منسائره

مال وبنون

الراويّة : أغنى ملوك التّساريخ ما مضى منه ، وما هو في مطوى الغيب
مستقبل . قارون . أول من سك النقود وما ذكر الغنى الا وقال
قائل :

صوت : (صوت فى صدى) قارون .
الراويّة : رب المال الذى لم يشمله عد . قارون .

جونج

سرور : المال عندك بحور ، والناس عند بابك خدم . والزمان طوع أمرك
فاسعد انما السعادة أن تحس بها وتلتنها .

قارون : انما السعادة أن أنال كل ما أريد . . . ولم أنه .
سرور : فاذا ان لم يأت الولد ؟ . ماذا أنت فاعل ؟
قارون : لا بد أن يأتى . . . انه السعادة . . لا بد أن تكتمل لى السعادة . .
فانى قارون .

سرور : مولاي . . الحياة لم تخلق للسعادة كاملة أبدا . . مولاي ، ان
السعادة ومضات فى النفس تخبو وتشرق . . مولاي ، لم ير الناس
فى الأزمان الماضية على طول الأزمان سعادة لا تنغصها تعاسة ،
مولاي ، ان السعادة التى ترنو اليها صورة لم يخلقها الا خيالك
تأبى الحياة أن تحققها فاسعد بما أنت فيه . . فانك فى سعادة
لا تدرى بها . .

قارون : (فى سخريّة) سرور ، أنت تهنى . . . السعادة أمل يتحقق ،
والسعادة هى ما أتخيله أنا . . . ان فكرى أنا عن السعادة ليست
فكرتك أنت وآمالك . . ما أتصوره أنا سعادة لى هو سعادتى أنا
آمالك أنت وما تتخيله أنت سعادة ، أما هذه فصورة غريبة عنى
لا تعرفها نفسى ولا تسعد لها ولا ترضاه من المال . . الغنى . .
الذهب . . . الملك السلطنة . . . المجد . . وكل هذا فى نظرك أنت

ولعله فى نظر كثير غيرك سعادة أما عندى .. عندى أنا فعبء حينا
ومادة مختلفة الألوان جامدة حينا آخر .

سرور : مولاي . هو ما تقول ولكن لابد لنا أن نبين لك ما تروح فيه من
نعيم فانه قل بين البشر من يتمتع بمثله .

قارون : لابد أن أحس أن هذا هو النعيم ، وإذا أحسسته فلن أحتاج الى
أحد ليبينه لى .

سرور : سوف يأتى يوم يا مولاي تعرف فيه أى نعيم كنت فيه ، وأخشى
والله يا مولاي أن تأسف يومذاك ولن يفيد يومذاك أسف .

قارون : هراء .. هراء ماتقول .

صوت : مولاي .

قارون : ماذا تريد ؟

الخادم : مولاتى تريد أن تلقاك .

قارون : (ساخرا) أنبئها أنى سأذهب اليها حين أنتهى من المجلس .

الخادم : مولاي عفوك ... انها تريد أن تراك الآن .

قارون : (ساخرا) الآن ؟

الخادم : ان أذنت يا مولاي .

قارون : أنا قادم اليها .

الخادم : أمرك يا مولاي .

(يسمع صوت الباب يغلق)

قارون : عاقر وتشتد فى طلبى وكأنها أنجبت لى أولياء العهد .

سرور : أهى يا مولاي العاقر !؟

قارون : (غاضبا) يقينا .

سرور : ومن أين يأتى اليقين يا مولاي .. انها الزوجة الثالثة ، ولم تحمل
واحدة قبلها حتى تقول عن هذه انها عاقر .

قارون : بل حملت الأولى .

سرور : ذلك الحمل الذى لم يتم .. مولاي عفوك .. فلماذا تركتها أن
تكن ولودا .

قارون : سرور .. أنت كثير الكلام .

سرور : مولاي ، عودتنى أن أقول الحق .. وما أظنك إلا تغضب منى ان أنا
أخفيت عنك ما أراه صوابا .

- قارون : أنت تغالى فى الحق
- سرور : الحق يا مولاي هو الحق وهو جامد لا يقبل مغالاة ولا تهوينا
- الحق لا يتغير يا مولاي
- قارون : هو ما ترى يا سرور هو ما ترى .. والآن لابد لي أن أرى العاقر
- سرور : ستري زوجتك يا مولاي .. ستري الملكة

(موسيقى)

- الملكة : مولاي
- قارون : (فى ضيق) خيرا ماذا تريدين ؟
- الملكة : (فى فرح) مولاي اني ..
- قارون : (مقاطعا) لا تقول انك حامل
- الملكة : ومالي لا أقول وهو الحق
- قارون : حديث معاد .. أسمعه منك فى كل حين ، ثم مايلبت أن يتكشف عن وهم خالص

- الملكة : ولكنه فى هذه المرة حق خالص .. مولاي ان ولدك يركلنى
- قارون : (بين مصدق ومكذب) بلقيس .. أحقا ما تقولين ؟ .. أحقا ما تقولين ؟

• الملكة : مولاي ان شئت ركل يدك . أنت أيضا .

- قارون : هو الحق اذن ! .. هو الحق ان لي ولدا .. ان لي .. (متراجعا)
- أهو ولد يا بلقيس ؟

- الملكة : أرجو أن يكون يا مولاي
- قارون : انه ولد .. انى أعرف ذلك ، انه ..

(موسيقى)

- صوت امرأة : ولى عهدك يا مولاي

(موسيقى)

- قارون : هيه يا سرور .. رأيت اليوم .. انها السعادة الكاملة
- سرور : مولاي أدامها الله عليك ولكن
- قارون : بربك يا سرور بغير ولكن

- سرور : لابد منها يا مولاي .. ان الولد لم يكبر بعد .. أهو الذرية التى كنت تريدها ؟ أنجيب هو مثل أبيه ؟ أيستطيع أن يقوم على مالك

ملكك غير مسرف ولا شحيح ، غير ظالم ولا ضعيف ... من يدري
مولاي ؟

قارون : (في تفكير) سرور .

سرور : مولاي .

قارون : من الذي سماك سرور ؟

سرور : أبى يا مولاي .

قارون : أخطأ أبوك .

سرور : بل أصاب ... ان السرور أن تعرف الحق بلا وهم ولا تمويه .

قارون : انك قادر على أن تقلب السرور تعاسة .

سرور : فاذاكر يا مولاي يوم كنت أحاول أن أقلب التعاسة سرورا .

قارون : لم تفلح في ادخال السرور الى نفسى ، ولكنك في ادخال التعاسة

موفق كل التوفيق .

سرور : هو الحق يا مولاي .

قارون : أخشى والله أن أكره هذا الحق .

سرور : لن يخسر الحق يا مولاي ... وستخسر أنت .

قارون : اننى اليوم سعيد ... فاسعد معى يا سرور ... ودع الغد الى الغد .

اننى اليوم سعيد ...

سرور : مولاي جعل الله غدك أسعد من يومك ، ويومك أسعد من أمسك

فليس أحب لى يا مولاي من أن تكون سعيدا ... وأن تدوم هذه

السعادة ... أدامها الله يا مولاي ... أدامها الله يا مولاي .

(موسيقى)

قارون : (فى حزن) بلقيس أشيرى على ... ماذا أفعل ؟

بلقيس : مولاي انك الملك ... الأطباء فى أنحاء الأرض يتمنون أن يطيعوا

لك أمرا .

قارون : وهل رأيت الطب أجدى فى مثل هذه الحال ؟

قارون : (باكية) بربك يا مولاي ، بحياتى ، بعض الأمل يا مولاي .

بعض الأمل ... فمن يدري ما يريد به الزمان ؟

قارون : ان الزمان قد أجمع أمره على السخرية منى .

بلقيس : نحاول يا مولاي .

قارون : سنوات خمس نحاول ونحاول ٠٠٠ فما نفعت المحاولة شيئاً ٠٠
أى خير يعود علينا الا احياء أمل ما يلبث اليأس أن يميته ٠٠ وليس
أبشع من اليأس الا الأمل يحيا ثم يموت ٠

بلقيس : بعض الصبر يا مولاي ٠

قارون : (فى سخريه) عجيب هذا الزمان ٠٠ أنا ٠٠ قارون ٠٠ أغنى
ملك عرفه العالَم ٠٠ أريد بعض الصبر فلا أجد ٠٠ ومع ذلك
لا أجد الا الصبر ملجأ ٠٠ فيألى من غنى فقير ويألى من ملك ذليل ٠٠
ألا من يبيعنى ولداً صحيحاً بمالى ، وملكى ولكن كيف للبنين أن
يباعوا ، انهم قطعة منا ٠٠ منا نحن ٠

بلقيس : مولاي ان من أنجب مرة قد ينجب أخرى ٠

قارون : فاذا جاء الولد أصم أبكم مثل الأول ؟

الملكة : مولاي بربك لا تزد الجرح ألماً ٠

قارون : (صارخاً) ماذا ٠٠ أتخشين الحق ؟ ٠٠ انه أصم أبكم ٠٠ انه
الحق ٠

الملكة : (فى ضراعة) مولاي ٠

قارون : معذرة أنت لم يعودك أحد سماع الحق كما عودنى سرور أن
أسمعه ٠

الملكة : بعض الشفقة يا مولاي ٠٠ بعض الشفقة ٠

قارون : (فى تल्प) نعم ٠ معذرة أنت ٠ أقسو عليك ومصيبتى فى
ابننا هى مصيبتك ٠ بل لعلها عليك أشد ٠٠ ولكن اغفرلى ٠٠
فأنت تدركين ٠

الملكة : غافرة يا مولاي ٠

قارون : أتمنى اليوم أن ٠٠٠

الملكة : حذار يا مولاي ٠

قارون : ومم الحذر ؟ ان حياته كارثة عليه وعلى عليك وعلى الملك ٠
الملكة : مولاي أذكر كم كنت تتوق اليه ٠

قارون : كنت أتوق الى ابن لى لا الى مسخ أصم أبكم لا يبين ولا يعى ٠

الملكة : مولاي انها مشيئة السماء ٠٠

قارون : السماء رحيمة غير قاسية ٠

الملكة : لعل فى ذلك رحمة وأنت لا تدري ٠

قارون : أين الرحمة ؟ أين الرحمة فى والد يتمنى أن يموت ابنه الذى كان يتوق اليه ؟ أين الرحمة فى ملك ماله لا يعد ولا يحصى ولا يستطيع أن ينال ابناً مثل أحقر مخلوق فى مملكته ؟ أين الرحمة فى أمل كنت أهقو اليه وأتمناه فإذا هو حلم يتحقق حين يتحقق نعمة قاتلة ؟ أين الرحمة فى ألم عاصف كلما رأته أو سمعت خطوات أقدامه ، فما أسمع منه غير خطوات أقدامه . لا أن السماء رحيمة ، أرحم من أن تصيبنا بهذا البؤس والألم والشقاء .

الملكة : لعل غيره يعزيك يا مولاي .

قارون : غيره تقولين .

الملكة : اننى منذ أشهر يخيل الى .

قارون : لا تزيدى الجروح يا بلقيس . لا تزيدى الجروح .

الملكة : أزيدها يا مولاي .

قارون : فكيف ان جاء الثانى مثل الأول . . . أصم أبكم ؟

الملكة : السماء أرحم من هذا يا مولاي . السماء أرحم من هذا .

قارون : فلتكن مشيئة السماء اذن . . لتكن مشيئة السماء .

موسيقى (تصاحب كلام الراوية)

الراوية : وكانت مشيئة السماء وجاء الولد . . ولم يكن أصم . . لا ولم يكن

أبكم بل كان صحيحاً قويا فارساً شجاعاً .

تنقطع الموسيقى

قارون : نحمد الله يا سرور لقد جاء اليوم الذى تتم فيه سعادتى .

سرور : أدامه الله يا مولاي .

قارون : غير انى أخاف على ابنى .

سرور : أيهما يا مولاي ؟

قارون : ابنى . . الى غير ابن واحد ؟

سرور : بل لك اثنان يا مولاي .

قارون : ويحك يا سرور ما ترانى متغيد الا وذكرتنى بما ينفصنى .

سرور : ابنك يا مولاي . .

قارون : انه تعاستى الوحيدة فى الحياة .

سرور : مولاي ان السعادة لا تكتمل .

قارون : أعرف يا سرور . . انه الحق . . انه الحق دائماً . .

سرور : دائما يا مولاي .

قارون : ولكنى أخشى على ابني السليم . . على رائد .
سرور : وما خشيتك عليه ؟

(صوت فتح الباب)

رائد : أبى هل أمرت أن أمثل بين يديك ؟

قارون : ما هذا الذى سمعت عنك يا رائد ؟!

رائد : ماذا يا أبى ؟

قارون : سمعت انك تخاطر بنفسك ، ولا تخاف الليل ولا ترتد عن الصيد
الا وتصيبه .

رائد : انما هي رياضة يا مولاي .

قارون : يا بنى انك أمل بلادك وأمل أبويك فحذار أن تجرك الرياضة الى
مصرع هذه الآمال التى تحيط به ، فقد أصبحنا شيوخا لا نطيق لهذه
المصيبة احتمالا .

رائد : مولاي أمرك .

قارون : حذار يا رائد . . . حذار يا بنى .

(موسيقى)

صوت : (من بعيد) وامصيتاه . . قتل رائد . . مولاي يا ملك الملوك . .
قتل رائد . . مولاي .

(موسيقى)

(تصاحب كلام الراوية)

الراوية : قتل الأمل البكر . . صرع الفتى اليافع . . اليأس والحزن
والقنوط . . لم يجد مال قارون بل لعل المال زاد النار لهيبا فقد
أصبح بلا وارث له الا هذا الفتى الأبهكم الأصم .

(تنقطع الموسيقى)

قارون : صادق أنت يا سرور . . صادق أنت . . تعاسة هي الحياة تعاسة
كامنة .

سرور : مولاي أنا لم أقل هذا أبدا .

قارون : فقله اذن يا سرور فهذا هو الحق .

سرور : بل انه بعيد عن الحق كل البعد .

قارون : أما ترى حالى يا سرور ؟ أما ترى ؟ لشيخ قضى حياته تتعلق
آماله بفتاة أن يرث ماله وملكه .. ويبقى المال والملك ولا يبقى
الفتى .

سرور : مولاي لا تستسلم للحزن ، فان عليك أعباء لابد لك أن تقوم بها .
قارون : دعنى وما بى يا سرور لا أريد أعباء ولا ملكا .

سرور : مولاي أنت لا تملك لهذا العبء دفعا .. فمن يقوم به ان لم تقم
أنت ؟

قارون : ليكن ما يكون أما أنا فما أطيق يا سرور .. لا .. لا أطيق ..

سرور : مولاي ان الأعداء يتربصون بنا شرا ولا بد لنا أن نجهز لهم قبل أن
يدهمونا .

قارون : جهز لهم أنت ما تريد .

سرور : مولاي لم أكن يوما من الذين يقحمون أنفسهم فيما لا يحسنون
أداءه .. الجيش جيشك وأنت أدرى الناس به ولا بد يا مولاي أن
تقوم أنت بشأنه .

قارون : سرور بربك دعنى وحزنى .

سرور : انك يا مولاي ان عملت ذهنك فى شئون الدولة نفضت عنك هذا
الحزن القاتم واستطعت أن تخلص منه .

قارون : ولبن الملك بعدى ؟

سرور : للأجيال والقرون .. للأزمان القادمة .. للتاريخ يا مولاي ..
فانى أخشى أن يقول عنك التاريخ تسلم بلاده حرة وأسلمها ذليلة
محتلة .

قارون : ألا يمهد لى التاريخ عذرا فى آمال شبابى التى قتلت ؟

سرور : مولاي اننا نحن - ونحن نحيا معك - لا نمهد لك العذر فكيف
بالتاريخ وهو أصداء الوقائع ؟

قارون : ألا تلتمسون لى العذر ؟

سرور : الملك يا مولاي فوق العواطف والأحزان .

قارون : سرور دعنى بربك يا سرور .. لا أطيق .. لا أطيق .

(موسيقى)

سرور : مولاي الأعداء يجهزون الجيشى .
قارون : دعنى بربك يا سرور .

(موسيقى)

سرور : الأعداء يا مولاي .
قارون : سرور انى لا أطيق .

(موسيقى تنتهى بطبول حرب وجلبة وضجيج)

سرور : أدركنا يا مولاي .

قارون : وهل أطيق أن أدرك أحدا ؟

سرور : الأعداء يا مولاي يحيطون بنا من كل جانب فبربك يا مولاي
الا نجوت .

قارون : أنجو ؟ .. ولمن أنجو ؟ .. وكيف أنجو ؟

سرور : مولاي لقد أتيت لك بملابس الرعاة .. فتنكر فيها يا مولاي
واخرج من المدينة .. اخرج يا مولاي .

قارون : أين زوجتى .. وأين ابنى ؟

سرور : هنا يا مولاي .. انى مناديهم الآن .. اليس أنت هذه الملابس
حتى أناديهم .

موسيقى (قصيرة)

قارون : هلمى يا بلقيس .

الملكة : الى أين ؟

قارون : نهرب .

الملكة : أما أنا فلا ؟

قارون : كيف ؟!

الملكة : شبيخة أنا أنتظر الموت وكأنه أمل لا سبيل لى اليه ... فاهرب
أنت وابننا ، أما أنا فمقيمة هنا مع قبر ابنى لا أتركه .

قارون : لا أتركك أبدا .

الملكة : بل وتتركنى .. فانك ان أسرت أو قتلت بأيدى أعدائك فعار الأبد

وهزيمة لشعبك يتمثل فيك أملا ضحما .. أما أنا .. ما أنا ...
ما أنا ؟؟ زوجة عقيم بل شر من زوجة عقيم ، مات السليم من ابنائى
وبقى المريض .. دعنى أحقق أملى بالموت يا مولاي .. بربك .

سرود : بربك الا أطعت زوجك ٠٠ آه ٠٠ أصابني السهم ٠٠ النجاة
يا مولاي ٠٠ لقد بلغ أعداؤك القصر ٠

قارون : هلمى يا بلقيس ٠

الملكة : (فى نزعات الموت) لات حين أيها الملك فقد نفذ السهم الى قلبي ٠٠٠
لقد شاءت السماء أن أموت الى جانب ولدي وداعا يا مولاي ٠

(موسيقى)

الراوية : وخرج قارون من قصره ومعه ابنه الأصم الأبكم ٠٠٠ رفيق
ولا رفيق ٠٠٠ ولد ولا ولد ٠٠٠ ويهيك قارون لكم دارت بك
الأيام ٠٠٠ فى ثياب الرعاة تخرج فارا وأنت من ملك أموال الأرض
أجمعين ٠

قارون : فانت اذن كل ما بقى لي أيها الابن ٠٠٠ بقية ملك ومال وولد ٠٠
أنت بأذن لا تسمع ولسان لا ينطق ٠٠٠ أنت من بقى لي ٠٠٠ ليس
لي غيرك ٠٠٠ غضبت منى الدنيا وأنا فى مجدى ومالى وسلطانى
وازداد غضبى عليهما حين جئت أنت عاجزا عجزك هذا ، فاذا هى
تسخر من غضبى وتسلبنى كل شىء الا الشىء الوحيد الذى يزيدنى
تعاسة وألما ٠٠٠ كم أحس بالجرم نحوك كلما رأيتك ٠٠٠ لماذا جئت
بك الى هذه الدنيا ؟ ولماذا بقيت فيها بعد أن جئت ؟ ألا تشهد ظلم
الزمان لأبيك ؟ مسكين أنت يابنى لا تحس شيئا مما هو حولك ٠٠
ولكن أمسكين أنت حقا ؟ ٠٠ أتعرف انك عاجز ؟ ٠٠٠ أم لعامك
لا تعرف ؟ ٠٠ ويلى أخدم نفسى ٠٠٠ لكم رأيت الدموع جامدة فى
عينيك ومنهمرة لا تطيق لها كتماننا ٠٠٠ الى أين بنا الطريق ٠٠
يابنى ٠٠ الى أين بنا الطريق ٠

الراوية : وفى عرض الصحراء مشى الملك ومعه هذه النفاية التى تخلفت من
ملك عريض ومال عديد وولد قوى وبعد لأى وجهد لقي الملك خيمة ٠

قارون : سلاما يا صاحب الدار ٠

صوت : سلاما أيها الغريب ٠

قارون : انقطع بنا الطريق فهل لمبيت لنا مكان ؟

الصوت : ان الأعداء تحيط بنا من كل جانب فكيف نعرف انك لست
منهم ؟

قارون : اننى لا أملك سلاحا ٠٠٠ والأعداء منتصرون ٠ والنصر لا يتأتى
لشريد فى الصحراء ٠

الصوت : ومن هذا الذي معك ؟

قارون : انه ابني .

الصوت : قوى هو شديد ؟

قارون : ولكنه أصم أبكم . . . لا يسمع ولا ينطق .

الصوت : فادخلا .

قارون : أوحيد أنت ؟

الصوت : معي أخي . . . ادخلا .

(موسيقي)

الصوت : ان هذا العربي يحمل مالا كثيرا فيما يخيل الى

الأخ : وكيف عرفت ؟

الأول : سمعت صليل الذهب تحت ملابسه وهو سائر .

الثاني : الذهب ؟

الأول : الذهب .

الثاني : فماذا تنتظر ؟ هلم نقتله . . أنائم هو ؟

الأول : انه نائم .

الثاني : هلم بنا .

الأول : احذر أن يسمع أقدامك .

الثاني : ومم الحذر ؟ الأب ؟ نائم والابن أصم . . أبكم . . لو رأى ما استطاع

أن ينطق .

الأول : فهات الحبل .

صوت : (يحاول أن ينطق فهو ضعيف) أبى .

الأول : أسرع .

الثاني : هل معك الخنجر ؟

الأول : ها هو ذا .

الثاني : هاته . . . هاته .

الابن : حذار أيها اللصوص . . . حذار . . . انه قارون . . . انه الملك . .

قارون : من ؟ أنت ! . .

الابن : لقد حاولا أن يقتلاك .

قارون : (باكيا) أتتلق ؟ أتتلق يا بني ؟

الأول : عفوك يا مولاي .

الثاني : عفوك يا مولاي .

قارون : عفوى وشكرى وحمدى ... لقد نطق ولدى ... لقد نطقت فى
اللحظة التى أريدك فيها أن تنطق لقد جعلت لحياتى معنى يا ولدى
العزيز ... لقد جعلت يأسى أملا وتعاستى سعادة ... هلما بنا
يا ابنى الى الحياة ... لقد منحتنى السماء خير ما سلبه منى الزمان
...منحتنى ولدى ... منحتنى الحياة الأمل ... المستقبل ... الى
المستقبل يابنى ... الى المستقبل لقد أشرق لى الطريق الآن ...
اليه ... يا أمل الشباب ..

● النصر المبين

الراوية : من الأمجاد ، من الأشعة الأولى لنور الاسلام ، من هذه الشواهد تعلقو فلا يلحق بها نظر ، وتسمو فلا يهفو اليها فكر ، وانما هي تهدي فتهدي ، وتبين ففسير ، وتضيء ففرشد ، من القمم الباسقات للآباء والأجداد وقف عندهم التاريخ العربي خاشعاً في اجلال ، ووقف دونهم التاريخ الغربي صاغراً في ذلة ، من العرب الأولين ، خلص الينا تاريخهم نقياً نقاء ايمانهم بالله ، رفيفاً رفعة اعتناقهم للمبدأ ، حاول المؤرخون أن ينالوا من تاريخهم ولكن الأدلة تكاثرت عليهم وانثالت اليهم الحجج ارسالا ، ولم يملكو الا اللهول والحيرة ، ولم يملكو الا الاعتراف أنه الحق .

(موسيقى)

صوت : تراكم أيها العرب قد انسقم وراء محن لا تعلمون فكرة ولا تنظرون. الى تاريخ الأنبياء لتعرفوا ان كان دينكم هذا على حق أم هو يسوق القول بغير حجة ولا برهان .

آخر : بل تراكم أنتم أيها اليهود منذ حل محمد بالمدينة لا تسكتون عن الايقاع بيننا ، واثار الشكوك في نفوسنا ، وقد كان أولى بكم وأنتم أصحاب كتاب يدعو الى التوحيد أن تنضموا الى دعوة محمد وتأيدوها .

الأول : لقد كنا والله خليقين بما تقول ، ولكننا نرى أموراً تجعل الشك في نفوسنا يغلب اليقين .

الثاني : وماذا ترون ؟

الأول : نرى محمداً .

(موسيقى)

الثاني : يقول اليهود يا رسول الله أنك هاجرت الى المدينة ولم تتركها ، وان الأنبياء جميعهم ذهبوا الى بيت المقدس ، ويقولون انه جدير بك

آن تذهب الى المسجد الأقصى لتكون من الأنبياء . فقال رسول الله :
قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك
جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيذا ، وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله
« صدق الله العظيم » صدق الله العظيم أيها اليهودى .

الراويّة : ومضت سنوات يزيد مضيها شوق المسلمين الى قبلتهم ، ومشرق
الوحي على نبيهم ، وقد أصبح الحنين فى نفوس المهاجرين لاعجاب متوثبنا
الى ملاعب صباهم ، ومعاهد شبابهم ومدارج الآمال الباكرة لحياتهم
وأحس النبي بلواعج أصحابه فاذا هو يدخل عليهم وقد اجتمعت
كثرتهم فى المسجد ، فيلقى اليهم سلاما فرحا مستبشرا .

اصوات : وعليكم السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

الراويّة : ويقول النبي : « لقد أذن الله لكم أن تدخلوا المسجد الحرام انشاء
الله آمنين محلّقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون » .

صوت : سبحان الله .

آخر : الله أكبر .

آخر : الحمد لله .

آخر : محاربين ندخل المسجد الحرام يا رسول الله .

الراويّة : ويقول النبي : « أذنوا فى الناس بالحج » .

آخر : متى يا رسول الله ؟

الراويّة : ويقول النبي : « فى ذى القعدة انشاء الله » .

صوت : فى ذى القعدة يا رسول الله ؟ فى الشهر الحرام اذن .

آخر : فلا حرب اذن ولا سلاح .

آخر : سلاما ندخلها باذن الله . . .

الراويّة : وخرج المسلمون حول النبي ، وقد علموا أنه ما يريد الا سلاما
انما هي زيارة لبيت الله الحرام ، وما أن بلغوا الخليفة حتى أجرم
محمد فأحرموا معه وأصبح واضحا أن محمدا انما ينشر السلام ،
فان المحرم لا يبغى عدوانا . . ولكن من المشركين فرسانا أبو أن
يفهموا الوضوح ، وما بعجيب عليهم الزيغ فهم أنفسهم من عموا عن
الإسلام . . يجتمع جمعهم - هان جمعهم - ويقبول قائلهم :
ذل قائلهم .

صوت : ها قد أقبل محمد يفزركم فى دياركم بعد أن دحركم حول الخندق .

صوت : وهل محمد بحاجة الى أن يتشبه بالأنبياء فى هذه التوافه ؟

الثانى : يقولون أنه مادام المسلمون يجعلون المسجد الأقصى قبلتهم ، فلا بد لمحمد أن يهاجر الى المسجد الأقصى ، فيجعل من المدينة وسطا فى هجرته بين مكة والمسجد الأقصى .

الراويّة : وسأل النبي ذلك المتحدث : ألم تفهم ما يرمى اليه هذا اليهودى ؟

اليهودى : فهمته يا رسول الله ، انه يريد أن يشعلها فتنة بيننا .

الراويّة : وكان ذلك هو ما أراداه اليهود ، ولكن هيهات أنهم يمكرون ويمكر الله وإن ربك لأشد مكرًا .

(موسيقى)

الثانى : اسمع أيها اليهودى لقد دحض الله فتنتك .

اليهودى الأول : وكيف أيها المسلم ؟

الثانى : لقد أنزل آياته عز شأنه فجعل الكعبة هى قبلتنا ، اسمع ما يقول « بسم الله الرحمن الرحيم » « قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

اليهودى : فقبلتكم الكعبة اذن ؟

الثانى : انها قبلتنا .

اليهودى : وهكذا يميل ...

(موسيقى)

الثانى : ويقول : يا رسول الله وهكذا يميل بكم محمد من قبلة الى قبلة

وأنتم وراءه ، لا تدرون لماذا كان المسجد الأقصى قبلتكم ؟ ولماذا

أصبحت الكعبة قبلتكم ؟ ٠٠ ألا تسألون ٠٠٠ ألا تفهمون !؟

الراويّة : وقال النبي لمن يحادثه : « وفهمت ما يرمى اليه » ؟

الثانى : فهمته يا رسول الله وهل يريد الا الوقعة والفتنة .

الراويّة : وكان ذلك هو ما أراداه اليهود ولكن هيهات ، انهم يمكرون ويمكر

الله وإن ربك لأشد مكرًا .

(موسيقى)

الثانى : لقد جاءك الجواب أيها اليهودى ... قد جاءك الجواب اليهودى : وأين هو ؟

الثانى : « اسمع : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم » .
(موسىقى)

آخر : والله لئن دخل مكة اليوم فهيئات ، هيئات لكم أن يخرج بعدها أبدا .

آخر : واللات لا يدخلها أبدا .

آخر : يقولون أنهم يريدون أن يدخلها مسالما فلا عدوان ولا وقائع .

آخر : أفنتنظر اذن أن يدخل مكة ، ثم ننظر ان كان يريد سلاما أم حربا ؟

آخر : اذن فهو عار الأبد وخزى الدهور .

آخر : بل اننا نخشى أن يكون محمد يضمر بنا المكر والخديعة .

آخر : والله يخيل الى أنه يضمر السلم حقا ، فقد علمت أنه دعا العرب من غير المسلمين الى الزيارة معه .

آخر : وأين السلام فى هذا ؟

الأول : ان من يتوى الحرب لا يدعو اليها الا الذين يثق فى اخلاصهم .

آخر : انه قد أحرم .

الأول : لأخشى أن يكون السلاح فى ثياب احرامه :

آخر : أخالك واهما ؟

الأول : اننا لن نسمح لمحمد أن يظأ مكة .

آخر : فنجهز جيشا وثلتقى بمحمد .

الأول : ان الجيش معد فيها أنت ذا ترى شباب قريش مجتمع اليك منذ

علم أن محمد فى طريقه الينا .

آخر : فمن نولى عليه ؟

الأول : جبار الحروب وعمادها .

آخر : أخالد ابن الوليد تريد ؟

الأول : اياه أردت .

آخر : أرى خالدا يتسمع أنباء محمد فى تشوق وكأنى به يكاد يؤمن بالدين

الجديد .

الأول : أراك محقا فيما تقول ؟ فلو أننا عقدنا لعكرمة بن أبى جهل معه

حمدنا العقبة ووثقنا اننا سنواجه محمدا بقوة شديدة .

آخر : الرأى رأيك ٠٠٠ هو ما قلت .

الأول : فليكن خالد اذن وعكرمة ابن أبى جهل هما قائدا الجيش .

(موسيقى)

الراويّة : وسار جيش الكفار حتى بلغ ذا طوى وأقام عسكريه هناك ، أما محمد فقد سار بجيشه حتى بلغ عسفان ، وهناك لقيه رجل من

بنى كعب .

(موسيقى)

الراويّة : فسأله رسول الله عن أخبار مكة .

صوت : قد سمعت بمسيرك فخرجوا وقد لبسوا جلود النمر ونزلوا

بنى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد

فى خيلهم قدموها الى كراع الغميم .

الراويّة : فقال رسول الله : « يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ، ماذا عليهم

لو خلوا بينى وبين سائر العرب ؟ فان هم أصابونى كان ذلك الذى

أرادوا ، وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين ، وان لم

يفعلوا قاتلوا ، وبهم قوو فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على

الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفه » .

صوت : أعناقنا فداك يا رسول الله .

آخر : مرنا فنحن نفاذ أمرك ، وتحقيق كلمتك .

آخر : أنحارب يا رسول الله ؟

آخر : ان شئت يا رسول الله حاربنا ، الا أن لى رأيا أتأذن لى أن أقوله .

الراويّة : قال النبى : « قله » .

آخر : أنهم يعلمون أننا لم نخرج لحرب ، فنحن على غير عدة وسلاح ،

وأنهم - يا فداك أبى - يبذلون غاية الجهد ليشتبكوا معنا فى حرب ،

فلو أننا هيأنا لهم هذه الفرصة ٠٠٠

آخر : نعم انك محق لو تهيأت لهم الفرصة وانتصروا فى حربهم الظالمة

هذه لراحوا يتشدقون بنصرهم بين العرب .

الآخر : انهم لم يرسلوا خالدا وعكرمة الا ليبدوا سبيلا الى حرب هم

لا يعلمون أننا لم نعد لها .

آخر : اننا لنحمل سيوفنا ، وايماننا فهلم بنا هلم ولن نتعب خالدا

ولا عكرمة فى بدء الحرب سنكون البادئين فإناهم هم المعتدون .

آخر : فداك يا رسول الله فداك ، وما الاعداد للحرب غير السيوف وهو
بيدنا وغير الايمان وهو أرسخ في قلوبنا من شم الجبال .

آخر : لقد أردنا سلاما وأرادوا هم حربا فهلم اليها ، فانما النصر من عند
الله ، واننا نحن . . . نحن أتباع الله .

الراويّة : ولكن رسول الله رأى أنه لو خرج عن سياسة السلم التي أعدلها
الى سياسة الحرب التي يجهد الكفار على أن يريدوه عليها ، لو فعل
لأتاح لكفار قريش فرصة يشيعون بها بين العرب أن محمد حارب
في الأشهر الحرم ، وأنه حارب عند البيت الحرام وهو بعد لا يضمن
النصر فان يكن المسلمون حوله يفيض بهم الايمان ، الا أن أبناء
قريش أيضا اذا حاربوا اليوم فانما هم يحاربون عن شرفهم أجمع ،
تعتلج في نفوسهم أحقاد الأمس يوم هزموا عند الخندق ، وذلك اليوم في
مهاجمة محمد لهم وهم في أحضان مكة ، وخشية الغد ، اذا دخل
محمد مكة عليهم عنوة فهم اذن في هوان مقيم ، قدر عليه الصلاة
والسلام هذا جميعه ، فأزمع على أن يظل على سلمه الذي أراد له لنفسه
فلا يميل الى الحرب التي يريد عليها الكفار فهو يقول : « من رجل
يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التي هم بها » .

صوت : انى يا رسول الله أعرف طريقا .

آخر : انها طريق شاقة تلك التي تقصد اليها .

آخر : أى شاق يا أبا العرب ، اننا أبناء صحراء ، لا يشق علينا طريق .

(موسيقى)

الراويّة : وسار المسلمون في طريق يتلوى بين الشعاب وقد جهد المسلمون
حتى بلغوا عند منقطع الوادى ، ثم مالوا منه الى أيمنه فبلغوا ثنية
المراد مهبط الحديدية ، من أسفل مكة وما رأى جيش الكفار هذا
حتى رجعوا الى مكة ليدافعوا عنها اذا أراد المسلمون دخولها وكان
النبي على ناقته القصواء فما أن بلغت الحديدية حتى بركت .

صوت : لقد جهدت يا رسول الله ، أجهدها طول الطريق ووعورته .

الراويّة : فقال النبي : « انما حبسها حابس الفيل عن مكة » .

آخر : حابس الفيل ١٩

آخر : نعم يا أخى حابس الفيل الذى منع أبرهة أن يهدم الكعبة ، ألا تعرف
أن الفيلة يومذاك لم تستطع أن تمس الكعبة بسوء على الرغم من
تعزيزها واكبيها لها .

آخر : فذاك اذن حاجس الفيل .

آخر : أنه هو ، وقاء مكة ، وحصن الكعبة .

الراويّة : وقال النبي : « معلنا السلام » لا تدعوني قريش الى خطة يسألوني

فيها صلة الرحمة الا أعظيتهم ايهاا » . . . انزلوا هذا المكان .

صوت : ولكننا يا رسول الله في مكان لا ماء ولا ري ولا هو يصلح لمقام .

الراويّة : فأخرج عليه الصلاة والسلام سهماً من كنانته وقال لأحد مرافقيه .

انزل في بئر من هذه الآبار التي حولنا وأضرب فيها بسهمي هذا .

صوت : ولكنها آبار جفت يا رسول الله .

الراويّة : فقال النبي فانزل .

الصوت : أمرك يا رسول الله .

الراويّة : ونزل الرجل وضرب السهم .

أصوات : الماء . . . الماء . . . الرى . . . الرى . . . الله أكبر . . . صلى الله

على محمد .

(موسيقى)

الراويّة : واجتمع كفار قريش يتفاوضون الأمر بينهم حتى وافاهم بديل

بن ورقاء وكان يلهم بجيوش المسلمين فابتدروه سائلين :

صوت : هيه بديل .

الصوت : فما مجيئهم ؟

بديلي : زيارة البيت وتعظيم حرمة .

الصوت : ويتسامع عنا العرب أن محمدا قد دخل علينا مكة عنوة .

بديلي : أشهد أنا لا أرى أثر العنوة في دخوله ، بل أنهم قوم يقفون من

الكعبة موقف التكريم ، لا يدخلونها محاربين .

الصوت : أكنت هناك حين أرسلنا حليس ليفاوض محمدا .

بديلي : كنت هناك ، ولقد رأى محمد حليس قادم فأم بالجمال فأطلقت

ليري الخيس انها جائعة وانها لا تنتهك حرمت مكة ، وقد رأى

رسولكم حليس الجمال فعاذ سبيله اليكم .

حليس : أما أخبرتكم أنه السلم ما يريد محمد ولن يحيد عنه أبدا ؟

صوت : إنما أنت يا حليس سيد قومك ولست من قريش ولا من خالصة

العرب فأنت لا تعلم من الأمر شيئا .

حليس : لقد حالفتكم لأزود عن البيت الحرام ، وما حالفتكم لأرد عنه من
جاءه معظما فمئذ اليوم لا حلف بيننا .

صوت : أغضبت يا حليس ؟

حليس : وكيف لا أغضب للكعبة تذودون عنها مكرموها ، وتردون
القاصدين اليها ؟!

صوت : انه يا حليس ان دخل الكعبة اليوم زالت عن قريش السدانة
والسقاية وتساقطت عنها أمجادها كالأوراق الجافة يساقطها الريح
العاصف .

حليس : فلا حلف بيننا .

صوت : بل أصبر علينا يا حليس فندبر أمرنا وننظر فيه .

بديلي : لقد طال بكم التدبير والنظر ، والله لتطالعكم العرب غدا بقالة لن
تتبتوا لها ، انهم قائلون : « قريش ترد عن الكعبة الحجيج » .

الصوت : نرسل رسولا آخر يفاوض محمدا . نرسل اليه عروة بن مسعود
الثقفي .

عروة : لا والله لست بذاهب .

الصوت : ولم يا عروة ؟

عروة : أراكم تلقون رسولكم بشر بما يلقي به رسولكم اذا هو جاءكم
بالأخبار لا ترضيكم .

الصوت : انك عندنا غير ظنين يا عروة ولن تجد في لقائنا الا الخير فاذهب
اليه وسله ماذا يريد ؟

(موسيقي)

الصوت : هيه عروة ماذا رأيت ؟

عروة : يا معشر قريش ، اني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ،
والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد
في أصحابه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره
شيء الا أخذوه ، وانهم لن يسلموه لشيء أبدا ، فانظروا رأيكم .

الصوت : ماذا لقيت ؟

عروة : ذهبت الى محمد .

(موسيقي)

عروة : يا محمد ان مكة أهلك ومكانك أن تنصفها وأهلها المقيمين بها على من جمعت من أوشاب الناس .

الراويّة : فقال أبو بكر : بل هم سادة الناس يا عروة وان رغمت أنوف .
عروة : فإذا انصرف هؤلاء عنك يا محمد ؟

الراويّة : فقال أبو بكر : هيهات أن تنصرف عنه يا عروة انما نحن ومضة من اشراقته ، ولمحة من رضى ربه لا منصرف لنا عنه .

عروة : فوالله ما أرى شيئاً يبقى على الزمان الا العار لاحقاً بقومك من قريش ان أنت اقتنحت عليهم الكعبة اليوم .

- صوت : يدك عروة (صوت صفعة هيئة)
- عروة : فهل تركتنا محمد في عامك هذا ؟
- صوت : يدك عروة (صوت صفعة هيئة)

الراويّة : وقال رسول الله : انه لم يأت الا لسلم يريد زيارة الكعبة ولمس أركانها .

(موسيقى)

عروة : فجنّت اليكم ، أنعلمون من كان يقف الى جوار محمد ؟

صوت : من ؟

عروة : المغيرة بن شعبة ، وكنت اذا أمسكت بلحية محمد وأنا أحادثه ضربني المغيرة على يدي وهو يقول يدك عروة فاترك لحيه محمد .

صوت : المغيرة بن شعبة ، يضرب يدك أنت ؟ يدك التي دفعت عنه ثلاثة عشر رية عن قتلى قتلهم .

عروة : هو المغيرة . . . لا واللوات لا كسرى ولا قيصر ولا النجاشي بملاق ما يلاقيه محمد من قومه . . . أنظروا أمركم .

صوت : يا رسول الله . . . يا رسول الله . . . لقد طالما شكونا اليك من سفهاء مكة يخرجون في بهيم الليل ، ويرمون خيامنا بالحجارة ، فالليلة قد خرج علينا منهم نفر كبير ، فأسرنا منهم أسرا وببلا .

الراويّة : وسأل النبي ، وأين الأسرى ؟

(موسيقى)

صوت : الآن قد أسفر الشك عن اليقين .

آخر : ماذا ؟

**الصوت : أما ترى محمدا قد أطلق أسرى مكة بعد أن وقعوا في يده فمالنا
نجادل الآن ؟**

آخر : أنه السلم ما يريد .

آخر : ماذا تريد ؟

آخر : فلنخل له السبيل فيزور .

آخر : فواضعيتنا لنا بين العرب .

**آخر : بل لا والله ، فاننا أصبنا محمدا بسوء بعد أن أطلق أسرانا كنا بين
العرب غادرين لا وفاء لنا .**

آخر : بل نمنعه .

آخر : بل نتركه .

آخر : بل نمنعه .

موسيقى (تصاحب المشهد)

**الراوي : واجتمع المسلمون حول محمد يتفاوضون الأمر حتى انتهى بهم
الرأى أن يرسلوا عثمان بن عفان الى رجال مكة رسولا ، يحمل اليهم
رغبة محمد وصحابته في الحج ، وذهب عثمان الى أبي سفيان .**

أبو سفيان : فيم قدمك عثمان ؟

**الراوي : فقال عثمان : انما جئنا لنزور البيت العتيق ، ولنعظم حرمة
ولنؤدى فرض العبادة عنده ، وقد جئنا بالعر معنا فاذا نجرناها
رجعنا بسلام .**

أبو سفيان : يا عثمان اذا شئت أن تطوف بالكعبة فطف .

الراوي : فقال عثمان : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله .

أبو سفيان : فانا أقسمنا ألا يدخل محمد مكة في عامنا هذا عنوة .

الراوي : فقال عثمان : ولكنه لا يدخل عنوة .

أبو سفيان : فانا أقسمنا وما دمنا

(موسيقى)

صوت : لقد قتلوا عثمان .

آخر : قتلوه ؟

آخر : لقد قتلوا رسولنا اليهم بعد أن أطلقنا نحن أسراهم .

آخر : قتلوا زوج بنت رسول الله .

آخر : لا نسكت بعدها أبدا .

آخر : فى ظلال الكعبة .

آخر : لقد لوثوا أمنها ، وهتكوا حرمتها .

آخر : هيهات نسكت هيهات . . . لا نبرح حتى نناجز القوم .

آخر : الى السيوف .

آخر : قتلوه في الشهر الحرام .

أصوات : الى السيوف .

الراويّة : ودعا النبي أصحابه ، فاذا هم حوله جواب دعوته ، وكلمته اذا قال وأرادته ان أراد ، دعاهم الى البيعة فأنفسهم لدعوته تلبية
 لبيك وتقول الله لبيك ، من قلوب آمنت بك وهل بعد الايمان رضى يا رسول الله ؟ لقد أقررت منها نائرا من الكفر ، فهي فى هداة الايمان لبيك ، لبيك يمدون أيديهم الى يدك عزت يدك وأيديهم ، وتمت أنت يدك الثانية يا رسول الله لتكون يدك الثانية هذه بديلا عن عثمان بن عفان الغائب عنك . . . دعوت فهم جميعا لبيك ودعوت تحت الشجرة . . . وهم فى كل مكان لبيك . . . لبيك يا رسول الله وتمت البيعة تحت الشجرة لا يعمد واحد منهم النسيف أو يقتل . . . وانهم الرابحون يا رسول الله تبدلهم دنيا بعليا وقائنة بخالدة . . . هم الرابحون يا رسول الله ، فليبك . . . لبيك فى بيعة الرضوان ، ونظر ربك من عليين قرأى الأيدى مجتمعة على يد النبي قلوبهم هى أيديهم ، أرواحهم هى بيعتهم فينزل قوله عز قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم : لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا . صدق الله العظيم » .

(أصوات فرح)

صوت : قد جاء عثمان . . . قد جاء عثمان .

الراويّة : جاء عثمان ولم تعد ثمة حاجة لحرب ، ولكن هذه البيعة ظلت ذكرى كريمة تلوح للنبي عليه صلوات الله فح اح اليها ، كرمها القرآن فخلدها الزمان وسأل محمد عثمان عما يقوله القوم فقال لا يقبلون ولكنهم سيفاوضونه على تحطة يرضاهم

(موسيقى)

أبو سفيان : نرسل اليه سهيل بن عمر فيوثق بيننا صلحا .

صوت : الرأى ما تقول

آخر : أنؤمن تجارتنا القادمة عن طريق المدينة ؟ و . . .

(موسيقى)

سهيل : صلحا بيننا يا محمد .

الراويّة : ويسأل النبي وعلام الصلح ؟

سهيل : ترحل عنا في عامك هذا وتحج في العام القادم و . . .

(موسيقى)

الراويّة : وقبل محمد ما يريدون فهو يدعو اليه على بن أبي طالب وسهيل

بمشهد : « ويملي النبي على علي : بسم الله الرحمن الرحيم » .

سهيل : امسك ، لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل أكتب باسمك اللهم .

الراويّة : ومن أين لهم أن يعرفوا الرحمن الرحيم ؟ ولكن هو الله جلت

أسماؤه وتعددت ويملي محمد « باسمك اللهم هذا ما صالح عليه

محمد رسول الله سهيل بن عمرو .

سهيل : امسك لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن أكتب اسمك

واسم أبيك .

الراويّة : ان النصر على النفس هو أروع غايات النصر ، لم يثر النبي عليه

ولم يعارضه ، وإنما كظم غيظه وينفذ ما يوحى اليه ، فهو يقول ، أنا

عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني ، وأملي لرسول الله

الرسول صلح الحديبية يهادن فيه قريشا عشر سنين على أن يرد

الرسول من يحيثه من قريش مسلما بغير اذن من وليه ولا ترد

قريش من يحيثها من المسلمين ، وأنه لا جناح على من يريد مخالفة

الرسول من العرب ولا جناح على حليف قريش ، وأن يرجع محمد

في عامه هذا ويعود بعد في العام الذي يليه فيدخل ومن معه الى

مكة ويقيم بها ثلاثة يحملون من السلاح السيوف في اغمادها

وما أن تم الصلح حتى

صوت : لبيك يا رسول الله اني أشهدك اني مسلم .

سهيل : من ولدى أبو جندل . . . ماذا تريد ؟

أبو جندل : أشهد ألا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، اليك محمد

اليك .

سهيل : بل أقصر اليها الأحق وارجع .

أبو جندل : (صائحا) يامعشر المسلمين أتردوني الى المشركين يفتنونني

في ديني !؟

سهيل : أقصر لعنتك الاله .



ابو جندل : لعنت آلهتكم .. أتضربني وتزجرني ان أقول ربي الله ؟
الى محمد الى .

الرواية : ويرى محمد هذا المسلم الجديد ولكنه كان قد ارتضى عهدا فهو لا ينقضه ويقول : « يا أبا جندل أصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين مخرجا ، وانا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله ، وانا لا نغدر بهم .

ابو جندل : الى محمد الى . . . (يضعف الصوت) الى محمد الى . . .
(ويزداد ضعف الصوت) الى محمد الى . . .

(موسيقى)

الرواية : وقام الرسول مع أصحابه ، ثم صلى ، فاطمأن قلبه الى آن الصواب هو ما فعل وهل يصدر عن الهدي .. ثم قام الى بعيره فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ايدانا بالعمرة ، وحلق الناس معه وأتموا العمرة وقاموا يتهبأون للمسير .

صوت : غير راض أنا شهد الله عن هذا الصلح .

آخر : يا أخى أصبر فالسنون قادمات ، والخير معقود بها ، ومهما تكن الأمور حازمة فلا بد لها يوما من فرج .

الأول : أشهد الله أنى غير راض .

الثانى : بل ارض يا أخى ، فلقد ربحتنا والله أن نجح كل عام فلا يتعرض أحد لنا بشر وربحتنا أن نحالف من العرب من نشاء ، ولا تتعرض قریش لحلفائها ، والأيام مخفيات عنك من الخير مالا تعلم .

الأول : أنظر لقد نزل الوحي على النبي .

(موسيقى)

الرواية : وأوحى الله الى رسوله سورة الفتح «بسم الله الرحمن الرحيم» : انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما « صدق الله العظيم .

الأول : الله أكبر . . . انه النصر . . . انه الفتح .

الثانى : أى وربك انه الفتح المبين .

● عودة وغفران

تخفت الموسيقى وتظل ملازمة للمشهد

- ناعسة : حياك الله يا حارث فأنت نعم الزوج
- حارث : بل حياك أنت يا ناعسة ... فلقد والله جعلت حياتي متعة
- ناعسة : لقد مهد الحب للزواج .
- حارث : وامتد الحب بعد الزواج يا ناعسة ...
- ناعسة : طالما خشيت والله أن يكون الزواج بيننا هو نهاية حينا ...
• ولكن حياك الله حارث فقد بقيت على حبك الذي كان
- حارث : وبقيت أنت على حبك ناعسة .
- ناعسة : فظللنا وكأننا منازل هناك نلهو بضياء القمر ، وهو يلقي الينا بخيوطه ، فاذا هي جولنا مضياء نمد اليها أيدينا نحاول أن نمسكها فتنضم أصابعنا على النور ، فاذا هي فضياء ، كنا نرى ضوء القمر ولا نطبق أن نمسكه ، كنا نرى فيه حينا الذي تجسم يكاد يتجسد أمام أعيننا ، ثم نحن لا نعرف من أين ينبت .
- حارث : هناك على الرملات الحبيبية ، على سفوح الكثبان ، كنا حيا ...
• لم تكن أجسامنا وأنفاسنا ولعبنا وجدنا إلا حيا . كنا الحب .
• أحسه الناس معنى وتجسد فينا كلينا حيا .
- ناعسة : فاذا أجسامنا تكاد تشف فتذوب في ضياء القمر ، فتصبح ضياء مع الضياء ، أو نسيما مع النسيم .
- حارث : ما أحلى الأمسيات !
- ناعسة : وما أحلى الذكريات !
- حارث : رعاك الله ناعسة ذكرت الخير عنى ، ولم تذكرى فقرا شقيت به في حياتك الى جوارى .

ناعسة : حذار يا حارث أن تعود الى هذا الحديث • انما الفقر هو الحاجة •
أما ونحن نستتر بقليل مالنا حياء وجوهنا ، أما ونحن نطلب من
أحد شيئا فنحن والحمد لله فى وافر من الغنى •

حارث : لك الله يا ناعسة ، وأين منك هذا الغنى ؟ أحسبتنى غيبا ؟
ناعسة : الغنى يا حارث فى اننا نجد قوت يومنا ، ونجد الملابس الذى
يسترنا •

حارث : أى قوت وأى ملابس ؟ وأنت الفتاة فى ربيع الحياة وأنا الشاب
فى نضرة الشباب ، انما نريد الأكل الوفير • ولا نصيب الا القليل
ونريد الملابس الفاخر فلا ننال الا الحقير ، انه اليؤس يا ناعسة •

ناعسة : بل هو النعيم ، وما أخشى والله الا قلقك هذا وعدم رضاك
وتبرمك بحياتنا ، وهى أهنا ما تكون •

حارث : انما الهناءة فى الغنى يا ناعسة •

ناعسة : بل فى الحب يا حارث •

حارث : لا يفارق ضوء القمر خيالك •

ناعسة : ولا يفارق ضوء الدينار خيالك •

حارث : الدينار حقيقة •

ناعسة : والقمر حقيقة •

حارث : الدينار حقيقة فى الأرض ونحن فى الأرض •

ناعسة : والقمر حقيقة فى السماء ونحن الى السماء •

حارث : خيال •

ناعسة : لأبى أخشى عليك الحقيقة •

حارث : تهريين منها •

ناعسة : بل أتجاهلها مادام علمى بها لا يفيد •

حارث : أما أنا فأعرفها ، وأحسها وأمسها وأثور عليها وأسعى الى تغييرها •

• لا بد من الغنى •

ناعسة : أما يكفيك الستر مع الحب ؟

حارث : بل لا بد من الغنى •

(موسيقى تنتهى بطرق على الباب)

نائلة : من يطرق الباب ؟

حارث : أنا •

نائلة : (وهى تفتح الباب) ومن أنت ؟

حارث : حارث *

نائلة : وما تريد يا حارث ؟

حارث : أجنس كل عمل ولا أجد عملا ، وقيل انكم تطليون رجلا يقوم
على أعمالكم فى الزراعة *

نائلة : ومن أنباك ؟

حارث : صديقى هشام الحضرمى *

نائلة : فانتظر حتى أدعو أخى *

حارث : انى منتظر *

(جملة موسيقية)

أسامة : ادخل يا حارث *

حارث : السلام عليك يا سيدى ورحمة الله *

أسامة : أبلغتنى أختى أنك تريد أن تعمل لنا ؟

حارث : أى والله *

أسامة : وهل عملت قبل اليوم فى مثل هذا ؟

(موسيقى)

حارث : شكرا يا هشام *

هشام : خيرا يا حارث *

حارث : لقد قبل سيدى أسامة أن أعمل له ، وسيجزل لى المكافأة ، وقد

طلب الى أن أذهب الساعة الى ضياعه *

هشام : هنيئا يا حارث ... هنيئا لك *

حارث : فبربك هلا قصدت الى زوجتى ناعسة وأنباتها أنى قد عملت ؟

هشام : أفعل يا حارث *

حارث : وقل لها ...

(موسيقى)

هشام : فهنيئا لك يا ناعسة *

ناعسة : (فى صوت لا يبين فيه الفرح) شكرا لله لك يا هشام *

هشام : ولقد أنبأنى انه سيتأخر عنك يومين أو ثلاثة أيام *

ناعسة : وأين يعمل ؟

هشام : عند أسامة بن يعقوب *

ناعسة : ذلك الغنى الواسع الغنى ؟

• هشام : نعم

ناعسة : ولكن لأسامة ضياع كثيرة ، وأموال ضخمة • أيستطيع الحارث أن يقوم بهذا العمل جميعه ؟

• هشام : يستطيع لا شك

ناعسة : وأين بيت أسامة ؟

• هشام : بجانب دكاني

ناعسة : ولكن ألم يستطيع الحارث أن يأتي الى لينبأني هو ؟

هشام : لقد طلب الى أن أفعل هذا عنه لأن أسامة صعبه الى الضياع من فوره •

• ناعسة : شكرا هشام

• هشام : لا شكر بيننا يا ناعسة • انت تعرفين مكانك مني •

• ناعسة : (في جد) شكرا هشام

(موسيقى تنتهي بطرق على الباب)

أسامة : من يطرق الباب ؟

• ناعسة : أنا •

أسامة : (وهو يفتح الباب في دهشة واعجاب وترحيب) مرحبا ••

• أيا تكونين ومهما تكوني •

• ناعسة : (في جد) أننى زوجة الحارث •

أسامة : زوجة من ؟

• ناعسة : زوجة الحارث •

أسامة : أى حارث سعيد هذا الذى أنت زوجته ؟

• ناعسة : الحارث بن زياد الذى يعمل لكم •

أسامة : هذا الحارث ••• أنت بكل جمالك هذا زوجة الحارث الذى

• يعمل عندنا •

ناعسة : (فى صرامة) ويشرفنى ياسيدى أن أكون زوجته ؟

أسامة : (فى سخريه) ويشرفك أن تكوني ؟

ناعسة : (فى صرامة) سمعت ياسيدى انك غنى ، وخسبت أن المال

• يهذب النفوس •

أسامة : (في جد) سيدتى أنه مهما تكون النفوس مهذبة ، فانها لا تطيق أن ترى هذا الجمال الآسر ، ولا تعرب عن إعجابها .

ناعسة : انك فارغ أيها السيد ، تحسب أن تسخر من الناس ، ولست بمن تقبل أن يسخر منها أو من زوجها أحد مهما يكن هذا الأحـد أنت .

أسامة : (في جد) أنا لم أسخر منك أو من زوجك أيتها السيدة ، ولكنني أعجب أن يتزوج هذا الجمال كله (في سخرية) حارث مجرد حارث .

ناعسة : ان الحارث يا سيدى رجل لا يعرض لنساء الآخرين . . ولا يسخر من فقر الرجال ، ولا يزهى بماله كما تزهى أنت . . لقد وهب الله لك المال ليمتحنك به ، فويل لك يا سيدى ، فما رأيت رجلا أساء استعمال ماله كما تفعل .

أسامة : وماذا فعلت ؟

ناعسة : جعلت منه زهوا ، وكان عليك أن تجعل منه أخلاقا ومروءة ، وجعلت من الفقر سخرية ، وكان عليك أن تجعل الفقر مجالا لاطهار كرمك .

أسامة : لو شئت والله وهبت لك من المال فوق ما تطيقين حمله .

ناعسة : خستت لست بذلك .

أسامة : الى هذا الكلام ؟

ناعسة : فلمن ان لم يكن لك ؟

نائلة : خيرا من تلك التي تحادثها فتطيل الحديث .

ناعسة : انه أنا يا سيدتى .

نائلة : ومن أنت يا أخت ؟

ناعسة : أنا زوجة الحارث الذى يعمل لكم ، جئت أسأل عنه ، فقد أنبأني أنه سيغيب يومين فخاب أسبوعا . . قصدت الى صديقه هشام أسأله عنه فلم أجده ، فجئت اليكم فلقينى هذا الرجل .

نائلة : أما تعرفين هذا الرجل ؟

ناعسة : يقول انه أسامة وما أظنه أسامة .

نائلة : ولم ؟

ناعسة : فيه من خلق العبيد ، وما فيه من خلق الأحرار .

ناثلة : لك الله أسامة ، لقد أسأت الى ضيفه .. فعذرا يا أخت ... اذهبي
أنت الى منزلك وسأرسل أنا الى الحارث ... لا عليك يا أخت ..
لا عليك !

ناعسة : شكرا ، الله لك يا سيدتى .. شكر الله لك ..
(موسيقى)

الحارث : بشراك ناعسة .. أصبت الغنى الوافر والحظ السعيد ، هاك ،
هاك بعض مالى ... بشراك ناعسة .

ناعسة : بل لا بشرى ، فانك تتركنى الأيام الطوال ، والبيت وحيد ،
وأخشى أن يدخل لص يسرق المال ، أو يسرق ...

الحارث : أو يسرق ماذا ؟

ناعسة : أثاث المنزل .

الحارث : لا عليك ، فنحن فى موسم المحصول ، فاذا انتهى الموسم فسأكون
الى جوارك ليل نهار .

ناعسة : أخشى أن يطول موسم المحصول الى آخر العمر يا حارث ..
الحارث : ما هذا القول يا ناعسة ؟

ناعسة : أخاف يا حارث ..

الحارث : لا عليك ناعسة ... لا عليك .. أتركك بخير .

موسيقى (فيها شيء من الحزن تنتهى بطرق على الباب ويفتح الباب)
صوت : السلام عليكم (يبين على الصوت كأنه يحمل حملا كبيرا) .

ناعسة : وعليك السلام ، ماذا تريد ؟

الصوت : (وهو لا يزال مجهدا بحمله) أليس هذا بيت الحارث بن يزيد ؟

ناعسة : انه بيته .. فماذا تريد ؟

الصوت : أما ترين أنفاسى المتلاحقة ؟ هلا تركتنى أنزل حملى ، ثم سألت
ما أردت أن تسأل ؟

ناعسة : بل والله لن تنزل شيئا حتى أعرف من أنت وماذا تحمل ؟

الصوت : أما أنا فخادم لن يفيدك اسمى فى شيء ، وان أردت أن تعرفى
فهو رفيق ، وأنا خادم سيدى أسامة بن يعقوب .

ناعسة : فوالله لن تنزل حملك هذا ، ووالله لن تدخل هذا البيت أنت
حمال ... امض أيها الحمال .. امض .

رفيق : بل انتظري ألتقط أنفاسي وأحادثك ، أنت لا تعرفين ما أحمل ...
انه الحرير والدمقس ، والشفائف واللفائف ، والمخرمات و ...

ناعسة : امض يا حامل الاثم .. امض .. لا أرانى الله وجهك .. امض .
(صوت باب يصفق ويعقبه بكاء من ناعسة يتخلله طرق على
الباب مستمر مدة ، ثم ينقطع الطرق ويستمر بكاء ناعسة
الذى ينتهى ببكاء من أسامة) .

أسامة : أحبها ... أحبها .

رفيق : لا عليك يا سيدى ... هون عليك .

أسامة : أحبها يا رفيق ... أحبها ...

رفيق : أشهد يا سيدى ، وقد خدمتك السنين الطوال ، أن واحدة ممن
عرفت لم تكن على مثل هذه العفة أبدا .

أسامة : ولكنى يا رفيق أحبها أكثر ممن عرفتهن جميعا .. ماذا أفعل
يا رفيق أما من فكرة ؟

رفيق : لا يا سيدى .. ليس الى المرأة الشريفة طريق غير الزواج
يا سيدى .

أسامة : (فرحا) الزواج .. هو الزواج .. أريد الزواج بها .

رفيق : (فى سخرية) ان المرأة لا تتزوج من رجلين .

أسامة : أعرف ذلك أيها المتناكبي .

رفيق : تعرفه طبعا ، ولكنك تقول أنت تريد الزواج بها .

أسامة : نعم ... (هامسا) نريد أن نجعل زوجها يطلقها .

أسامة : (مرددا فى همس) زوجها يطلقها !؟

أسامة : أجل .. ألا تعرف وسيلة ؟

رفيق : والله يا مولاي ... والله يا مولاي ... هناك وسيلة ..

(موسيقى)

الحارث : هيه رفيق ... أما تدري لماذا أرسل الى سيدى أسامة ؟

رفيق : اخفض صوتك .

الحارث : (هامسا) ماذا ؟

رفيق : ان أسامة لا يعرف انك عدت .

الحارث : ماذا ؟

رفيق : اتبعنى نذهب الى مكان أمين .

(جملة موسيقية)

الحارث : ماذا بك رفيق ؟

رفيق : ان الأمر خطير يا حارث . . . لقد كشفت أمرا عجيبا .

الحارث : ماذا كشفت ؟ ألا قل يا أخي ، فقد أضجرتني همسا .

رفيق : سيدتي نائلة .

الحارث : مالها ؟ أهى مريضة . . . مالها ؟

رفيق : مريضة بداء عجيب . . . مريضة بحبك .

الحارث : أجننت . . . أتجنني ؟

رفيق : حب يقيمها الليل الطويل شاردة الذهن ، والنهار الطويل ، ذاهلة

الخاطر .

الحارث : أجننت !؟

رفيق : بل الأدهى من ذلك أن أخاصا قد عرف الأمر جميعه .

الحارث : عرف ماذا . . . ؟

رفيق : عرف حبها لك ، وأوشك أن يقتلها ، ولكنى هدأت مضطربة .

الحارث : ويلى ، فهل آن لى اذن أن أترك العمل الآن ؟

رفيق : يا لك من أبله ، لقد ظلمت به أناقشه حتى قبل أن تخطب اليه أخته

فيزوجك لها .

الحارث : من . . . ؟ أنا . . . أجننت ؟ أنا أتزوج هذا الغنى الواسع !؟

أنا . . . أنا الفقير أنا !؟

رفيق : نعم أنت . . . والعجيبة أن أخاصا قبل ذلك ، فقد هدته ان لم

تتزوج منك أن تقتل نفسها ويكون أمرها فضيحة بين الناس .

الحارث : هل جننت يا رفيق ؟

رفيق : وقد أرسلت اليك دون أن يعرف سيدي أسامة ، ولم يبق الآن

الا أن تتقدم من سيدي أسامة تطلب اليه أن يزوجك أخته ، وحذار

أن تخبره بما قلته لك الآن . . . حذار أن تخبره .

(موسيقى)

الحارث : (متردداً) سيدي . . .

أسامة : ماذا يا حارث ؟

الحارث : أمنية يا سيدي طالما داعبت خيالى ، وطالما رددتها عن تفكيرى ،

ولكنها تستبد بي كل يوم ، فلا أطيق منها فرارا .

أسامة : ما هنى يا حارث ؟ ٠٠ قل ٠٠٠ فاقده والله عرفت فيك الفتى المخلص
فى عمله الأمين فى واجبه .

الحارث : يا سيدى أنا أعرف مكانك منى ، ومكانى منك ٠٠٠ وأعرف
يا سيدى أنك أغنيتنى بعد فقر ، وأكرمتنى بعد هوان ، فان
أقدم اليك أطلب منك أمرا ، فما هو الا أمل يدعونى الى التعلق به
فضل سبق ، ومكرمة سلفت ، ويد أسبغت .

أسامة : لقد أطلت حارث ، وما أحسب مطلبك الا جليلا .

الحارث : وانه الجليل ، سيدى أطلب اليك أن تزوجنى أختك سيدتى
نائلة ٠٠

أسامة : يا أخى انما أنت خاطب ، والخاطب لا يحتاج الى هذه المقدمة
الطويلة ، فانك بخطبتك تعلن حسن رأيك فى وفى أختى .

الحارث : خشيت يا سيدى أن تحسب انما أخطبها لغناها ، وأننى أتعلق
بالغنى وحده .

أسامة : وهب انك كذلك ؟ ٠٠ اسمع يا حارث ٠٠ اننى لا أعارض فى
هذا الزواج ولكننى لا بد لى أن أسأل أختى .

الحارث : ألا تعارض أنت يا سيدى ٠٠٠ ألا تعارض ؟

أسامة : اذا رضيت هى بك ، فلماذا أعارض أنا ؟

الحارث : (وفى دهشة) اذن فقد صدق ٠٠٠

أسامة : (مقاطعا فى سرعة) من ذلك الذى صدق ؟

الحارث : ظنى ٠٠٠ صدق ظنى يا مولاي .

أسامة : اذا كان الغد ٠٠٠ فتعال تعرف الجواب .

(موسنيقى)

الحارث : سيدى .

أسامة : هنيئا يا حارث .

الحارث : أحقا يا سيد ٠٠٠ يا صهرى !

أسامة : الا ان لها شرطا واحدا .

الحارث : فلتقله يا سيدى .

أسامة : ألم تحدسه يا حارث ٠٠٠ ألم تعرف ما هو ؟

الحارث : (مترددا) لا ٠٠٠ لا لم أحدسه .

أسامة : ان أختى نائلة فتاة فى ربيع العمر ولا تحب أن تتزوج من رجل
له زوجة فى بيته .

الجارث : (فى تردد) وماذا تريد أختك يا سيدى ؟ هه ٠٠ ماذا تريد ؟

أسامة : طلق زوجتك تقبلك نائلة زوجا .

الجارث : أطلق زوجتى !؟

أسامة : تتزوج من نائلة .

الجارث : (مندفا) فزوجتى ٠٠٠ (يسكت)

أسامة : اذن فأنت لا تحب نائلة .

الجارث : (فى ألم وحزن) فزوجتى ناعسة منذ اليوم طالق .

أسامة : فأكتب الطلاق ٠٠٠ ولا يشغلك مؤخر الصداق ، فهى هدية

عرسك ٠٠ (ضاحكا ضحكة) هديتى فى زواجك من أختى نائلة .

(ضحكة كبيرة)

(موسيقى)

أسامة : اننى أخطبك الى نفسى يا ناعسة .

ناعسة : مالى الى الزواج رغبة يا سيدى .

أسامة : أى عيب ترينه فى يا ناعسة ؟

ناعسة : أنا لا أراك يا سيدى ٠٠٠ أنت دائما مختبىء وراء أموالك ، انك

شئ تجعل أموالك أهم شئ فىك ، ولو جعلت انسانيتك أهم شئ

فىك لكنك خيرا من ذلك .

أسامة : أنا لا أفهم عنك شيئا .

ناعسة : ذلك أن الذهب معدن صلب جامد بارد ، وهو يا سيدى يغلف

قلبك وعقلك ، ولو أنك يا سيدى أزحتة عن فهمك وشيعورك وعشت

حياتك ومالك فى يمينك سلاح للفقير لا سلاح عليه ، وقوة للضعيف

لا قوة للشر ، لو أنك فعلت لأحسست متعة الحياة ، بل أحسست

متعة الغنى الذى تتمتع به .

أسامة : اننى أحس متعة الغنى يا ناعسة .

ناعسة : هيهات ٠٠٠ ليست متعة الغنى فى المرأة المشتراة ، ولا الكأس

الناعمة ، لا ولا فى القصور والحريير وهذا الفراغ ، ان متعة المال

تحسها – ان كنت تحس – فى دمة المسكين الذى تدفع عنه الذلة ،

وفى شكر المحتاج الذى رفعت عنه حاجته ، وفى اعزاز كريم ذل ،

أو غنى افتقر ، أو خير آثم .

أسامة : انى أخطبك الى نفسك يا ناعسة ، فما هذا الحديث ؟

ناعسة : سيدى أنا لا أتزوج جمادا وأنت جماد .

أسامة : أنا جماد ؟

ناعسة : وهل الذهب الا جماد ؟

هشام : (من الخارج ويصاحب صوته طرق على الباب) افتحى يا ناعسة .

ناعسة : (وهى تفتح الباب) مرحبا هشام .

هشام : من ٠٠٠ سيدى أسامة ٠٠٠ أنت هنا ؟

ناعسة : مرحبا هشام .

هشام : ناعسة جئت أخطبك لنفسى .

ناعسة : وانى قبيلت يا هشام .

هشام : فمتى الزواج ؟

ناعسة : متى تريد ؟

هشام : غدا .

ناعسة : غدا .

(موسيقى)

الحارث : أنجز حر ما وعد يا سيدى أسامة ٠٠٠ لقد ماطلتني الشهور

الطوال ، وفرضت على أن أنتظر حتى توفى امرأتى عدتها ، وفرضت

على ألا أعود من الضياع أبدا وألزمتهنى مكانى القاصى هناك ثلاثة

أشهر ٠٠٠ فأنجز حر ما وعد يا سيدى .

أسامة : أى حر ، وأى وعد ؟

الحارث : أن أتزوج من أختك نائلة .

أسامة : من أختى ؟ أختى أنا ٠٠٠ هل جنتت ؟

الحارث : سيدى !

أسامة : انت منذ اليوم مفصول عن عمالك ٠٠٠ لا مكان لك هنا أيها

المجنون .

(موسيقى)

الحارث : سلام يا هشام .

هشام : مرحبا حارث ٠٠٠ مرت شهور طويلة لم أرك ؟

الحارث : أو تحب أن ترانى يا هشام ؟

هشام : ولم لا ؟

الحارث : نعم ٠٠ ولم لا ؟ اننى يا هشام قد صرت الى ضيق من المال وكنت قد تركت عند زوجتى (ويستدرك بعدها ويميل صوته الى البكاء)
زوجتك ناعسة بعض المال ٠٠٠ فهلا طلبته لى منها ؟

هشام : بل اذهب أنت اليها واطلبه .

الحارث : أتقصد أن أذهب أنا حقا يا هشام ؟

هشام : ولم لا ؟ ٠٠ انك أخى منذ الطفولة الأولى ، ولا تزال أخى ٠٠٠
اذهب حارث اليها واطلب مالك بارك الله لك فيه اذهب أخى .
(موسيقى تصاحب المشهد)

الحارث : سلاما يا ناعسة .

ناعسة : (فى بعض جفاء) سلاما يا حارث .

الحارث : تركت عندك بعض المال .

ناعسة : (فى سخريه ناعمة) لا تزال تجرى وراء المال يا حارث ؟

الحارث : بل زهدته يشهد الله .

ناعسة : بل هانئذ تغيب الشهور ولا تعود حين تعود الا لتطالب بمالك .

الحارث : كان لابد لى أن أخلق للمجىء عدرا ناعسة ٠٠٠ ناعسة رفقا .

ناعسة : فهل رفقت بى أنت وأنت تطلقنى ؟

الحارث : ان أكن أخطأت فى هواك فسحح من العفو .

ناعسة : انما الهوى خيال .

الحارث : بل حقيقة .

ناعسة : انما الهوى خيال .

الحارث : بل حقيقة .

ناعسة : بل الدينار هو الحقيقة .

الحارث : انه الهوى يا ناعسة فرقا ٠٠٠ انه الهوى (يبكى)

ناعسة : (فى صوت باك) أتبكي شيئا أنت من فعلته ؟ ٠٠ لن يفيدنا

البكاء شيئا يا حارث ٠٠٠ لن يفيدنا فى شيء .

الحارث : (باكيا) حسبى الله ونعم الوكيل ٠٠٠

هشام : ابك يا حارث ٠٠٠ وابك أيضا ولا تنقطع عن البكاء ، لعلك تغسل

عن نفسك ألها .

الحارث : هشام .

هشام : ابك فقد تجنيت . . . وما أصدق دمة الجاني .

الحارث : رحماك هشام .

هشام : فوالله ما رحمتك الا هشام .

الحارث : أحقا هشام ؟

هشام : أنت طالق يا ناعسة . . . أنت طالق طلاقا بائنا . . . تزوجتها
من أجل أخى وأحسست حبها لك ، فجعلت من زواجى بها أخوة
ظاهرة ، فأنت منذ اليوم طالق ، فاصفحى عن حارث .

ناعسة : رعاك الله يا هشام . . . وأنا صافحة . . . عفوت يا حارث . . .
فما طريقك منذ اليوم ؟ . . . أهو القمر أم الدينار ؟

الحارث : (فى فرح) الى القمر يا ناعسة . . طريقا الى القمر .

ناعسة : الى السماء يا حارث . . . طريقا الى السماء .

• نبل وحيانة

(موسيقى)

المدبح : ابراهيم بن المهدي أخو الرشيد .. شاعر رقيق ولكن شهرته بالعزف والغناء كانت أبعد مدى .. لما تولى الخلافة ابن أخيه المأمون وخرج عليه ولم يعترف له بها وادعى هو الخلافة لنفسه .. وأقام بالرى يسكب على نفسه صفات الخلافة مدة سنة وتزيد ، لم يشأ المأمون خلالها أن يأخذه بأسباب الشدة . فلما رأى أنه لا ينتهي قصد اليه في جيش ، لم يصبر عليه ابراهيم وترك كرسي الخلافة وخرج يتنقى من قصاص المأمون هربا .. ان ابن المهدي لفي حيرة من أمره ليس يدري أين يولى وجهه ؟ ها هو ذا يقطع طرق الرى مستخفيا لا يتبعه من خاصته غير سميره الأمين هشام .. لقد أعيتهما المطاردة واشتدت بهم الظلمة .

(موسيقى)

ابن المهدي : مر اليوم يا هشام .. لا يستطيع أن نصل الى المأمون .. ان الساعة لطويلة على الخليفة الهارب .. فما خطبك وقد مرت هذه الساعات ؟

هشام : الله في عون مولاي .. الى أين يا ترى يقودنا الخوف ؟

ابن المهدي : الى أين ؟ اليها بلا ريب .. الى عاتكة .. انها نعم الملجأ .

هشام : أتظن ذلك يا مولاي ؟

ابن المهدي : أظن !؟ بل هو الوثوق بعينه .. انها آمن على من نفسى .

هشام : أمرك .

ابن المهدي : ولكن أتظن الطريق اليها أمينا ؟

هشام : والله يا مولاي لا أدري .. ان الجائزة التي وعد بها المأمون لن

يعشر عليك جائزة مغرية .

ابن المهدي : نعم ٠٠ مائة ألف درهم ٠٠٠ واني لأعرف كثيرا من أغنياء
هذه المدينة يتمنون لو حصلوا عليها ، فما ظنك بالجند وكلهم
فقير ؟

هشام : أخاف يا مولاي ٠

(تسمع حوافر الخيل من بعيد تقترب رويدا رويدا)

ابن المهدي : ما هذا ؟ ٠٠ ادخل في هذا الطريق يا هشام ٠٠ ان جماعة من
الجند قاصدة الينا ٠

هشام : وى ان الطريق مقفل يا مولاي ٠

ابن المهدي : وما نفعل ؟ ٠٠ أنسلم ؟ ٠٠ اقتحم ٠

هشام : انه حائط ٠

ابن المهدي : انفذ دونه ٠

هشام : انه سد منيع يا مولاي ٠

ابن المهدي : حسبي الله ونعم الوكيل ٠٠ رحماك يا ابن الأخ ٠٠٠ رحماك
يا مأمون ٠٠٠ الله للزوجة والأولاد ٠٠٠ حسبنا الله ٠

هشام : بعض الأمل يا مولاي ٠٠ ان الجند لن تظننا الا بعد برهة
نكون فيها قد دبرنا أمرنا ٠

(موسيقى)

المديع : فى بيتها ٠٠ عاتكة تجلس الى صاحبيتها ، فيما يدور الحديث ٠٠٠
ومن ذلك المسكين الذى ألقى به بين لسانيهما يتناولنه ؟ ٠٠ من
ذلك الذى ألقى على وجهيهما كل هذا الجد وتلك الصرامة وذلك
التنمر ؟ ٠٠ لنلق بأذاننا ٠٠ وحذار حذار أن تصل الينا العيون ٠

عاتكة : لهفى على سيدى ابراهيم ٠٠ نرى أين استقر به المكان الآن ؟
انى لأعلمه رقيق العاطفة حاد المزاج ، يحب أن يرى كل شىء مهيبا
لراحته ٠٠٠ ويحب أن يرى كل انسان مقبلا على رحابه ٠٠٠ لهفى
عليه الساعة لا شىء مهيب له ولا رحاب له يقبل عليه ٠

رائقة : دائما دائما لفظين لاسم واحد ٠٠٠ ابراهيم وابن المهدي ٠٠٠٠
أصدق ذلك أم تهوئش ؟

عاتكة : بل هو الصدق ٠٠٠ الجائزة كبيرة يا رائقة وليس فى الناس
أمين ألا أخاف ؟

- راتقة : ما زال بالناس بعض الخلق
- عاتكة : أى خلق ؟ لقد أصبح الشرف من كلمات التاريخ
- راتقة : الفضل فى ذلك لك يا عاتكة ... ان لك على العيب بالشرف قدرة
تعر على الشيطان
- عاتكة : أمزاحا والأمير شاراد الخطب محدد والحال على ما ترين
- راتقة : مزاح .. أى مزاح تقصدين ؟ فوالله ما قلت غير الجد
- عاتكة : أليس مولاي من أخاف عليه ؟
- راتقة : بل هو فوق ذلك .. هو من مد لك أسباب الحياة
- عاتكة : ألا أغضب اذن ؟
- راتقة : تغضبين نعم .. ولكن حين تعلمين أنه سمح لغيرك أن يشى به ان
كان قد وشى به
- عاتكة : أمقت ذلك يا راتقة ؟
- راتقة : بل ولاء
- عاتكة : لى
- راتقة : للأمير
- عاتكة : فهى الغيرة اذن
- راتقة : منك ؟
- عاتكة : ولم لا .. ألسنت امرأة ؟
- راتقة : أما أنا فامرأة نعم .. وأما أنت
- عاتكة : فماذا (فى غضب) ؟
- راتقة : فالشيطان
- عاتكة : نعم هو ما حرزت ... انه المقت والغيرة .. والله ما جئت
الا متشفية لا تحمل غير الشر
- راتقة : انه يا أخت لا يتشفى فى ميت ... لقد عدمت الخير
- عاتكة : شكرا .. شكرا .. ألف شكر
- راتقة : عفوا ... ألف عفوا .. وفرى عليك الحيلة فى طردى ... وفريينا
عليك تنفك حين توقعين الأمير بالطيب
- عاتكة : كاد الحلم أن يخرج من يدي ... اخرجى راتقة أنا لا أطيق أن
أرى الكره مجسما أمامى فى منزلى ... اخرجى بغير عودة
- راتقة : عودة ولم العودة ؟ .. ولكن بربك اذا ظفرت به ، فما أظنه الا آتيا
اليك ، فاذكرى ثورتك بى واتقى الله فى نفسك مرة .. اذكرى أن

فى العالم شيئا يسمى الشرف ... قلته الآن على غير معرفة فاعرفيه
مرة .. مرة واحدة .

عائكة : الى الخارج رائقة واسرعى .
رائقة : لا عليك عائكة فأنا خارجة .. سلاما ولا تنسى ...
(ضحكة تكملها موسيقى)

عائكة : مولاي .. لقد أمضتني الفرقة وأباتنى الانتظار على فراش لا يهدأ
... انه النار الآخذة يا مولاي .

ابن المهدي : أراح الله مضجعك يا عائكة .

عائكة : بيتك مولاي ... لم كل هذا الغياب يا مولاي ؟ .. ان لم تذكر
جارتك اليوم فمتى ؟

ابن المهدي : اليوم وكل يوم .. لست بالجارية عائكة ولكنك الأخت
والملجأ ..

عائكة : أهلا بالأمين هشام أهلا ... ما أظنكما الا لاقيتما من يومكما هذا
تعبا ؟ .. فهلم الى الراحة والهدوء .

ابن المهدي : نعم هلم الى الراحة والهدوء .. ألا يأتى أحد لزيارتك ؟

عائكة : لا تخش شيئا يا مولاي ولا أحدا ... فقد أذعت انى ذاهبة فى
سفر فلن يدخل يهدوئك مزعج ... أهلا مولاي أهلا .

ابن المهدي : أجل عائكة .. لقد كنت أنتظر منك هذا وفوق هذا ...
وكنت أخشى على رأسك الجميل أن ... ولكن هذا أوان الشد ..
فاشتنى معى والله من فوقنا المعين .

عائكة : غبت عنى فأنا فى خشية دائمة وقلق مبيد .. خبرنى يا مولاي
ماذا فعلت فى يومك وليلتك ؟ .. ان الرجال لا تتخذ ملابسنا الا عند
الشدائد .. وها قد لبست وصاحبك هشام ثياب النساء .. لا ضير
عليكم فأنتم لباس لهن وهن لباس لكم .. فداك نفسى يا مولاي ..
لقد لاقيتما نصبا .

ابن المهدي : وأى نصيب يا عائكة .. لعلك تريدان أن تعلمى .. لماذا لبست
وصاحبى ملابس النساء ؟

عائكة : أى والله يا مولاي .

ابن الهمدي : اليك ما كان ٠٠٠ دهمتنا الشرطة وكادوا يلحقوا بنا ، وكلهم يعرفني والجائزة مغرية ، فرأينا بابا (صوت حوافر الخيل في الظلام) ٠٠

هشام : مولاي اني أرى بابا ٠٠٠ ما زال يتنهد من خلاله النور ٠٠٠ نظرت له والله معنا (يطرق الباب) ٠٠

الصوت : (من الداخل) من يطرق الباب ؟

(صوت وقع حوافر الخيل أثناء هذا الحديث)

هشام : غريبان في ضيق ٠٠ هل للضيف مكان ؟

الصوت : (وهو يفتح الباب) مكان رحيب ٠٠ مرحبا بالأضياف ٠٠ أهلا ٠٠ (يقفل الباب)

(وقع الحوافر يملو ثم يخفت ممتدا)

هشام : مكان رحيب حقا ٠٠ رحيب بكرمك يا أبا العرب ٠

الرجل : أنا وحدي في البيت لا أنيس ولا سمير ٠

هشام : غريبان ٠٠ نحن من الكوفة نزلنا المدينة الساعة وضرينا في طرقها نطلب خانا يضمنا ليلتنا ٠٠ فاشتبهت علينا المسالك وضلنا السبل ٠٠ وصلنا دارك وقد أخذ منا التعب مأخذه جميعا ٠٠ فقلنا نطرق الباب ولن يدخل البيت من كريم ٠٠ فلم يدخل ٠

الرجل : أهلا بكما ٠٠ ليس والله كرما ما لاقيتماه ، ولكنه الأنانية وحب الذات ٠٠٠ فأنا وحيد ولا أنام من الليل الا أقله فهو عبء ثقيل ، لا أعرف كيف أقطعه ؟

هشام : نعاونك على قطعه ان شاء الله يا أبا العرب ٠

الرجل : ولكن ترى أتأذن لي أن أغيب عنكما بعض الساعة ؟ ٠٠ أقصد السوق وأعود فلا أعوق الا قليلا ٠

ابن الهمدي : تقصد السوق ! أهو بعيد ؟

الرجل : أنا وحدي في البيت لا يساكنني فيه أحد فلا حرج عليكمنا من غرفاته جميعا والسوق قريب ٠

ابن الهمدي : (في خوف وتردد) ما ترى ٠٠ ما ترى يا أبا العرب ؟
(صوت باب يقفل)

(موسيقى)

ابن المهدي : طالت غيبة الرجل .
هشام : أتخشاه يا مولاي ؟

ابن المهدي : الجائزة تعمي البصر . . هشام ما قولك ؟ لقد أصبنا من
الراحة الكفاية وما أظن الجند الا قد انصرفوا .

هشام : أخرج مولاي والليل أسود والبرد قارس والمأوى بعيد والطريق
مخوف . . . فماذا نفعل ؟

ابن المهدي : أى شيء . . . لن أبقى .

هشام : أمرك يا مولاي (لحظة صمت) الباب مقفل بالمفتاح يا مولاي . .
ما أظن الرجل الا عرفنا .

ابن المهدي : كذا . . لا عجب أن تطول الغيبة اذن . . لا بد أنه قصد
المأمون ذاته . . ان موكب الخليفة يستغرق اعداده وقتا طويلا
يا هشام . . ولعله الآن في طريقه الينا يمشى فى بطء مشية الوقار
والعظمة وما يعجله ؟ . . الصيد فى قفص مقفل وهو يسعى اليه
ليلتذ النصر جميعا . . على مهله . . على مهله ولنمت نحن من الخوف
قبل أن يميتنا السيف . . ولكن لا . . . لا أنتظر انتظار النساء . .
حطم الباب يا هشام وليكن بعد ذلك ما يكون . . حطم الباب
قلنت لك .

هشام : أمرك يا مولاي .

(يحاول كسر الباب . ثم يسمع طرق)

ابن المهدي : ما هذا ؟

الرجل : (يفتح الباب) السلام عليكم . . ألهذا الحد تأخرت . . لقد
أقفلت الباب حتى لا يزعجكما مزعج . . أقبلا عسدى فى التأخير
فالسوق بعيد وما شريته كثير .

ابن المهدي : أكنت تشتري حقيقة ؟

الرجل : وما تظننى كنت أفعل ؟ . . اننى حجام صناعى اخراج الدماء
الفاسدة من الأجسام . . صناعة ليست بالنظيفة على ما أعتقد . .
خفت أن تتقرفا مما أستعمله . . فذهبت أشتري أوانى جديدة .

ابن المهدي : نعم أنت ونصمت صناعتك . . ان من يزيل ألم الانسان
ملاك بعثه الله الى الأرض يخفف به من شرورها .

الرجل : على أية حال قد شريت الجديد وكَمْ أريد أن أظهو لكما شيئاً ..
ولكن طهوى بدائي وأنا حجام .. فدوتكما الأواني فاطبخوا شيئاً
تأكلانه ... ما هو الأكل ذا ... هذا لحم عبيط وهذا ..
(موسيقى)

ابن المهدي : ما شعرت لذة لاكلة مثل هذه .. ما أجمل أن يتذوق
الإنسان ما يصنعه ..

الرجل : بارككما الله لقد أنستما وحشتي وأمتعتماني ليلتي .. والله
لايد أن يكمل هذا السرور .. أملك هنا عوداً ألبجاً إليه في أحد
من حالين .. إذا أخذ على الضيق كل مأخذ فيؤو نجاتي منه .. وإذا
ألم بى السرور من كل صوب فهو قمة السرور ..

هشام : نعم الملجأ والقمة ما اخترت ..

الرجل : اضرب لكما عليه ، أم تكون جرأة كبيرة منى أن أنزف على
مسمع من مولاي ..

ابن المهدي : ويحك رجل .. أتعرفنى ؟

الرجل : منذ الوهلة الأولى يا مولاي .. ابن المهدي .. أخو الرشيد وعم
المأمون وخليفتنا أدامه الله ..

ابن المهدي : تقصد خليفتم السابق لا شك ... ولكن ..

الرجل : ولكن ماذا يا مولاي ؟ .. تقصد الجائزة ... أعلمها ، مائة
ألف درهم ، قدر كبير حقاً .. أعلم ذلك .. ان طرقت بابي
يا مولاي ، مجرد طرقت .. لا يكافئه مال فى العالم ..

ابن المهدي : نفس كبيرة تملكها .. ان نفسك تلك هي التي لا يكافئها
مال أيها الحجام .. هات العود فوالله لأسمعك أنا لحنا تقاصرت
عنه الفنون جميعاً ..

(يندق على العود)

الرجل : فنك مولاي فنك .. هو ملاذك وملجأك .. هو تلك النسمة
التي يهبها الله لفرس من عباده فيجدها عند الضيق فرجا وعند
الفرج لساناً .. فنك يا مولاي فنك ألبجاً إليه فانك فى عالم تتحطم
دونه كل قوة وتتكسر على سياجه كل شوكة .. فنك يا مولاي
فلتعرف مولاي .. ولنفسك تعرف والجمال والهدوء والسعادة كلها

فى هذه الأصابع الدقيقة تجريها وفى هاته الحنجرة الذهبية تطلقها
الى غير سكوت ان شاء الله ٠٠ فنك مولاي فنك ٠
(يرتفع صوت العود)

(موسيقى)

ابن المهدي : هاقد أقبل الصبح يا هشام وان فيه لعيونا كاشفة أخشى أن
تفضح من أمرنا ما نستتر ٠٠٠ فهلم نبغ مأمنا ٠٠٠

هشام : أمرك يا مولاي ٠٠٠ ولكن ألا تنتظر الرجل حتى يعود نشكر
كرمه وطيب ضيافته ؟

ابن المهدي : ما أظننى محتاجا لهذه الاشارة يا هشام ٠٠ انك تخاطب
ابن المهدي ٠ لئن زالت الخلافة فان فى أعراقا عربية كريمة ، أبت
أدرى الناس بها ٠

هشام : عفوا مولاي فوالله ما قصدت الا ٠٠٠

الرجل : (يدخل) سعيد صباح مولاي ٠

ابن المهدي : سعيد صباحك أيها الكريم ٠ لقد نويانا الرحلة ان شاء الله ٠
الرجل : على عيني ما اتتويته ٠

ابن المهدي : كرم عريض لاقيته عندك ولا أملك لجميلك الآن ردا ٠٠٠
فهذ زت كرمك كرما ؟ ٠٠ وقبلت منى هذه الدنانير على سبيل
التذكار ٠

الرجل : والله يا مولاي ما دار بخلدى أن تهيننى هذه الابهانة ٠٠ لقد
ربحت من الدنيا فوق ما كنت أمل منها ٠٠ ابن المهدي ضيف على
دارى الحقرة ، وابن المهدي يغنى وأنا أسمع ، وابن المهدي يكرمنى ،
فيعتبر تفضله بالنزول عندى أمرا يستحق منه الشكر ان آمالى
يا مولاي لتقصر أن تصل الى ما وصلت اليه اليوم ٠ وانه ان لم
ترد هذا المال الى جيبك قتلت نفسى وأنت عن دمي مستول ٠

ابن المهدي : وبعد لك أيها الرجل ٠٠ تأبى الا أن تترك جميلك كاملا
على كتفى ٠٠ عبء كبير ٠٠ أسأل الله العون ٠

الرجل : مولاي انى لا آمن عليكما أن تنزلا فى وضع الصباح والجائزة
مغرية وما كل بأمون الضمير ٠

ابن المهدي : أشر على اذن .. فما أطيق أن أبقى لديك لا أريم فيعرف
مكاني ويسعى الى .. أو أنا في الحق لا أطيق أن أنتظر البلاء
وأنا في مكان النساء لا أطيق .. أشر على فأخرجني .

هشام : النساء . أذكرتني مولاي .. النساء .

ابن المهدي : ويحك أيها الرجل . هل بك مس . مالنا والنساء الآن .
هشام : نلبس لباسهن ونخرج ، فما أحسب أحدا ...

ابن المهدي : اخساً يا رجل .. لبس نساء .. أنا ألبس لبس النساء ؟!
هشام : وما يضريك مولاي ؟ .. ألسنت الرجل مشهورة رجولتك ؟ ألسنت
ابن المهدي لا ضير عليك من أجل السياسة أن تلبس لباس النساء
.. ان لباس النساء يا مولاي هو أشرف ما يتنكر به الساسة من
ملابس .. فتوكل على الله مولاي .. لبس النساء أيها الصديق ..
لبس النساء .

الرجل : أحسبه صادقاً فيما يذهب اليه يا مولاي فانها وسيلة تكاد
تنفرد .. سأحضر أنا هذه الملابس .

ابن المهدي : بتس يوم خطرت لي فيه فكرة الخلافة .. خنت القرابة
وأضعت الأمانة وها أنا ذا مشتت الكرامة مسلوب مظاهر الرجولة .
هشام : أدام الله عليك الجواهر يا مولاي .

ابن المهدي : الجواهر .. الجواهر .. من يعلم الجواهر ؟ .. الجواهر هو ذلك
الدفين في أعماق النفس .. لا يعلم أحد عنه شيئاً .. الدنيا
كلها مظهر ... أنت امرأة اذا لبست لباسها والمرأة رجل اذا
لبست لباسه .. أنت امرأة حين تبدو لرائيك بملابس النساء ..
أما ما أنت عليه حقيقة فان قلة يعرفونه .

هشام : أحسبني يا مولاي لا أستطيع رداً .. كما أعتقد أننا محتاجون
لوقت ... فغل يدك فيه بعض الشيء . وخير لنا أن نفكر أين
سنولى الوجوه ؟

ابن المهدي : أين نولى الوجوه ؟ كأنك قد نسيت .. الى جاريتي عاتكة ..
نعم الملجأ هي .

هشام : أدامك الله مولاي ... ان ما سكبت عليها من الفضل ليلقى على
قلوبنا الهدوء الأمين .

ابن المهدي : انك تقول هذا لما تعرفه . . . أما ما تجهله فهو أكثر بكثير
. . . لقد عرفت هذه الجارية من أمرى ما لم تعرفه عنى جارية
أخرى فى أى مكان وأى وقت .

هشام : ان قولك هذا يا سيدى وصف لما رأيناه نحن . . . فان كان
ثمة أكثر فانتى أخشى أن أقول لمولاي انه أسرف .

ابن المهدي : لقد قلتها فعلا . . . على أية حال أسرفت أو وفرت . فات
الوقت فهلم الى عاتكة .

هشام : هات أيها الرجل . . هات هذه الملابس .
الرجل : وأين عاتكة هذه يا سيدى هشام ؟

ابن المهدي : شكرا لك أيها الرجل النبيل . . لا تكلف نفسك مشقة
المجئ الينا . . سوف نوافيك بأخبارنا على أنك فى غير حاجة الى
أخبار . . فهى خير ما دامت مقطوعة . . ولن يصلك منها الا ما لا تحب
. . فعلى هذا انتظر .

الرجل : يربعا كما الله . . لقد شرفتنى يا مولاي وما أظن الله الا راعيك
بفيض كرمه ووسيع فضله . يربعاك الله . يربعاك الله يا مولاي .

ابن المهدي : امسك فقد زدت الفضل افضالا بكلامك . فالى لقاء آخر
لقاء قريب .

هشام : أسرع يا مولاي . أسرع . الى عاتكة . الى عاتكة . . انها نعم
الملجأ .

ابن المهدي : وهانذا عندك الآن يا عاتكة . . لا خوف ولا اشفاق .
عاتكة : عند نفسك يا مولاي . . بيتك . . بيتك . . لعلك تأذن لى مولاي .
لو طلبت اليك أن أخرج الى السوق واشترى ما أريد وأتسمع
الأخبار . . تأذن يا مولاي ؟

ابن المهدي : تأذن يا عاتكة فأنا فى بيتى وفى مأمنى . . هيا هيا .
وتصيدي أخبارا . . هيا اسرعى .

عاتكة : اذن فدونكما يا مولاي نردا . . اقطعنا به الوقت حتى أعود (صوت
أحجار الترد) .

(موسيقى)

ابن المهدي : أيبعد السوق عن هنا يا هشام ؟

- هشام : بل هو قريب يا مولاي .
ابن المهدي : فما هذه الغيبة اذن ؟ (صوت الرد)
هشام : ماذا ... أخوف مولاي ؟
ابن المهدي : (في دهشة) من عاتكة .. أتخرف يا هشام .
هشام : لا أخرف ولكنه مزاح .. عاتكة .. هل يخشى من عاتكة ؟ انها
نعم الملجأ .
(جلبة شديدة تظهر من بعيد وتقترب ثم يقرع الباب بشدة) .
صوت : (من الخارج) باسم أمير المؤمنين المأمون بن الرشيد افتحوا
الباب .
هشام : (يكرر في سخريه مريرة) عاتكة . هل يخشى من عاتكة .
انها الملجأ .
(موسيقي)
(مجلس المأمون)

المذيع : المأمون بن الرشيد في مجلسه .. تحيط به الأبهة من كل
جانب . وقد التفت حول عرشه الناظون من العلماء . وهو يأمر
للمقرب فيجلس ولغيره فيقف والناس على وجوهها الوجمة وفي
نفوسهم الرهبة ، والمأمون أثبت من الطرد تترقرق في قلبه عواطف
المحبة لعمه فلا يبديها . وتشور في نفسه عوامل الانتقام والثورة
فلا تجرؤ واحدة من هذه الخوارج أن تصل الى نأمة من وجهه .
ها هو ذا ابراهيم بن المهدي يدخل متعثرا .

ابن المهدي : السلام على أمير المؤمنين المأمون بن أخي الرشيد .
المأمون : أو ذكرت أخاك في قبره وابنه يؤوده العبد فيكاد ينوء به .
أذكرتهما تدعى الخلافة وتخرج عليه . لا أنزل الله عليك السلام
أبدا .. لقد كان خيرا لك تنسى العمومة والقراية فلا توغل بهما
في جراح هي في ذاتها عميقة كل العمق .. أيعترف الكل لابن
أخيك بالخلافة وتنكرها أنت عليه وتدعيها لنفسك ؟ .. ولم تكن
لك في يوم (في ثورة) أخلافه .

ابن المهدي : يا أمير المؤمنين .. ان ولي النار محكم في القصاص والعفو
أقرب للنقوى . وقد جعلك الله فوق كل عفو .. كما جعل ذنبي
فوق كل ذنب .. فان أخذت فيحققك .. وأن تعف فيفضلك .

ذنبى اليك عظيم

وانت اعظم منه

فخذ بحقك أولا

فاصفح بحلمك عنه

ان لم اكن فى فعالى

من الكرام فكنه

المأمون : موقف لا أرضاه لك والله . ما كان أغناك عنه :

ابن المهدي :

أنت ذنبا عظيما

وانت للعفو أهل

فان عفوت فمن

وان جزيت فعادل

المأمون : نسأل فيك الجالسين .

أصوات : تقتله شنقا .

أصوات : بل نذبحه .

أصوات : نمثل به .

(فترة صمت)

المأمون : ما لاحمد بن أبى خالد لا يقول رأيا . . ألقى الدلو فى الدلاء .
أحمد : يا أمير المؤمنين . . أن تقتله . وجدنا مثلك قتل مثله . . وان
عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله .

المأمون : ايه ؟

قومى هموا قتلوا أميم اخى

فاذا رميت أصابنى سهوى

ابن المهدي : الله أكبر . . الله أكبر . . عفا والله أمير المؤمنين .

ما ان عصيتك وانغواه تهدنم

اسبابها الا بنية طائع

ملئت قلوب الناس منك مهابة

وتنقل تكلامهم بقلب خاشع

فعفوت عنى لم يكن عن مثله

عفو ولم يشفع ليديك بشافع

المأمون : أعوذ بالله أن أحوجك الى شافع عماء .. ولكن ما ترى فيمن رأى
قتلك أن أبا إسحق أشار بذلك ؟

ابن المهدي : والله يا مولاي لو كنت مكانهما ما قلت بغير هذا .. لقد
أحسننا النصيح يا مولاي . وأحسننت أنت العفو وأنت له أهل ..
فدفعت خشية مني بأمل في صلاحى .. فلست والله ابن المهدي ان
سمحت لامل لك أن يخيب .

المأمون : ان اعتذارك النابض بالحياة يؤكد صدقه يا عماء .. عماء
لاقيت من المطاردة عنتنا فهلا قصصت ما لاقيت .
(موسيقى)

المأمون : ايدنوا للحجج بالدخول .
الحجج : السلام على أمير المؤمنين .

المأمون : وعليك السلام يا أخا العرب . انك والله لأكرم من أن تكون
حجاجا ... أبلغوا أمير الجند أن يضمه الى الجيش ويخلع عليه
ويعطيه بيتا يسكن فيه .

الحجج : مولاي .. اننى أقبل ما تأمر به لأنه أمر منك لا أملك من دونه
ردا .. أما أنا .. فوالله ما كنت أرجو بعد الشرف الذى نلته
الا أن أعيش فى ذكراه .. وسأعيش ان شاء الله فى غمرة فضلك
وفى ذكرى هذه الليلة التى شرفنى فيها عمك . أدامك الله .

المأمون : ايدنوا للمرأة بالدخول .
عاتكة : السلام على أمير المؤمنين .

المأمون : خبرينى يا امرأة ؟ ما الذى حملك على ما فعلت .. أتخونين من
ائتمنك ؟ .. أيتقرب الى بالخيانة ؟

عاتكة : لا والله يا مولاي .. انما أنا فقيرة أريد مالا .
المأمون : ألك زوج أو ولد ؟
عاتكة : لا .

المأمون : أو لم يسكب عليك مولاك الخير كله ؟
عاتكة : بلى يا مولاي ، لقد كان خيرا معى .

المأمون : فاعطوها الجائزة اذن .. وادخلوها السجن تعيش فيه ما بقى
من حياتها .. لا يدفع الشر الا بالشر .. كما لا يزدهى الخير
الا بالخير .

(موسيقى)

• كتيبة الأهوال

(موسيقى عنيفة)

صوت : كان نصرنا مؤزرا يا سعد •

سعد : انما هو من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده المخلصين •

الصوت : لقد كنت في المدينة ورأيت أمير المؤمنين وهو يستقبل أنبياءك ••

• لو رأيت فرحته يا سعد لعرفت ما لفتح الفارسية من أهمية •

سعد : فهل بلغ عمر فرار الفرس بعد هزيمتهم وقد تشتت كل جمع لهم
بمدينة ؟

الصوت : قد بلغه ذاك •••• وقر به عينا •

سعد : فبماذا جئت اذن من المدينة ؟

الصوت : جئت اليك بأمر من عمر •

سعد : أعرفه •

الصوت : فما هو ؟

سعد : أن تكف عن الغزو •

الصوت : جهلته والله يا بن أبي وقاص •

سعد : فهي البشرى اذن •

الصوت : لقد فرح عمر بالنصر حتى لقد أمر بفتح المدائن •

سعد : الله أكبر •• انه والله الفتح •

الصوت : انه دين الله يشرق على الأعاجم •

سعد : اللهم انك أنت العزيز القوي •• اللهم انه دينك •• دين الحق ••

اللهم قد رأيك ملائكتك في المعركة ، فرأيت هزيمة المسلمين تصبغ

نصرا ورأيت روح القدس تهب النصر لعبادك المسلمين ، ويمود العدو

مخذولا •• رأى قلبي ملائكتك وروحك وأكاد وحقك أن أقول ان

عيني شاركتنا القلب الرؤية •

الصوت : هنيئا سعد •••

سعد : كنت فى القادسية مريضا ، أما اليوم فهلم .. هلم .. الى النصر
أو الى ما هو خير من النصر ، الى الجنة .. لبيك اللهم لبيك .
أصوات : لبيك اللهم لبيك .

(موسيقى)

الرواية : واندفع المسلمون يرددون وراء قائدهم .. لبيك اللهم لبيك ..
انهم فى طريقهم الى واحد من الأمرين كلاهما أعذب من الأمل وأحلى
من الأمنيات وأبهى من الرجاء المحقق ، انهم فى طريقهم الى النصر
أو الجنة .

(موسيقى)

الصوت : الى أين طريقك يا سعد ؟

سعد : الى بهرسير .. أفتحتها وأخلص منها المدائن .

الصوت : ولكن بهرسير حصون منيعة ، وقلاع شاهقة فكيف تفتحتها ؟

سعد : وهل أنا من أفتحتها ؟ .. انه الله يا بنى ، ومتى رأيت الحصون
والقلاع تعوق طريقا لإرادة الله أن تنفذ ولمشيئته أن تتم ؟!

الصوت : ولكن أخشى أن يتمكن منك الأعداء وهم خلف حصونهم بمنجى
منك وأنت على مرمى النبل منهم .

سعد : يا أخى قد تعجلت الأمور وتخوفت المستقبل ونحن بعد لم نطالع
الحصون ولم نشهد القلاع .. فإكتم حديثك لا تخوف به الجند
حتى نرى فى أمرنا وأمر الحصون ، ثم ندبر لكل أمر أمرا من فوقنا
سبحانه يهدى وانه لهدى .

(موسيقى)

الرواية : وبلغ الجند بهرسير وكان يزدجرد كبير الفرس قد احتفى بها ،
راجيا أن تقف دونه القلاع والحصون .. وأقام سعد بسكره أمام
بهرسير وقد أمن الطريق من خلفه فقد أصبح كل ما وراءه عربيا
خالصا يدين بالاسلام لله وبالطاعة لعمر .. ورأى سعد أن يستشير
أصحابه .

سعد : أشيروا على الأمر .. أنهاجم أم ننتظر ؟

صوت : رأى اليك .

سعد : وأنا أداوله بينكم .

- صوت : أرى أن نقيم حتى يرتاح الجنود .
- آخر : وأرى أن الحصون قوية ولا بد لنا أن نختبرها .
- سعد : ولكن نفوس الجند ... إلى الحرب فلو أننا توكلنا على الله وهجمنا
وهم في نشوة النصر وفي زهرة الفرح أدركنا العدو .
- آخر : ولكن العدو منيع .
- سعد : انه منيع بحصونه ، ولكنه ضعيف متهاور في داخله . ان نفوس
العدو هزيمة كسيرة لا تطيق أن تقاوم اذا نحن شددنا عليهم .
- آخر : ان زهوة النصر يا سعد سلاح ذو حدين . أخشى أن ينبعث الجند
إلى الحرب فلا يلقون إلى الحرص بالآ .
- آخر : فاذا هزموا فقدوا إيمانهم ، وهو سلاحهم .
- سعد : أرى العقل في قولكم .
- آخر : ونحن هنا آمنون .
- سعد : ولكنني أخشى أن يطول بنا المقام ، فان بهر سير لن تكون محاصرة.
اذا نحن أقمنا هنا ، فانهم سيهدونها من وراء نهر الدجلة بالزاد من
العراق وفارس ، ولن ينتهي هذا الزاد أبدا .
- الصوت : اذن ننتظر ولا تخف على جنودنا فهم ان بقوا هنا على مرأى من
القلاع والحصون ازداد شوقهم كل يوم أن يروا ما وراءها .
- سعد : اجمعوا الجند اذن .
- (موسيقى)
- سعد : نحن مقيمون هنا ، وقد ترك لكم الأعاجم أرضهم فازرعوها ، ومنيئنا
لكم خراجها غير باغين ولا ظالمين .
- أصوات : القلاع ، القلاع .
- سعد : لقد استشرت فأشرت . نقيم هنا ماكنين ، يحيط بنا الأمن والرخاء
حتى أرى رأيي وأمر أمري واني وإياكم مع النصر والجنة على موعد
لا نخلفه .
- (موسيقى)
- الراويّة : كان هذا يزدجرد في بهر سير ... أسد محطم البرائن واهن
القوى حبيس ذلة وهزيمة وانكسار يستشير فلا يجد من يشير ،
ويسأل فلا يهفو إليه مجيب ، فهو بين الحيرة والخذلان .
- يزدجرد : فهم اذن مقيمون اقامة غير نازح .

صوت : وما يخيفهم يا مولاي والبلاد من خلفهم بلادهم .
يزدجرد : ولكننا نحن من أمامهم ، ألا نثير فيهم نبضة من خوف أو حاجة
من خشية ؟

صوت : أتحسب هذه السهام الفرادى التى نرسلها تخيف منهم آمنة ،
أو تحرك ساكننا !؟

يزدجرد : ومالها لا تفعل ؟

صوت : لقد نصبوا لنا المنجنيق، فكل سهم منا تقابله رمية من المنجنيق
وجنودنا فى خوف ذاعر وجنودهم فى فرح غامر ، وجنودنا يذكرون
هزيمة القادسية وجنودهم يذكر النصر .

يزدجرد : فهى النهاية .

الصوت : أو بداية النهاية .

يزدجرد : بل لن يكون هذا والنار المقدسة لأرسلن اليهم الجند الكثيف
تطالبهم بالهول والعذاب أم حسبوا اننا نضعف عنهم أو نهون . .
الى الحرب .

(موسيقى عنيفة)

أراوية : وأمر يزدجرد بالجنود أن تكتب وبالجيش أن يستعد وبذل جهد
اليأس وما هو بالقليل ، وسعد وصحبه يعدون لهم ، فهم مقيمون
يستقبلون السهام باسمين ، فان عن لهم أن يردوها قذائف لاصبة حتى
كان اليوم .

صوت : يا سعد أرى عسكر الفرس يخرجون عند الظهر من قلاعهم ،
فيرمون السهام ، ثم يدلّفون الى عسكرهم آمنين .

سعد : وما تريد منهم ؟

الصوت : نقتلهم .

سعد : سبحانه يجعل من يشاء قائدا ويجعل من يشاء جنديا وهيهات أن
يصعد المرء الا بعقله .

الصوت : أراك تسخر منى ؟

سعد : ومالى لا أفعل ، والا فببرك قل لى أى فائدة تجنيها من قتل خمسة
أو عشرة من الجنود ما يلبث غيرهم أن يخرج إلينا !؟

الصوت : وماذا تريد أن تفعل ؟

سعد : لو أنك استدرجت هؤلاء الرماة فجعلتهم ٠٠ لا ٠٠ أنت لا تستطيع
٠٠ على بابى محجن الثقفى .

الصوت : يا أبا محجن .

أبو محجن : لبيك .

سعد : تعال يا أبا محجن . فلقد والله صرت قريبا الى نفسى منذ رأيتك
على البلقاء ومنذ رأيتك تتوب الى الله فلا تشرب الخمر .

أبو محجن : يابن أبى وقاص لقد اقتلعت من نفسى حب الخمر لما رأيتها
تقيدينى فلا أقاتل واخوانى فوق خيولهم يجاهدون فى سبيل الله .
فأقسمت لا أذوقها ، ورضى الله عن زوجك فقد فكت عنى قيودى التى
وضعتها وهيات لى أن أخوض المعركة .

سعد : اذن فاسمع .٠٠ اذا خرج بعض الأعاجم فاستدرجهم حتى يحسبوا
أنهم سيفوزون بك أسيرا .٠٠٠ اجعل صحبك يختفون فى مكان تعينه
لهم واستدرج الأعاجم اليه ، ثم أحط به أنت ومن معك وهاتهم لى
أسرى .٠٠٠ ولا تقتلهم .٠٠ انى أريدهم أسرى .

الراوية : وعند الظهيرة خرج بعض الأعاجم يلقون السهام، فبدا لهم أبو محجن
منفردا وقد وضع على نفسه أنفاس الثياب فطمعوا فيه ، وحين رأيهم
تصنع الخوف وصار يلتفت يمنة ويسرة كمن يريد أن يرى مخرجا ،
ثم خرج وأظهر لهم أنه يعرج فى عدوه ، فازداد طمعهم فيه فلهقوا
به .٠٠٠ حتى اذا بلغوا المكان الذى اختفى فيه أصحاب الثقفى صاح
أبو محجن .

أبو محجن : الله أكبر .

الراوية : فاذا الاعاجم .٠٠٠

صوت : أسرى جئناك يا أمير الجيش فارفق بنا .

سعد : انى رفيق بكم ولكن أخبرونى ماذا يفعل ملككم ؟

الصوت : حائر فى أمره مذهول لا يدري كيف يساوركم .

سعد : (فى حدة) أصدق أيها الرجل .٠٠٠ أصدق أو قتلتك .

الصوت : (فى خوف) انه يا سيدى قابع فى داره .

سعد : بل أنت كاذب .

الصوت : بل صادق يا سيدى .

سعد : أصدقنى والا قتلتك .

الصوت : انه لا يفعل شيئا .

سعد : وهل يمكن أن أعقل هذا . . . ماذا ينتظر ؟ . . لا بد أنه يجهز الآن جيشا وقد أمر بكم أن تخرجوا كل يوم ، حتى نلهى بكم فلا نفكر في التهيؤ له ان هو نفر الينا .

الصوت : (فى دهشة) كيف يدخل الانسان دينكم !؟

سعد : قل أشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

الصوت : فانا أشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . . فما يدرك ما أدركت الا الملهمون . . أنت صادق أيها الأمير ، الأمير انه يجهز لكم جيشا .

سعد : باركك الله أيها الرجل اذن فاسمع سأرى بلاءك فى الحرب ، فان رأيت حسن اسلامك جعلتك عينا لى على الفرس تأتينى بأخبارهم .
أصوت : أشهد أنى أسلمت غير مرغم ولا مضطر . . . وأشهد أنى صادق .
(موسيقى عنيفة)

الراوية : وخرج جيش يزيدجرد وقد خيل لقواده أنهم سيجدون المسلمين لاهين عنهم فى شغل بالنعيم الذى هياه الله لهم ، ولكن راعهم أن جند العرب واقفون لهم بكل مرصاد يدفعون عن ايمانهم بالروح رخيصة فى سبيل الله (قعقة سيوف) وما هو الا ارتداد البصر حتى ارتد جنود الأعاجم يحملون الهزيمة المنكرة وثاب جنود الاسلام يحيط بهم جلال النصر . . وكانت أنباء القتال تصل الى يزيدجرد لحظة بلحظة وقتيلا بقتيل ، حتى اذا تمت له الهزيمة عاد الى شيريه .

يزدجرد : ماذا أفعل ؟

صوت : أصبحنا لا ندرى .

يزدجرد : وهل كنت تدرى ؟! . . ما هؤلاء العرب ؟! . . ما سيوفهم ؟! . . ما خيولهم . . . انهم هزال يركبون العجاف . . . ضعاف فى نعالهم . . . عفاة فى مظهرهم ، ثم يوقعون بنا الهزائم التوالى فلا نفيق من هزيمة حتى نلقى الى أخرى .

الصوت : لقد وصفت يا مولاي فصدقت . . ولكن لم تصف الا ما ترى العين منهم وما أراك تعمقت الى ما فى أعمالهم من عظمة الروح . . . ان أجسامهم الهزيلة تحمل ايمان الدنيا أجمع . . . انهم يؤمنون يا مولاي أن لا اله الا الله ونؤمن نحن ألا اله الا النار ، ويؤمنون

يا مولاي أن محمدا رسول الله ونؤمن نحن أنه لا منك إلا أنت ...
انه الايمان يا مولاي ما نحاربه .

يزدجرد : أراك صادقا ... بقي سهم أخير لا أملك غيره ... انى مرسل
لهم رسولا .

(موسيقى)

صوت : رسول من يزدجرد ملك الفرس يطلب لقاءك يا سعد .

سعد : دعه يدخل ... لعله جاء يعرض خيرا .

الرسول : السلام عليكم قائد العرب .

سعد : السلام على رسول الأعاجم .

الرسول : يعرض مولاي الصلح .

سعد : وكيف يتم ؟

الرسول : أن يترك لك ما فتحته من أرض فارس ، فبى خالصة لكم وتترك
له ما لم تفتححه .

سعد : ان البلاد التى فتحناها لم تعد له حتى يملك أن يتركها أو لا يتركها

... أما البلاد التى لم نغزوها ، فنحن لا نريد بها شرا وما ضرها

— يا أخا الفرس — لو أنها قالت أشهد ألا اله الا الله وأن محمدا

رسول الله فنتركها وشأنها .

الرسول : أرى فى قولك رفضا لما يعرض مولاي .

سعد : اننى انما جئت ، لأعرض عليكم الاسلام ، فان قبلتموه فأنتم مدلنا

لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، فان أبيتم فادفعوا الجزية حتى يشرح الله

قلوبكم للاسلام ...

الرسول : فان أينا ؟

سعد : ويل لكم من الثالثة يا أخا الفرس ... انها ما علمتم من الحرب

المندلعة تأكلكم كهشيم سرت به النار ... لا تختاروا الثالثة يا أخا

الفرس ، فانها الدمار والويل .

الرسول : سأبلغ رفضك الى مولاي .

سعد : أبلغه ... وانى هنا ... لن أريم .

صوت : (الفارس الذى أسلم) لم ينتظر عودة رسوله يا أمير الجيش .

سعد : ماذا ،

صوت : ألم يرسل لك رسولا ؟

سعد : بلى لقد تركتني الساعة .

الصوت : ولكن يزدجرد لم ينتظر أن يعود الرسول بل جمع من ماله ما خف حملا وغلا ثمنا ، ونهج طريقه الى حلوان هاربا .

سعد : وجنوده ؟

الصوت : حيارى ذاهلين حطم هرب الملك نفوسهم فهم لا يدرون ما هم فاعلون أيحاربون ؟ . . . وفي سبيل من حربهم ؟ أم . . . يخضعون ؟ . . . فما شأن أولادهم وذويهم ؟ . . .

سعد : (فى فرح) الله أكبر . . . الله أكبر . . . لقد فتحت لكم بهر سير . . . لقد فتح لكم طريق المدائن . . . الى الحصون أيها المسلمون . . . الى الحصون . . . الله أكبر .

أصوات : (فى قوة) الله أكبر .

الراويّة : الله أكبر ما طلع الفجر وما غاب النهار . . . لقد فتحت لكم بهر سير ومنها الطريق الى المدائن عاصمة الفرس وفلك الحضارة . . . وقد كانت بهر سير واقعة على ضفة الدجلة يفصلها النهر الصاحب عن المدائن وكان هناك جسر يصل بين المدينتين ولم يعبأ جنود الاسلام بالليل الزاحف ولم يعبتوا بالجهد الذى بذلوه ، ليدخلوا الى بهر سير وانما أخذوا طريقهم الى الفرات (صوت هدير أمواج يظل ملازما للمشهد) ولكن .

صوت : لقد حطم الفرس الجسر .

آخر : وأخذوا السفن الى الضفة الأخرى .

آخر : وما هم جنودهم أولاء يقفون على الضفة الأخرى وييدهم سلاحهم يلمح فى سواد الليل .

آخر : ولكن انظر .

آخر : ماذا ؟

آخر : ان القمر يبدو .

سعد : ويل لكم من الثالثة يا أخا الفرس . . . انها ما علمتم .

آخر : وما فى ذلك ؟

آخر : القمر يطلع ، فانظر أمامك . . . أترى ؟

آخر : (فى دهشة) الله أكبر .

آخر : قصر الجلال ٠٠٠ هذه الأسطورة التي تحققت ٠٠٠ هذا الحلم الذي أصبح واقعا ٠٠٠ الله أكبر الله أكبر ٠٠ انه أبيض كسرى ٠٠ أعظم قصر عرفته الحضارة ، شاهق الى أبراج السماء ٠٠٠ عريض يسد الأرض ٠٠٠ اليه أيها المسلمون اليه .

آخر : اليه ٠٠٠ اليه (في تخاذل) ولكن كيف السبيل اليه والنهر عميق متباعد الشيطان هادر الأمواج صخابه لا يهدأ له مجرى ٠٠٠ يجرف فلا يبقى ، يندفع فهو لا يراعى ولا يضعف .

سعد : أجل فانه الساعة في ذروة تدفقه ، فهو ينبع من أذربيجان ونحن في فصل ذوبان الثلوج فالماء موار بها ، والدفاع عنيف الانطلاق .
صوت : انتهى بنا الفتح الى هنا .

سعد : لا كان ذلك اليوم ٠٠٠ والله لو كان ألف نهر وألف بحر ليلغتن الاسلام الى الفرس وعلى أيديكم أيها الجنود .
(موسيقى)

الراويّة : وفرح جنود يزدجرد أن وقف المسلمون حيارى أمام نهرهم متدافع اللجج جارف الدفاع ٠٠٠ وخيل اليهم - خاب فآلمهم - أنه قد آن لهم أن يرتاحوا بعض يوم ، فيقول قائلهم :

صوت : لقد آن لهؤلاء العرب أن يجنّوا شيئا يمنعمهم .

آخر : (في سخرية) فلنر اذن ماذا تفعل خيولهم العجفاء ، أو سيوفهم تلك الواضحة في نهرنا الثائر .

آخر : رعاك الله يا دجلة ٠٠٠ كنت لنا خصبا وريا ، وأنت لنا اليوم حصن وأمن .

آخر : لقد وقفوا صاغرين .

آخر : وسيظلون واقفين .

(قهقهة عالية تنتهي بصوت سعد)

سعد : أيها الجند ، ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون اليه منه وقد أبديت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، الا أني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم .

الراويّة : ماذا !؟ ٠٠ ماذا يقول سعد أيقطع البحر الى الفرس !؟ ٠٠ بغير جسر ، وبغير سفن !! ٠٠ والبحر موار العباب ، الدجلة في القمة من

تدفعه ... لعلنا أخطانا ... لعله لا يعنى ما يقول ... لك الله-
يا سعد ... وكيف يمكن أن تعبر الدجلة ؟

سعد : على الخييل ...

الراوية : (فى ددشة) على الخييل !؟

سعد : على الخييل ... أريد منكم كتيبة تخوض هذا النهر على الخيل ...
من يفعلها ؟

صوت : أنا .

سعد : عاصم بن عمر ... انتدب معك ستمائة ممن تعرف بأسهم .

صوت : أنا .

آخر : أنا .

آخر : أنا .

الراوية : وانتدب عاصم الستمائة ثم اختار منهم ستين فارسا تقدمهم الى
حافة النهر وهو يقول ..

عاصم : من هذه المياه تخاف ؟ .. بسم الله الرحمن الرحيم « وما كان
لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » الله أكبر .

الراوية : وعلى الضفة الأخرى وقف الفرس لا يصدقون عيونهم حتى اذا
راوا أمواج النهر قد صارت خيلا ... وراوا الأمر حقيقة واقعة لا وهم
ولا هو خيال تصايحوا ..

أحدهم : انهم من الجن .

آخر : ليسوا من البشر .

آخر : انهم مجانين .

آخر : نلقاهم فى النهر .

آخر : القاهم انت .

الروية : وفر أكثر جنود الفرس طريقتهم الى أبيض كسرى ، ليستقبلوا فيه
الفاتحين فما أصبحوا يأملون فى شيء أن يقف دون العرب ولكن
بعضا منهم ينزل الى النهر ، ليقاتلوا عاصما وصحابه ولكن عاصما
يقول لمن معه :

عاصم : الرماح ... الرماح ... وتوخوا عيون خيولهم .

الراوية : فيعود الفرس أدراجهم يحيط بهم الهول والفرع ويعبر عاصم
النهر فى كتيبة الأهوال التى انتدبها ويتبعه من بعد الستمائة . ثم

تنزل جيوش المسلمين جميعها الى النهر الثائر والذي كان يظنه
أصحابه تائرا لهم فاذا هو نثار عظيم فناما سر يجرى بأمر الله وما كان
له أن يقف دون جنود الله ، فهو لهم مجراه ٠٠ وينتقل الجيش
العربي جميعه الى الضفة الأخرى لا يفقد الجيش منهم أحدا ، بل
ولا يفقد أحد منهم شيئا .

• صوت : بل فقدت أنا ٠٠٠ نعم فقدت وعاء من الخشب .

• آخر : ها هو لقد وجدته سابحا بجانبى فى النهر .

• الراوية : ألم أقل ان أحدا لم يفقد شيئا ٠٠٠ ودخل المسلمون المدائن ،
ثم دخلوا الى أبيض كسرى ٠٠ لا ٠٠ لا أحد يستطيع أن يصف
ما رأوه ٠٠ ولم يجد سعد شيئا يفعله الا أن يصلى لله شكرا صلاة
الفتح ثمانى ركعات بتسليمة واحدة ، ولم يجد سعد شيئا يقوله
الا قوله عز وجل : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ،
وجنات كانوا فيها فاكهين ، كذلك أورثناها قوما آخرين فما بكمت
عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » صدق الله العظيم .

● الفتح الأول

الراويّة : من الأمجاد من الأشعة الأولى لنور الاسلام من هذه الشواهد تعلقو فلا يلحق بها نظر ، وتسمو فلا يهفو اليها فكر ، وانما هي تهدي فنهدى وتبين فنسير وتضيء فنرشد ، من القمم الباسقات للآباء والأجداد وقف عندهم التاريخ العربي خاشعا في اجلال ، وقف دونهم التاريخ الغربى صاغرا في ذلة من العرب الأولين ، خلص الينا تاريخهم نقيا نقاء ايمانهم بالله ، رفيعا رفعة اعتناقهم المبدأ ، حاول المؤرخون أن ينالوا من تاريخهم ولكن الأدلة تكاثرت عليهم وانثالت اليهم الحجج ارسالا ، فام يملكوا الا الذهول والحيرة ، ولم يملكوا الا الاعتراف أنه الحق ... وأنه الحق ..

(موسيقى)

صوت : متى تقرأ خطاب النبي الذي معك يا عبد الله بن جحش ؟

عبد الله : وما يهكم من قراءته ؟

الصوت : أعلم الى أى مكان نحن قاصدون .

عبد الله : لقد أمرني عليه الصلاة والسلام الا أفتح الخطاب الا بعد مسيرة

• يومين من المدينة

الصوت : فموعدنا غدا

عبد الله : موعدنا غدا

(موسيقى)

الصوت : هلا قرأت لنا الكتاب يا عبد الله ؟

عبد الله : نعم لقد مر اليومان .. نقرأ الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم »

إذا نظرت في كتابي هذا ، فامض حتى تنزل نخله فترصد بها

• قریشا ، وتعلم لنا من أخبارهم »

الصوت : أيقصد عليه السلام ذلك المكان الواقع بين مكة والطائف

عبد الله : اياه يقصد ، فهل أنتم سائرون معي ؟

الصوت : على بركة الله .

عبد الله : ان النبي أمرني ألا أكره أحدا منكم على متابعة السير ، فهل بينكم من يريد الرجوع الى المدينة ؟

أصوات : امض بنا على بركة الله .

عبد الله : ان سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان قد خرجا وراء بعير لهما تخلف عن السرية . . أنتظرهما حتى يسودا أم نمضي في سبيلنا ؟

الصوت : ما نظن الا أن النبي يتعجل أخبارنا ، فلنمض نحن على بركة الله ، فقد طالت بهما الغيبة .

عيد الله : على بركة الله .

أعدوات : على بركة الله .

(موسيقى)

الراوي : وأخذت سرية عبد الله بن جحش طريقها الى نخلة ، وحطت رحالها ترقب الطريق ، ولم يطل بها الترقب فقد مرت بهم قافلة تحمل تجار لقريش فقال قائلهم :

الصوت : أتترك الكفار يمدون بنا لا نمسهم بأذى ، وهم من أحاطونا بالويل والعذاب ، فتركنا ديارنا نحمل ديننا وإيماننا ولا نقي جسومنا بغير البرد اللافح والهجير اللاهب ، فنحن في دار غربة وهم في ديارهم مقيمون يرعاهم الخفض من العيش ، ويقيهم الظل من الهجير ، والله لا أسكت أبدا .

آخر : وماذا تريد أن تفعل ؟

الصوت : أقتاهم ، فاما أقتلهم أو يقتلونني ، أما أن يمدوا على مرمى السهم مني وأنا هاجع خامد ، فلا والله ، لا ومحمد .

الآخر : هون عليك الاقسام يا أخي ، فان محمدا لم يأمر بقتالهم ، ونحن في الشهر الحرام .

الاول : ان محمدا لم يكن يعرف أن تجارة لهم ستمر بنا ، ولا يعرف أحد ماذا كان قائلنا لو عرف بهذه التجارة .

الآخر : انه لا يمكن أن نقاتل في الشهر الحرام .

الأول : أيهما أشد إيلاما للعدل ولعرف العرب : أن نخرج من ديارنا وقد
أشعلت الفتنة ما بيننا ، أم أن نقاتل في الأشهر الحرام انى محارب .

الأخر : ويحك ! لقد جاوزت حدك ، ونسيت أن عبد الله بن جهش على
رأس السرية واليه وحده يرجع الأمر بالقتال .

الأول : ولكنى أراه صامتا لا يأخذ من الحديث طرفا .

عبد الله : لقد والله اعتمل في نفسى الرأيان معا ، فأنا بين مقدم يدفعنى
الى الحرب . ما ذاق قومنا من أهوال جسام ، وبين محجم يدعونى
الى الاحجام الشهر الحرام الذى نحن فيه ، ويدعونى اليه أن النبى
لم يأمر بالقتال .

الأول : انه لابد لك أن تحزم أمرك فوالله لئن تركتم القوم هذه الليلة
ليدخلن الحرم فيمتنعوا عليك .

الثانى : وان قتلتموهم سفكتم الدماء فى الشهر الحرام .

عبد الله : والله ان ما صنعوه بنا لأكثر حرمة عند الله من الشهر الحرام
دونكم واياهم . البدار البدار .

أصوات : الله أكبر ، الله أكبر .

الراويّة : وانبعثت السرية تهاجم تجارة عمرو بن الحضرمى ، ورمى أحدهم
عمرا بسهم فأصابه وقتل ، وأسرت السرية رجلين من رجاله
واققساموا الفىء وأخرجوا خمسة للنبى ، وأخذوا سبيلهم الى المدينة
وهناك .

(موسىقى)

عبد الله : لقد غضب النبى من قتالنا .

الأول : أما لارضائه من سبيل ؟

عبد الله : لقد أبى أن يأخذ الفىء ، وأراد أن يرد الأسيرين .

الأول : ولكن قريشا أسرت منا سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان .

عبد الله : ولكن هذا لم يشفع لنا ، حتى لقد عنف على الأصحاب والاخوان
وما أدرى ما أنا فاعل .

الأول : أصبر يا أخى ، فوالله ما أردنا الا وجه الله .

الأخر : لقد جلوت لكم الرأى فأبيتم أن تأخذوا به ، ولتروا غدا قريشا
تهب اليكم برجالها ونسائها فلا يدفعها الا الله .

عبد الله : والله ان غضب محمد لأشد من هبة قريش ومن معها .
الأخر : لقد أترتها شعواء يا عبد الله .
صوت : (مناديا من بعيد) يا عبد الله بن جمحش . . يا عبد الله بن جمحش !
عبد الله : لبيك .

الصوت : بشراك . . بشراك . . لقد أنزل الله آيات ترفع عنك غضب النبي
والصحاب . . آيات من عند الله يا عبد الله . . بشراك عبد الله
بشراك .

عبد الله : الحمد لله . . هو وحده يعلم ، فله كان جنادى وما ابتغيت
الا وجهه . . قل الآيات يا أخى . . قلها بربك .

الصوت : بسم الله الرحمن الرحيم : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال
فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد
الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ،
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » .

شبهه الله : الحمد لله ، الحمد لله .
الصوت : ولقد فرح رسول الله ، وقبل أن يأخذ الفىء .
عبد الله : وهل جاء أحد من قريش يطلب الأسيرين ؟

الصوت : نعم ولكن النبي قال : « حتى يقدم القوم صاحبينا » يعنى سعدا
وعقبة وقد ذهب رسول قريش ، ليرد الأسيرين .

(موسيقى)

الراويّة : وعاد الأسيران ، وأذن النبي للقريشيين أن يعودوا الى مكة ، ولكن
أحدهما وهو الحكم بن كسبان قال :

الحكم : أشهد أن لا اله الا الله وأنت يا محمد رسول الله ، انى هنا مقيم . .
الاسلام مرتعى وإيماني وولدى ووطنى . . لقد أسلمت لله ، ولن
أعود الى الشرك أبدا .

الراويّة : وأقام . وهكذا كانت سرية عبد الله بن جمحش هى بداية الجهاد
فى سبيل الله ، وكان السهم الذى أطلقه المسلمون فأصابوا به عمر
بن الخضرمى هو أول سهم أطلق فى سبيل الله ، وحين أنزل الله
آياته عرف المسلمون أن الله قد أذن لهم أن يقاتلوا فى سبيله .
أما قريش فقد اضطرب منها الأمن وتوفر فيها الغضب فيقول قائلهم :
صوت : ها قد بدأ محمد ينال ثأره .

آخر : انها والله لمخجلة الدهور عار الأبد .. أيتعرض محمد وأصحابه لقوافلنا !؟

آخر : بل انه يأبى أن يسلم لنا أسراه أو نسلم له أسرانا ، لقد أصبحت شرذمة محمد تناوشنا ونحن صاغرون .

آخر : نسيتم أننا عنفتنا على محمد وهو بين ربوعنا حتى أرغمناه أن يترك الديار هو وصحبه ويخرج عن مكة مهد صباح ، ومراح شبابه ، وماوى الأهل لأصحابه ، وكهف الأمن لذويهم .

صوت : لقد سفه آلهتنا ، وسب عقولنا ، بل انه لقد امتد بسبابه الى آبائنا وأجدادنا ورماهم بالغفلة والبله .

آخر : نسيت يا أخى أن آباءه هم أبأؤك ، وأجداده هم أجدادك ، والله ما أرى الا أنه يقول رأيا فما استمعنا منه لرأى ، وانما حزمنا أمرنا على شدة وجميع قواتنا على جهل .

الصوت : أراك اليوم تكاد تسلم يا أخى ، وما بعد العهد بهجوم محمد مع قافلنا .

الأول : لا تخش ، فان أبا سفيان لن يسكت اذا عرف أن محمداً يتربص به .

الصوت : ان أموال قريش جميعها فى هذه القافلة ، لعلنا لم نسهم فى قافلة مثلما أسهمنا فى هذه .

الأول : لا تخف فان أبا سفيان سوف يعلم .

(موسيقى)

صوت : البدار أبا سفيان البدار .

أبو سفيان : ماذا ؟ مم البدار والى أين ؟

الصوت : البدار من محمد وأصحابه ، الى مكة .

أبو سفيان : وماذا يريد محمد ؟

الصوت : لقد عرف أن قافلتك فى الطريق ، فهياً لك من رجاله جيشاً جعل له قافلتك غنيمة .

أبو سفيان : أنصبح نحن غنيمة لمحمد !؟

الصوت : لا تستهن أبا سفيان ، انها نفوس أبية مسها منكم الأذى الشديد . فاحذر النفس الأبية ان رامت انتقاماً :

أبو سفيان : فالبدار أنت البدار ؟

الصوت : الى أين ؟

أبو سفيان : الى مكة . الى مكة . اندب رجالها . أبلغ قرشا .

(موسيقى)

الصوت : اللطيمة ، اللطيمة !

صوت : (لمن كانوا يتحدثون) هذا ضمضم بن عمرو الغفاري ، وقد شق قميصه من قبل .

ضمضم : يا آل قريش . . . الغوث الغوث .

أصوات : ماذا بك يا ضمضم ؟

ضمضم : أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه فأدركوها

أدركوها . . . الغوث ، الغوث .

أبو جهل : أحق ما تقول ؟

ضمضم : يا أبا جهل أفي مثل هذا يكذب الناس ؟

أبو جهل : فاهم يا معشر قريش . . . والله لنؤدين محمدا وأصحابه أدبا

يتسامع به العرب جميعا .

صوت : على رسلك أبا جهل ، فانها الأمور الكبر !!

أبو جهل : وأنا لها .

الصوت : لقد والله ظلمنا محمدا وأصحابه ، فانقض قرارهم ، فهم لاجئون الى الأحباش حيننا ، أو الى أهل المدينة حيننا آخر .

أبو جهل : أنترك تجارتنا اذن يعدو عليها محمد ، ويسمع العرب أن

قريشا هان العزيز من أمرها ، ومال الرفيح من ركنها ، تخاذلت

يا أبا جهل ، وما نحن بمتخاذلين !؟

الصوت : انها ألدوة يرمى بها فرد من الناس لا نعرف مقدار صدقه .

ضمضم : انه الصدق ما أقول .

الصوت : فهل رأيت رجال محمد رأى العين ، أم هي الأنبياء يرمى بها نفر

منكم الى آخر ؟

ضمضم : (مترددا) انها أنبياء ولكنها صادقة .

- أبو جهل : لبيك اذن لبيك .. انا لسنا نرون
- الصوت : نسيت شيئاً يا أبا جهل
- أبو جهل : انى ماش ومن شاء فليتبعمى
- الصوت : ان بنى كنانة يترقبون بنا الفرصة ، فان نحن نفرنا الى محمد
خلا الطريق لهم ، فأصابوا نارهم
- أبو جهل : (فى شىء من التخاذل) لعلك على حق يا أخى .. لعلك فى
هذا محق

- صوت : بل سبيك فامض يا أبا جهل
- أبو جهل : من ؟ .. مالك بن جعشم المدلجى
- مالك : انه أنا .. سبيك فامض ، فما كنا لننال الثأر من قوم ينفرون
عن ديارهم ، ما كنا لننال الثأر والرُبوع منكم خالية
- أبو جهل : انك من أشرف كنانة ، وانا لنقبل منك الوعد ، واثقين انه
الحق

- مالك : وانه الحق .. فقد سفه محمد آلتهنا ، وانا لنخشى أن يصيبنا منه
شر بعد أن يصيبكم ، فلا تخشوا ثأر كنانة ، وامضوا أنتم الى ثأر
أنفسكم

- أبو جهل : فالى معشر قريش .. الى .. الى
- الراوية : ونفرت قريش بحقدتها وزهوها لم يبق منها رجل أو فتى ، بل
بقى منها واحد .. هو أمية بن خلف ، لم يقم الى الحرب فقد كان
ثقل جسمه يمنعه عن القيام فقعده ، فأثاره نفر من قريش فى مجلسه
وأخذوا يقولون له :

- صوت : هاك أمية ، هاك مجمرة وبخور ، تصلح للنساء ، فهى لك ، وهل
أنت الا من النساء يا أمية

- آخر : بل هاك أمية مكحلة فاكتحل فانما أنت امرأة
- الراوية : ولم يجد أمية بدا من القيام فقام .. وذهبت قريش للقاء محمد ،
وقد خيل لأفرادها أن النصر عائق بحوافر خيلهم ، وسقيهم خيلائهم .
يغشى الحقد على عيونهم فهى العمى ، وعلى أفئدتهم فهى الظلام ،
وعلى نفوسهم فهى السخيمة وكان محمد - عليه الصلاة والسلام - قد
خرج فى أصحابه من المدينة فى اليوم الثامن من شهر رمضان

عدته ايمان يعمر قلوب. أصحابه وغضب يملأ نفوسهم من أولئك
العتاة الذين أجلوهم عن ديارهم ٠٠ وكان عدد رجاله خمسة وثلاثمائة
رجل ٠٠ وفي الطريق جاءت أنباء قريش الى النبي ٠

صوت : يا رسول الله لقد خرجت قريش بقضها وقضيضها لتدافع عن
قافلة أبي سفيان ٠

الراوي : اذن فهى قريش جميعها ٠٠ فكيف يلقاها النبي بهذه القلة من
الناس العدة ويفكر النبي - عليه الصلاة والسلام - فى العودة ويشير
أصحابه فيقولون :

آخر : والله يا رسول الله لئن عدت لتطمعن فينا قريش ولنصبحن أحدثه
بين العرب ٠

آخر : يا نبي الله انها الحرب وانا لها لصامدون ٠٠ هلم ٠

آخر : يا رسول الله امض بنا أراك الله الهدى فنحن معك ، والله لا نقول
لك كما قال بنو اسرائيل لموسى ، اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا
قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ٠

الراوي : كان هؤلاء الذين أبانوا عن رأيهم من المهاجرين ، وكان النبي
يريد رأى الأنصار ٠٠ فالمهاجرون يدفعهم الى القتال ايمانهم
وما أصابتهم به قريش من أذى ٠٠ أما الأنصار فإيمانهم وحده ٠٠
فالنبي يسأل القوم مرة أخرى قائلًا أشيروا على أيها الناس ٠٠ فأحس
سعد بن معاذ عميد الأنصار أن النبي يقصد رأيهم ٠٠٠ فهو يقول :

سعد : لكأنك تريدنا يا رسول الله لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن
ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ٠٠
وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ٠٠ انا لصبر فى الحرب ٠٠ صدق
فى اللقاء ٠٠ لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على
بركة الله ٠

الراوي : وأشرق وجه النبي ، وهو يرى الاخلاص حوله سياجا ، والايامن
يحيط به حائطًا منيعًا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « سيروا وأبشروا
فان الله وعدنى احدى الطائفتين » وسار الاسلام ٠

(موسيقى)

صوت : لقد سمعت أن قافلة قريش مضت فى طريقها ٠

آخر : فتلک اذن احدی الطائفتین ، وبقيت الطائفة الأخرى ، طائفة البغى والظلم والجور .

الأول : ولكنها أيضا طائفة جرداء لا مال لديها ولا مطمع فيها .

الثانى : أو نحارب من أجل المال يا أخى . . . انه الاسلام ما نحارب له .

وانه الدين ما ندافع عنه ، وانه النبى ما نبذل حوله الأرواح .

الأول : انها هممة تدور بين بعض الناس .

الثانى : لا والله ما كانت هذه الهممة لتنبع من نفوس المسلمين . انيسا

همسات اليهود والمنافقين ، فحذار حذار أن تعيدما .

صوته : بسم الله الرحمن الرحيم : « واذ يعدكم الله احدی الطائفتین أنيها

لكم ، وتودون أن غير ذات الشموكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق

الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين » .

(موسيقى)

الراويّة : وعرفت قريش أن قافلة تجارتهم قد نجت من محمد ، وأن

أبا سفيان قد أخذ طريقه الى مكة فأراد بعضهم العودة .

صوت : فما أصبح لنا فى القتال أرب ولا فائدة ، وقد نجسا أبو سفيان

بتجارته .

أبو جهل : لا والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، فنقيم عليه ثلاثة أيام ننحر

الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا

العرب وبمسيرنا وبمجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها .

(صوت حوافر حصان)

أبو جهل : من القادم ؟

صوت : انه قابل من قبل مكة (يقترب صوت الحوافر جدا ثم ينقطع)

صوت : انى رسول أبى سفيان اليك .

أبو جهل : وماذا يريد ؟

الصوت : انه يقول انكم خرجتم ، لثمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، وقد

نجت فارجعوا .

أبو جهل : لا والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم .

(موسيقى)

الرواية : وكالفراشة الحمقاء تلوب حول موتها ، اندفع أبو جهل الى بدر وكان النبي قد نزل عند بشر بدر ، وقد أراد عليه الصلاة والسلام أن ينزل عند أول ماء بدر ، وكان الحجاب بن المنذر على خبزة بالمكان والحرب فهو يسأل النبي :

الحجاب : يا رسول الله ، رأيت هذا منزلا أنزلكه الله ، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

الرواية : فقال عليه الصلاة والسلام : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » .
الحجاب : يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أقرب ماء من قريش ، فننزل ، ثم نكبسه بالتراب فينضب ماؤه ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .
الرواية : وما محمد إلا بشر من البشر ، يشير فيشار ، فيقبل المشورة . وقد قبلها عليه الصلاة والسلام .

أبو جهل : أرسلوا الى أصحاب محمد يتقصى أنباءهم ويخبرنا عنهم .
صوت : انى ذاهب .
(موسيقى)

الرواية : وأرسل النبي من يعرف كم بعيرا تنحر قريش فى اليوم . فقال
قائل :

صوت : انى ذاهب .
(موسيقى)

الصوت : (القرشى) انهم ثلاثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا .
أبو جهل : فهو النصر المؤزر .

عشبة : يا معشر قريش : انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل منكم ينظر فى وجه رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا ، واخلوا بين محمد وسائر العرب ، فان أصابوه فذلك الذى أردتم ، وان كان غير ذلك لم تتعرضوا منه لما تكرهون .

أبو جهل : جبنك واللات وأردت الحكمة . . أنترك دم عمرو مراقا لا نثار له ، هيه يا عامر بن النخصرى ألا تطلب ثأر أخيك ؟
صوت : وا عمراه !
(موسيقى)

الراويّة : وقال سعد بن معاذ للنبي :

سعد : يا نبي الله ٠٠ نبني لك عريشا نكون فيه ، ونعد عندك ركابتك ، ثم نلقى عدونا ، فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الأخرى جلست على ركابتك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ، ما نحن بأشد لك حبا منهم ٠٠ ولو ظنوا أنك تلقي حربا ما تخلفوا عنك ٠٠ يمتعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك .

(موسيقى عنيفة)

الراويّة : واندلعت الحرب بين ايمان وزهو ، بين دين وكبر ، بين نبي

وظالمين ، بين الله والشيطان ، وراح النبي يدعو في عريشه قائلا : « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ٠٠ اللهم أن تهلك هذه العصابة فان تعبد بعد اليوم » فيقول له أبر بكر وهو يعيد ردها الى كتفه : « يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك » فيقول النبي : « والذى نفس بيده لا يقاتلهم لليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة » .

(ثم تخفت قليلا وتظل مصاحبة للمشهد)

(موسيقى عنيفة)

الراويّة : واندفع المسلمون الى القتال ينددون عن دينهم ، ويردون العذاب

الذى لا قوه ويرسون الأساس الأول لفتح الله ، انه الفتح الأول ، وانه دين الله ٠٠ ونزلت الآياتان : « يا أيها النبي حرض المؤمنون على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يتفقهون ٠٠ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ، والله مع الصابرين » واطمأن النبي الى النصر ، واطمأن المسلمون ٠٠ وأخذ النبي يسير بين خياله الكفر يمسك بالحصى ، ويرمى به فى وجوههم : « شأهت الوجوه » وشأهت الوجوه ، وانخذل الكفار ، وعاد زهوهم ضيعة وكبرهم انكسارا ، وكيف لا ينهزمون والله يقول : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت ولكن الله رمى » ؟ وكيف لا ينهزمون وسيحانه يقول : « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فشبثوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق أعناق واضربوا منهم كل بنان » « صدق الله العظيم » .

● أصحاب الفيل

(موسيقى عنيفة)

الراويّة : أرسل المثنى الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول له :

صوت : الينا أمير المؤمنين ، لقد اجتمع الفرس وأمروا عليهم يزدجرد
ابن شهريار بن كسرى وأخذوا يكتبون الجيوش لحرب العرب ، وثار
أهل العراق بنا نحن المسلمين فاضطرونا الى الانسحاب حتى شارفنا
التخوم من الجزيرة ٠٠٠ الينا أمير المؤمنين ٠

الراويّة : (الراوية) وخرج هذا الرجل من عند عمر ويده كتاب الى عمال
الأمير في بلاد العرب جميعها يقول فيه :

الصوت : لا تدعوا أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى الا انتخبتموه ،
ثم وجهتموه الى والعجل والعجل ٠

الراويّة : انه عمر يأمر ، وانهم عماله من يتلقون الأمر فما هو الا الطريق
يقطعه الذهاب حتى ينفر القوم يلبون عمر ٠

أصوات : لبيك أمير المؤمنين ٠٠٠ لبيك ٠

الراويّة : ويقول عمر ٠٠٠ والله لأضربن ملوك العجم لملوك العرب ٠

أصوات : لبيك ٠٠٠ لبيك ٠

الراويّة : وخرج عمر بالناس حتى بلغ ماء صرار فعسكر به والناس
لا يدرون ان كان عمر هو من سيقود الجيش أم أنه سيولى عليها من
يراه ٠٠٠ وعمر نفسه لا يقطع أمرا بغير مشورة فهو يسأل عامة
الناس فيقول قائلهم :

صوت : سر ٠٠ وسر بنا معك ٠

الراويّة : ولكن عمر يرجع الى خاصة مشورته ، فيقول عبد الرحمن
ابن عوف :

عبد الرحمن : أقم وابعث جندا فقد رأيت قضاء الله لك فى جنودك قبل وبعد ، فانه أن يهزم جيشك ليس كهزيمتك ٠٠ وانك ان تقتل أو تهزم فى أول الأمر خشيت ألا يكبر المسلمون ، وألا يشهدوا إلا اله الا الله أبداً .

الراوية : فجمع عمر المسلمين وخطبهم وكان مما قال : « يحق على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم ، واني انما كنت كرجل منكم حتى صرفنى ذوو الرأى منكم عن الخروج ، فقد رأيت أن أقيم وأن أبعث رجلا » ثم أخذ عمر يستشير القوم فيمن يرسله ، وبينما هم يتدارلون الأسماء جاء خطاب الى أمير المؤمنين من سعد بن أبى وقاص فاذا أحد الجالسين يقول :

صوت : قد وجدت الرجل يا أمير المؤمنين ٠٠٠ انه الأسد فى برانته ، أول من رمى بسهم فى سبيل الله ٠٠٠ فداه النبي بأبيه وأمه فقال : « ارم سعد فداك أبى وأمى » ٠٠ رجل يقول ان يوما أتى عليه فكان ثلث الاسلام فهو ثالث ثلاثة أسلموا ٠٠٠ انه الرجل يا أمير المؤمنين ٠٠ سعد بنى وهيب ، سعد بن أبى وقاص .

الراوية : وأجمع الناس أمرهم على سعد بن أبى وقاص ، وأرسل اليه عمر بن الخطاب يستقدمه فقدم فقال له : « يا سعد ، سعد ابن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فان الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب الا بطاعته ، فالناس شريفهم وضعيفهم فى دين الله سواء يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ، وعليك بالصبر » ثم عقد له لواء الجيش واتبعت سعد الى العراق أميرا على جيش من أكبر الجيوش التى عرفتها العرب .

(موسيقى عنيفة)

صوت : أرى رجلا يبدو على مبعده ثم تحجبه عنا الهضاب ٠٠ أترام يا أبا محجن ؟

أبو محجن : نعم انى أراه .

الأول : ما أظنه الا عينا من الأعداء جاءت ترقبنا .

أبو محجن : أنتزكه ؟

الأول : بل لا بد لنا من ادراكه .

- أبو محجن : يا أمير الجيش ... أرى رجلا يرقبنا ويحرص على ألا نراه .
- سعد : انى أراه منذ أمد بعيد .

الأول : أنسكت عنه ؟

- سعد : لا بل أنركوه حتى تنتهى هذه البروج .

الأول : وما شأن هذه البروج يا بن أبى وقاص ؟

- سعد : انها بروج العجم بنوها ليلقوا منها أعداءهم ، ولكننى أراها خاوية لا أحد فيها .

الأول : ومن أين عرفت أنها خاوية ؟

- سعد : لو كان فيها أحد ما أرسلوا الينا هذا الرجل ليرقبنا .

أبو محجن : وماذا تراه يريد ؟

- سعد : يريد أن يعرف عددنا وعدتنا .

أبو محجن : أتتركه اذن ؟

- سعد : لعله من المفيد لنا أن يعرف العجم عددنا ... فنحن ما نزال فى انتظار المدد وسوف يتضاعف عددنا ، فلنترك العدو يعتقد أننا قلة حتى اذا باغتناه مجتمعين بأضعاف ما انتظر من الجيوش انهارت منه القوة وسارع الى الهزيمة .

الأول : فذاك أبى وأمى يا سعد .

• سعد : بعض هذا يا أبا العرب .

- أبو محجن : ولكن أتترك هذا الرجل وشأنه حتى يبلغ مأمته ... ما ضرنا لو أتينا به ، ليدلنا هو على عدد جيشه وعدته .

- سعد : لقد أرسلت من يرقبهم يا أبا محجن ولكن يجب ألا نترك هذه الرجل دون أن نعرض له والا أدرك أننا نخدعه .

أبو محجن : فأنا له أيها الأمير .

- سعد : أنت يا أبا محجن ... أخشى أن يخدعك بدن من الحمر ، فتفضى له بسر الجيش جميعا .

أبو محجن : (ضاحكا) أنا لا أشربها أيها الأمير .

• سعد : أتقسم ؟

- أبو محجن : لا أشربها الا فى المساء .

سعد : أقسمت يا أبا محجن لو حملت الى مخمورا في هذه الحرب لأقمت
عليك الحد وقيدتك فلا تحارب .

أبو محجن : لن أحمل اليك أيها الأمير ، أطارده هذا الرقيب ؟

سعد : طارده ولا تمسك به . . . اجعله يعتقد أنك تريد أن تأسره ولكن
لا تفعل . . . هلم .
(صوت حوافر خيل)

أبو محجن : لقد ذهب الى معسكره أيها الأمير . . . ولكن . . .
سعد : ولكن ماذا ؟

أبو محجن : في طريقى اليك رأيت كوكبة من الخيل قادمة الينا .
سعد : فأعدوا لها . . . أعرفت فيم قدومهم ؟
أبو محجن : لا ولكنى لم أر عليهم هيئة المحاربين .
سعد : هل انضم اليهم الرقيب الذى كنت تطارده ؟

أبو محجن : لا . . . انه لم يرههم . . . فقد طارده من طريق وعدت من
طريق آخر فرأيتهم .

سعد : فآكمنوا لهم حتى اذا ظهوروا . . .
(موسيقى عنيفة وقععة سيوف)

سعد : من أين أنتم ؟

صوت : من الحيرة .

سعد : ومن هذه التى تحملونها ؟

الصوت : انها ابنة أمير من أمراء فارس فى طريقها الى صاحب الحيرة .

سعد : أتعرف من نحن ؟

الصوت : أعرف ولكنى لم أتوقع أن تعسكروا هنا .

سعد : وله ؟

الصوت : ان الأنباء التى بلغتنا لم تقل انكم ستتمرون من هذا الطريق .

سعد : وكيف رأيت أنباءكم ؟

الصوت : رأيت جنودنا صرعى ، ورأيت أبطالنا أسرى ، ورأيت الهول
الآخذ والبلاء المقيم . . .

(صوت قهقهة تنتهى بصوت الراوية)

الرواية : وتسامع الفرس بما كان من أسر الأميرة ومن معها ومن فراز القوة التي كانت تحف بها فألقى الذعر الى نفوسهم وأرسل أميرهم يزدجرد يدعو اليه رستم أكبر قائد عرفته الفرس حتى اذا مثل بين يديه . .
يزدجرد : أرى العرب قد أرسلت الينا جيشا لا قبل لنا به وما أرى بين قوادى من يطيق حربهم الا أنت .

رستم : بقيت يا مولاي انما الحرب تدبير وخديعة ، وقد تجد من يجيل السيف مثلما أجيل ولكنك لن تجد من يرسم الخطة كما أرسمها .
يزدجرد : ولكنهم أسروا ابنة مرزبان الحيرة وهم مقيمون بأبوابنا ، لا نطيق حربهم فان لم تخرج اليهم أنت هزمتنا وفى هزيمتنا فناء للدولة الفارسية ، وانهار لصروح المجد التي أقامها الآباء والأجداد .
رستم : ولكنى ان هزمت أنا فقد الفارسيون ثقتهم بي وأنت فى حاجة الى هذه الثقة ، وما يفيدك يا مولاي أن أخرج اليهم ، فأهزم فيكون فى هذه الهزيمة الفناء والدمار .

يزدجرد : ومتى تخرج ان لم تخرج اليوم والنذلة مشرفة على الهلاك !؟

رستم : ان العرب سوف ترسل اليك الجيوش يتلو بعضها بعضا ، فلو أقمنا هنا وهزم جيشنا فساطل هنا ، لأدبر للحرب التي تليها ، أما لو خرجت اليوم وهزمت فهبتهات لى أن أقود جيشا بعدها أبدا ، فان أنت أرسلتني يا مولاي فكأننى بك تلقى بقوتنا جميعها دفعة واحدة وانك لتلقيها غير مضطر الى ذلك

يزدجرد : فماذا تريد أن تفعل ؟

رستم : أريد أن أرسل الجيوش بأمره غيرى حتى اذا هزموا كنت أنا من ورائهم أهيب لهم المدد وأرسم الخطط. وانتظر العرب وأماكرهم حتى أهزمهم .

يزدجرد : لا يا رستم أنا لا أرى رأيك .

رستم : فمرنى يا مولاي .

يزدجرد : أخرج يا رستم ولكن أريدك أن تخرج مليتا بالثقة ، متحفزا للنصر .

رستم : مولاي ان رستم فى ميدان القتال يحارب عن تاريخه جميعا وعن دولته وعن ملكه وان رجلا هذا شأنه لا يمكن أن يضعف

يزدجرد : وحق النار المقدسة انك الرجل يا رستم ... الى الحرب أيها القائد ... في رعاية النار المقدسة .

(صوت جونج)

سعد : في رعاية الله أيها الوفد الكريم .

الرسول : وبقيت في رعايته يا سيدي الأمير .

سعد : أعرفت الى من توجه حديثك ؟

الرسول : الى يزدجرد .

سعد : وتجاهل قائد جيشه رستم كأنك لا تسمع عنه ... ليكن حديثك الى أميرهم ... وأنتم أيها الاخوان دعوا الحديث لنعمان بن المقرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة .

(جونج)

الرسول : أين أميركم ؟

صوت : وماذا تريدون منه ؟

الرسول : نريد أن نلقاه .

الصوت : ومن تكونون ؟

الرسول : وقد من قبل سعد . . . وقاص أمير جيوش العرب .

الصوت : فأنتم تريدون القائم رستم ؟

الرسول : (ساخرا) القائد من ؟

الصوت : القائد رستم .

الرسول : انا لا نعرف القائد ... انا أريد الأمير .

الصوت : ولكننا لا نسمح لكم بلقائه .

الرسول : اذن أعود طريقنا الى جيشنا وموعدنا غدا .

الصوت : فانتظروا حتى أنظر في أمركم .

الرسول : بسم الله الرحمن الرحيم : « وتكيدون كيدا وأكيدا كيدا فمهمل الكافرين أمهلهم رويدا » .

الصوت : تعال أيها الرسول .

الصوت : تعال أيها الرسول .

(أصوات خطوات)

يزدجرد : أي حظ تعس رمى بكم الى هذه البلاد ؟

الرسول : ان الحظ التمس أيها الأمير محيط بكم ان أنتم لاقيتم العرب
فى طريقهم الى المجد والخلود والنصر .

يزدجرد : أجب أيها الرجل . . . ما الذى جاء بكم ؟ . . لعلكم قد غرتكم
نفوسكم حين رأيتم تشاغلنا عنكم .

الرسول : ان الله قد بعث فينا رسولا يحمل الينا نوره وهداه ، وكنا
مثلكم نعبد ما نصنع بأيدينا حتى أتاح الله لنا الهدى بعد الضلالة ،
والنور بعد الظلمات فكفرنا بالأصنام وعبدنا الله مخلصين له الدين ،
وأنتم ما تزالون على ضلالتكم .

يزدجرد : وما شأنكم بنا ؟

الرسول : ان رسالة الحق لا بد لها أن تبلغ العالم أجمع . . ان الله من
أرسلها ونحن دعاة الحق . . . نبصركم الرشيد من أمركم . . .
ولا نفرض عليكم الاسلام وانما نفرض عليكم أن تصغوا الى دعوته ،
ثم شأنكم بعد هذا .

يزدجرد : وماذا تبغون منا ؟

الرسول : ان أجبتم الى ديننا ودخلتم فيه خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم
عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وان
أبيتتم فالجزية ، فان أبيتتم فالحرب .

يزدجرد : أنا لا أعلم أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين
منكم ، وقد كنا نعتمد على القرى والضواحي ، لتحاربكم وتردكم على
أعقابكم ، وما كنا لنغزوكم وما كنا نظن بكم الخيل الى درجة أن
تقوموا أنتم على غزونا ، فان كان عددكم كثر فلا يفرنكم كثرته وان
كنتم جياعا فرضنا لكم قوتا حتى تخصص أرضكم ، وكسوناكم
وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم .

الرسول : اننا أيها الملك جياعا ، ولا تملك الا سيوفنا وخيولنا ، وخير
مليسنا ما تراه ، ولكننا هنا فى ملكك وأنت بين جندك وفوق ايوانك
ندعوك فاختر لنفسك طريقا : الاسلام أو الجزية أو الحرب .

يزدجرد : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، ولا شيء لكم عندى . . بل عندى
لكم شيء . . أنت أيها الحارس . . ضع التراب على كتف أشرفهم . .
من أشرفكم ؟

صوت : (غير صوت الرسول) أنا أشرفهم .

يزدجرد : ضعوا التراب على كتفه واحمله الى أميرك .

الصوت : والله لأحملنه اليه . . . اطمئن أيها التراب انك عائد الى مقرك
وقريبا ما تعود .

(موسيقى عفيفة)

سعد : لقد حملك مقاليد ملكه . . . هي الحرب اذن فالجهاد . . . الجهاد
أيها العرب . . . الله يناديكم .

أصوات : لبيه .

سعد : ان الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف وقد قال
عز ثناؤه : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها
عبادي الصالحون » ان هذا ميراثكم وموعد ربكم ، وقد جاءكم هذا
الجمع وأنتم ووجه العرب وخيار كل قبيلة وعز من ورائكم فان
تزهّدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة .

(موسيقى)

الراويّة : الا أن سعدا أصابه مرض عنيف فهو قعيد فراشه لا يطيق الركوب
ولكن هيهات فان سعدا لا يقبل هذا القعود وانما هو يشرف على
الجند من شرفته ويأمر فيبلغ أمره الى الجيوش ، وقبل أن تبدأ
المعركة حمل بعض الجنود أبا محجن الثقفي الى سعد بن أبي وقاص ،
وكان أبو محجن مخمورا لا يستقيم .

سعد : فعلتها أبا محجن .

أبو محجن : ماذا فعلت يا مولاي ؟

سعد : شربت الخمر . . . وآن لي أن أقيم عليك الجسد . . . بل فاعل
بك أكثر من هذا . . . اني لمحتجرك فلا تحارب . . . سأقيدك فلا تدخل
المعركة .

أبو محجن : بربك يا سيدي . . . افعل بي ما تريد . . . ضاعف الجسد ،
افعل بي ما شئت ولكن لا تمنعني عن الحرب . . . حياتي هباء ان
لم أحارب بربك يا سعد . . . بربك أيها .

سعد : لقد أقسمت وهيئات أن أحنث .

أبو محجن : بحق سابقتي في الجهاد . . . بحق جيوش سرنا فيها معا الى
النصر . . . بحق الأيام الخوالي . . . الحرب حياتي . . . انها أمل في
الغفران . . . انها رجائي في التوبة . . .

سعد : أقيموا عليه الحد وقيدوه .

أبو محجن : واسعداه .

سعد : (فى حزم) قيده .

الرواية : وبدأت الحرب وكانت الوطأة على العرب شديدة ، فقد أطلق

الفرس القبيلة تتقدم جيوشهم والعرب حائرون فهم قد عودوا الحرب

مع الرجال ولم يمارسوها مع القبيلة ، القبيلة تسير فتفتك وتدوس

لا ترى السيف فتخشاه ولا تحس الحراب فتنتقيها ، إنما هي قبيلة

تسير فتقتل حيث تسير وانتهى اليوم الأول والعرب لم تنهزم

ولكنها أيضا لم تنتصر حتى إذا كان الصباح جاء المدد ، واختفت

القبيلة فقد تحطمت نوابيتها وعكف عليها بعض القوم يصلحونها .

ودارت المعركة بين رجال ورجال ، أو هي بين إيمان والحاد . بين

دعاة الله والحق وبين عباد النار ووقودها ولكن أبو محجن

لا يحارب فهو يرسل إلى زوجة سعد أحد عبدانها

صوت : يسألك أبو محجن أن تفك قيده ، لينبعث إلى المعركة حتى إذا

انتهت عباد إلى قيده ويسألك أن تعيريه البلقاء فرس سيدي

سعد .

(موسيقى)

نفس الصوت : إنها ترفض ذلك يا أبا محجن .

أبو محجن :

كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا

وأترك مشلودا على وثاقيا

إذا قمت عناني الحديد وأغلقت

مصاريع دوني قد تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وأخوة

فقد تركوني واحدا لا أخاليا

ولله عهد لا أخيس بعهد

لئن فرجت ألا أזור الحوانيا

الرواية : فلما سمعت زوج سعد شعره أرسلت إليه عبدا يقول :

الصوت : لقد استخارت سيدتى الله ورضيت بعهدك على أن تعود

إلى القيد بعد المعركة .

الراويّة : وانطلق أبو محجن إلى المعركة في يومها الثاني وظلت المعركة دائرة حتى أوغل الليل والعرب تذيب الفرس الأهوال وترد اليهم ترايبهم الذي حملوه موتا آخذا ، ولكن النصر لا يتم ، وإنما ما تزال بالفرس قوة عنيفة أبقتها عليهم كثرتهم ووجود رستم وعلى رأسهم وينتهي اليوم الثاني ويعود أبو محجن إلى قيده وفيما بعهد أخذه على نفسه لزوجة سعد وهو يسألها أن تفعل به في الغد مثلما فعلت اليوم ، فتقبل . وفي اليوم الثالث للمعركة تعود الفيلة وترجع إلى ما كانت تفعله بالعرب ولكن سعدا يجد وسيلة .

(جونج)

سعد : أريد بعض أسرانا من الفارسيين .

صوت : أمرك يا سيدي (صوت أقدام تنصرف) .

سعد : أما ترى إلى هذه الفرس ؟ . .

صوت : نعم .

سعد : انها البلقاء . . وهذا الذي عليها . . لولا أنني حبست أبا محجن لقلت انه هو . . راكبا البلقاء .

الصوت : أراك محقا يا مولاي .

سعد : بربك ألا رقت هذا الفارس فهو يجول بين الفرس وكأنه الاعصار اللاهب فاذا انطلق إلى خضم المعركة فهو الريح .

صوت : (الذي ذهب لاحضار الأسرى) الأسرى يا سيدي .

سعد : أخبرني أنت . . كيف تقتلون الفيلة ؟

الفارس : من مشافرها وعيونها .

سعد : (صائحا) مر بهم أن يضربوا الفيلة في عيونها ، وفي مشافرها .

الراويّة : وقتلت الفيلة ، فقد استهدف العرب مقاتلها فقتلوا بعضها ، وحلا لأحد الفيلة أن يلقي بنفسه في النهر فتبعته الفيلة الأخرى ، وخلص العرب إلى الفرس لا تمنعهم الحيوانات ورأى العرب في تخليصهم من الفيلة نصرا من الله مؤزرا . . وكان النصر . . واستولى العرب على القادسية وما هو بجديد نصرهم فقد شاء ربك أن يهزم أصحاب الفيل دائما سبحانه .

• وامعتصماه

(موسيقى)

صوت : (فى فزع) أين مولاي المعتصم ؟

آخر : وفيه تريده ؟

الصوت : لا تكثر السؤال أين هو ؟

آخر : فى الديوان •

الصوت : تعال معى •

(موسيقى)

الصوت : مولاي •

المعتصم : ماذا ؟

الصوت : لقد هاجمنا الروم •

المعتصم : ماذا تقول ؟

الصوت : تركتهم على حدود الدولة الاسلامية فقدمت اليك •

المعتصم : لقد غافلوا عيوننا عليهم ••• ادع النفير •

(موسيقى)

ملك الفرنج : (ضحك عال) ها قد بلغنا المقصد والمعتصم ما يزال معتصما

بدياره •

الوزير : : والله يا مولاي لو لم تكن غافلتهم لتعذرت هزيمتهم فانهم لم

يعرفوا الهزيمة أبدا •

ملك الفرنج : اليوم يعرفونها ادع الجيش الى الهجوم •

الوزير : وفيه الهجوم يا مولاي ولا جيش أمامنا ؟ انما هي مدينة لن

تجد بها الا الشباب قد ألقى سلاحه والمرأة تنتظر زوجها والرجل

المجوز لزوم كسرى بيته يروى عن الشباب الذاهب وينتظر الغداء

القادم •

الملك : (ضاحكا) ستكون للشباب ألفى سلاحا وللمرأة تنتظر زوجها
العائد وللعجوز يلتبس غداءه السم الزعاف .

الوزير : ألا نندرهم يا مولاي .

الملك : أجننت ؟

الوزير : فلا والله لست بهذا .. وإنما أخشى أن يكون انتقامهم بقدر الشر
الذي نلقيه عليهم .

الملك : مر الناس بالهجوم ودع الغد للغد .. هلم .

(صوت نفير شديد وحوافر خيل)

صوت : أترى الى الجموع الزاحفة ؟

آخر : انها الموت الآخذ .

آخر : ما رأيت كالיום جبانا .

آخر : أجان من يقول الحق ؟

آخر : جبان من يذكر الموت .. اننا نحارب في سبيل حريتنا ولا يجرؤ
الموت أن يصبو الى من يدافع عن حريته .

آخر : أرايت لو أن السيف قد اخترم قلوبنا وتركنا أرواحنا الأجنناد
أليس هذا هو الموت ؟

آخر : ذاك هو الحياة .. انها الحرية .. من مات في سبيلها وهبت
له الحياة الخالدة .. (يرفع صوته) حتى على الجهاد .
(موسيقى قليلة)

ملك الفرنج : أترى الى المدينة ، ليخيل الى أن جيشنا يلاقينا .

الوزير : لقد عرفوا بالهجوم ..

ملك الفرنج : ويل للخائن .

الوزير : ما أحسبه الا واحدا منهم وقد رأنا ، فأخبر أهله .

الملك : الويل له منهم كان أو منا .

الوزير : اتعاقب الرجل أن يخبر قومه عن جيش يغير على غرة ؟ ..

الملك : هيات أن يجدى دفاعهم فتبلا فما أحسب المعتصم قد علم عن قدمونا
وما أحسبهم الا قلة ضئيلة لن تثبت الا ريشما تنهزم .

الوزير : ما أحسب الأمر كذلك ، يا مولاي فإنهم يحاربون عن حريتهم
ودينهم وما حارب عن هذين أحد الا انتصر .

الملك : أقدم فانما النصر لمن أقدم .

الوزير : انما النصر لمن دافع عن الحق .

الملك : أيهزمننا هؤلاء ؟

الوزير : ان قلتهم ضئيلة وما أخالهم ينتصرون ولكننا سوف نخسر الكثير قبل أن ننتصر . . وسيكون نصرنا يومذاك لكثرتنا الكثيرة ولقلتهم القليلة .

الملك : انه النصر وما يهم من بعد لماذا يتم . . الى القتال .

(موسيقى عنيفة يتخللها صليل السيوف وصهيل الخيل
تشتد شيئا فشيئا ثم تهدأ) .

الملك : النصر لنا .

صوت : لقد خسرنا من الرجال كثيرا .

الملك : ولقد أسرنا منهم الكثير وقتلنا . . أعرضوا الأسرى .

صوت : من بين الأسرى يا مولاي سيدة دافع عنها قومها دفاعا عنيفا
وما أحسبها الا من السادة .

الملك : هاتها .

صوت : أمر مولاي . .

الوزير : ماذا أنت فاعل بها يا مولاي ؟

الملك : سوف ترى .

الوزير : ها قد جاءت .

الملك : تقدمي يا امرأة . . من أنت ؟

السيدة : هاجمت والليل أسود واتخذت الخداع وسبيته الى الأمنين ولو
قد أنذرتنا لرأيت الهزيمة كيف تكون ، ولكنك أنت الـ أسير
يشار بك فتضرع ، ويومئ اليك فتخضع .

الملك : ان لك لسانا يضمن لك الهلاك .

السيدة : ويحك هل ثمة هلاك بعد هزيمة انصبت علينا وحرية فقدينا ؟!

الملك : هناك الموت . .

السيدة : ان تمتلك من يخشاه . . أما نحن فحرقتنا حياتنا وليس بعد
فقدانها حياة .

الملك : فأخبرينا يا امرأة من أنبأكم أنا قادمون . . . وهل عرف المعتصم ؟
السيدة : أخيانة تريدني عليها ؟

الملك : لقد صبرت على قول منك عنيف ، لتخبرينا فوالله ان لم تخبرى
لأجعلنك أمثلة بين قومك .

السيدة : ان من يتخذ الليل ستارا يروع الأمنين من ورائه ليس غريبا
عليه أن يهدد امرأة .

الملك : اننى أعرف ما تهدفين اليه ، انك تريدين أن تطيل الحديث حتى
تسحى الفرصة لجيش المعتصم أن يأتى ولن يكون هذا . . أيها
الوزير .

الوزير : مولاي .

الملك : مر القوم بالرحيل واصحب هذه المرأة معنا . . واقتل الأسرى
الآخرين .

الوزير : (فى جزع) أقتل الأسرى !؟

الملك : نفذ ما أمرت به .

الوزير : (فى إستسلام) أمر مولاي .

(موسيقى)

الملك : انك الآن فى القسطنطينية وان بينها وبين المعتصم ما تعلمين من
صحراء واسعة وأيام طوال . . فقولى من وشى بنا عندكم . . . أهو
منا أم هو منكم ؟

السيدة : نحمد الله تعالى أن ولى أمرنا من جعلك تهرب هروب اللصوص .

الملك : (فى غضب) اجلدوا المرأة حتى نخبرنا عن الواشى .

(صوت وقع السياط)

(موسيقى)

السيدة : وامعتصماه . . . وامعتصماه .

الملك : (ساخرا ضاحكا بشدة) سيوافيك على الخيل البلق . . . (ضاحكا)

أجل على الخيل البلق .

صوت : وما الخيل البلق يا مولاي ؟

الملك : هى الخيل السوداء خالطها البياض . . يزعم هؤلاء المسلمون أنهم

سيدخلون الجنة عليها . . . (ضحك شديد) وهكذا سيأتى المعتصم

الى هذه المرأة على الخيل البلق (ضحك) الخيل البلق .

(موسيقى)

صوت : وهكذا يا مولاي أخذ يسخر منها ، ثم ضحك ضكاً شديداً حين
قال ان المعتصم سيوافقها على الخيل البلق .

المعتصم : أمن هذا يسخر .. والله لأردن سخريته الى صدره ... أذنوا
فى الناس كل من يملك فرسا أبلق فان الخليفة يريد له ليدفع عن
الدين وعن الحرية وعن الكرامة .

الصوت : ألا تريد الا الفرس الأبلق ؟

المعتصم : نعم والله لا أريد غير الفرس الأبلق والأبلق فقط .

(موسيقى)

المعتصم : كم تجمع لدينا من الخيل البلق ؟

صوت : تسعون ألفا يا مولاي عليها الرجال أمامهم الموت فى سبيل الله
.. هم طوع يمينك ..

المعتصم : حى على الجهاد .

أصوات : (كثيرة) حى على الجهاد .

(موسيقى)

الراوية : وعلى الخيل البلق انبثق المعتصم يلبى الصرخة التى انبعثت اليه
من بلاد الروم ... انها وامعتصماه أطلقتها المرأة من عند الفرنجة
فهب لها خليفة الاسلام ... وانها سخرية من ملك فاجر ردها خليفة
الاسلام انتصافاً للحق واهتزازاً للمروءة ... وعلى الخيل البلق
انتصر المعتصم وبالخيال البلق انهزم ملك الروم وعلى الخيل البلق
عادت السيدة العربية ... لقد كانت هذه الخيل رجح نداها ..
خلق عربى فى الشواهد العليا من الخلق ... امرأة ضعيفة تأبى
على الملك المنتصر أن يستل منها سرا ... وخليفة عربى يأبى أن
يستصرخ فلا يجيب فما هو الا رجح صدى الصرخة حتى يعود معها
خليفة وجيش وخيال بلق ... فما لنا اذن غلف القلوب سراع الى
الزلل وقافون عن الخير ومالنا ... مالنا لا نلقى الى تلك القمم
الساطعة نظرة تهدينا السبيل ... ومالنا لا نقتبس ضوءاً من
شرفات التاريخ .

• ضيف وأبناء

الصوت : مبارك والله حجنا هذا العام يا أسامة •
أسامة : مبارك ان شاء الله فوالله ما تمنيت من حياتي حجة خيرا من هذه
نحمدك اللهم ... لقد هيات لنا أن نهفو الى بيتك الكريم على رأسنا
ابن عم نبيك •

الصوت : وأى عم من أعمام نبيه ... انه العباس فتى العرب وسيفهم ...
وانه من وقف النبي على جثته يوم مات يكيه فيوغل في البكاء ...
ثم هو عليه الصلاة والسلام يذكر الخير الذي هيا له في الحياة
الأخرى ... فعمس قلبه خفقة من راحة •

أسامة : ثم هو يذكر بكاءه الذي كان فيعزوه الى شوق سليم به أن فارقه
عمه ... فهو انما يكي من الشوق ولا خزن ... نعم والله ... لقد
كان العباس درع النبي وسيفه صاحبه حين أشرق الحق على النبي
فأمر بالدعوة •

الصوت : لم يكن العباس قد أسلم بعد ، ولكنه كان حربا على أعداء النبي
سيفا عليهم لا يلين •

أسامة : ثم أذن الله فأشرق نور الاسلام في نفس العباس ، فكان مجدا
للاسلام وعزا ، ذكرنا العباس - أخي - وفضله وسابقته في الاسلام
ونسينا والله فضل هذا الذي يحج بنا في عامنا هذا •

الصوت : أو مثل هذا ينسى 19 أنه عبد الله بن العباس الأصيل بن
الأصيل •

أسامة : بل قل أعلم من عرفه العرب وأفقه المسلمين بشؤون دينهم ...
لقد والله رأيت الناس يضربون أكباد الابل من اقاصى الأرض يسألونه
فى أمر من أمور دينهم ، فاذا هو يتدفق كالجدول العذب ، واذا
القوم يعودون ... ارتاحت نفوسهم الى قتيناه هادئة قلوبهم الى
علمه •

- أسامة : مبارك والله حجنا هذا العام يا أخى
- آخر : أرى عبد الله يأمرنا بالوقوف
- أسامة : فهلم إليه نسرع بخطى عساه يريد أمرا

(فترة صمت)

- أسامة : أوقفنا لشيء يا عبد الله

عبد الله : بل رأيت الليل يهيم بقدم وأخشى أن يدركنا فى مكان وعمر ،
وأرى هنا سهلا ينبسط فكأنما هو أهلا يقولها كريم

أسامة : أننا فى طريقنا الى بيت الله يا عبد الله ، وما أحسب الوعر
الا منبسطا لنا

عبد الله : اننى والله أحب الحديث الفرحان ... هكذا والله يكون المقبل
على بيت الله

أسامة : أتتابع سيرنا اذن ؟

عبد الله : لكم أحب يا أخوا العرب أن نصل ليل طريقنا بنهاره سراعا الى
بيت رفعة الله ، لتهدى اليه قلوبنا ، ولكننى أحمل عبء من معى

أسامة : أنت على الحق دائما ... يابن العباس ... انما ولاك القوم
عليهم ، فأنت ترى لهم الخير وتثق به

عبد الله : هو ما قلت يا أخى .. والآن أريدك أن تصحب بعض الرفاق
وتبحث لنا عن مأكل فى هذا المكان أو مشرب

أسامة : هلم يا رفاق ... هلم يا زيد هلم يا جابر هلم يا ...

(موسيقى قصيرة)

أسامة : بحثنا حوالينا فما وجدنا مأكلا ، وان كنا وجدنا عينا جارية

عبد الله : أتجدون عين الماء ولا تجدون حولها مأكلا ؟!

أسامة : انما هى ساعة غروب روح فيها رعيان ونام سامرون

عبد الله : فهلا ذهبتم الى هذا المرعى القريب ، لعلمكم تجدون به راعيا
أو خيمة

أسامة : نفعل يا سيدى

(موسيقى قصيرة)

أسامة : ها قد بدت لنا خيمة

- آخر : وان بها لنورا
- آخر : يا صاحب الخيمة
- صوت : (سيدة عجوز) لبيك يا من ناديت
- أسامة : السلام عليك يا أم
- السيدة : وعليك السلام يا بني ورحمة الله
- أسامة : أعندك طعام تشتريه ؟
- السيدة : أما للبيع فلا ، ولكن عندي ما يكفيني أنا وأبنائي
- أسامة : وأين بنوك ؟
- السيدة : يرعون قطيعهم . . . وما قد حان موعد أوبتهم
- السيد / أسامة : وما أعددت لهم ؟
- السيدة : خبزا
- أسامة : أو ليس عندك شيء آخر ؟
- السيدة : لا
- أسامة : فنحن ضيف نزلنا على العين ، فان جدت لنا ببعض الخبز حمدنا
- وان كنا نكلفك من أمرك عنتا

السيدة : أما أن أجود ببعض فلا ، وأما الكل فخذوه . . . ها كم الخبز
جميعه

أسامة : تمنين البعض وتجودين بالكل ١٩

السيدة : أنا أمنع ما ينال من كرامتي وأمنع ما يرفعني

(موسيقى)

- صوت : السلام عليك يا أماه
 - الأم : مرحبا بالأبناء . . أين تركتم القطيع ؟
 - الصوت : قريبا ها هنا . . نحن جياع يا أماه ، فهلم خبزك هلم
 - الأم : لا خبز عندي لكم
 - الصوت : أغاضبة علينا ؟
 - الأم : بل اني أكرمتكم غاية الاكرام
 - الصوت : فانت اذن قد صنعت لنا خبيصا من اللبن والتمر ؟
 - الأم : عجبت لك . . ألا تفكر في غير المأكول ؟
 - الصوت : جوعان يا أمي والله جوعان وأخوأي جوعانان ألسنا كذلك ؟
- (موسيقى)

- صوتين : جياح ... جياح •
- الأم : كلوا الرمال اذن ، فليس عندي خبز •
- الصوت : هو الخبيص اذن •
- الأم : يا لك من شاعر !
- الصوت : أقلت شاعر ؟

الأم : شاعر ... لا شك ... فان خيال ذلك الذي يبيته لك جوعك أتاكل
أنت الخبيص وأنت في عرض الصحراء لا تملك موقعا بل إنك لتعلم
أننى أصنع لك العيش على الرمال الملتهية •

الصوت : فماذا صنعت لنا اذن ؟

(موسيقى)

أسامة : هكذا والله يا بن العباس ... لقد أبت المرأة الا أن تهيب لنا كل
ما صنعته من خبز بنيتها ... أعطته لنا جميعه ، ثم هي لم تسأل
من أنتم ... فما عرفت عنا الا أننا قوم طلبنا فأعطت •

عبد الله : ولقد أعطت الكثير ... انه قوتها وقوت أبنائها •

أسامة : ألا تزورها يا عبد الله ؟

عبد الله : لكم أتوق الى هذا ولكنى أخشى أن أزورها ، فلا تجد عندهما ما تكرم
به ضيفها ، فيصيب خجل لا أحب أن يصيبها ولكن ...

أسامة : (مقاطعا) ندعوها إليك •

عبد الله : هكذا والله أحب أن تفعلوا ... قولوها •

(موسيقى)

الأم : بهذا أيها الأولاد أكرمتكم ... لم يكن الخبيص صنعته لكم ، وإنما
صنعت لكم أكرومة ترضى منكم نفوسا ، وإن أغضيت فيكم بطوننا •

الأبن : لقد والله أرضيت يا أماه ... هكذا نحن العرب نجود ... فنجود
بأنفسنا وليس بخيلا من يجود بنفسه •

الأم : هكذا أحب أن أسمعك يا بنى

الأبن : لعلك لم تسأل القوم من هم ومن أين والى أين •

الأم : ما كنت لأفعل هذا يا بنى ...

الأبن : وما الضير يا أماه •

الأم : لعلهم كرام مشاهير في العرب ، فيظنون أنني انما أجيب ما يطلبون
طمعا في خير منهم أو تقربا لأسمائهم .

الابن : فان كانوا فقراء مهازيل ؟

الأم : فقد وجبت الصدقة اذن .

صوت : (أسامة يأتي من الخارج) يا صاحبة المعروف .

الأم : اياي نقصد يا صاحب الصوت .

أسامة : السلام عليك ورحمة الله .

الأم : مرحبا بالضيف . . هؤلاء أولادي وقد عادوا من المرعى

أسامة : أهلا بأولاد الكريمة . . ما أرى الا أننا حرمتاكم طعامكم منذ
الليلة .

الابن : هنيئا لكم أيها الضيوف .

أسامة : قدمنا ورجاؤنا أن تجيبوا لنا رجاء .

الأم : ان كان في الطوق .

أسامة : اننا قوم من المدينة خرجنا نريد الحج وعلى رأسنا علم من اعلام
الاسلام قصصت عليه ما كان من برك بنا ، فأراد أن يراك ويرى
أولادك .

الأم : ومن صاحبكم ؟

أسامة : عبد الله بن العباس .

الأم : وربك هذا الشرف الأعلى . . هلم بنا .

(فوسيقى)

عبد الله : مرحبا بالكرام .

الأم : مرحى بك . . ابن العباس .

عبد الله : ممن أنت يا خالة ؟

الأم : من بني كلب .

عبد الله : وكيف حالك ؟

الأم : أكل الخبز ، وقد صنعته على الحجر بغير موقد ، ثم أنا لا أكثر
وأشرب الماء من عين صافية فاذا نفسى في الصفاء كالماء . . واذا بي
أنام والهموم لا تعرف الى سبيلا .

عبد الله : الحمد لله . . أعرفت فيما طلبت أن أراك ؟

الأم : لا والله . . انما قيل لى عبد الله بن العباس فحششت اليك المخطي
ويسبقنى الشوق الى رؤية ابن عم رسول الله وأعلم العرب وأفقه
الناس بالدين الحق .

عبد الله : انما أردت أن أكرم اكرامك وأكافئك عليه .

الأم : والله لو كان ما فعلته معروفا فما كنت لأخذ عنه بدلا . . فكيف وهو
شئ يجب أن يشارك الناس بعضهم بعضا فيه .

عبد الله : وماذا فعلت لبنيك حين عادوا جياعا ؟

الأم : يا ابن العباس . . لقد عظمت عندك خبزتي حتى أكثرت فيها
الكلام . . . أشغل فكرك عن هذا فانه يفسد المروءة .

عبد الله : وأنتم أيها البنون .

الابن : لبيك .

عبد الله : أحب أن أساعدك بالمال ؟

الابن : نحن نعيش على الكفاف ، فوجه مالك الى من لا عيش له .

الأم : بوركت يا فتى .

عبد الله : بوركتم جميعا .

المديع : وأبى الابن ، وعزفت المرأة أن يصيبهم خير لقاء واجب يؤدونه . . .
خلق عربى أشم يعلو فيصعد الى السماء . . وهناك يلقى المكافأة
والجزاء . . قوم يبتكرون المكرمات وأعينهم لا ترنو لغير الله . . .
فمالنا لا ننظر لغير الأرض ، ومالنا نبتغي النفع العاجل على غير عمل
تقدمه ، ومالنا بخل حتى لنكاد نخنق أنفسنا بأيدينا . . لو أننا
نظرنا التاريخ . . .

(موسسيقو)

● ستار الخير

الزوجة : لقد أبعدت في الغيبة يا مولاي ، ولم ترسل إلينا لديك رسولا ، فأهلا بك في منزلك وطاب يوم عدت فيه .

الأمير : (حزينا) ها قد عدت يا سامية ، فقد شغلتنى عنك الحرب .

الزوجة : يا مولاي انها الحرب ، فان تكن اليوم قد أدبرت فانها في غد .

مقبلة وما أقرب الغد من اليوم . . وانك لفارسها وفتاها . . . وانك لسيفها و . . . !!

الأمير : (مقاطعا) ماذا بك يا سامية . . أتظنين بي الهزيمة ؟

الزوجة : فماذا تريدني أن أظن بهذا الوجه المقطب وذلك الجبين المغضن وهاتين العينين الكابيتين ؟ . . .

الأمير : لم تكن هزيمة ما أحاقت بنا .

الزوجة : فهي الخيانة اذن أدت بكم الى الهزيمة .

الأمير : بربك يا سامية . . لقد انتصرنا .

الزوجة : ماذا تقول ؟

الأمير : لقد انتصرنا نصرا حاسما .

الزوجة : انتصرتم !! فمالك اذن وقد اربد وجهك وعلا الحزن نفسك . . .

بل مالك تلقى الى بخير النصر وكأنما كنت ترجو الهزيمة . . . سعيد

. . . أخاف . . . ولكن لا . . . لست أنت ما يفعلها . . .

الأمير : ماذا تخافين ؟

الزوجة : أخاف أن يكون النصر ثمنا لكرامة مهدرة أو خديعة شائنة ويحك .

الأمير : ويحك يا سامية لقد أبعدت بك الظنون . . انظري بربك أي رجل

ذالك الذي تلقين إليه الحديث .

- الزوجة : رجل هو الرجولة .. انه الأمير سعيد ..
- الأمير : فمالك تسيين الظن ؟
- الزوجة : وماذا تريدني أن أظن وأنت على حالك هذا من الحزن والألم ؟ ..
- الأمير : لقد فجعت والله وأنا أتلقى أنباء النصر .
- الزوجة : فذاك نفسى أيها الزوج - بماذا فجعت ؟
- الأمير : انهزم الأعداء وولوا الأدبار وتلفتت يا سامية أبحث عن صديقى تمام القضاى فقبل لى انه مات ..
- الزوجة : ان الذاهب الى الحرب - أيها الأمير - انما يضعها حياة على سن سيف . فاما نصره وحياة ، واما ميتة فى سبيل النصر .
- الأمير : فوربك ما حزنتم لموته وانما هو ذو عائلة وأولاده صغار وقد كان لرجل عقيفا لم يترك لزوجه ما يقيم أود الحياة .
- الزوجة : هون عليك أيها الأمير ... ألا فلتقم أنت أود الحياة لعائلته ؟
- الأمير : وددت والله لو كان ذاك ولكننى لم أستطع .
- الزوجة : كيف ؟
- الأمير : لم أطق أن أعود اليك قبل أن أذهب الى دار صديقى فذهبت ..
- الراوية : وكان الأمير قد ذهب فعلا الى دار صديقه الشهيد وطرق الباب فعاجلت اليه الزوجة التى أصبحت أرملة .
- صوت سيده : مرحبا تمام ... على الطائر الميمون عدت الى زو (تفتح الباب) من .. مولاي .. أين تمام ؟
- الأمير : على رسلك يا عفراء .. انه ..
- عفراء : الى جنة الخلد يا تمام .
- الأمير : هونى عليك يا عفراء .
- عفراء : ان كان الى تهوين من سبيل يا مولاي فهو ثقنى انه لاقى ربه راضيا مرضيا ... بذل حياته فى سبيل ربه ، فله أجر الشهداء والصديقين .
- الأمير : ألا من دمعة تريح بعض ما بك ؟
- عفراء : لكم أتوق الى تلك الدمعة يا مولاي ولكن هيهات .. فانى لأخشى ان أنا ذرقتها أن تغضب تماما وما عودت أن أغضبه .

الأمير : فإله لنا فى فقهه يا أخت .

عفراء : انه لنا دائما يا مولاي . . . لن يرضى الله الا الخير لقوم اخسار
عمادهم الى جواره ، واصطفاه الى سمائه وارتضاه فى جنات نعيه
مجاهدا فى سبيله فى الدنيا طامحا الى رضاه فى الآخرة .

الأمير : نعمت الزوجة أنت يا عفراء ونعمت المرأة .

عفراء : ما أنا يا مولاي الا قبسة من تمام ، وقد كان والله رجلا عميق
الايمان ، صادق المروءة ، كريم الطريق ، نبيل المقصد .

الأمير : أجل والله لقد كان كذلك . . عفراء . . لقد استودعنى تمام أمانه
وقد حان موعد ردها .

عفراء : أية أمانة يا مولاي ؟

الأمير : قد كان يملك قطعة صغيرة من أرض باعها ، ثم هو قد طلب الى
أن أبقى ثمنها عندى ، حتى يشتري قطعة أخرى لكم .

عفراء : الله جارك يا مولاي . . أتخادعنى عن نفسى . . فلا وربك لم يكن
لتمام قطعة من بستان صغيرة أو كبيرة ، ولا وربك لم يبع تمام
شيئا ، ولا وربك ما كنت لأقبل ثمن زوجى ، فإناك لا تطيق وإن كنت
الأمير أن تؤدى الثمن .

الأمير : بربك يا عفراء ألا أتحت لى هذا الخير ، فإنى لأدرى أن تماما
لا يملك شيئا وإنى لأخشى عليكم عاديات الزمان ، فما ضر لو استعنتم
على الزمن بى .

عفراء : اننا نحن المدينون يا مولاي ، لقد أتحت لرجلنا أن يلاقى ربه
مستشهدا . . وهيئات هيئات أن نقبل ثمن الخير الذى أصاب
صاحبنا . . لقد استشهد فى سبيل الله ، ولن أفسد استشهاده بمال
أقبله منك .

الأمير ، ولكن للزمن غدرة ولا يقبل منها الا المال .

عفراء : ان للزمن غدرة ولا يقبل منها الا الله . . وانه معنا .

الأمير : بربك يا عفراء ألا قبلت ؟

عفراء : بربك يا مولاي ألا أقلت ؟

الأمير : لقد حملتنى من أمرى عبثا .

عفراء : حتى لا أحبل من أمرى عبثا .

- الأمير : فوداعا يا عفراء .
- عفراء : وداعا يا مولاي .
- الراوي : وسمعت زوج الأمير حديث زوجها .. فهي تقول له :
- الزوجة : لقد والله باركت روح زوجها فكأنما استشهد مرتين :
- عفراء : لقد استشهد في كل مرة عف فيها عن المال ، وفي كل مرة رفضت فيها الزوجة أن تقبل .
- الزوجة : الى رحمة الله يا تمام .. وأصبرك الله يا عفراء .
- الأمير : وهكذا يا سامية لست أدري ما أنا فإعمل .
- الزوجة : خبرني يا مولاي .. ألم تقل ان له أولادا .
- الأمير : بلا انه ذو عيال .
- الزوجة : أليس له بنيات ؟
- الأمير : بل ان له لبنية .
- الزوجة : فكم تبلغ من العدر ؟
- الأمير : أظنها في الخامسة عشرة .
- الزوجة : لقد وجدت الطريق يا مولاي .
- الأمير : فقولى بربك .
- الزوجة : انتظر بعض الحين ، ثم اذهب الى عفراء مرة أخرى ..
- (موسيقي)
- الراوية : وألقت الزوجة الى زوجها برأى وجد فيه خيرا فهو يذهب الى عفراء يقول به .
- الأمير : عفراء .
- عفراء : مولاي .
- الأمير : قدمت في أمر وودت لو أجبتني فيه .
- عفراء : ان كان في الطوق يا مولاي .
- الأمير : هو رجاء .
- عفراء : بل أمر مولاي ... ان استنطعت .
- الأمير : اننى أخطب اليك ابنتي .
- عفراء : ابنتي ؟
- الأمير : أجل ابنتك سعاد .

عفراء : ولما الخطبة يا مولاي ؟

الأمير : لابن أخي الأمير شهاب .

عفراء : أما هذا فنعم يا مولاي . . . أما هذا الرجاء يا مولاي فاني أجيبه

على شرط .

الأمير : وما هو ؟

عفراء : أن يكون الأمير شهاب قد طلب هذا الزواج ، لأنه يريد ابنتي ،

تلا لأنك أرغمته عليه .

الأمير : وأقسم ما أرغمته .

عفراء : واني قبلته يامولاي .

الأمير : لقد قبلت يا سامية .

سامية : وهكذا يا مولاي أتاح الله لك أن تمد يد العون الى عائلة صديقك

من غير أن تظهر هذه اليد ، فهي ملفوفة في غشاء كريم من الكتمان

ستعطي المال لابن أخيك وابن أخيك يقوم بشأن الأسرة في ستار

الخير .

(موسيقى)

الراويّة : كم هي رائعة تلك المثل التي يضربها الأولون . . فانهم ليجزعون

اليوم عن الجهاد الى الهدوء . . وانهم ليجزعون من الموت الى الحياة ،

وانهم ليجدون اكرام الميت في النواح الكاذب حتى اذا استعصت

الدمعة وأراد الجرح أن يندمل استأجروا أو استأجروا النائحات ،

لتمزقن الجراح وليهتكن على الميت حرمة . . وانهم ليجحدون الصداقة

وينكرون الود . . وانهم ليمنعون الخير ، فان بذلوه استردوه بالمن

الكاذب وبالنظاهر المتكبر . . لو أنهم ألقوا ناظرهم الى أمجاد آبائهم

. . لهدأت نفس لهم تنور الى الشر ولأقامت أخلاقهم على الطريق

القيوم . . نظرة الى الماضي . .

((انتهى))

فهرس

- الغفران ٥
- خشوع ٧٧
- ذكريات لا مذكرات ١٤٧
- لؤلؤ وأصداف ٢٦٩
- الحياة لنا (مسرحية) ٢٧٩
- حياة الحياة (مسرحية) ٣٤١
- من أقاصيص العرب (تمثيلات اذاعية) ٤١١



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
الهيئة العامة لأكاديمية الإسكندرية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٢٦٧٧
ISBN — 977 — 01 — 2716 — 7

طابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٢٧٥ قرشاً